

أزاهير الرياض

في مناقب العارف بالله تعالى الأستاذ الشيخ أحمد الطيب

تأليف

الأستاذ الشيخ عبد المحمود نور الدائم

رضي الله عنه

أشرف على طبعه ومراجعته

محمد الحادي قريب الله و طه محمد المبارك

مطبعة مصر شركة قسامة مصر

١٩٥٤

obeykandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بقلم فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ مجذوب جلال الدين
المدرس بمعهد أم درمان العلمى

سبحانك اللهم، وبحمدك جعلت قلوب العارفين مشكاة لأنوارك، ومستودعاً
لعلومك وأسرارك، وفجرت ينابيع الحكمة من أفئدتهم فجرت على ألسنتهم،
فكانوا خلفاء عنك، فى دلالة عبيدك إلى توحيدك، وخرقت لهم العادات وأيدتهم
بالكرامات كما أيدت أنبياءك بالمعجزات، فظهر للناس صدقهم، ووجب عليهم
حقهم والصلاة والسلام على الواسطة العظمى الذى هو من كل مخلوق أعظم وأسمى
سرك الذى شققت منه الأسرار، ونورك الذى فلقته منه الأنوار، سيدنا ومولانا
محمد المجتبى المختار، وعلى آله وصحبه الأخيار ووارثيه الهداة الأبرار.

وبعد، فأقول وأنا العبد الفقير إلى مولاه المعين، محمد المجذوب بن جلال الدين،
قد كان مما من الله به على أن هيا لى أسباب قراءة كتاب «الأزاهير المختلفة
الألوان فى مناقب شمس العرفان، القطب الغوث الشهير والسند السيد الكبير،
سيدى الشيخ أحمد الطيب بن البشير لمؤلفه وارت التظب وحفيده الجامع لأشتات
العلوم، والمبرز فى المنطوق والمفهوم، الولى المكاشف، المطلع، النائر، الشاعر،
المبدع، سيدى الأستاذ الشيخ عبد الحمود نور الدائم، سقى الله ضريحه صوب
الغمام من الرضوان والرحمات العظام.

أقول إني قرأت ذلك الكتاب من الأول إلى الآخر ، فوجدته كالبحر
الزاهر فقصت في معانيه ، وظفرت ببعض لآليه ، وإنه لجدير أن يقال فيه :

كتاب كآزهار الرياض تفتت
هو القطب من قد طيب الله ذكره
مد جميع العارفين بوقته
له الخلق الأرضي الذي فاق غيره
فيا طيباً قد حاز مجداً وسودداً
وحكماً وتصريفاً وسراً مطهراً
ظهرت بسودان وقد كنت آية
تلاميذك الغر الميامين كلهم
بنيت لهم حصناً منيعاً لحفظوا
ومنهم إمام الوقت وارث علمكم
فيا عابد المحمود ياسر جده
جمعت كتاباً فيه علم وحكمة
بنثر وشعر دونه الدرر قيمة
وعشقنا في جدك العارف الذي
عليك رضاء الله ثم رضاؤه
وأسأله سبحانه أن يعيذني
كأئمه عن سيرة الطيب النضر
وسارت به الركبان في البر والبحر
ومرشدكم بالشرع في طرق السير
ووافق أخلاق النبي بلا نكر
ومعرفة بالواحد الصمد البر
وعلماً بأسماء مصونا عن الغير
كما شهد الأقطاب فضلك في مصر
فحول كأبناء غدوا حلية العصر
عليه وصدوا عنه عادية الدهر
فذا عابد المحمود ذو الجود في السير
وقافيه في الأحوال في السر والجهر
وإيضاح سير العارفين أولى السر
ويعشقه من لا يميل إلى الشعر
أضاء الدنا من نوره طلعة البدر
على جدك الراضي عن الله ذي الأمر
بجاهكم من شر نفسي ومن غيري

قصيدة الأستاذ الشاعر

الشيخ محمد سعيد العباسي

حادي العيس يا سمير البيد يا أنيس السارين وقت الهجود
جُدْ بِالْحَانِكِ الْعِذَابِ وَجِئْهُمْ بشجى الترسيل والتديد
مِثْلَ مَا جِئْتَ بِالْهُدَى وَكِتَابٍ جاء يقفوا آى الكتاب الجيد
وَهُوَ سِفْرٌ حَوَى مَنَاقِبَ شَيْخِ الْمَضَرِّ غِيثِ الْجَادِي غِيَاثِ الطَّارِدِ
آيَةُ اللَّهِ أَحْمَدُ الطَّيِّبُ الْقَطُوبُ الَّذِي فَاضَ سِرُّهُ فِي الْوُجُودِ
فَقُلْ الْفَضْلَ سَيِّدِي ثُمَّ لَا تَحْزَنْ بلوم من ناقد أو حُودِ
أَنَا مِنْ قَبْلِهَا مَنَاقِبُ كَبْرَى جَمَعْتُ كُلَّ مَطْلَبٍ مَنُشُودِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْ مَسَاعِيكَ يَا مَحْمُودُ فأبشُرْ بِسَمِيكَ الْمَحْمُودِ
وَسَقَى الْغَيْثُ تَرْبَةً أَنْبَتَ مِنْكَ فَرِيداً أَنْعَمَ بِهِ مَنْ فَرِيدِ
نَارُ قَدْ أَعَادَ لِلنَّاسِ مِنْهُ عهد عبد الحميد وابن العميد
وَقَرَأْنَا أَشْعَارَهُ فَأَرْتَنَا صورة من مَهْلَهَاتِ الْوَلِيدِ
فَهِيَ فِي نَسْجِهَا الْبَدِيعُ بُرُودُ أَحْكَمُوا وَشِيْهَا بَارِضُ تَزِيدِ
وَاعْتَرَانَا مِنْ شَهْرِهِ فِي شَرَابِ الْكَلَسِ سُكْرٌ يُنْسِي ابْنَةَ الْعُقُودِ
وَلَهُ فِي عِلْمِ السَّلُوكِ عِبَارَا تَ وَلَفْظُ كَالْوَلَوِ الْمُنْضُودِ
فَتَرَبَّى مِنْهَا رِجَالٌ بَادَا بِحِسَانِ التَّوْجِيهِ وَالتَّجْوِيدِ
وَاسْتَنَارَتْ بِهِ الطَّرِيقَةُ حَتَّى لَتَبَدَّتْ تَمِيسُ مَيْسَ الْخُرُودِ
فَهُوَ لِلطَّالِبِينَ كَنْزُ الْعَطَايَا وَهَوَالِ السَّالِكِينَ عَذْبُ الْوُرُودِ
وَإِذَا مَا يَمَّمْتُهُ تَجِدُ النَّاسَ سَ وَفُوداً تَجِيءُ بِإِثْرِ الْوُفُودِ

بِاشْتِيَاقٍ وَلَوْعَةٍ كَالْعَطَشِ الْهِيمِ لَهَا طِلَالٌ ذَاتِ الرُّعُودِ
قَرَعُوا بَابَهُ فَمِنْ مَفْـُـيدٍ جَاءَ يَبْغِي الْكَمَالَ أَوْ مَسْتَفِيدٍ
رَاقِبُوا اللَّهَ مُحِبِّينَ وَجَدُّوا فِي رُكُوعٍ جَوْفَ الدُّجَا وَسُجُودِ
لَوْ تَرَأَاهُمْ وَقَدْ أَمَضَهُمُ الْجُودِ عُ اخْتِيَاراً لَقُلْتَ أَنْصَاهُ بِيَدِ
صَاحِكٍ فِي الطَّرِيقِ مِنْ عَقَبَاتٍ قَطَعُهَا بِالْتَرَيُّمِضِ وَالتَّجَرُّيدِ
فَإِذَا مَا سَلَكَتَهُ فَلْيَكُنْ رَاً ذَكَ فِي السَّيْرِ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ
لَسْتُ أَنْسَى لَهُ الْفِعَالَ حَمِيداً وَفِعَالاً لِلدَّهْرِ غَيْرَ حَمِيدِ
حِينَ عَمَّ السُّودَانَ شَرٌّ فَعَانِي حُكْمَ وَالٍ مِنَ الطُّغَاةِ عَنِيْدِ
وَرَجَالَ مِنْ رَهْطِهِ قَدْ تَرَدُّوا جِلْدَةَ الْحُرِّ فِي خِصَالِ الْعَمِيدِ
مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِهِمْ مِنْذُ كُنَّا غَيْرَ عَادِ الْأُولَى وَغَيْرِ ثَمُودِ
قَالَ قَاضِيهِمْ اضْرِبُوا الشَّيْخَ أَلْفَا ضَرْبَ ذِي قُوَّةٍ وَبَأْسٍ شَدِيدِ
لَا بِحُكْمٍ مِنَ الْكِتَابِ وَلَكِنْ كَانَ رَأْيَاً وَكَانَ غَيْرَ سَدِيدِ
فَحَشَا نَمُ قَالَ يَا قَوْمُ زِيدُوا فَوْقَ هَذَا وَيَا شَدَائِدُ زِيدِي
إِنَّ رَبِّي هُوَ اللَّطِيفُ تَعَالَوْا فَاشْهَدُوا لَطْفَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
ضَرْبُوه فَقَامَ يَرْسُفُ كَالْمُضْـُـمِّ مَبِ ذِي الرَّوْقِ فِي ثَقِيلِ الْقِيُودِ
لَمْ يَبْنِ مِنْ سَيَاطِمِهِمْ وَهِيَ أَلْفُ يَا خَلِيلِي غَيْرُ سَوَاطِ وَحِيدِ
يَا لَهَا مِنْ كَرَامَةٍ لَوَائِي لَمْ تَفْتَهُ كَرَامَةُ الصَّنْدِيدِ
وَرَعَى اللَّهُ لَيْلَةً هِيَ عِنْدِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَوْ لَيْلَى الْعِيدِ
غَمَرْتَنِي مِنْكَ الْبَشَارَةُ بِالْفَتْحِ وَنُورِ الْعِرْفَانِ وَالتَّائِيدِ
كُنْتُ وَاسْمِي السَّعِيدُ لَفْظاً فَلَمَّا قَرَّبُونِي أَصْبَحْتُ جِدّاً سَعِيدِ
أَلْبَسُونِي مِنَ الْعَطْفِ تَاجاً لِقَوْدِي أَبَاهِي بِهِ وَطَوْقاً لِحِيْدِي
إِنِّي لِي ذِمَّةٌ وَوَعْدٌ وَقَدْ جِئْتُكَ يَا خَيْرَ مَنْجَزٍ لِلْوُعُودِ

أَنَا مَنْ قَدْ عِلْتَ وَدَا وَقُرْبَى لَا أُنَادِيكَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ
فَاسْقِنِي مِنْ صَافِي دِنَانِكَ كَأْسًا هِيَ كَأْسُ الْحَيَاةِ كُلُّهُ الْخُلُودِ
مِنْ شَرَابٍ مَنْ لَمْ يَصْبِ مِنْهُ حَظًّا كَيْفَ يُدْعَى بِسَالِكٍ أَوْ مُرِيدٍ
فَتَنِي يَنْجِلِي فَوَادِي الْمَعْنَى وَيَطِيبُ الْجَنَى وَيُورِقُ عُودِي
وَأَرَى سَالِكًا طَرِيقَةَ قَوْمِي مِنْ كَرَامِ الْآبَاءِ كَرَامِ الْجُدُودِ
مَنْهَجَ ابْنِ الْبَشِيرِ وَالْعَارِفِ السَّامَانِ ذِي الْفَيْضِ وَالْإِمَامِ الْجَنِيدِ
وَهُمُ الْمَصْطَفُونَ لِلآيَةِ الْكَافِيَةِ بَنِي بَنِيكَ الْزُلْفَى وَذَلِكَ الْمَزِيدِ
سَادَّةٌ عَبَدُوا الطَّرِيقَ فَسَارَ النَّاسُ فِيهِ سِيرَ الْمَهَارِي الْقُودِ
وَإِذَا مَا صَفَا لَهُمْ قَلْبُ صَبَّ فَاصْطَفَوْهُ نَادَوْهُ فِيمَنْ نُودِي
وَتَرَقَّى حَتَّى إِلَى حَضْرَةِ الْأَطْلَاقِ ذَاتِ الْأَسْرَارِ وَالتَّجِيدِ
فَتَجَلَّى لَهُ الْإِلَهِ فَأَخْضَفَنِي كُلُّ شَيْءٍ جَمَالُ ذَلِكَ الشُّهُودِ
فَبِهِمْ رَبِّ نَجْنِي مِثْلَ مَا نَجَّيْتَ نُوحًا وَفُلُكَهُ بِالْجُودِ
وَأَذِنَنِي بَرْدَ الرِّضَا فَذُنُوبِي عَظُمَتْ عَنْ حَضْرِي وَعَنْ تَحْدِيدِ
وَأَتَتْنِي الْأَحْدَاثُ مِنْ كُلِّ فَجَعٍ مُسْرِعَاتٍ بِكُلِّ نَوْعٍ جَدِيدِ
وَلَقَدْ زَادَ فِي سُرُورِ الْأَعَادِي أَنْ نَأَى نَاصِرِي وَقُلَّ عَدِيدِي
وَهُمُ أُنْ فِي يَدِي وَلَسَانِي طِيبَ دَائِي سَخَائِمٍ وَحُقُودِ
وَتَنَاسَوْا جَهْلًا يَدَ اللَّهِ عِنْدِي وَجَمِيعًا مِنَ الْكِرَامِ الصِّيدِ
وَمَكَانِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِمَا النَّضْ اخْتَيْنِ الشَّرِيفِ وَالْمَحُودِ
فَهُمَا فِي الْحَيَاةِ حَسْبِي وَذُخْرِي وَرَفِيقَايَ عِنْدَ هَوْلِ الْوَعِيدِ
سَيِّدِي يَا بَنَ سَيِّدِي يَا حَفِيدَ الْ قَطْبِ قُمْ فَاسْتَمِعْ مِنْ ابْنِ الْحَمِيدِ
عَبَقْرِي الطَّرَازِ مَا مِلْتُ فِيهِ لِلْقَدِيمِ الْبَالِي وَلَا لِلْجَدِيدِ
فَإِذَا مَا رَضِيتُمُوهُ رَفَعْتُمْ سَيِّدِي مِنْ قَدْرِي وَمِنْ مَجْهُودِي

وَدَرَارِي الْخَفِيفِ دُونَ دَرَارِي بَحْرِكَ الْوَافِرِ الطَّوِيلِ الْمَسِيدِ
وَالَّذِي لَمْ يَجِدْ طَهُوراً مِنْ الْمَاءِ يُصَلِّي تَيْمُمًا بِالصَّعِيدِ

انتهت هذه القصيدة العصماء ، ذات المعاني الزاهية السمحاء ، لأمير الشعراء
ونادرة الأذكياء ، الأستاذ الشيخ محمد سعيد العباسي . مقرظاً لمناقب سيدي القطب
الجامع الأستاذ أحمد الطيب ، لجامعها أبي المفاخر ، ووارث السادة الأكابر سيدي
الوالد الأستاذ عبد الحمود وذلك في ٩ الحجة من سنة ١٣٧٢ .

هذا الكتاب المسمى بأزاهير الرياض المختلفة الألوان ،
في مناقب شمس العرفان ، وقطب الزمان ، وارث القدم
المحمدي ، الفوئث الشهير ، تاج العارفين ، وعمدة
المقرئين ، شيخ الطريقة ، والحقيقة ، سيدى الشيخ
أحمد الطيب بن البشير ، أمدنا الله بوابل
فيضه الغزير ، تأليف وارثه وحفيده خاتمة
المحققين ، وخلاصة الأكابر العارفين ،
الجامع بين الشريعة والحقيقة ، المجدد
لآثار الطريقة ، العارف الربانى ،
أمين الدين ، سيدى
الأستاذ عبد الحمود ، بن
الأستاذ نور الدائم ،
الطبيبى السمانى ،
نفعنا به ،
وبعلومه
آمين

obeykandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى شرح صدور السعداء لسماع مناقب أوليائه أولى العرفان ،
ورزقهم من محبته ما أوجب لهم الفوز وكامل الرضوان ، أحمدته تعالى حمداً ترقى به
على شوامخ المعالي فى كل آن ، وتزف به علينا عرائس العلم اللدنى من جانب
الغيب المصان ، وأشكره شكراً نفى بأسرار موارده عن الأكوان ، وترعى به
أرواحنا أزهير رياض الملكوت فى جميع الأزمان ، وأشهد أن لا إله إلا الله
شهادة تشهد بها فى كل شىء شهادة وحدة سارية فى كثرة عين الأيقان ،
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من خطر به الفكر من العالم وأثنى عليه
اللسان ، صلى الله عليه وسلم صلاة تليق بما له من عظيم المسكنة ورفيع الشأن ،
وعلى آله واسطة عقد رؤساء الدين وعظماء الأعيان ، وأصحابه المستصحبين للنظر
فى مرآة حسنة السارى سره فى الأرواح والأبدان ، وسلم تسليماً تسلم به البصيرة من
ظلمات الطبع والران ، والهمة عن الانحطاط من الترقى إلى أوج القرب والامتنان .

أما بعد : فيقول ذو الفكر الفاتر ، والباع القاصر ، الفقير إلى مولاه
العلی القادر ، عبد الحمود بن المرحوم الشيخ نور الدائم ، أدام الله عليه رضاه
فى هذه الدنيا وفى اليوم الآخر ، هذا كتاب سميته بأزاهير الرياض المختلفة الألوان ،
فى مناقب شمس العرفان ، وقطب الزمان ، وارث القدم المحمدى ، والسر الأحمدى ،
الغوث الشهير تاج العارفين ، وعمدة المقربين ، كعبة الأفضال ، وبحر العوارف
والنوال ، مطلع شمس الأنوار ، ومالك أزمة المفاخر والأسرار ، الفرد الجامع ،
ونور الحقيقة الحمدي الساطع ، من تجلت به عرائس العلوم ، وافتخرت به طريقة

القوم ، واحد الأيام ، ومسك الختام ، الذى توجهت إليه الآمال ، وتصرفت
قطبانيتها فى العالم من دون وعال ، فله دره من كامل ابتهاج به العصر أحسن
ابتهاج ، ونار به سراج الطريقة فى كل أرض وفجاج ، روح نفسى وحياتها ،
وإنسان عيني وثباتها ، أستاذ الأساتذة الشهير ، وجهبذ الجهابذة النحرير ، وقطب
الأقطاب الكبير ، وسلطان الصفوة الولي الأكسير ، ولي نعمتي ، وفارج كربى
وغمتي ، سيدى الشيخ أحمد الطيب بن البشير رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، وأمدنا
بمدده ومن صحبنا فى الله ، والتابعين له فى البلاد ، ومن تشوق إلى امداداته بحسن
الاعتقاد ، راجياً بالتأليف المذكور ، والكتاب المزبور ، سقياً منه بأكواب همته
ونظراته الحسان ، ورياً من قرقف كاس تحقيقه الساطع اللعان ، وهو الجدير
بتمجيد آمالي ، ونشأتى من أوحالي ، فلم تنسني صروف الليالى أنس عهده ،
ولم يجذب قلبي مغناطيس همة من بعده ، كيف لا وهو الذى أنبسنى خلع المهابة ،
وأذاقني فى حانه شرابه :

فوحقه لم أنسه هذى الدنا	كلا ولا يوم النفوس تقوم
الطيب القطب الذى لولاه ما	دارت على أهل الهوى خرطوم
فرد تفرد بلاغاثة وانجحت	كرب به بين الورى وهوم

فشوقى إليه شوق البلبل إلى الورد ، وامرئ القيس إلى الأبلق الفرد ،
ومدحى له لا ينقطع إلى أن تنقطع المدائح ، وأثنيتى عليه لا تملى ولو ملت التغريد
الحائم الصوادح ، كيف لا وإلى مثله يتقرب بإخلاص الوداد ، وإلى سوحه
تتسارع هم الورد :

أهم به حتى ولو ان عامرا	رآنى لثام النقص فى هيانه
وأوصى الذى بعدى بهم بحبه	إذا رام كلسا قد أديرت بحانه

فهذا وحق المصطفى وضيائه لَوَارِثُهُ فِي وَقْتِهِ وَأَوَانِهِ
عجبت من في الناس لاذ بغيره لِيَلْقَى رِشَاداً نَافِعاً فِي زَمَانِهِ
فما من ولي قط في الأرض سيد أَزَالَ لَهُ اللَّهُ الْغِشَا عَنْ جَنَانِهِ
وحاز العلا ألا ويشهد أنه الممدبر لكل القوم كأس دنانه
وسلطانهم نحو الذي قبله مضوا كَجِيلِهِمْ سَمَانِهِمْ قُطْبَ آنِهِ
وقد رتبت هذا الكتاب على ثمانية أبواب ، كل باب مشتمل على فصول ،
مستعينا بالله تعالى في بيان ذلك وعليه التكلان وبلوغ المأمول .

الباب الأول

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول

فما وقع من أخبار بعض العارفين به كشفاً قبل بروزه في عالم الدنيا
حدثني الفاضل الحاج العباس بن الفقيه أحمد ولد القاضي نصير السرورابي
رحمه الله تعالى ، وكان ممن أدرك أهل الفضل والصلاح ، قال حدثني من أثق به
من الفضلاء ، قال سئل الولي الكامل الشيخ حمد بن محمد الشهير بالمكاشفي
البتلابي الجموعي ، تلميذ سيدي الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله الطريفي دفين
الكدفيرة بقرب بنسدر المسلمية ، عن ورث سر ولاية الولي الكامل المشهور
سيدي الشيخ محمد ولد سرور ، من هو من أولاده ، فأجاب بأن سر ولاية المذكور
وأمانته غير موروث لأحد من أولاده ، ولكن ينشأ من أولادهم ولد مبارك صالح
كامل فيذهب إلى الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجمع هناك بمن عنده
سر جده سيدي الشيخ محمد ولد سرور وأمانته فيأخذها منه ويعود إلى وطنه ،
فيشرق بطلعته الوجود ، ويكون آية من آيات الله تعالى ، التي تسير إلى بركاتها
وخيراتها الوفود . فما زال الناس ينتظرون وقوع كلامه هذا ، إلى أن انصدع فجره
المبين ، بظهور قطب الواصلين ، وواسطة عقد الكاملين ، الأستاذ الشهير الشيخ
أحمد الطيب بن البشير رضي الله عنه ، فذهب سنة ١١٧٣ إلى الحج وزيارة النبي
صلى الله عليه وسلم ، في الثامن عشر من عمره ، مصحباً له صاحب السر الفخيم ،
والقدر العظيم منشأ هذه الأمانة النورية ، السرية والفائدة العظيمة الدنية ، الولي

الكامل ، والعارف الواصل ، سيدى الشيخ حسن ولد حسونة بن موسى الأندلسي ، رضي الله عنه ، فما زال معه إلى أن أوصله إلى القطب الجامع ، إمام وقته بلامنازع ، سيدى الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان ، رضي الله عنه وعنا به في كل آن ، فأخذ عليه الطريق ، وأدى إليه تلك الأمانة السرية ، الجامعة لل مراتب العلية ، والكمالات القدسية ، كما ستقف عليه في غير ما موضع من هذه المناقب اه .

حدثني أيضاً الحاج العباس المذكور ، وكان له القرابة والاتصال مع أولاد الشيخ أحمد بن محمد المكاشفي ، قال : كان سيدنا البشير بن مالك رحمه الله تعالى كثيراً ما يسافر إلى مدينة سنار لشئون تتعلق به وبملكها من جهة ، وكان فاضلاً كريماً ، مبعجلاً عنده ، حتى وأنه قد أهدى إليه كثيراً من أطيان الجزائر البحرية ، وقد شاهدنا ختمه وأختام وزرائه على الوثيقة المتضمنة للأطيان الموهوبة منه لسيدى البشير رحمه الله تعالى ، وكان في أسفاره ينزل عند ابن عمه الشيخ حمد المذكور ، فرأى سيدى البشير في بعض سنى أسفاره ونزوله عند المذكور ، أنه خرج منه منى كثير حتى سال على وجه الأرض ، وأن جميع أهل الجهات يهرعون إليه ، وفي يد كل واحد منهم مرود ، وهو يضعه في ذلك المنى ويكحل به عينيه ، فأصبح متعجباً من تلك الرؤيا ثم قصها على ابن عمه الشيخ حمد المكاشفي المذكور ، وكان بالكشف الذي لا يخطئ ، لأنه من الكاملين الواصلين ، فقال له سيخرج منك ولد تكتحل به بصائر أهل جميع الجهات ، فلما عاد إلى وطنه ولد له ولده مالك ، فظن أن تعبير الرؤيا يكون فيه ، فذهب إلى سنار لشئون تخصه ، فاجتمع بالشيخ حمد المكاشفي ثانياً فأخبره بذلك ، فقال له ليس هذا المبشر به في التعبير ، ثم عاد إلى وطنه فولد له ولده الماحي ، فاجتمع بالشيخ حمد المكاشفي ثالثاً وأخبره فقال له مثل ما قاله في الأول ، ثم عاد إلى بلاده فولد له القطب الجليل ، والإمام

لحقق النبيل ، الذى تقصر عن وصفه العبارة ، وتحدو بذكره السيارة ، الحبر
 الفخري ، سيدى الشيخ أحمد الطيب نفعا الله به وأمدنا بفيضه الغزير ، ثم بعد
 أن اكتحل والده بطلعته السعيدة ومحاسنه الحميدة ، سافر إلى سنار كعادته من قبل ،
 فتناقه الشيخ حمد المكاشفى على أميال كثيرة ، وعانقه وهناه بيزوغ الشمس
 المنيرة ، والطلعة الباهرة الخطيرة ، وقال له هذا هو القطب المشار إليه ، والفرد
 الجامع الذى تجتمع الخلائق عليه ، فحمد الله والده عند ذلك حمداً كثيراً ، وشكره
 شكراً كبيراً ، على أن جعله الله مظهراً لهذا القطب العظيم ، والغوث الفخيم ،
 وأولاد سيدى البشير الثلاثة المذكورون أشقاء ، والديهم ابنة عمه الصالحة ، الفاضلة
 الراححة ، زوجته رقية بنت رحمة بن الشيخ محمد ولد سرور رحمهما الله تعالى .
 وسيأتى الكلام على ما لها من الفضل فى هذه المناقب ، وإنها لجديرة
 بقول القائل :

حصان رزان ما ترنُ بريية وتصيح غرثى من لحوم الغوافل
 ويحكى أن سيدى الشيخ حسن ولد حسونه ، رضى الله عنه حكى لجده الشيخ
 محمد ولد سرور فيه بشائر عظيمة عميمة ، وأخبار حميدة ثخيمة .

الفصل الثانى

فى بيان مولده ونسبه الشريف واتصاله بالسيد العباس بن عبد المطلب عم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونبذة فى فضائل العباس رضى الله عنه ، وكذلك
 اتصال نسبه من جهة الجدات والأمهات ، بالسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، حسبما سمع منه رضى الله عنه .
 أعلم أمدنا الله وإياك بمدده ، وسقانا من كؤوس معارفه ورشده ، أن مولد
 الأستاذ المترجم ، والكنز المطلسم والبحر المطمطم ، والقطب الأعظم ، رضى الله

تعالى عنه وأرضاه ، وسقانا شربة من كأس حمياه ، كان بشاطئء بحر النيل من الجانب الغربى « بأم مرح » عام خمس وخمسين من بعد المائة والألف ، من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف ، والحق تعالى متجل فى ذلك العام باسمه قادر ، هكذا رأيتہ بخطه الشريف رضى الله عنه ، قلت : وفى ذلك إشارة لا يطلع عليها إلا الأكابر ، من أهل الكشف وقد ظهر عند ولادته ما دل على ولايته من الروائح العظريه ، والانشراحات الصدرية ، وقد ألهم والده أن يسمى هذا المولود ، المبارك المحمود ، أحمد الطيب ، وتربى فى حجر المجد ونشأ ، وارتشف من كأس حلاوته حتى انتشا ، وقد حمى الله ذاته الشريفه من الأخلاق الذميمة ، وصفاه بنظرة عليه صفاء الدرة اليتيمة ، وقد حلا فى كل العيون ، فنظرته كأنه الدر المكنون ، والجوهر المصون ، وكان رضى الله محبوباً فى صغره كما فى كبره ، وكان البعض من الناس يمدحونه بالأشعار ، ويذكرونه بالفضل بين الأخيار ، لما يرون عليه من سواطع الأنوار ، ومحاسن الآثار .

من كان مبدؤه جميلاً كيف لا
لجمال ذاته تشخص الأبصار
وبصير فى الأحشاء باق وده
ولمده تتسابق الأخيار

فما من يوم يزداد فيه عمره ، إلا وينمو خيره ويعظم قدره ، مع رقة تستجلب
الخواطر وتروح القلوب بنفحاتها العواطر .

باهت محاسنه شمس الضحى وبها
قد صار مفرد قدر فى الدنا وبها
أنى يحاول فيه ماحح وصفه
وهل تمس يد فى الدهر هام شها
ولم تزل تنمو كلالته إلى أن دخل المكتب كما سيأتى الكلام على ذلك

فى الفصل الذى يلى هذا إن شاء الله تعالى .

وأما نسبه الشريف : فهو القطب الفرد الجامع ، ونور الحقيقة الحمديه الساطع ، من له فى المعالى أرومة ، وفى مغارس الفضل جرثومة ، روض المعارف

الزاهر ، وجوهر أسرار البحار الزواجر ، الإمام المقتدى بأقواله وأفعاله ، والهام المرتجى لصروف الدهر وأوجاله ، مظهر الاسم الظاهر والباطن المتصل بأشرف الأوائل والأواخر ، ولي نعمتنا وأستاذنا منبع المكارم ، وتاج الأكارم ، طراز حلة العرفان أبو نور الدائم القطب سيدى الشيخ أحمد الطيب بدأ وختماً ذاتاً ووصفاً واسماً ، حسباً ونسباً ، خلقاً وأدباً ، وصلاً ومشبهاً ، ابن مولانا البشير وكان من الأولياء الصديقين ، وهو ابن مالك وكان من عباد الله الصالحين ، وهو ابن الولي المشهور العارف بالله تعالى سيدى الشيخ محمد ، وكان رضى الله عنه من خواص العارف بالله تعالى سيدى الشيخ حسن ولد حسونة رضى الله عنه وممن ورث حاله وهو صاحب الجامع الباقي إلى يومنا هذا (بأم مرح) وهو ابن سرور وكان من تلامذة سيدى الشيخ حسن ولد حسونة رضى الله عنه أيضاً وهو ابن الحاج غناوه بن سرور ابن حمد بن إدريس بن رباط بن ضياف بن منصور بن جموع بن غانم بن حميدان ابن صبح بن مسمار بن سرار بن كروم بن أبى الديس بن قضاة بن حرقان واسمه عبد الله بن مسروق بن أحمد اليماني بن إبراهيم الجعلى بن إدريس بن قيس بن يمين الخزر جى نسبة إلى أمه من الخزر جى ابن عدنان بن قصاص بن كرب بن هاطل ابن ياطل بن ذى الكلاع الحميرى نسبة إلى أمه من حمير بن سعد الأنصارى ابن الفضل بن عبد الله بن العباس عم سيد الناس محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما ما سمع من الجد رضى الله عنه من نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قد بلغنا عن الثقات أنه كثيراً ما كان يقول أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف الناس فى فهم معنى كلامه هذا فمنهم من قال إن له جدات وأمهات يتصل نسبهن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال يشير بهذا إلى ما روى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول له: أنت وإبراهيم ابني كهاتين مشيراً بالسبابة والوسطى من أصابع يده اليمنى وكقوله رضى الله عنه كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يناديني بين الأولياء إلا بالطيب ابني ونحن لعدم وقوفنا على الحقيقة لم نرجح أحد القولين على الآخر وغاية ما ينتهي إليه نظرنا تفويض علم ذلك إلى الله تعالى وعلى أى حال فنسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقة إما من طريق البُنوَّة الحسية أو المعنوية ، وكفاه شرفاً نسبته إلى عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قلت ناظماً لهذا النسب المذكور :

من سنة المختار تعليم النـسب	لا سيما لمن له أضحى حسب
فهاك نظماً حالياً في النفس	في نسب القطب المهّام الأُنفس
شيخ الطريق الطيب الفيّاض	مولى المعاني نعمة الرياض
وهو ابن مولانا البشير المرتجى	وهو ابن مالك مكمل الحجا
وهو ابن ذى الولاية الشهير	محمد المبارك السريره
وهو بلا مين ولا امـتراء	يعزى إلى سرور المعطاء
وهو ابن من يدعونه غناوه	رب التقى والمجد والسخاوه
وهو إلى سرورهم وهـذا	لحمد يعزى فقل يا حبهـذا
وهو ابن إدريس وهذا نجل	رباط من به الفخار يجلو
وهو ابن ذى الملك ضيـاب العلم	وهو ابن منصور المطاع المحترم
وهو ابن جموع الذى قد جما	فخر الألى وعن حماه منعا
وهو ابن غانم الذى قد غنا	للشرف الأعلى الذى به سما
وهو ابن من يدعى حميدان الذى	قد كان فى النفوس كالمسك الشذى
وهو ابن صبح من بدا كالصبح	بين الورى بكل وصف مصلح
وهو ابن مسمار هو ابن الفضل	سرور ذى الكف الندى البازل
وهو ابن كروم من اسمه حسن	سلطان قومه وعامر الوطن
وهو ابن أبى الـديس وذا قضاء	أبوه وهو من ذوى الشجاعة

وهو ابن عبد الله من يلقب
وهو ابن مسروق على الشاف
وهو ابن إبراهيم أغنى الجعلى
وهو ابن إدريس وذا ابن قيس
وهو ابن عدنان الذى قد سادا
وهو ابن من يدعى قصاصاً فى الملا
وهو ابن هاطل وذا ابن ياطل
وهو ابن ذى الكلاع الحميرى
وهو ابن من جمع الفضائل
وهو ابن عبد الله حبر الأمة
وهو ابن عباس عظيم الذكر
واعلموا بأنى آنفاً قد قلت
عزروا إلى البتول بنت المصطفى
فياله من حائر للشرف
سما بخير الأنبياء أحدا
وكيف لا وهو له قد قال
أنت كإبراهيم نجلى يا ولى
صلى على النبي مولاه العلى
وصحبه من كابدوا الأهوالا
ماذكروا بالخير فى الأوقات

فيهم بحرقان كما قال الأب
وذا أبوه أحمد اليماني
محبوحة الفخار والمجد العلى
وذا أبوه يمن ذو الكيس
زمانه وللعدا أبادا
وهو ابن كرب من به الكرب انجلا
من فاق جوداً للسحاب الهاطل
وهو ابن سعد ذى الذكا والمفخر
الفضل من فى الفضل كان طائلا
من وطىء العلما بعالى المهمة
عم الرسول الهاشمى القهرى
للطيب الذى به ولعت
وقد ذكرت فيه ما به اكتفى
من جانيبه والمقام الأظرف
قدراً سما الشعرى وفاق الفرقدا
خير الورى قولاً علا إجلالا
وأنت منى أنت حبي أنت لى
وآله أولى المقام المعتلى
فى حبه وجندلوا الأبطال
والماضى ثم الحال ثم الآتى

وأما ما ورد من الأحاديث فى فضل العباس بن عبد المطلب فمن ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم كما فى السنن الترمذية « الشرف لى ولعمى العباس » وقوله

صلى الله عليه وسلم « ألا أبشرك يا عم ؟ قال : بلى . قال : إن الله بنى لإبراهيم عليه السلام قصرًا في الجنة من ياقوتة خضراء وبنى لى قصرًا من ياقوتة بيضاء وبنى لك قصرًا من ياقوتة حمراء فأنت بين حبيب و خليل » . وقوله صلى الله عليه وسلم « يا عم اتبعنى بينيك فتبعه بهم فغطاهم بشملة وقال اللهم إن هذا عمى وهؤلاء عترتى وأهل بيتى فاسترهم من النار كما سترتهم بهذه الشملة » فما بقى باب ولا مدر إلا وقال آمين آمين اه من نزهة المجالس . وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم « من آذى عمى فقد آذانى » . وقال عمر رضى الله عنه وهو على المنبر أيها الناس إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس كما يرى الولد لوالده ويعظمه ويفخمه فأقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمه واتخذوه وسيلة الى الله تعالى فيما نزل بكم . قال الحب الطبرانى هذا حديث صحيح اه . وفى السيرة الحلبية بعد أن ذكر شيئاً من فضائل العباس رضى الله عنه .

وذكر العلامة ابن حجر فى الصواعق عن تاريخ دمشق أن الناس كروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشر من الهجرة فلم يسقوا فقال عمر رضى الله عنه لأستسقين غداً بمن يسقيني الله به فلما أصبح غدا للعباس رضى الله عنه فدق عليه الباب قال من ؟ قال : عمر . قال : ما حاجتك قال اخرج حتى نستسقى الله بك قال أقعد فأرسل إلى بنى هاشم أن تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم فأتوه وأخرج طيباً وطيبهم ثم خرج وعلى أمامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبنو هاشم خلف ظهره وقال : يا عمر . لا تخلط بنا غيرنا ثم أتى المصلى فوقف وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : اللهم إنك خلقتنا ولم تؤمرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل أن تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا اللهم فكما تفضلت علينا فى أوله فتفضل علينا فى آخره . قال جابر : فما برحنا حتى سحَّت السماء علينا سحاً فما وصلنا إلى منازلنا إلا خوضاً فقال العباس أنا ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى خمس مرات

أشار إلى أبيه عبد المطلب استسقى خمس مرات فسقى . قال ابن شهاب كان أصحاب النبي صلى الله عليه يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه وكان لا يمر بعمر وعثمان وهما راكبان إلا ترجلا حتى يمر العباس وربما مشيا معه إلى بيته إجلالا له أى لأنه صلى الله عليه وسلم قال « احفظوني في العباس فإنه عمى وصنو أبى » وفي رواية « فإنه بقية آبائى » اهـ .

وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام « العباس بن عبد المطلب منى وأنا منه لا تؤذوا العباس فتؤذونى من سب العباس فقد سببى » أخرجه البغوى في معجمه الكبير . ثم قال « والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم معاشر أهل البيت » والخطاب للعباس . ثم قال « أيها الناس من آذى عمى فقد آذانى فإنما عم الرجل صنو أبيه رواه الترمذى . وفي الفردوس للإمام الديلمى « اللهم استر العباس وولده من النار » وفي كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق من رواية ابن عساكر « اللهم انصر العباس وولد العباس ثلاثة » وفيه عن ابن عساكر أيضاً « العباس عمى وصنو أبى فمن شاء فليباه بعمة » . وفي الفردوس « العباس وصي ووارثى » .

الفصل الثالث

فى ذكر المواضع التى قرأ فيها القرآن العظيم وما له من المجاهدة والمكابدة والأعمال الصالحات فى عهد قراءته والورد الذى كان مشغولاً به وما ظهر له فى ذلك الوقت من الكرامات

إعلم أن الشيخ المترجم رضى الله عنه وعنا به قد ابتدأ قراءة القرآن المجيد بمسجد جده الشيخ محمد ولد سرور وبعده قد انتقل إلى مسجد الكامل الصالح الفقيه ولد أنس العوضانى تلميذ الولى الكامل العارف بالله تعالى سيدى الشيخ

خوجلى بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى بالجزيرة اسلّخ فأقام فيه أياماً قلّائل
ثم ارتحل منه إلى مسجد الولي الصالح العابد الراجح الفقيه أحمد الفزاري القرضي
بأم طلحة فانتهى عليه بحفظ القرآن العظيم في أيسر مدة ، وكان رضي الله عنه
في مدة قراءته يحبي الليالي ذكراً وخشوعاً وبكاء وخضوعاً تارة بتلاوة القرآن
وتدبر معانيه وملاحظة أوامره ونواهيه وتارة بالصلاة الأمية على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان ورده فيها اثني عشر ألفاً في كل ليلة وصيغتها (اللهم صل
على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي) وقد رأينا بعض المشايخ في كتبهم
يزيدون على ذلك (وعلى آله وصحبه وسلم) والكل حسن ، ولم يزل هذا دأبه إلى أن
فتح الله عليه ، وقد ظهرت له أيام قراءته ثمة كرامات وخوارق عادات .

منها ما أخبر به العالم العلامة الفقيه أحمد ولد كنان رحمه الله تعالى قال :
لما كان الشيخ رضي الله عنه وعنا به (بأم طلحة) عند شيخه الفقيه أحمد الفزاري
رحمه الله تعالى في عهد قراءته القرآن العظيم عليه أرسله هو وبعضاً من أصحابه
إلى الشرق لأمر له هناك ، فلما وصل البحر وأراد أن يركب السفينة إلى البر قال
ربها لا تركب إلا بأجر كعادتى مع غيرك فقال له لا أملك شيئاً ولكن أعطيك
دعوة صالحة فقال له اركب عليها مستهزئاً به فغضب عند ذلك الشيخ وقال :
بسم الله الرحمن الرحيم ومشى على البحر وأمر من معه أن يمشوا خلفه فمشوا إلى
أن خرجوا بالساحل الشرقى ، وكان ذلك يوماً مشهوداً .

ومنها ما أخبرني به رجل من فضلاء القرضيين قال : حدثني الفقيه محمد ولد
أزرق خليفة الفقيه الصالح أحمد الفزاري عن آبائه قالوا : لما كان الشيخ
رضي الله عنه يقرأ القرآن عند جدنا الفقيه أحمد الفزاري رحمه الله تعالى كان
يذهب مع إخوانه الطلبة للاحتطاب لأجل القراءة ثم يرجع من غير حطب هكذا
دأبه إلى أن نازعه بعض الطلبة في ذلك وأغلظوا عليه فسمهم شيخهم المذكور

وكان صاحب كشف وولاية فنهاهم وزجرهم عنه وقال لهم : إن الطيب هذا لو علمتم حقيقته عند الله تعالى لأحسنتم أدبكم معه ولما أغلظتم عليه في رجوعه معكم بلا حطب يحمله فقالوا له : أخبرنا يا سيدى بشأنه قال : إنه من الأولياء الكبار والذي منعه عن حمل الحطب معكم استعاذة الحطب منه بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم عند إرادة أخذه له لئلا يحمله إلى النار فمن ذلك اليوم ما نازعه أحد من الطلبة وعلموا مكانته وكرامته عند الله تعالى وفي استعاذة الحطب سر لا ينكشف إلا لأهله وغير ذلك وقد ذكرنا البعض منها في الكؤوس المترعة في مناقب السادة الأربعة ، فراجعها إن شئت .

الفصل الرابع

في طلبه للشيخ المرشد

إعلم رحمك الله تعالى أن من كانت له همة عليه ، لا تراه يرضى إلا بالرتب السنية ، ويفر مما سوى ذلك كائنًا ما كان ، لأن قوة النور التي أودعها الله في قلبه تحمله على أن يأنف من شيء يراه بالنسبة إلى غيره أدون فهو أبدأ في محل الترقى ، لذا لما فرغ الأستاذ المترجم رضى الله عنه من قراءة القرآن لم يكتف بما حصل له من الأسرار الباهرة والكرامات الظاهرة فاشتاق إلى الشيخ المرشد اشتياق الظمان إلى الماء البارد والمريد إلى الوارد ، فاختر من بين أهل الإرشاد الذين بعصره الطالعة شمس كالمهم بقطره العارف الكامل سيدى الشيخ عبد الباقي بن على الكاهلى الولى الشهير بالنَّيْل تلميذ العارف بالله تعالى الشيخ عبد الله ولد العجوز رضى الله عنهما فذهب إليه فلما وقع بصر الشيخ عبد الباقي عليه قال أهلا وسهلا ومرحباً بالابن الصغير والشيخ الكامل الكبير أحمد الطيب بن البشير فال قلب الشيخ رضى الله عنه ساعةئذ إلى الأخذ عليه والتربية على يديه فوقف عن تلقينه

وقال له : مثلك نحتاج في تلقينه إلى الإذن ، ثم إن الشيخ عبد الباقي رضى الله عنه بعد سويعة جمع الله بينه وبين الفرد سيدى الشيخ حسن ولد حسونه رضى الله عنه فطلب الشيخ المترجم عنده وقال له هل بينك وبين الشيخ حسن ولد حسونه علاقة ؟ قال : نعم هو جدى قال فإنه نهانى أن ألقنك الطريق . وقول الشيخ رضى الله عنه له هو جدى إشارة إلى النسب المعنوى الذى به تنال البركات والسعادات إذ هو السبب فى إخراج المرید من عدم الجهالة إلى وجود المعرفة ومن مكان الغفلة والصدود ، إلى مكانة التوجه والورود ، ومن موطن الغواية ، إلى منزل الهداية ، ومن ظلمات المخالفة والعصيان ، إلى أنوار المتابعة والرضوان ، ومن موقف الجفا والبعاد ، إلى كنف القرب والوداد ، ومن درك القطيعة ، إلى درجة الوصل الرفيعة ، ومن محل الاشراك والأنداد ، إلى مقام التوحيد والإفراد ، فينقل به العبد من وجود حسى ، إلى وجود قدسى ، ومن وجود نفسانى ، إلى وجود رحمانى ، ومن وجود كاعدم ، إلى وجود راسخ القدم ، فينزله فى هذه المنازل المنيقة الأنيقة ، وتشرق منه عليه أنوار الحقيقة ، فيصير موحداً حقيقياً ، ويفوز فوزاً أبدياً ، فكانت تلك الولادة المعنوية ، أنفع من الأبوة الحسية ، وأحق منها رعاية ، وآكد منها دراية ، وأقرب منها حسباً ، وأوصل سبباً ، كما قال ابن الفارض رضى الله عنه :

نسب أقرب فى شرع الهوى بيننا من نسب من أبوى

ثم اعلم أن الشيخ رضى الله عنه لما عرفه الشيخ عبد الباقي بإشارة الفرد سيدى الشيخ حسن ولد حسونه قدس الله سره بمنعه من تلقينه فهم مضمون تلك الإشارة وما تحتها من الرعاية والكلامه والبشارة وسأل الشيخ عبد الباقي عن مسائل منها هل العبادة أفضل بالسر أم بسر السر ؟ وعن كيفية الوصول إلى الله تعالى وغير ذلك فعند سماعه لذلك الكلام حصل له حال عظيم الشأن ، حتى غاب بسببه عن

الأكوان ، فخرج عند ذلك الشيخ المترجم رضى الله عنه من عنده وتوجه إلى أم طالحة فلما أفاق الشيخ عبد الباقي رضى الله عنه من سكرته الجمالية ، وغيبته الجلالية ، أحضر تلميذه ووارثه سيدى الشيخ أحمد المكاشفى وأخبره بسؤال الشيخ المترجم له وعرفه بمكانته ، وشريف منزلته ، وأنه سيذهب إلى المدينة المنورة على ما كنها أفضل الصلاة وأزكى السلام فيأتي بأسرار عجيبة ، وأحوال غريبة ، وإنى لا أحضره فإذا اجتمعت به بعد قفوله من الأقطار الحجازية فأجبه عن تلك المسائل وبين له ما احتوته من الأسرار مفصلاً . فاجتمع الشيخ أحمد المكاشفى بسيدى الشيخ رضى الله عنه بمدينة سنار بعد رجوعه من المدينة المنورة واستعاده تلك المسائل فأعادها عليه فتكلم فى المسألة الأولى وهى : هل العبادة أفضل بالسر أم بسر السر؟ كلاماً ذوقياً نورانياً كشفياً وقال له : إن هذه المسألة من أسرار درجات الطى ، فقال له الشيخ رضى الله عنه : إن فى كل درجة من درجات الطى سبعاً وعشرين درجة فقولك هذا من أى درجة منها فسكت عند ذلك ولم يجبه بشيء ثم سئل عن تلك المسألة العالم العلامة الكامل الصالح الشيخ أحمد ولد عيسى الأنصارى السنارى رحمه تعالى فأجاب بقوله : قيل إن العبادة هى أفضل بالسر وقيل بسر السر . وقد سئل عنها أيضاً صاحب الكرامات الظاهرة والأنوار الباهرة سيدى الشيخ يوسف بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله الطريفي العركى نفعنا الله به ، فأجاب بمثل ما أجاب به العلامة المذكور ولما بلغ مسامع الشيخ رضى الله عنه إجابة هذين الشيخين فى تلك المسألة قال الكل على علم ولكن الأئمة له باع فى علم الحقيقة .

فأقول مستمداً من حضرة السائل والمسئول فى إيضاح تلك المسائل وما ذكر أعنى من أفضلية العبادة بالسر أم بسر السر ، فالأفضل العبادة بسر السر ، أما العبادة بالسر عندهم فهى عبارة عن المشاهدة وهى رؤية الحق تعالى فى كل ذرة من

ذرات الوجود مع التنزيه عما لا يليق بعظمته . وأما العبادة بسر السرفهى عبارة
عن الحضور مع الله تعالى فى كل وقت من الأوقات وهى أعلى وأشرف من غيرها
قال فى جامع الأصول : وأما الحضور فهو حضور العبد بالحق بعد غيبته عن الخلق
وذلك بسبب استيلاء ذكر الحق على قلبه ودوامه فيه وقدر حضوره بالحق بقدر
غيبته عن الخلق ، فإن كان بالسكينة كان حضوره كذلك ثم يكون مكاشفاً فى
حضوره على حسب ترتيبه بمكان يخصه الحق بها ، وقد يقال حضر العبد بمعنى عاد
عن غيبته وعدم إحساسه بأحوال نفسه وأحوال الخلق ولذا ذكر لك زيادة على هذا
المزيد الفائدة فى بيان مراتب الذكر فنقول :

أما ذكر اللسان فهو معروف ، وأما ذكر القلب فهو عبارة عن شغله بالله تعالى
عن كل ما سواه . وأما ذكر السر وسر السر فقد تقدم لك بيانها ثم من بعد
ذكر سر السر ذكر الخفى وهو الخاطبة والمكاملة ثم ذكر الأخفى فهو النظر إلى
حقيقة حق اليقين ولا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى وهو انتهاء كل المقاصد اهـ .
وأما كيفية الوصول فهى محو أفعال العبد بشهود تجليات أفعال الحق تعالى ،
ومحو صفاته بشهود تجليات صفات الحق تعالى ، ومحو ذاته بشهود تجليات ذات
الحق تعالى . فالأول وهو فناء فى الأفعال وهو أول رتبة فى الوصول . والثانى فناء
فى الصفات وهو ثانى مرتبة فيه . والثالث وهو فناء فى الذات وهو الناية من مراتب
الوصول فى العمر الدنيوى وأنشدوا :

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى فكان فناؤه عين البقاء

وإلى الفناء الثالث قد أشار شيخ مشايخنا السيد مصطفى بن كمال الدين البكرى

قدس سره فى ألفية التصوف :

كم لذة قاتت على اللذات تجلّى علينا فى تجلّى الذات

وقال ابن الفارض رضى الله عنه :

فيارب بالخل الحبيب محمد نبيك وهو السيد المتواضع
أنلنا مع الأحباب رؤيتك التي إليها قلوب العارفين تسارع
وقال أيضاً رضى الله عنه :

وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى
وقال القطب الهمام الرباني سيدى الشيخ محمد بن عبد الكريم السبكي
رضى الله عنه :

وهاهى ليلي قد أماطت لثامها ومن دونها انزاحت لعيني البراقع
وكان عمر الشيخ رضى الله عنه عند اجتماعه بالشيخ عبد الباقي النبل نفعنا الله به
سبع عشرة سنة وللشيخ عبد الباقي أكثر من مائة عام ، وما أحسن ما قيل فيه :
صغير تربى بالعناية واجتنى ثمار رياض الغيب قبل بلوغ
ونال من العلياء أعلى مكانة تهقر عنها قاصداً لبوغ
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الفصل الخامس

في رجوعه من أم طلحة رضى الله عنه إلى وطنه وما حصل له فيه
إعلم أن الشيخ رضى الله عنه لما رجع من عند الشيخ عبد الباقي رحمه الله تعالى
لم يلبث بأم طلحة إلا قليلاً وقد كتم سره عن شيخه الشيخ أحمد القرزاري ، ثم إن
شيخه قد كاشفه بما في نفسه وقال لاشيخ لك هنا فاستأذنه حينئذ وتوجه إلى بلاده
وعند وصوله تعلق خاطره بقراءة مختصر أبي الضياء الشيخ خليل بن إسحاق المالكي
رحمه الله تعالى فراه مكتوباً على قلبه بمداد من نور أبيض وعليه بهرام الكبير
فاستغنى بذلك عن قراءته على الأشياخ قلت :

وهذا يدل على قبول ذلك الشرح ومزيتته على غيره ، ثم إنه رضى الله عنه
قد شمر عن ساعد الجد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما كان
عليه أولاً ، صائماً ، قائماً ، خاشعاً ، خاضعاً ، ولا زالت فتوحاته تزداد سرّاً
وجهرأً ، في كل علم خطر بباله من علوم الشريعة والحقيقة .

الباب الثاني

وفيه سبعة فصول

الفصل الأول

في بيان تفضلة النبي صلى الله عليه وسلم في فيه

إعلم أن الأستاذ المترجم رضي الله عنه لما أكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فك ختامها ، وشرب مدامها ، وأوقد سراجها في زوايا قلبه ، وأوصلته إلى مرتبة الغيب وغيبه ، ونقلته من عالم الكثافة إلى عالم اللطافة ، واجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفل له في فيه ، فسرت أسرار تلك التفضلة إلى أن عمت بركتها لظاهره وخافيه .

عناية الله في العبد السعيد لها علامة قبل أخذ العهد يبدئها

فأظلمته من بعد هذا قبة السر المنيفة ، وصار لسلفه الصفوة خليفة وأى خليفة . ثم ظهرت له خوارق وكرامات ، وبركات ومكاشفات . فلما رأى الناس منه ذلك أكثر ميلهم إليه ، واعتقادهم فيه ، وإقبالهم عليه ، ثم كتم سره عن الظهور ، واختار الخلوة في الآصال والبكور ، ثم انتقل من الحال هذا إلى ملازمة دروس علماء زمانه ، فقرأ عليهم إلى أن حصّل ، وتنبّل ، واشتهر بمعرفة العلم من بين أقرانه ، ومن حضر عليه مع الملازمة العالم العلامة الفقيه سعيد ولد بدرى ، وغيره ممن فيض عباراته على القلوب يجرى ، ومع قراءته فلم يدع ما كان عليه من الأوراد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها في الإصدار والإيراد .

الفصل الثاني

فما حصل بينه وبين بعض العلماء بالجميعاب من المنازعة
فيمين سمي بأحمد أو بمحمد هل تأكله النار أم لا
وما ظهر له في ذلك من الكرامات

إعلم أن الشيخ المترجم رضى الله عنه قد دعاه إلى محله للتبرك به رجل يقال له
محمد ولد موسى ولد أبي سكاكين من الشهاب الجيعاب وكان له اعتقاد ومحبة
في الشيخ رضى الله عنه وكان مسرفاً على نفسه ، فسأل الشيخ قدس سره وقال له :
يا سيدي مع ما أعلم في نفسي من المعاصي هل يغفر الله سبحانه وتعالى لي غداً بسبب
تسميتي بمحمد أم لا ؟ فقال له الشيخ رضى الله عنه نعم قد وردت في ذلك
أحاديث كثيرة شهيرة نقلاً وأيدت لدينا كشفاً أن من سمي بمحمد أو أحمد محبة له
صلى الله عليه وسلم وتبركا باسمه فإنه لا يدخل النار ، وكان في المجلس رجل منسوب
إلى العلم فعارض الشيخ رضى الله عنه بما لا طائل تحته وزعم أن التسمية بأحمد
أو محمد ليس لها مزية تحمي من دخول النار وأنهما كغيرهما من الأسماء فلما رأى
الشيخ قدس سره أن معارضة المذكور من باب المكابرة والتفوق لا طلباً للمعرفة
والتحقق سكت عنه . قلت وما أحسن قول القائل :

وإذا بليت بجاهل متهم يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته مني السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جوابا

أقول : وأما الأحاديث الواردة في فضل التسمية بمحمد أو أحمد فهي كثيرة
شهيرة مثل ما قال الشيخ المترجم رضى الله عنه ، طائفة بها الأسفار ظاهرة كظهور
الشمس في رابعة النهار . قال في كنز البراهين الكسبية ، والأسرار الوهبية الغيبية
للعلامة العلوي الشيخ ابن محمد الجفري رحمه الله تعالى . ومن خصائصه صلى الله

عليه وسلم أن التسمي باسمه ميمون ونافع في الدنيا والآخرة ، وقال صلى الله عليه وسلم : قال الله (وعزتي وجلالي لا أعذب أحداً تسمى باسمك في النار) . رواه معمر ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل القعر بيتاً فيه اسمي » . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد أو محمدان أو ثلاثة » . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة » ، كرامة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : « من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم أحدهم بمحمد فقد جهل » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من ولد له مولود فسماه محمداً حباً لي وتبركا باسمي كان هو ومولوده في الجنة » . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد في بيته أحد اسمه محمد إلا ورزقوا من بركات اسم محمد » صلى الله عليه وسلم .

وعن علي كرم الله وجهه : ما اجتمع قوم في مشورة مع رجل اسمه محمد فلم يدخلوه في مشورتهم إلا لم يبارك لهم . وقال مالك رضى الله عنه : سمعت أهل مكة يقولون : ما من بيت فيه اسم محمد إلا رزقوا رزق خير . قال ابن رشد : يحتمل أن يكون عرفوا ذلك بالتجربة أو عندهم في ذلك أثر ، فعلم أخصيصة التسمية بمحمد ومن ثم قال الإمام الشافعي لما قيل له لم سميت ولدك محمداً قال : سميت بأحب الأسماء إلَيَّ . ولقد أحسن من قال :

وحسبك من إفراط حبي أننى لأجلك قد أحببت كل محمد

وقال عليه الصلاة والسلام : « يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيأمر بهما إلى الجنة فيقولان ربنا بم استأهلنا الجنة ولم نعمل عملاً يجازينا الجنة فيقول الله تعالى أدخلوا الجنة فإنى آليت على نفسى ألا يدخل النار من اسمه أحمد أو محمد » . وعن علي رضى الله عنه : ما من مائدة وضعت وحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس^(١) الله ذلك

(١) أى أهله ومعنى قدسهم غفر لهم فطهرهم من الذنوب .

المنزل كل يوم مرتين . وعن الحسن البصري قال : إن الله تعالى يوقف بين يديه يوم القيامة من اسمه أحمد ومحمد فيقول : يا جبريل خذ بيدي عبدَيَّ فأدخلهما الجنة فأني استحييت أن أعذب بالنار من اسمه اسم حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم . وفي الشفاء عن شريح بن يونس أنه قال : إن لله ملائكة سياحين عبادتها دخول دار فيها أحمد ومحمد إكراماً منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ومعناه طاعتهم دخول كل دار . وفي رواية عبادتها بالتحنانية والأول أقعد بالمعنى . وقدم أحمد في الرواية على جهة الترقى لأن محمداً أبلغ من جهة المعنى ولا ينافي ما تقرر قوله صلى الله عليه وسلم « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » ، لأن هذه أحييَّةٌ مخصوصة لا مطلقاً ، لأنهم كانوا يسمون عبد العزى وعبد مناف وعبد الدار فكأنه قيل لهم أحب الأسماء المضافة للعبودية هذان لا مطلقاً ، لأن أحبها إليه مطلقاً محمد وأحمد ، إذ لا يختار لنبيه صلى الله عليه وسلم إلا الأفضل ، وما أحسن قول البوصيري رحمه الله تعالى :

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذم

وقال العلامة الشيخ إبراهيم البيجوري رحمه الله تعالى في حاشيته عند قول البوصيري فإن لي ذمة منه ألخ . وفي كلام المصنف ترغيب في التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في ذلك أحاديث ، ثم سرد بعض الأحاديث التي تقدمت ، ثم قال : وبالجملة فالتسمية باسمه صلى الله عليه وسلم أمر مندوب إليه نسأل الله أن ينظمننا في سلك محبته بمنه وفضله ورحمته . اهـ .

إذا علمت هذا تبين لك أن منازعة الرجل للشيخ المترجم قدس سره ومعارضته في ذلك محض جهل وقصور فليته تلقى كلام الشيخ بالتسليم ، وطلب منه الإرشاد والتعالم ويرحم الله القائل :

فإذا كنت بالمسارك غراً ثم أبصرت حاذقاً لا تمار
وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

وأما ما ظهر له رضى الله عنه من الكرامة فهو أن الرجل السائل المذكور
محمد ولد أبي سكاكين لصدق محبته في الشيخ وتعلقه بأذياله ، لما أدركته الوفاة
كان سيدى الشيخ رضى الله عنه بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى
السلام ، قال رضى الله عنه : فعرضت على روحه ثمة فرأيت عليه علامة الوجل
من الذنب الذى كان مرتكبه في دار الدنيا ، وقال ياسيدى ألا ترى ما أنا فيه .
قال الشيخ رضى الله عنه : فأخذه ودخلت به في ديوان حضرة النبي صلى الله
عليه وسلم ، وقلت له : ياسيدى شفنى فيه .

فقال لى عليه الصلاة والسلام : قد شفعتك فيه وفي سبعين من ذويته اه .
نقلا من الكتاب الذى ألفه الفقيه خوجلي ولد حتيك المحسى في مناقب
شيخه الأستاذ المترجم ، والبحر المظم ، القطب الكبير ، والفوثن الشهير ،
سيدى الشيخ أحمد الطيب بن البشير ، نفعنا الله به آمين ، قلت وهذه الكرامة
لم تزل ظاهرة بين الجماعات يفتخر بها أبناء هذا الرجل إلى يومنا هذا .

تنمة : فإن قلت هل الروح مذكر أو مؤنث ، وما حقيقة فالجواب أنه مذكر
لذا ذكره الشيخ رضى الله عنه في كلامه بقوله فأخذه ودخلت به الخ . قال في
المصباح والروح للحيوان مذكر وجمعه أرواح . قال صاحب الحكم والجوهري
الروح يذكرو ويؤنث قلت لذا أنت سيدى الشيخ رضى الله عنه الفعل في قوله
عرضت على روحه بقاء التأنيث فافهم .

وأما حقيقة الروح فالكلام فيه طويل الذبول ليس يخلو من فضول لأنها
مما استأثر بعلمها سبحانه وتعالى حيث قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ويسألونك عن
الروح قل الروح من أمر ربي . الآية فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح في علم

الله تعالى لا نعلمه ، فلا إمساك عن تعريفها أولى لذا قال العلامة الشيخ إبراهيم اللقاني رحمه الله تعالى في جوهرة التوحيد مصدراً لهذا القول وهو الإمساك عن تعريفها ، وقال رضى الله عنه :

ولا تحض في الروح إذ ما وردا نص عن الشارع لكن وجدا
لملك هي صورة كالجسد تحسبك النص بهذا السند

نسأله تعالى أن لا يحرمنا من بركات سيد مخلوقاته وأن يجعلنا من المصدقين بخصائصه ومعجزاته ، وأن يحمينا بمنه وفضله عن معارضة أهل الكمال ، وأن يرزقنا حبه وحبههم في الحال والمآل إنه جواد كريم ، فلنرجع إلى ما نحن فيه من بيان فصول الأبواب فنقول .

الفصل الثالث

في بيان عمره في عام حجه وزيارته للنبي صلى الله عليه وسلم
وأخذه العلم على بعض العلماء الذين اجتمع بهم في طريقه

إعلم أنه قد اختلف أصحاب الشيخ رضى الله عنه الذين أدركناهم في عمره وقت حجه وزيارته للنبي صلى الله عليه وسلم فسمعنا شيخنا رحمه الله تعالى يقول : كان عمره في وقت حجه ستة عشر عاماً وزيارته للنبي صلى الله عليه وسلم كانت في السابع عشر وذكّر تلميذه الحاج حمد بن محمد الغبشاوى رحمه الله أن له وقت حجه ثمانية عشر عاماً وزيارته للنبي صلى الله عليه وسلم كانت في التاسع عشر . وأما أخذه على العلماء الذين اجتمع بهم بطريق الحج فكثير وكان البعض منهم من علماء الظاهر والبعض من علماء الباطن ومع هذا فرماه أبعد ممن أخذ عنهم ولكن أخذه على سبيل التبرك وتشريف العلم .

الفصل الرابع

فما حصل له في طريقه من قبل وصوله إلى مكة المشرفة
وما حصل له فيها من صحبة بعض المشايخ والبشائر وسعة
البركات والنعم وفضل صلاته سر الأسرار على اسان الملك
الجليل سيدى السيد محمد المبارك عليه السلام

قال في الروض النضير ولما تنسبت عليه نسمات العناية الأزلية بالحج وزيارة
خير البرية صلى الله عليه وسلم استأذن والديه وسافر إلى الحج وزيارة النبي
صلى الله عليه وسلم وذلك في عام إحدى وسبعين بعد الألف والمائة وله من العمر
ما ذكرناه آنفاً ثم انه رضى الله عنه لم يزل مصحباً له في جميع أسفاره السابقة
واللاحقة الولي العظيم ، والأستاذ الفخيم ، سيدى الشيخ حسن ولد حسونه
رضى الله عنه حافظاً لذاته ، مراقباً له في جميع حالاته ، وذلك إلى أن أوصله
لمستودع سره ، وقطب زمانه المتصرف في سره وجهره ، غوث الأوان ، سيدى
الشيخ محمد بن عبد الكريم المدني الشهير بالسمان نفعنا الله به في كل آن ، ثم أن
الشيخ رضى الله عنه قد حصلت له أحوال كثيرة ، وبركات غزيرة ، فوردت
عليه وقتئذ وهو على الطريق صلاته المشهورة المسماة بسر الأسرار فكتم أمرها
عن كان معه من الأخوان ، وأضمر بأنه لا يظهرها إلا أن يحصل له فيها إذن
من النبي صلى الله عليه وسلم أو من حضرة العزيز الرحمن ، فنسخها بجدة مراقباً
للإذن فيها فلما وصل مكة وأدى حجه المبرور ، ورزق من كبير الفتح والفيض
الإلهي ما استنارت به أحشائه من أنوار المعارف الربانية وابتهج به من السرور ،
لازم الصلوات بالمسجد الحرام ، وقراءة القرآن والأذكار والقيام ، ثم خطر
بخطره الطاهر ، أن يدور على أهل الطريقة الهرايز ، المشهورين في مكة بمعرفة

الحقيقة والشريعة ولم يزل دائراً بينهم سامعاً لأقوالهم ، ملاحظاً لأحوالهم ، إلى أن
ظهر بروض المسكارم الوريث الوارف ، وحوض المعارف المتدفق باللطائف ،
الجامع بين علمى الباطن والظاهر ، المنفرد بالكلمات والحظ الوافر ، سيدى
الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد السلام الرئيس الزمزمى المكي الشافعى رضى الله عنه
وعنايه على الدوام وكان من أكبر الأسيان يومئذ بمكة وأعرفهم سمع الحديث
من الشيخ محمد بن عقيلة المكي والسيد عبد الله الميرغنى والشيخ عبد الله بن سلام
البصرى والشيخ عطاء الله المصرى وابن الطيب وحضر على الشيخ أحمد الأشبولى
الجامع الصغير وغيره والشيخ عبد الله الشبراوى وغيرهم من المشايخ وقد أخذ الطريقة
النقشبندية عن سيدى العارف بالله الشيخ عبد الرحمن العيدروس والخلوتية عن
سيدى الشيخ مصطفى بن كمال الدين البكرى وأذن له فى الورد والطريقة وكان
له معرفة بعلم الفلك والأوقاف والاستخراجات والرسم فلما رأى الشيخ المترجم
رضى الله عنه ما حواه هذا الشيخ من الكلمات المذكورة وغيرها أخذ عنه الطريقة
النقشبندية وطرفاً من العلم إلا أنه لم يلبث فى صحبته إلا أياماً قللت وذلك من أمر
حصل له من طريق كشف البصيرة على أنه لا شيخ له إلا قطب المدينة المنورة ،
والأحوال والأخلاق المعطرة ، سيدى الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان قدس
سره وكان يومئذ هو قطب الأقطاب وغوث الأغواث فكتم سره عن الكلام ،
مراقباً لما يقوى به نظره من حضرة ذى الجلال والإكرام ، ثم من بعد تلك
المراقبة قد رقد ليلة من بعد طوافه بالمسجد الحرام ، فرأى ملكاً أتاه وهو بين
اليقظة والنمى ، وقال له إن الله تعالى راض عنك فى الدنيا وفى يوم القيام ، فقال له
ما اسمك أيها الملك الكريم العالى ، قال السيد محمد المبارك ومن سكان حجب
الجلال ثم أن الملك هذا قد سرد عليه فضل الصلاة التى وردت عليه المذكورة
إنفاً بقوله من قرأ هذه الصلاة مرة واحدة فكأنما طاف بالكعبة سبع مرات

وأن الله تعالى ينزل على الطائفين ، ستين رحمة وقارىء هذه الصلاة مرة واحدة له نصيب من تلك الرحمت ، ومن قرأها مرتين فكأنما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة القدر ، وإن الله تبارك وتعالى يقول ليلة القدر خير من ألف شهر ، وقارىء هذه الصلاة مرتين له ثوابان ثواب ليلة القدر وثواب الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن قرأها ثلاث مرات فوالله ليس له جزاء إلا أن يدخله الله الجنة ، ومن قرأها عشر مرات ولو كان قاتل رقاب فإن الله سبحانه وتعالى يغفر له . قال الشيخ رضى الله تعالى عنه فعند مقالته هذه قد اضطرب خاطرى وأنكرت ذلك الكلام وغاب على فكبرى التفكير فى قوله سبحانه وتعالى . «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً» وتذكرت خلاف العلماء فى معنى هذه الآية حتى قال ابن عباس رضى الله عنهما أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة وقلت فى سرى لعله أن يكون شيطانياً فقال لى : لست بشيطان وإنما أنا ملك من ملائكة حجب الجلال المعصومين ، تمن على فتمنيت عند ذلك الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم فرأيتته صلى الله عليه وسلم يقظة ، ووضع يده الشريفة على رأسى حتى أثرت أصابعه الكريمة فيه وقال لى مشافهة قبلنا ما قاله السيد محمد المبارك من فضل هذه الصلاة ، ثم أنى قد رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وهما خلفاء الرسالة وعن شماله عثمان وعلى وهما خلفاء النبوة والصحابة والأولياء طبقة بعد طبقة والأغوات والأفراد والملائكة وأمر النبي صلى الله عليه وسلم الكل أن يفيضوا على ويمدونى فأفاض على كل واحد بما لا يصل إليه التعبير :

وقد أمدنى سيدى أبو بكر الصديق رضى الله عنه بسر الفاتحة ، وسيدنا عمر رضى الله عنه بسر سورة يس ، وسيدنا عثمان رضى الله عنه براتب السعادة ، وهو المتلو بين أهل طريقة السمانى ، وسيدنا على كرم الله وجهه بالجلجلوتية وقيص من نور أبيض وسيدنا

عبد القادر الجيلاني بعمامة من نور اخضر ، وتقياً لى سيدى الشيخ أحمد البدوى
رضى الله عنه سرّاً فشربت نصفه وشاركنى هو فى شراب النصف الثانى . قلت :
ومشاركة سيدى الشيخ احمد البدوى رضى الله عنه له فى شراب النصف الثانى
من باب الشفقة والاعتناء به لئلا يتحمل من الأسرار مالا تطيقه قواه من مبدأ
أمره فتزهق بذلك روحه وهذا هو عين الحكمة ، وهكذا إلى أن تم عدد الأولياء
رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد رأيت فى تلك الحضرة إبليس مغفلاً ورأيت قطب الأقطاب سيدى
الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان قدس سره وسيدى الشيخ ابراهيم الزمى
رضى الله عنه يتنازعا فى شأنى كل منهما يطلب أن تكون تربيتى على يده
فسلت لسيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه ، ثم تفرق الديوان ، وقد أصبح
الأستاذ المترجم فى مكة جاراً ذيل فخره مصحباً لحمد الله تعالى وشكره ، تتقرب إليه
النفوس بحسن الوداد ، وتجننى من فضله ثمار الاعتقاد ، وقد أشار الشيخ رضى الله
عنه فى طالعته المذكورة إلى بعض ذلك بقوله فيا لها من حضرة فى مكة
بحضور سيد الأنبياء ، ويا لها من رفعة على غيرها بنزول أملاك العلاء ، ومن هنا
يفهم الحاذق النبى ، والمريد الفقيه ، ما حصل له فى تلك الحضرة من الأسرار ،
وعظيم العلوم والأنوار .

الفصل الخامس

فى رحلته من مكة إلى المدينة المنورة لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم ، واجتماعه
بشيخه قطب دائرة الاكوان ، العارف بالله تعالى سيدى الشيخ محمد بن عبد الكريم
السمان ، رضى الله عنه وعنا به فى كل آن .

إعلم أن الشيخ رضى الله عنه لما فرغ من أداء الحج والعمرة ، وفاز بغايات

الجبور والمسرة ، طاف بالبيت الحرام طواف الوداع ، وسافر مع الحجاج إلى زيارة السيد المطاع ، راكباً على ركائب الهنا ، قاطفا ثمار المسرة دانية الجنا ، وكلما مر عليه نسيم الروضة الشريفة يهزه ، ويبشره بما يزداد به وجده وعزه ، فلما قرب من المدينة المنورة ، واستنشق روائحها المعطرة ، أشرقت أنوارها على وجوده ، ولاحظ شمسها على عين شهوده ، كثير تواجده وشوقه ، وبكاؤه وحرقة .

وأكثر ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام
ثم اغتسل وتوضأ ودخل المسجد مبادراً لتحيته ، مستحضراً للنبي صلى الله عليه وسلم وحسن صورته ، فلما فرغ منها وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم بأدب واحترام ، وتواضع وهيام ، ومدامع تحكى لسحب الغمام ، فرد عليه الصلاة والسلام ، عليه السلام وأفاض عليه فيض البحر الزاخر الطمطم ، وأنعم عليه بنعم لم تحصيها الأقلام ، ثم تأخر قليلاً وسلم على خليفته أبي بكر وعمر ، ثم جلس في المسجد كأنه بما حصل له من الإفاضة القمر ، ولسان حال الوقت وهو له يقول :

نال الذي يهواه من كل المنى والحال يشهد والمعارف والسنا
ثم من بعد تمتعه بزيارة الحجرة المرة بعد المرة ، ونيله منه لكل المرادات والمسرة ، التفت بباطنه وظاهره إلى زيارة من لا زالت آيات شكره تتلى على أسنة الأقلام ، في محارب الطروس على ممر الليالي والأيام ، بواب حضرة شافع السماحة بالبسالة ، وارث حضرة رافع علم الرسالة ، غرة جبين الإمامة ، درة ثمين الكرامة أرج الشمائل والسجايا ، بهج المحاسن والمزايا ، من لا ترتاح النفوس إلا بذكر فضائله ، ولا تستأنس إلا بكرم شمائله ، بحر العرفان ، وقطب دائرة الأكوان ، سيدى الشيخ محمد بن عبد الكريم المدنى الشهير بالسمان ، رضى الله عنه وأمدنا بمدده في كل آن ، قال فى الروض النضير كان سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه ، كلما ورد عليه أحد من السناريين فى ذلك الوقت

يسأله عنه إظهاراً لمزيتيه ، واعتناءً بسيرته ، وذلك إلى أن اجتمع به .

أخبرني بعض من أولاد حبيب بن محمد بن حبيب نَسَى الركاى عن والدهم ، وكان ممن صحب الشيخ رضى الله عنه من مكة إلى المدينة ، قال : فلما تمتعنا بزيارة صاحب الروضة المعطرة ، والبقعة المقدسة المطهرة ، عزم سيدى الشيخ رضى الله عنه بالذهاب لمقابلة القطب سيدى الشيخ محمد السمان ، فما شعر إلا وقد وقع بصرنا على القطب المذكور رضى الله عنه ملاقياً للشيخ ومعه تلامذته وجماعة من عظماء المدينة المنورة ، فبادر الشيخ رضى الله عنه إلى تقبيل يده فقبلها ثم ضم سيدى السمان الشيخ المترجم إلى صدره وذهب به إلى زاويته وبيته الأعظم ، وسوحه الأخم ، فرحاً مسروراً . فعجبنا من ذلك وعلمنا بهذا أن للشيخ المترجم رضى الله عنه عند الله مقاماً عظيماً ، وفضلاً جسيماً .

وفى الكوكب النير : فمن بعد دخوله معه فى زاويته العظمى ، وبيته الأسمى ، وهو دار الخليفة الأكر سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه . قال فى سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر فى ترجمة سيدى الشيخ محمد السمان قدس سره من بعد كلام ، وقام على وظائف الأوراد والأذكار والإرشاد والتسليك فى داره التى كان يسكنها ، وهى دار سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه وتعرف بالمدرسة السنجارية ، وهى مشتهرة على حجر كثيرة كان فى وقته ينزل فيها الغرباء والواردون على المدينة من الآفاق اهـ . باختصار . وكانت قبل الأستاذ سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه تعرف بزاوية القطب الربانى ، سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى ، لأنها كانت سكناً سابقاً ، وهى تجاه باب النساء . وقد رأيت ما بين جدارها وجدار المسجد النبوى مادون تسعة أذرع ، وهذا أخذ بالأحوط ، والغالب على نظرى أن ما بين الجدارين سبعة أذرع فقط ، ونرجع إلى ما نحن فيه . فمن بعد ما تقدم لك من

دخوله معه في زاويته العظمى وبيته الأحمى ، رآه كأنه الشمس ضياءً وأنواراً ،
والبحار المتلاطمة علوماً وأسراراً ، يكاد سنا ذاته يذهبُ بالأبصار ، وعرفانه يزرى
بنشر المسك السحيق ونسيم الأسحار . ولسان الحال ينشد بين يديه :

لك الدهر طوع والأناام عبيد فعش كل يوم من زمانك عيد

فالوصف فيه وإن تعالى قدره فهو السماك لدَىّ دوت مقامه
قطب تفرد بالكمال فما فتى إلا سقى من دَنّ نور مقدمه
ثم من بعد ما رأى ما أقر عينه من أحواله وجلاله وجماله ، سلم وقبل يده
الكرامة ، بآداب ومحبة سليمة . ثم جلس في حضرته مراقباً له بعين البصيرة ،
غاضاً بصره الظاهر عن ملاحظة حضرته المنيرة ؛ فما يشعر إلا وقد جذبته مغناطيس
الإلف القديم الذى أشار إليه الحديث الأشرف : « الأرواح أجناد مجندة فما تمارف
منها اتلف وما تناكر منها اختلف » . فالتقى إليه حينئذ قياد نفسه مع كامل
التسليم ، وأخذ عنه طريقه المستقيم . ثم سأله الأستاذ عما حصل له من قبل وصوله
إليه مكاشفاً من الفتوحات الإلهية ، والأسرار الربانية ، والمراتب القدسية ،
والكشوفات اللدنية . فأجابه عن ذلك بأجوبة تكاد تميلُ منها الجبال . فصاح
عند ذلك سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه صيحة اهتزت لها الجدران ، وهام
بها الحاضرون من ذوى العرفان ، فهناك عند ذلك وبشره ببشائر شتى . ولما علم منه
ما ذكر جذبته جذباً باطنياً نحوّه ، ومنحه صفوةً ، فاشتعلت في قلبه نيران
الأحوال ، وفتحت له من بعدها بدائع سر الغيب وغيب الغيب العال ، زيادة على
ما سبق لك فيه من الكمال الربانى ، والفيض العرفانى ، ثم إن شبيخة أمره بملازمة
حضرته العلية ، وسماعه لأنفاسه القدسية ، فلازمه مع الصدق والصيانة ، والزهد
والعفة والديانة ، وسلامة السر من الأكدار ، والإقبال على الله تعالى في السر

والإجهار ، وترك الخواطر النفسية ، والوساوس الشيطانية ، نحو سبع سنين ، كأنها من طيبها طرفة عين . وفيها قد قرأ عليه كتب الحديث والتصوف مع الترقى في معارج الفتوح والكمال ، والتروى من أبحر أسرار الفناء في الصفات والأفعال ، والظفر بسلوك طرائقه الخمسة المضبوطة بقوله : «نقط جم» طريقة بعد طريقة ، وفي غيرها من طرقه ، كما سنينها لك في هذه المناقب إن شاء الله تعالى . فأينع بذلك روضه ، وتدفق حوضه ، وسطع هلاله ، وظهر فضله وكماله ، وحاز من الكالات ما حاز ، وجاز من المراتب العلية ما جاز . ثم إن شيخه لما بلغه هذه الغاية التي تقف دونها الأفكار ، والنهاية التي عنها النظر قد حار ، فوهم بكمال قدره ، وجميل فخره ، بين أهل المدينة المنورة فاعتقده الكل اعتقاداً زائداً ، واشتهرت أحاديث فضله بين البرية قائماً وقاعداً ، وترنمت ببديع مدحه ورفيع ذكره الأفواه ، وضاءت زوايا أفكار المحبين بضياه ، رضى الله عنه وأرضاه ، وأطار إلى النسر الطائر مجده وعلاه .

الفصل السادس

فيما حصل له من الكرامات بالمدينة المنورة
على ما كتبها أفضل الصلاة وأزكى السلام

منها ما حدثني به عبد الرحمن البالي عن مشائخه قالوا إن رجلاً يقال له محمد أغا القائم مقام قد آذى رجلاً من تلامذة سيدي الشيخ محمد السمان رضى الله عنه فذهب إليه سيدي الشيخ المترجم بأمر من شيخه سيدي الشيخ محمد السمان ، فوعظه فما قبل ثم انه رفع يده وأراد أن يضرب الشيخ بسوط عنده فبيست يده ولم أعد إلى محلها ، ومنها أنه ذهب مرة لزيارة سيد الشهداء ، حمزة عم رسول الله صلى الله عليه

وسلم في صحبة شيخه الشيخ محمد السمان قدس سره ، ومعهم التلامذة فعملوا هناك ذكراً عظيماً كمعادة الصوفية أمدنا الله بمددهم ، وكان يقربهم رجل من الأولياء يقال له الشيخ محبوب فعمل هو وتلامذته ذكراً وكان قد وضع بكرجاً على النار من غير ماء ولا بن : فما زال جماعته يشربون منه قهوة حلوة إلى أن قرب طلوع الفجر فجاءهم الشيخ وقال لهم : دعوا هذا الحجاب الذي شغلتم به قلوب الحاضرين فقالوا له إن استطعت هكذا فافعل وإلا فدعنا فرفع الشيخ طرفه إلى السماء وكان الوقت صيفاً فنزل مطر وكاد أن يفرق الحاضرين لا سيما هذا الشيخ وجماعته فانتبهوا أن يستغيثوا بسيدى القطب محمد السمان قدس سره فأغاثهم فأمسكت السماء ماءها وخرج الشيخ وجماعته كأنهم شاردون من عدوهم وما رؤى أن أحداً منهم رجع بعد ذلك في حياة الشيخ رضى الله عنه . ومنها ما أخبر به سليم أزمري الحجازي بالخاء المهمل المدنى قال كانت لى زوجة قد صرعا جنون فذهبت إلى سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه فأخبرته بذلك فبعث معى سيدى الشيخ أحمد الطيب فلما دخل عليها رقى عليها بهذه الآية « قل آ الله أذن لكم أم على الله تفترون » ففاقت لوقتها وزال ما بها من ألم الجنون ، ثم أن بعض الحاضرين حفظ هذه الآية ليرقى بها فوجد مصروعاً فرقى عليه بها فخطبه الجن وقال له : أما الآية فهي الآية ولكن النفس ليس كنتفس سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه حتى أخرج فلما سمع أهل المصروع ذلك بادروا إلى الشيخ وجاءوا به . فرقى عليه بها فزال ما به في الحال ومنها ما أخبرنى به الشيخ عبد الرحمن البابلى المدنى قال أخبرنى من أثق به من رجال الطريقة السمانية بالحجاز قال لما وفد الولى الكامل والعارف الواصل الشريف محمد بن الشريف يوسف الحسينى من مكة إلى المدينة المنورة لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم ، اشتهر خبره بين الناس بالخوارق والكرامات ، فاعتقده بسبب ذلك كثير من الأعراب وغيرهم وكان ذلك في عصر سيدى الشيخ محمد السمان

رضى الله عنه فلما قرب من المدينة المنورة أمر سيدى الشيخ محمد السمان الأستاذ المترجم قدس سره بأن يذهب إليه ويتصرف فيه وفق جماعته ، فلما قرب الشيخ وقف الجمل الذى عليه الشريف المذكور وغيره من الجمال فانتبه الشريف لذلك وقال لتلامذته من هنا ؟ فقالوا له شاب من أهل سنار يقال له أحمد الطيب فقال يا الله العجب هل لأهل سنار نصريف هنا ؟ ثم ان الشريف المذكور أخذته سنة من النوم فرأى النبی صلى الله عليه وسلم وهو يقول له تأدب أما تعلم أن محمد السمان يد من أيدى ، وأن أحمد الطيب عضو من أعضائى ، فنزل عند ذلك الشريف المذكور من ظهر جملة ، ونزع الطيلسان من رأسه ثم قبل يد الشيخ المترجم ، فأخذه وذهب به إلى سيدى الشيخ محمد السمان وطلب منه السماح فاستأذنه وأخذ عنه الطريقة وصار من التلامذة وغير ذلك من الكرامات .

الفصل السابع

فى أذن له شيخه بالرجوع إلى وطنه لأظهار شعائر الدين
وإرشاد المريدين وصفة خروجه من المدينة المنورة
جعلنا الله من محبيها وزائريها

إعلم أن الشيخ المترجم رضى الله عنه لما أقام مع شيخه سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه سبع سنين كما تقدم لك ذكره ، وفيها قد جنى جميع ثمرات طرائقه الخمسة ، القادرية ، والخلوتية ، والنقشبندية ، والأنفاسية ، والموافقة ، سلوكا وتحقيقا وذوقا وتدقيقا ، حتى صار فى جميعها قطباً فريداً ، وأستاذاً مفيداً ، فبعد ذلك أجاز له الشيخ رضى الله عنه فى جميع طرائقه ، وأمره بالتوجه إلى بلده لتربية المريدين ، وإظهار معالم الدين ، وبارشاد جماعة بأرض الريف ، كالعارف بالله تعالى الشيخ شيخون الوزى بمدينة سهاج وغيرهم فذهب رضى الله عنه من الزاوية المكرمة ،

إلى الروضة المعطرة المعظمة ، فوقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ووادعه وكذا صاحبيه ، وخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه القمر عند تمامه وخرج لوداعه مشائخ الطريقة ، وعلماء الحقيقة ، وجهابذة القضاة ، والأشراف والسادات ، فقدمت الأعلام بين يديه ، والقطب والغيوث سيدى الشيخ محمد السمان وهو بينهم ناظر إليه ، ومفيض عليه فما رأى الرءوفون مثل يوم خروجه من المدينة المنورة لما اشتمل عليه ، من الأخيار ، والأولياء الكبار ، والفيوض العابقة ، والأسرار الخارقة ، والثمرات الواضحة ، والآيات التى لأولى الاعتراض فاضحة ، كيف لا وقد سقته الحضرة الحممدية زلالها ، ومدت عليه ظلالها ، وآنحفته علوماً كاللجة إذا اضطربت أمواجها ، والكتيبة إذا تحركت أفواجها ، وأشارة كالروض غب المطر ، ومذهبا أصفى من التبر ، فلا عجب إن صار فى سماء العليا بدرأ منيراً ، وفى الأفئدة عنبراً وعبيراً .

بلغ السيادة فى ابتداء شبابه إن الشباب مطية للسود

ثم ان سيدى الشيخ السمان رضى الله عنه قد وادعه وأودع فيه سرّاً ، وأنواراً ، ثم تلتته المشائخ والعلماء وغيرهم فى الوداع فتوجه رضى الله عنه إلى مكة والمهابة تحنن لحظته ، والإصابة تقدم لفظته ، جارياً فى ميدان الفضل إلى منتهاه ، متصرفاً فيما بين سماكه وسهاده ، وما زال لسان حال وقته ينشد بين يديه جهاراً :

أمام شرف الدنيا وقاراً	وقد خفقت له خفق الجناح
فتى تجدد الأماني فى يديه	وجود الرى فى الماء القراح
ويجلو حادث الدنيا بوجه	كأن جبينه فلق الصباح
أضاء بوجهه أفق الدياجى	وقام بكفه علم النجاح
فما للفضل فيه من زوال	وما للمجد عنه من براح

لقد أنسى زمانه كل عيد ونادى الرشد حى على الفلاح
 وذى أيام أعياد الفيوض فكيف تضيفهم إلى الأضاحى
 ولبعض تلامذته رضى الله عنه مشيراً إلى يوم خروجه من المدينة المنورة
 على ما كتبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، عندما رأى الأعلام تحقق بين يديه
 والعيون شاخصة إليه :

يوم عظيم فيه كم من آية	وعجائب ظهرت لكل الناس
يبدو بدر ابن البشير الطيب	القطب الفر يد معطر الأنفاس
لله دره من إمام قد رقى	رتب العلا ومنازل الأقداس
يزهو به نهج الجنيد ملاحه	والجبل ثم الخلوى الكامى
مدت عليه الحضرتان ظلالها	وسقته نوراً وهو أفضل كاس
ملأت محبته القلوب ألا ترى	أنواره فى الليل كالنبراس
آياته شهدت برفعة شأنه	بمحبة الأخيار والأكياس
وهو الذى محيت بنور وصاله	ظلم الهوى والغى والوسواس
لله من مولى به افتخر العلا	أحيا طريق القوم بعد إياس
بشرى لمن فى العالمين يوده	ويفوز منه بنفحة وأساس

أخبرنى الشيخ عبدالرحمن البابلى أن الشيخ رضى الله عنه لما دخل مكة المشرفة،
 أتاه رجل من أهلها وطلب منه أن يعلمه الكيمياء ، أو مثلث أبى حامد الغزالى
 رحمه الله ، فأمره الشيخ رضى الله عنه أن يكتب بين يديه لا إله إلا الله محمد رسول
 الله . فلما كتبها أمره أن يأخذ من تحت كل حرف منها مقدار عدده دراهم إن
 شاء أو دنانير ، فلما فعل وتبين صدق الشيخ وكرامته ندم على ما كان منه وتاب
 على يديه من طلبه الدنيا وأخذ عنه الطريق وصحبه إلى أن مات ثم توجه رضى
 الله عنه من مكة إلى جدة ، وكان يومئذ معه جماعة من تلامذة سيدى الشيخ
 محمد السمان كالشيخ جودات السليمى وغيره .

فلما وصلوا البحر وأرادوا ركوب السفينة ورد عليهم كتاب من سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه يأمرهم فيه برجوعهم إليه بالمدينة المنورة فعظم ذلك على المريدين الاسيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه فقال لهم لوان رجلى هذه على عتبة دارى والثانية قد أدخلتها وجاءنى كتاب سيدى الشيخ محمد السمان لما أدخلتها على الأخرى، فرجع من وقته إلى المدينة المنورة وحده فطويت له الأرض فوصل في يومه فلما رآه سيدى الشيخ محمد السمان وحده قال له قد جعلتك فريداً، وأستاذاً رشيداً، فتغير عليه الحال، في الحال وبلغ من المراتب ما دونه الآمال، ثم كتب له كتاباً مشتملاً على أسرار جسيمة، وأخبار عظيمة وبشائر وذخائر، وبتقدمه على إخوانه، ثم أمره أن يلحق بهم فوصلهم في ثاني يومه وأطلعهم على ذلك الكتاب فندموا على ما كان منهم، ومن بعد ركوبهم البحر وخروجهم إلى البر السودانى، قد تلقاهم جميع أولياء السودان مع أقطابهم الثلاثة، وهم الشيخ إدريس بن الأرباب، والعارف الكامل سيدى الشيخ حسن ولد حسونه، والشيخ دفع الله ولد أبى إدريس العركى، رضى الله عنهم، فلما رأى الأولياء عليه الخلعة النبوية النورية الشفعية، التى كاد نورها أن يذهب بنور الشمس والبدر إن قوبلت بهما تواروا في أنوار أقطابهم الثلاثة، ولم يستطيعوا النظر إلى تلك الخلعة والاتصال به وقتئذ وقد سار إلى بلده مستضيئاً بأنوار الحقيقة، لا بسا لجلباب الطريقة، فما أقبلت عليه نفس إلا وصبغها بأنواره وأسراره، ولا عرضت عليه مسألة عويصة في العلم إلا وحلها بصفو كشفه وأنظاره، وهكذا حاله إلى أن حل بموضعه فتعلقت بأذياله العباد عند وصوله، والعباد لوصوله، فأقام متخلياً من العلائق، متخلياً بأحسن ما يتخلق به من الخلائق، يبين الخلف من المصيب، ويميز بين الخبيث والطيب، واشتغل بتدريس الحديث والتصوف في جامع جده الشيخ محمد ولد سرور، فأتاه المريدون من الأقطار والآفاق، للانتظام في سلك طريقه والشرب من كأسه الدهاق

فأفاض على الكل فيض السحاب، بعد أن أزال عن قلوبهم بنظره الأكسيري الرين
والحجاب، وقد استأنست به نفوس المريدين، ووردت به أبحر العارفين، وانقادت
إليه أكابر العلماء والصالحين، والملوك وغيرهم من عوام المسلمين، وقد صار في البلاد
المعول عليه في المضاف والمضاف إليه مشغول الأوقات بإرشاد المريدين، ومشاهدة
رب العالمين، وبالصلاة على سيد المرسلين، واصطناع يدٍ واسداء معروف إلى كل
أحد من المسلمين، ميمون الحركات والسكنات، مسمود في سائر الأطوار والحالات،
ما عارضه أحد حسداً إلا مرزقه، وما رام شخص أن يضاهيه إلا شتت شمله وفرقه،
وقد اشتهر ذكره في الأراضى، حتى كاد من في دهره أن يتمنى بين يديه حضور
الماضى، وقد ظهرت على يديه خوارق كثيرة وكرامات شهيرة :

هذا الذى فيه كل الفضل قد وجدا لا تسألن عن سواء إن ترم رشدا
فالكل منى الأيام دائرة لكل شخص له بالحب قد قصدا
شمس على سائر الآفاق طالعة بحر وحقق فيه الكل قد وردا
كيف لا وهو الذى أخجل سحب الغمام بالأيدى، وأروى بمورده العذب
كل صادى، ولم يزل مستمراً على الحالة المذكورة، والخوارق المشهورة، والناس
يهرعون إليه من كل جانب ومكان، وكثوسه ساقية لكل الشيوخ والكهول
والشبان، ومغناطيس حقيقته جاذب للخاصة والعوام، إلى أن حصل له الإذن
بالرجوع إلى الحج وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام .

الباب الثالث

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

في بيان رجوعه إلى الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم
إعلم أن الشيخ رضى الله عنه لما حصل له الإذن بالتوجه إلى الحج وزيارة
النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الريف ، سافر من بلده والأعلام خافقة بين يديه ،
والنفوس محدقة وناظرة إليه ، إلى أن نزل عند الولى الربانى ، الكامل المحبوب ،
سيدى الفقيه حمد ولد المجذوب ، رضى الله عنه بالدامر . وكان هذا الولى من رجال
الاسم الأعظم ، والقدر الأثم ، كما ذكره سيدى الشيخ المترجم رضى الله عنه
في شرحه لحكمه ؛ فأكرم الشيخ رضى الله عنه إكراماً واسعاً ، ونظر إليه بعين
الإجلال والتعظيم ذاهباً وراجعاً ، وأكثر من مجالسته والسؤال عن مشكلاته ،
وكان ذلك فى آخر عمر الفقيه المذكور ، وأول عمر الأستاذ المترجم ، فأفاده الشيخ
رحمه الله فى كل ما طلب منه بيانه .

فمن ذلك ما حكاه الشيخ المترجم رضى الله عنه فى شرح حكمه المسمى (بالجوهر
الفريد فى علم الوحدة والتوحيد) أنه سأله عن حال عرضت عليه ، وهو أنه إذا
اشتغل بتلاوة القرآن والأذكار ، أو بدلائل الخيرات يغيب فى نفسه عن إحساسه ،
وبصير لا يسمع ولا يحس بشئ ، وطلب منه أن يعلم سيدى الشيخ محمد السمان قدس
سره إذا وصل إليه بحالته هذه ، ليفيده فيها ويكتب له بما يقوله له فيها كتاباً ،

فسكت الشيخ المترجم رضى الله عنه قليلا، ثم قال له ان هذا الحال حال أهل وحدة الأفعال، ولا خروج لك منه إلا بالإكثار من أورادك، زيادة على ما كنت عليه فقال له جزاك الله عنى خيراً، فاعتقد صدق كلام الشيخ رضى الله عنه وعمل بما أمره به وما أحسن ما قيل .

وما عبر الإنسان عن فضل نفسه بمثل اعتبار الفضل في كل فاضل
ثم وادعه وسافر سالكا لطريق الريف، فما مر ببدة إلا وأذعن أهلها لقدره، وتلوا آيات حمده وشكره، وتأدبوا وأخذوا عنه الطريق، وسمعوا منه اشارات التحقيق، ولطائف أسرار التدقيق، مع شربهم لمحبة الجاذبة للعقول، لجذب المغناطيس، وميلهم بالنظر إلى خلائقه وسماعهم لكلامه النفيس، وقد سارت بأحاديثه الركبان أمامه، بحيث أن السامع لها يكاد أن يتخذها طعامه، وهكذا حاله إلى أن وصل إلى دراو فاجتمع عليه العلماء هناك وأخذوا عنه الطريق ومن جملتهم الشيخ إسماعيل بن تقاديم النقشبندى رضى الله عنه وانقادوا له انقياداً كاملاً، ونالوا به فيضاً عالياً شاملاً، ومن جملة ما رأيته أن الشيخ إسماعيل المذكور قد ألف رسالة في جميع ما أخذه من فيه، مع كامل محبته واستغراقه فيه، مشتملة تلك الرسالة على بيان سنده في الطريق القادرى، وبيان أحواله ونفوسه الثلاث، اللوامة، والملمة، والمطمئنة، وغير ذلك ثم توجه إلى مدينة أسوان، ومعه تلامذته فمن قبل دخوله فيها، فما يشعر إلا وقد أحاط بهم قطاع الطريق من كل مكان، ولم يعلموا أن معهم القطب الذى عليه المدار، والمتصرف فى العالم فى السر والإجهار، فلما أرادوا أن يبطشوا به وبأصحابه، تقدم عليه رجل منهم قلبه أفسى من الجلمد، فلما رفع يده بالمرح ليطش بالأستاذ المترجم، خرج من دبره صوت مهول كأنه الرعد، فنجبل ورجع القهقري وتبعه جماعته المفسدون، كأنهم من عدوهم شاردون، ثم دخل المدينة المذكورة فأقبل أهلها عليه بمحبة وإذعان

وشوق وهيمان ، وأخذوا عنه الطريق مع حسن الاعتقاد ، وصدق الجنان ، ففتح
الصادقين منهم أسراراً وعلوماً وأنواراً ، وخلف فيها خلفاء صالحين ، كانوا على علم
وإخلاص ودين ، ومنها سار إلى قنا وزار قبر من ايس له في عصره مساو ،
الشریف المغربي الحسني الشيخ عبد الرحيم القناوى ، نفعنا الله بأسرار قطبانيته ،
وأنوار فردانيته ، وقد أعطى الطريقة لأناس كثيرين : منهم الأجل الأكل
السيد عبد الله خليفة الولي المذكور ، وأمثاله من أهل الفضل المشهور ، ثم صار
ينتقل من قرية إلى قرية ، ويرشد إلى الله تعالى كل من كان وهو على حيرة ، مؤيداً
بما تنشرح به الصدور ، ويسارع إليه الإقبال من الكرامات الظاهرة ، والآيات
الباهرة . (ومنها) ما حكاه لي رجل من أهل بلاد الريف يقال له علي الصعيدي
قال : لما دخل سيدى الشيخ رضى الله عنه بلادنا وافق دخوله شهر رمضان فطلبه
في يوم واحد نحو من أربعين رجلاً من تلامذته للإفطار عندهم ، وذلك من غير علم
أحد منهم بطلب الآخر ، فلما غربت شمس ذلك اليوم وآن وقت الإفطار ، تطور
على عدد تلامذته المذكورين وحضر عند كل واحد منهم . (ومنها) ما أخبرني
من أثق به من الفضلاء قال : بلغنا أن سيدى الشيخ رضى الله عنه لما دخل بلاد
الريف ، صار كلما مر على قرية من قراها يمسك تأثير نار تلك القرية تصرفاً فلا تؤثر
في شيء من الأطعمة حتى يذعن أهل تلك القرية له ، يأخذوا عنه الطريق فتعود
النار إلى ما كانت عليه من التأثير . (ومنها) ما ذكره سيدى الشيخ صديق
ابن عمر خان العمري السمانى فى كتابه المسمى « بالنفحات السمانية » ونصه :
قد دخل الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه مرة الخلوة وهو ببلاد الريف فدخل
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة . فوقف الشيخ على قدميه قابضاً يديه على
صدره متأدباً له صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : اللهم صلى على سيدنا محمد لاهوت
الوصال وعين الكمال ، فالتكّن عند ذلك لسانه من هيبة النبي صلى الله عليه وسلم

فقال له رسول الله صلى الله وسلم : قل ومشهد الأسرار ، ومنبع الأنوار ، فعند ذلك فتح عليه ببقيتها، وجاءت صيغة من أحسن الصيغ اه كلامه .

قات وقد ألف هناك ثلاثة أحزاب : حزب الجلال ، وحزب الجمال ، وحزب الكمال ، وأما حزب الأمان فقد ألفه ببلده ، قال الشيخ صديق المذكور . وكانت خلوته المذكورة منقسمة على إحدى عشرة خلوة ، كل خلوة أحد عشر يوماً ويفصل بين الخلوة والخلوة بيوم واحد ، لكنه مصحوب بالرياضة والصوم فجمعتها مائة وواحد وعشرون يوماً ولم يزل هكذا في إظهار الكرامات ، والآيات البينات إلى أن دخل بلدة هوار فأرشد فيها جماعة كالمجذوب الشيخ سليم العريان المقيم بشاطىء البحر دفين هو بضم الهاء وأشباعها واواً وغيره من فضلاء الأخيار، وهكذا الحال إلى أن دخل سهاج، فأرشد فيها كثيراً من أجلاهم وأفخرهم البحر المعجاج، العارف بالله تعالى سيدى الشيخ شيخون الوزى رضى الله عنه ، وهو أحد الجماعة المأمور بإرشادهم من شيخه ، وقد أقام بسهاج أياماً عديدة إلى أن رقى به المريدون رتب الكمال ، ونالوا به فى الطريقة أعظم منال ، وقد دخل الجامع يوم الجمعة للصلاة فيه ، فلما فرغ منها شرع هو وجماعته فى الذكر كمادة الفقراء ، ثم أشار الشيخ فى حالة ذكره ، إلى ما فى الجامع من جماد وغيره ، فصار الكل يذكر الله معه جهرأ إلى أن ختم الذكر ، وروى أنه قد أخذ الطريقة عنه فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف من الرجال والنساء .

وما حكى أن أحداً منهم رجع إلى موضعه ، إلا وهو على وله وسكر ، وذلك من كثرة إفاضة عليهم ، فيا لها من لحظة ما أشرفها ويا لها ، من نظرة ما أعلاها وأغلاها .

على نفسه فليبك من ضاع عمره ولم يره فى وقته وأوانه
ثم من مدينة سهاج قد سافر إلى أسيوط فأرشد فيها جماعة منهم نادرة وقته

سیدی الشیخ احمد آسیوطی رحمہ اللہ تعالیٰ وغیرہ من اہل السعادة ، الذین
سبقتم لهم من اللہ العناية وصحبهم منه المعونة والرعاية

الفصل الثاني

فی سفره إلى مصر المحروسة

اعلم ان الشیخ المترجم رضى الله عنه لما سافر من آسیوط إلى مصر ودخلها نزل
بجامع الأشرفی فتسامعت به الناس وأتوه من كل جهة ومكان ، وقدمت للتبركة
به الفضلاء والأعیان ، وكان ذلك فی عهد ملك الغز ، وهم جنس من الأتراك
فأهدى له ملكهم الهدايا الفاخرة وأحله محل السماك ، واعتقده أهل مصر اعتقاداً
كاملاً ، وأفاض عليهم فیضاً شاملاً ، فأقبلوا علیه بكل لا بیعض ، وحقق ما یبده
من الإبرام والنقض ، وألقت إلیه المقالید ، فی طارف السکال والتلید ، فقلد
المريدين بالقلائد المشتهرة ، والفوائد المنتشرة ، وقد أفرغ قوالب الأسرار فی قلوبهم
وأفانهم عن الغیر بمحبوبهم .

وقد جاءه وهو فی تلك الحالة أبو البراهین سیدی الشیخ أحمد العریان لیسلب
حاله ، وكان من رجال التصریف بمصر . وممن شهد الناس كمله ، فلما اجتمع به
رجع عما أضمره فی نفسه القهقري ، وعلم أن ما بین مقامه ومقام الشیخ رضى الله
عنه كما بین الثریا والثری ، ثم أن الشیخ قدس سره دخل الجامع الأزهر لزيارة
من فیہ من أهل العلم والفخر فوقف علی كثير من دروس العلماء الأعلام ، ولم
یجلس إلا فی درس الأوحدهام ، الشیخ محمد الأمير علیه الرحمة وعلى سائر علماء
الإسلام ، فاستحسن عبارته ولذت فی نفسه إشارته ، فلما فرغ من الدرس وقف
العلامة الأمير علی قدمیه معانقاً للشیخ رضى الله عنه وأكرمه إكراماً ما رؤى منه
لغيره فیمن ورد علیه من العلماء والصالحین ، وقال لمن سأله عن حقيقة الشیخ من

العلماء حينما رأى منه ذلك الإكرام وعزيز الاحترام ما بين مقامكم ومقامه، كما بين السماء والأرض . قال الشيخ محفوظ المغربي وكان من أجل تلامذة الشيخ الأمير فما رأينا مع صحبتنا له أنه سلك مع أحد أدباء، كما سلكه مع الأستاذ سيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير رضى الله عنه ، ثم أن الشيخ بعد أن وادع العلامة الأمير رحمه الله تعالى رجع إلى موضع إقامته بمصر ، واجتهد في مدة تلك الإقامة في إرشاد المريدين ، وإقبالهم إلى حضرة رب العالمين ، وبث لهم ما عنده من جواهر المعارف والعلوم ، وأظهر لهم ما كان مستترا عنهم من السر المكتوم ، لابساً لطيف الشائل حساً ومعنى ، غارقاً من بحر الألوهية المتلاطم الأسنى ، كأنه الغيث المحدث ، والبحر المغرق ، ولم تزل العلماء تتردد إليه ، وتصفى إلى ما يبرز من شفتيه ، وربما أبرز من غرائب العلم ما أغم وأعجز ، وأفعم وأنجز ، ورتج للمغفل^(١) وفتح للمقفّل ، فلا شك أنه قد اطلع على اللوح المحفوظ ، وعلم كل ما فيه من معنى ملفوظ ، (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ، فلذا قد التجأت أهل البلاد إليه ، والتفت آماهم عليه ، وقد خلف من أهل العلم والعمل كثيراً ، وصار فضله وكاله إلى يومنا هذا بين أهل مصر شهيراً ، ويكفيك ما تقدم لك ذكره من توقير العلامة الأمير ، وتعظيمه والتنويه بشريف ذلك حتى وإنه بسبب ذلك التعظيم والتوقير ، الذي وقع منه للأستاذ المترجم تمكن حب الشيخ من قلب تلميذه قاضي القضاة أحمد افندي السللاوى إلى أن جره إلى مصاهرة الأستاذ المترجم ، والاعتقاد فيه والمبالغة في الثناء عليه وتسمية بعض أولاده باسمه لأجل التبرك، به وكان لم ير مثله ولا قريباً منه من رجال جميع السودان من وقت دخوله فيها ومجيئه مع إسماعيل باشا بن محمد على باشا .

حدثني صديقنا الفقيه محمد على ولد رحمة الكتياي قال : سافرت إلى مصر

(١) المغفل المهمل كالباب المفتوح ورتبه أفضله .

في بعض السنين ، فحضرت يوماً صلاة الجمعة بجامع السلطان أبي العلا ، وكان عن يميني رجل عليه سيما الأولياء ، فقال لي بعد فراغه من صلاة الجمعة : من أى البلاد جئت ؟ قلت له من السودان . قال : بلاد القطب . سيدى الشيخ أحمد الطيب ابن البشير رضى الله عنه . فقلت له نعم . فقال لي هل ظهر بهاتيك البلاد أحد مثله في الكمال ، فقلت له الأولياء كثيرون . فقال : وإن كانوا كذلك فلم يكونوا مثله . فقلت له ، هل رأيته ؟ قال : لا ولكن رآه أبى وأخذ عنه الطريق ، ورأى من عجائبه وكراماته وكرالاته مالا أحصيه ولا أستقصيه نفعا الله به . ثم إن الشيخ المترجم قدس سره لما أخذ بمصر ما نواه من الأيام سافر إلى المدينة المنورة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما وصل وأدى تحية المسجد وقف بباب المواجهة قبالة الوجه الكريم ، بمحبة وأدب وانكسار وتعظيم ، وسلم على الذات المسكنة ، والحضرة الجليلة ، فأمدته عقب ذلك بإمداداتها الواسعة ، وخلعت عليه خلع الأنوار الساطعة ، وضحخته بعبير الأسرار والمعارف ، وشميم البركات واللطائف ، فاشتهر حينئذ زيادة على ما كان عليه وعلت ولايته على رؤوس الربا وهامات الآكام ، إلى أن صار فريداً بين الأولياء في كل مقام :

فوقه قصر اللسان وإن علا	عن شكره في الماضي والمستقبل
وسع الزمان ولم يسعه بدهره	أحد سواه ولورقي لأعلى منزل
ذاك الخلاصة والذي خلصت به	كل النفوس من الحجاب المرحل
تروى الرواة حديث جود يمينه	وكل ذاته عن ولى عن ولى
فيه تجمعت المفاسد كلها	بشواهد منها انقياد الكهل
ومعارف وحقائق كشفية	وخوارق كالشمس مفخرها جلى

وقد أخبرني الشيخ رضى الله عنه أنه من بعد ما حصل له من الإكرام النبوى جلس عند الشباك مصافياً على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ببعض صلواته ، فمد له

صلى الله عليه وسلم طستاً مملوءة سرّاً فشربها ، فعمت بركتها وأنوارها كليته سرّاً وجهرّاً . ثم من بعد هذا قدم لزيارة القطب الأعظم ، والبحر الطمطم ، والكنز المطلسم ؛ قطب دائرة الأكوان ، شيخه سيدى الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان ، رضى الله عنه على أكمل أدب واحترام ، وإجلال وإعظام ؛ فاستبشر بقدومه عليه ، ووروده إليه ، فأشرقت أنواره ، ولاحث عليه مكارمه وأسراره ؛ كيف لا ! وهو الوارث لمقامه ، والرافع لأعلامه ، كيف لا ! وهو الذى فيه أسرار منحصرة ، وعليه كلالته مقتصرة ، كيف لا ! وهو الحب والمحبوب ، وباب الوصول إلى رضا علام الغيوب . وعند دخوله على شيخه تاج رؤوس العارفين المذكور بدأ وختماً ، المشهور فيضاً وكرماً ، قد رأى علماء الأقاليم حوله جالسين للشرب من أنوار حقائقه ، وسماع دقائقه ، ولسان حالهم على أفنان استغراقهم فيه صادح : يحى على الفلاح ، وقرى إشراق أنوار مداده لهم مسر بلا بجلباب الصلاح ، وهو رضى الله تعالى عنه ينشد بين أيديهم على رؤوس الأئمه ، بقوله هذا الذى هام بسماعه السامعون فى جميع البلاد ، تحدثاً بما أنعم الله تعالى به عليه .

ظهرت وشمسى فى البرية ساطع	وكلى لأسرار الوجود مطالع
ومذ لاح بدرى فى سمانى لناظرى	أفلن نجوم الغير وهى طوالمع
ولبلى لما جرت عاد بطلعتى	صباحاً فأنوارى شمس سواطع
أنا كنت مكنوناً لسر علمته	وعن فهمه إدراك غيرى قاطع
أنا ساقى الأقداح فى حان حضرتى	وكل ولى من شرابى كارع
أنا القرد قطب الوقت والوقت كله	لأمرى مجيب يا مريدى وطائع
أنا العارف السمان واسمى محمد	ولغرى فى الأكوان للناس شائع
أنا النور محضاً والولئ الذى به	أضاءت بدور الهدى فهى طوالمع
أنا القرنى الخبر والعلم الذى	لرفعتـه جيش الولاية خاضع

أنا في الدنا أحمى مريدى إذا أتى
أنا غوث من قد أمّ نحوى وحرزه
وما أنا ممن يدعى الحب باطلا
شربت كذوس العشق صرفاً وفضلتي
وكل مقام في الهوى قد سلكته
سلو نجد عنى والعراق وشامها
وفي يمن والهفند لي ثم فتية
وقوله أيضاً :

قم نحو حانى سحيراً إن ترم مددى
واسكرهم في الورى تيهاً فما أحد
أنا الإمام أنا القطب الشبير أنا
أنا محمد الحمود فاسع إذا
الوقت وقتى وما في الكون أجمعه
آيات فضلى في الأكواف ظاهرة
فانهض إلى ونادى إن ترم فرجاً
يا كهف كل الورى في كل نائبة
غثنى تجددنى مغنياً في الأنام لمن
أنا الولي الذي دقت بشائره
قد نلت قدراً جليلاً لم ينله فتى
فادنى لي يا مريدى لا تحف أبداً
واترك أراجيف أقوام أضلهم
واعلم بأن إلهي من تفضله

بصدق وفي العقبى له أنا شافع
إذا مسّه من نكبة الدهر فاجع
وما أنا من قول الحواسد جازع
بها هام من أسقيه فهو خالع
وتحت لوأى العاشقون خواضع
فلي ثم أسرار هناك ودائع
بهدي يهدوا من عن الحق ضائع

واشرب مريدى بكاسي خمرة الصمد
إلا ولي شاهد بالفضل والرشد
غوث الأنام أنا السمان ذو المدد
ما شئت بي وصلة من حضرة الأحد
في قبضتي فهو من جندي ومن حشدي
وكل قطب من الأقطاب طوع يدي
من نكبة أورماك الدهر بالشدد
يا من هو الغوث يا سمان يا سندی
بي في الورى لاذ من هم ومن نكد
ومن أتاه يعيش الدهر في رغد
غيري وقدرى سما عن مركز الأسد
في هذه الدار من ضيم ويوم غد
مولاهم أهل إنكار مدى الأبد
أنالني نعماً جلت عن العدد

وخصني بمقام ليس يدركه غيرى ولم يحوه في الناس من أحد
وقد حباني جواراً من محمده معنى وتسمية والقرب بالجسد
صلى عليه إلهي ما حدا سحراً حادي المطايا بسفح البان من أحد
والآل والصحب والأتباع ما نشدت قم نحو حاني سحيراً إن ترم مددي

وتارة ينشد مريدوه برفائق الأشعار ، التي تزرى بنسبات الأسحار ، وتطرب
بها العقول وتهيج منها الأفكار ، كقصائد تلامذته في مدحه ، وذلك كقول
عالم المدينة ، سيدى السيد محمد الجفرى العلوى رحمه الله تعالى ، وغيره من
صدور التلامذة .

ظهرت بدور الذات بالإشراق في حان مجلى البسط والإطلاق
وأدير كؤس الوصل من خمر اللمى وفنى الرقيب وطاب وقت الساقى
وأتى عريب الحى أرباب الوفا فى حضرة التوحيد بالإطلاق
فغدوا سكارى من رحيق رضابه وتهتكوا فى مجلس العشاق
ثم انفضوا مذ لاح بارق نوره فهو الذى ما زال يظهر باق
بمظاهر الرحموت فى مجلى الرضا بمحمد السمان مرقى الراقى
باب الإله فمن أتاه فقد حظى بوصول سلمى بعد طول فراق
سر الوجود وطور سينا نوره فبه اهتدى من رام حسن تلاقى
ما كامل إلا وحل بسوحيه كى يستضىء بنوره البراق
بحر المعارف فيه خض يا صاح إن رمت الترقى بل وحل وثاق
وانح ركابك فى رحاب جنابه وسل المطالب ترق أى مراق
يا سيدى انى التجأت إليك فى كل الأمور فبيضن أوراقى
إنى عليـل فى رحابك ميت وأسير نفسى راجياً إعتاقى
فامط حجابى واجل لى مرآة قلـ بى كى أشاهد وحدة الإطلاق

وأفوز من ليلي بطيب وصلها في ليلة طابت بحسن عناق
 وأيت أثم نعرها وأشم من كل الجهات سنى الشذى العباق
 وأخوض في بحر التجلى نشوة وأعود صحواً بعد نحو نفاق
 فكوا قيادي سادتي وتفضلوا بوضوح رمزي من عى الإطلاق
 بحبيبتنا مجلى البرية أحمد الخصوص بالإسراء فوق براق
 صلى عليه الله ربى دائماً والآل والأصحاب خير رفاق
 ما أنشدت في حانكم قصرية ظهرت بدور الذات بالإشراق
 وكقول العالم العلامة سيدى الشيخ صديق بن عمر خان الصلاح الصوفى
 الجداوى المدنى فى مدح أستاذه المذكور :

ومن عجب أنى أزيد تعطشاً لرؤية من أهوى إذا ما تقربا
 إذا كان حالى هكذا وهو لم يزل معى كيف لو يوماً يكون تحجبا
 وكقوله رضى الله عنه على لسان حضرة القطب شيخه هذا :

إن شئت تدنو من الدنان وتجتلى صفوة المعانى
 وتحظ بالملتقى سحيراً وزينب الحسن والتدانى
 ونعتق كل ذى قوام مسرّبل بالجمال غانى
 فدع سليمى وأم دعد وجد فى السير نحو حانى
 وقف على بابنا بذل ومرغ الخلد فى الهوان
 وقل لساقى المدام لما يدور بالراح فى الأوان
 أيا مدير الكؤوس صرفاً على الندامى بلا توان
 أدلى الكأس واسقنيه ومن فضلاً بكاس ثان
 فإن أبى عنك أو أجابوا لك القساويس بالرطان
 فقل لهم أننى مرید لصاحب الوقت والزمان

سماؤنا القطب من يسمى محمداً غوث كل أن
فهاكها خمره تعالت عن ابنة الكرم والدينان
نذيرها بالدجى سقاني لكل من بالفنسا دعاني
وفي مقام الخطاب ناجي مبشراً بالمنى جناني
وزادنى بالجوار عزاً من خاتم الرسل ذى الأمان
عليه أزكى صلاة ربى بعد تسبيح كل فان
والآل والصحب ما تلونا إن شئت تدنو من الدينان

الفصل الثالث

في بيان رجوعه الثاني من المدينة المنورة على صاحبها أفضل

الصلاة وأزكى السلام إلى بلاده

إعلم أن الشيخ رضى الله عنه لما قضى وطره بالتمتع بزيارة القبر الشريف ورقى
أوج المعالى ، وفتحت له خزائن الشهود الحالى ، وأردفت له من شيخه الإمدادات ،
وانزلت من السماء فيوضه عليه أمطار الفيوضات ، وقد بشره على رؤوس الأشهاد
بقوله الصادق العالى على رأس السبعين من عمره ستصير قدمك على رقبة كل ولى
لله المتعال موميا له .

بذلك إلى القطبانية الكبرى ، وقد حقق الله قوله باعطائها له باتفاق الأكابر
من أولياء الورى ، وقال أيضاً في حقه رضى الله تعالى عنه ، قد وضعت فيه سر
أربعة وأربعين قطباً من الأقطاب الحمديين ، ثم أذن له بالسفر إلى بلاده الشهيرة
لأحياء أهلها بامداداته وفيوضاته الغزيرة ، فقصد مكة المشرفة هو ومن معه من
أصحابه للحج وأدى حجه ونسكه

وروى أنه رضى الله عنه قد ختم القرآن في شوط واحد من الصفا إلى المروة

سبعين ختمة ، ولم تقف على قراءته فيما بعده من الأشواط ، ثم توجه إلى البحر وركبه إلى أن خرج إلى سواكن ، وقد زار القطب الجليل سيدى أبا الفتح الشالى قدس سره ، وكان كثيراً ما يحث على زيارة هذا الولى أهل بلدة سواكن ، ومنها توجه إلى بلاده ، وعند قرية الدامر أرسل إلى الولى العظيم الفقيه حمد ولد المجذوب رضى الله عنه يخبره بقدومه عليه لمزيد الالف القديم والود العظيم . وكان ذلك في آخر عمر الفقيه حمد المذكور وانتهائه بالسير في طريقه .

حدثني من أثق به من الفضلاء النبلاء عن أكابر الصالحين والعلماء من السادة المجاذيب ، قال لما وصل الرسول المذكور إلى الفقيه حمد رحمه الله وأخبره تواجد عند ذلك سروراً واشتاق لينظره وقال وهو في تلك الحالة: لوجاءنى على تقدير رسول من سيدى الشيخ احمد زروق رضى الله عنه يخبرنى بقدومه على ورسول من سيدى الشيخ احمد الطيب رضى الله عنه لبادرت لمقابلة سيدى الشيخ احمد الطيب قدس سره قبل مقابلة سيدى الشيخ زروق رضى الله عنه ، مع أن المذكور من أكمل رجال سلسلته الشاذلية وأجلهم وهذا لسر علمه وأمر فهمه من طريق كشفه ونظره .

ثم انه قد تلقاه وعانقه واستبشر به ، وانزله عنده وأكرمه غاية الإكرام ، ونوه بكلمته وعظمته بين الخاص والعام ، وبهذا قد مال قلب أولاده إلى الشيخ رضى الله عنه وأحبوه محبة زائدة ونالوا من عظيم الفائدة وأشربوا محبته ، وأخذوا عليه طريقته ، ومنهم العالم العلامة والدراكة الفهامة الفقيه محمد الأزرق بن احمد بن الفقيه حمد المذكور ، فانه قد تلقن العهد على الشيخ المترجم ، وقد أجازته بخطه الشريف اجازة تامة عامة في جميع أوراده وأذكاره ، وأيضاً الفاضل الكامل النقيه الصديق بن الفقيه الأمين بن الفقيه حمد المذكور رحمه الله .

فانه قد أخذ الطريقة على الولى الأخم سيدى الشيخ حبيب بن إمام

السكرانوى تلميذ سيدى الشيخ المترجم رضى الله عنه ، وقد سمى عليه ولده العالم العلامة الشيخ حبيب ، وقد اجتمعت به رحمه الله تعالى فرأيت منه ودأ عظيما ، وعزاً فخياً ، وأخبرنى أنه قد حج وأدرك المسمى عليه وأخذ عليه الطريقة السمانية وما زال مشغولاً بأوراده ليلاً ونهاراً سرراً وجهاراً ، وقد سرت محبة الشيخ رضى الله تعالى عنه فى سائر الأخيار من المجاذيب ، مع إذعانهم على أنه معدن الكمال ، والسر العجيب ، ومما يدل على ذلك أن سيدى القطب محمد المجذوب بن قمر الدين بن حمد المجذوب رضى الله عنه لما طلب المبايعة فى الطريقة الشاذلية من أبيه الفقيه قمر الدين رحمه الله تعالى ، طلب منه أن يأذن له فى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، فتوقف والده عند ذلك وأخبر بكلامه هذا الفقيه محمد بن أخيه أحمد ابن حمد المجذوب وكان هو الخليفة فى ذلك الوقت ، وتراجعا فى ذلك كثيراً ثم اتفقا على أن يكتبا لصاحب الزمان القطب الشهير والغوث الكبير فى ذلك الأمر لعلهما أنه لا يتقدم عليه فى ذلك أحد ، بل هو المقدم فى حل مشكلات الطريق والأسرار ، وأنه الفاتح لما أغلق منها يبينان الكشف والاستبصار ، فكتبنا إليه فى ذلك فرد عليهما الجواب ، وفيه ، أسألاه عن قوله . هل هو وجد ذلك فى نفسه فاشتاق إلى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم أم سمع هذا القول من غيره فأتى به محاكاة للقاتل ، فإن قال لم أقله محاكاة فأذنا له وإلا فلا . فسألاه فأجاب أنه ليس ذلك بمحاكاة ، فأذنا له فى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فحصلت له ببركة المترجم رضى الله تعالى عنه فمن نظر بعين بصيرته فى هذا المعنى علم يقيناً قطبانية الأستاذ رضى الله عنه واحتياج أهل الزمان إليه وله المنة لاسيما وعلى المأذون له فى الرؤية النبوية وقال المأذون :

فما من ولى نال قرباً وشربة وسراً من الأسرار فى حضرة الرضا
وحقك إلا أحمد الطيب الذى له الأمر والنور الذى ملأ الفضاء

أمام ومنه الفيض جار قلبه وإن كان مثل الشمس في الكون قد أضاء
أيضاً

وله اليد البيضاء على كل أمرى في عصره لو كان قد بلغ السما
لا تصفين لمن يرد كلا منّا بتعصب أو جهل نفس باللهما
ولنرجع إلى ما نحن فيه ثم ان الشيخ رضي الله عنه قد وادع الفقيه حمد
المجذوب وسافر إلى بلده والسعادة تخدمه ، والمهابة تقدمه ، وعند حلوله بالبلاد ،
قد ظهر منه العجب العجيب ، والكرامات التي شاهدها الفواظر بدون حجاب ،
ولعمري لقد عمر به وادى الإرشاد بعد أن أجذب ، واعتدل به ركن الطريقة
بعد أن أهدودب ، وعنى رسمه ولم يبق في الحقيقة إلا اسمه ، وتوارت أنواره
وذهبت أسرار ، وانقطع سنده ، وارتفع مدده ، وأفلت بدوره ، وتهدم سوره ،
واختلت أركانه ، وتبدلت أعيانه ، وقد أشرفت البلاد بطارف فضله وتالده ،
واحتله محل السمع والبصر واجلت في البلدان لحامده ونادت عنايته ، بلسان حال
ولايته ، لكل النواحي ، والآفاق هلموا إلى بحر الأسرار والبدر الذي لا يعتريه
محاق ، وأتاه السعداء من كل جانب ومكان ومحبة وأشواق ومدامع غزار ،
وصدق يكاد أن يؤثر في الأحجار ، فعمرت به البلاد ، وتبدت به بدور الإرشاد ،
وهرعت إليه الناس من سائر الجهات ، ليقتبسوا من نوره الذي هو أضواء من
مصباح في مشكاة ، وانقادت إليه الملوك والسلاطين والعلماء العاملون والنساء
والرجال والعبيد والأحرار ، وسرى حبه في قلوبهم سريان الماء البارد في نفس
الظمان ، والعافية في الأبدان ، ولنا فيه من قصيدة .

كم من عزيز أتاه هائماً شغفاً وكم رئيس وكم شهيم وكم بطل
قد استوى في هواه الناس كلهم وكيف لا وهو قطب وارث الرسل

الفصل الرابع

في ثناء العارفين عليه والصالحين والعلماء العاملين من أهل بلاده وغيرهم

من قبل زمانه وفي زمانه ومن بعده

إعلم أن الشيخ رضي الله عنه لما ظهرت للناس شمس علاه ، وسرى في قلوب العالمين حبه وهداه ، وفاض من رباض عرفانه في بقاع الأرض شذاه ، وصار فريداً تهرع إليه الفحول وتضرب إليه أكباد الإبل من الجهات لأخذ الطريقة والوصول ، وقد أعلن بالثناء عليه ما سنذكركم من الأعيان والأولياء أهل الشأن .

فمن ذلك ماروى من الولي الرباني الشيخ حمد المكاشفي البتلابي رحمه الله تعالى عند اجتماع مولانا البشير بن مالك به بالسكندفيرة ، وقصة الرؤيا التي رآها وجوابه له بقوله يخرج منك ولد تكتحل به بصائر جميع أهل الجهات ، كما تقدم لك بيانه ، ومن ذلك قول القطب النفوس سيدي الشيخ محمد السمان رضي الله تعالى عنه على رأس السبعين من عمره ستصير قدمك على رقبه كل ولي لله تعالى ، ومن ذلك قول العلامة الأمير المصري رحمه الله تعالى لمن سأله عن مقام الشيخ المترجم وعن علمه ومعارفه أن ما بين علمكم وعلمه كما بين السماء والأرض .

أخبرني محمد بن البشير الشرو رآبي عن شيخه الشيخ الطريفي ابن الشيخ يوسف العركي رحمه الله تعالى : قال سمعت والدي كثيراً ما يقول . ما أبدت الأيام كالشيخ أحمد الطيب وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أساءة الأدب معه ، فمن أساء معه الأدب لم يفلح أبداً ، وأخبرني أيضاً بعض من التقى به أن بعضاً من العركيين عتب على رجل منهم لأجل أخذه الطريقة على الأستاذ المترجم ، وكان ذلك بحضرة سيدي الشيخ يوسف قدس سره ، فقال لهم أما الشيخ يوسف هذا فلا انكار في ولايته وأما سيدي الشيخ أحمد الطيب فبحر لا ساحل له

فضحك عند ذلك الشيخ يوسف ، وقال صدقت ثلاثاً . وكان العلامة الشيخ أحمد ولد عيسى الانصارى رحمه الله تعالى كثيراً ما يرسل بعض تلامذته لأخذ الطريقة عليه والانتظام فى سلكه .

ومن أرسله إليه وأخذ طريقته وانتفع بها الشيخ محمد ولد على ولد غلام الله الركابي ، والفقير النخلى ولد مكى ، والفقير بدوى ولد أبى صفية ، والفقير خوجلى ولد حتيك ، والعلامة محمد الأزرق ، والفقير أحمد ولد الشيخ ولد عبد الدافع الحميدانى والفقير ابراهيم المفتى ، لكن بمكاتبة وغيرهم .

وقد أرسل الأستاذ المترجم قدس سره كتاب حكمه إلى الفقير أحمد ولد عيسى المذكور ، فلما قرأ منه هذه الحكمة ، وهى قوله : « أول المقامات فى طريق أهل الله ، التوبة لله ، والتزام طاعة الله بخوف الله ، والصبر على مراد الله ، والزهد فيما سوى الله . قال الله در الشيخ من إمام عارف ، كنا نظن قبل هذا أن الزهد انتهاء المقامات . ثم كتب على ظهر كتاب الشيخ كتاباً وأرسله إليه ، وقال فيه من بعد كلام مضمونه الثناء على كتاب الحكم : « إنه جمع فأوعى » . وكان القطب النفيس ، السيد أحمد بن إدريس ، قدس سره يقول : من منة الله تعالى على وليه الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، أنه منذ فتح عليه ما تخلف عن الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاحقاً ولا ميتاً . وكان يقول : إنه من الأفراد . وكان العارف بالله تعالى السيد محمد عثمان الميرغنى قدس سره ، يقول : ما اشتمل هذا الزمان على أعف ولا أزهد ولا أرشد ولا أميناً على الأسرار ، كالشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه . وكان يقول : لا أود اليوم شيئاً مثل أن يأمر النبى صلى الله عليه وسلم الأستاذ الشيخ أحمد الطيب بالإفاضة على الكون ، إذ لو أمره وأفاض عليه لمأله بالأسرار حتى ذراته . وسأله بعض تلامذته عن مقام سيدي الأستاذ المترجم ، قدس سره ، فقال : أما سابقاً فقد رأيته فى الحضرة كبير الأوتاد .

وأما الآن فلا يعلم مقامه إلا الله تعالى . وأخبرني ذلك السائل ، وهو الخليفة الجزولي ،
ابن إدريس الجعلي : أنه مدح سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، بقصيدة
في عهد شيخه المذكور ، نظير ما كان يسمعه منه من حميد الثناء على الأستاذ
المترجم . منها وقال :

أياطيب الأخلاق بل أنت طيب بطيبك طاب الروح والعقل والجسد
وكان العارف بالله تعالى السيد الحسن الميرغنى رضى الله عنه يقول في حق الشيخ
المترجم : لا يوجد اليوم على ظهر البسيطة ولا باطنها ، في كافة القطر السودانى مثله ،
ولا مثل إرشاده ، إلا بإرشاد سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه .
وأخبرني تلميذه محمد ولد عمر الرفاعى ، قال : سمعته يقول لما زرت سيدى الشيخ
رضى الله عنه وجدت عند ضريحه ملائكة لا يحصون عدداً . وأخبرني أيضاً تلميذه
عبد القادر ولد السيد الدولابى قال : لما زرت معه سيدى الشيخ رضى الله عنه بكى
عند ضريحه بكاء كثيراً ، وأيضاً تلامذته ، ثم خرج من القبة وخرجنا خلفه .
فلما جلس فى ظل الجامع سأله عن سبب ذلك البكاء الذى لم نعهده من أنفسنا
قبل اليوم ، فقال : لما دخنا لزيارة الشيخ رضى الله عنه وجدنا عنده رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر إليكم بعين الرحمة . وأخبرني أيضاً تلميذه الفقيه مدنى
ولد عبد الصادق الهوارى قال : رأيت سيدى السيد الحسن الميرغنى ، قدس سره ،
حينما زرت معه مرة سيدى الأستاذ الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه قابضاً بيديه
على صدره أمام ضريح الشيخ ويبكى ويقول بأعلى صوته : مدد يا أستاذ . وحكى
الرجل الصالح الفقيه المصطفى ابن الفقيه الأمين وقوع مثل ذلك منه .

وكان السيد الحسن قدس سره يكثر من زيارة الشيخ والثناء عليه والتأدب
عند ضريحه ويعزى نفسه إليه فى الطريقة السانية وذلك لأنه أخذها على مولانا
العارف بالله تعالى الشيخ حسيب بن امام المغربى تلميذ الأستاذ المترجم ، كما هو

مذكور في مناقب الفرد السيد الحسن المذكور وقد رأيت سنة ألف ومائتين وسبعة وسبعين وهو يكثر من ذكر الأستاذ المترجم ثم قال : ذلك هو الرجل الذي واجه الحضرة وواجهته وقد سمعته أسر بنقل راتب الطريقة السمانية فنقل إليه ووضعه في جيبه وما زالت السادة المراغنة رضوان الله عليهم وأتباعهم يميلون إلى محبة الأستاذ المترجم ويكثر من زيارته ومحبته والثناء عليه دون غيره من الأولياء الذين ببلادنا، وكان الولي الكامل المحبوب، سيدى الشيخ محمد بن قمر الدين الشهير بالمجذوب، يقول من أراد أن ينظر إلى أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتنظر إلى أخلاق الأستاذ الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه وقد حكى بهلول صنو أحمد فضل الله المشهور بشجر الخيري قال : نزل عندنا الهام الفرد السيد الحسن الميرغنى قدس سره بكررى فبالغ يوماً في ذكر سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه بالثناء عليه فقلت له : يا سيدى قد ألحقته بسيدى الشيخ عبدالقادر الجيلانى رضى الله عنه فقال : ليس ذلك بأزيد منه قلت ، أراد بذلك أن كلا منهما كان قطباً غوثاً وإن اختلفت الآيات والأحوال والحوارق وقد أخبرنى أيضاً من أثق به من أهل الفضل قال كنت مع العارف المذكور يبحر أتبره فقرات بين يديه فتوحات الشيخ محى الدين بن العربى فتعجب الحاضرون من علو نفس الشيخ وزيادة رتبته في المعارف فقال السيد المذكور للحاضرين عندنا شيخ ليس ابن العربى هذا بأكمل منه فقالوا : من هو قال : الأستاذ الشيخ أحمد الطيب قدس سره وكان ولده الكامل السيد محمد عثمان رضى الله عنه إذا مر بالشرق عند سفره إلى جهة السافل وحاذى قبة الأستاذ المترجم فإنه ينزل عن ظهر دابته ويأمر بإنزال حملته ويستقبل القبة إلى أن يأخذ برهة من الزمن ثم يرتحل وكان الولي الكامل الفقيه عبد الله ولد الزواج يسميه الأكسير ويأمر تلامذته بالأخذ عنه فمن أخذ عليه الطريقة منهم محمد ولد خالد الرفاعى المشهور ولكن أخذه لها كان في حال صغره عند

مرور الأستاذ المترجم إلى مدينة سنار وذلك بقندال الغابة المعروفة وكان الولي الصالح
الزاهد الفقيه الأمين ولد محمد بن دفين أبي عشر رحمه الله تعالى قد سمع رجلاً
بمحضرته يقول زيارة سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه الحج الأصغر فقال
له ليس كما قلت . بل زيارته الحج الأكبر هكذا سمعته من شيخنا رحمه الله تعالى
وكان الشيخ عوض الجيد ولد أبي الحسن الخالدى رحمه الله يقول : لا يوجد اليوم
رجل عنده سر الله الخالص كالشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه فقبل له هل رأيته
قال نعم لقيته مرة على الطريق وهو راكب على فرس وأنا على حمار فعرفنى وعرفته
فنزلت لزيارته وقبلت يده وهو على فرسه كحالتة وسنه قريب من سنى أوسنى
قريب منه قلت : ومعنى قوله لا يوجد اليوم الحج . يريد بذلك عدم التفات قلب
الشيخ إلى شىء من الأكوان وكان العارف بالله الشيخ إبراهيم الرشيد قدس سره
يقول كل أولياء السودان بالنسبة إلى الأستاذ الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه
مريدون وقد زار ضريحه عام ألف ومائتين وتسع وستين من الهجرة فوجد منه
مدداً وفيضاً ورشداً وكان العالم العلامة الفقيه أحمد ولد كنان رحمه الله تعالى مع
صلابته فى الدين وانتقاده على كثير من المتصوفة يقول ما رأت عيني ولياً على
موافقة الشرع والزهد وحسن الإقبال على الله تعالى وصدق الأخبار بالغيب
كالشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه وكان يقول لا يجوز لأحد أن يأخذ الطريقة
إلا عليه لذا لما جاء الفاضل الشيخ محمد النور ولد عربى من زيارة سيدى الشيخ
المترجم رضى الله عنه وكان ذلك سنة ألف ومائتين وسبع وسبعين من الهجرة ونزل
على الفقيه المذكور أكرمه غاية الإكرام وطلب منه المؤاخاة ثم قال له : لولا عزوك
فى الطريق إلى الأستاذ الشيخ أحمد الطيب لما آخيتك وإنما طلبتها منك لتشملنى
بركته بواسطة مؤاخاتى لك وكان الفقيه المذكور يقول والله ما ترك سيدى الشيخ
أحمد الطيب رضى الله عنه فى الولاية لأحد شبراً وما رأيته قط إلا وازداد حبه فى قابى

وكنت سابقاً قبل رؤيتي له منكراً فيه . فلما رأيته أبدل ذلك الإنكار حباً ،
 والحمد لله على ذلك وكان يقول الأولياء يجيرون ويحمون كل من استجار بهم
 إلا من قصده سيدي الشيخ أحمد الطيب فإنه لا يقدر أن يحميه أحد لأنه سلطان
 لا يجار عليه ويذكر في ذلك حكايات كثيرة تتعلق به وبغيره من أبناء عصره
 وكان إذا جرى ذكر الشيخ المترجم بحضرته يقول : ذاك الولي الذي لا يختلف فيه
 اثنان وكان الفاضل العلامة الفقيه السيد ولد حماد يقول : كشف لي عن الملكوت
 فما رأيت في الأولياء الأحياء كالشيخ أحمد الطيب ولا في الأموات كالشيخ إدريس
 ولد الأرباب ، وكان يأمر تلامذته بزيارة الأستاذ المترجم والأخذ عليه فممن أخذ
 عليه منهم الفقيه محمد ولد الطيب ولد عبد الحمود المدفون بقبة الأستاذ المترجم ومع
 أخذه عليه قد صاهره وكان صالحاً مباركاً مشهوراً بذلك وكان سيدي الوالد
 رضى الله عنه إذا ذكر الشيخ بين يديه يقول ذاك الذهب الأبريز وكان العارف
 بالله الشيخ أحمد البصير بن عبد الرازق الخلاوي رحمه الله تعالى يذكر في بعض
 الأحايين في حلق الذكر باسم الأستاذ المترجم قلت : ولا إنكار فيه فقد ورد أن
 الطيب من أسماء الله تعالى ومن المعلوم أن الولي لا يجهل وإنما الأعمال بالنيات
 وكان المذكور إذا أرسل لسيدي الشيخ رضى الله عنه هدية على دابة من الدواب
 ثم رجعت الدابة فإنه يقبلها تعظيماً لمسكاته ولاسكونها جاءت من عند الشيخ ،
 وكان شيخنا العلامة الفقيه محمد ولد زروق رحمه الله تعالى يخدم في زرع له وكان
 ذلك زمن قراءتي عليه فأردت أن أخدم معه فمنعني وقال لي : أخشى من خدمتكم
 معي إساءة الأدب مع سيدي الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه فكفاني منكم أن
 تسألوا الله سبحانه وتعالى لي حسن الخاتمة ، وقد رأيت الفاضل الكامل الخليفة
 الماسح بن الجبارة رحمه الله يتواجد عند رؤيته لي ور بما ضمنى لصدره ويقول :
 كل ما أنا فيه من الخير إنما حصل لي ببركة جدكم وكثيراً ما كان يقدمني في عهد

مرضه للصلاة حين أزوره على الحاضرين، ولو كانوا كبار سنًا وأكثر علمًا، مراعاة لمقام الأستاذ المترجم رضى الله عنه .

وكان العلامة الشيخ عبد الله الموارزى الشهير بأبى المعالى رضى الله عنه يقول : مررت بالمشرق والمغرب فما رأيت عيني كرجلين . قيل له من هما ؟ قال : أما بالمغرب : فالأستاذ الشيخ احمد الطيب بن البشير رضى الله عنه . وأما بالمشرق فالسيد احمد بن ادريس قدس سره ، وكان الشريف بَلَّةَ ولد رحمة الله الحسينى مع رفيع مقامه فى الولاية لا يحب أن يذكر أحد من الأولياء بين يديه إلا سيدى الأستاذ المترجم ، ويقول ذاك هو الرجل الذى تنمو بذكره أنوار القلوب وتنكشف مدلهات الكروب ، وكان العارف الربانى سيدى الشيخ أبو الحسن بن الشيخ عبد الكريم السمان قدس سره يقول : قد تحقق لدينا أن الوارث لسر قطبانية سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه هو سيدى الشيخ احمد الطيب قدس سره ، قلت ولذا انتمى إليه بأخذه الطريقة على تلميذه سيدى الشيخ حسيب بن إمام رحمه الله تعالى ، فأجازة أولاده بالمدينة المنورة إلى يومنا هذا ناطقة بذلك . وكان العارف الشيخ حسيب المذكور كثيراً ما يتواجد عند سماعه لذكر الشيخ ولما بلغته وهو بمكة وفاة الشيخ بكى بكاء كثيراً ، وقال : لا يوجد اليوم على ظهر الأرض أحد مثله يكون شيخاً للحقيقة ، وكان قد مدح الأستاذ المترجم عند ملاقاته له وأخذه عنه الطريقة (بأم مرح) بقصيدتين أحدهما ثمانمائة بيت والأخرى أربعائة بيت ذكر فيهما العجب العجيب من الكلام الذى يخلب العقول ويسحر الأبواب وقد وقفت عليهما وأحزرتهما عندي إلا أنهما أخذتهما يد الضياع عند قيام ثورة المهديّة مع ما كان عندنا من نفائس الكتب فمن وجدها فليلحقهما بهذا الموضع من هذا الكتاب .

وكان القاضي أحمد ولد الكامل الحلاوى رحمه الله تعالى المدفون بمقبرة الشيخ

عالم السامى بالحلاوين يقول ، بعد أن اجتمع بسيدى الشيخ وأخذ عنه وسأله عن بعض المسائل العلمية ، والله لو اندرست المذاهب الأربعة لأحيها سيدي الشيخ رضي الله عنه من نفسه ، وذلك لسعة إطلاعه وطول باعه في المعارف ، وكان الفقيه محمد ولد أبي سعيد يقول لا يسلم علم الباطن والحقيقة إلا لسيدى الشيخ رضي الله عنه ومن عارضه فيه قصم ظهره ، وإنما قال ذلك لمسألة كانت بينه وبين الفقيه أحمد ولد مرتضى الشقلاوى . وسيأتى الكلام على ذلك في فصل كلام الشيخ رضي الله عنه .

حدثني الشيخ محمد بن الإمام رحمه الله تعالى قال : سمعت العارف بالله تعالى الشيخ محمد التوم ولد بان النقا ، قد بالغ يوماً في ذكر الوليين الكاملين سيدي الشيخ موسى ولد يعقوب والشيخ هجو ولد حماد ، وذكر ما لهما من الكرامات والمناقب . ثم قال : إن جميع ما ذكرته وما لم أذكره من كراماتهما ومناقبهما فهو نقطة من كرامات سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه قال : وسمعت مرة يقول ما طالت حية إلا بصحبة سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه . فقال له رجل من الحاضرين : يا سيدي أن فلاناً يعني رجلاً من مشاهير زمانه قد طال وما بلغنا أنه صحب سيدي الشيخ أحمد الطيب قدس سره فقال والله لقد عثر وأمرني سيدي الشيخ بتواية أمره وهو في بركة سيدي الشيخ رضي الله عنه قال ولما توفي هذا الرجل المذكور قدم إلى العزاء فيه سيدي الشيخ محمد التوم قدس سره من بلاده وذلك شاهد التولية ولم يكن قبل ذلك بينه وبينهم عزاء ولا اتصال وكان لما أراد الشيخ القدوم إلى العزاء قد منعه منه الشيخ عبد القادر ولد الشيخ الزين الموسابى اليعقوبابى فلم يقبل وقال : لنا فيه نظر وهو إشارة إلى ما قدمناه آنفاً وكان قاضى القضاة العلامة الشيخ أحمد السلاوى رحمه الله تعالى كثيراً ما يكثر الثناء على الأستاذ المترجم ولعله سمع شيئاً من مناقبه من شيخه العلامة الأمير عند قراءته

عليه بالجامع الأزهر ومن غيره من الفضلاء ، أو لأمر رآه في نفسه من جهة الشيخ
رضي الله عنه وقد تمكنت منه محبته فصاهره وسمى باسمه أحد أولاده وقد شوهدت
لولده المسمى باسم سيدي الشيخ كرامات عديدة مشهورة بين أهل الفضل وكان
العارف بالله تعالى الشيخ القرشي بن الزين رحمه الله تعالى يقول : كل ولي على قدم
نبي وسيدي الشيخ على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول : كل ولي له
حد مسمى في الإرشاد إلا سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه فإن إرشاده
باق إلى يوم القيامة . قلت وقد وافقه على ذلك جماعة من العارفين كالكمال
السيد الحسن الميرغني والشيخ إبراهيم الكباشي وغيرها ، وكان الولي الصالح الزاهد
الفقيه الأمين ولد أم حقين إذا مدحه شخص يقول له : كف عني فإن المدح إنما
يابق بسيدي الشيخ أحمد الطيب قدس سره وكان يقول : إذا انصف أحد في عصرنا
هذا بصفة كمال انفرد بها فإن سيدي الشيخ أحمد الطيب تسعاً وتسعين صفة
لا يشاركه فيها أحد وكان الشيخ محمد ولد مكي رحمه الله تعالى إذا نسبه أحد
إلى جده الشيخ إدريس ولد الأرباب قدس سره بأن بركته منه يقول له لا منة
لأحد عليّ إلا سيدي الشيخ رضي الله عنه وحده وكان بعض المريدين من
تلامذة الأستاذ المترجم يسمونه النور المجموع لشدة إشراق نور وجهه .

وسمعت العارف الشيخ القرشي بن الزين رحمه الله تعالى يقول : لقد رأينا له
ضياء في الظلام يكاد القارئ أن يقرأ به ما شاء ، وقد سأل رجل من ذرية سيدي
الشيخ إدريس بن الأرباب قدس سره الشيخ إبراهيم الكباشي رحمه الله تعالى
هل أعظم مقام جدي الشيخ إدريس أم مقام الشيخ أحمد الطيب فقال له أعظم
مقام سيدي الشيخ أحمد الطيب ، وكنت وقتئذ حاضراً بالجلس ولم يعرفني أحد من
الحاضرين فتغير خاطر ذلك الرجل وكان تلميذاً له فأراد رجوع الشيخ إبراهيم
الكباشي عن كلامه بكلام ألقاه له فقال له : يا هذا أن هدير تيار بحر إرشاد سيدي

الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه منعنا المنام وهو شاهد قوى على أفضلية الأستاذ المترجم على غيره ، وكان العارف بالله الشيخ محمد ولد بدر رحمه الله تعالى يقول : لولا قطب (أم مرج) ما صحا قلب مصلح وله حكاية فى ذلك سنذكرها إن شاء الله تعالى فى فصل الإرشاد . وكان العلامة الفقيه مختار الشنجيتى رحمه الله تعالى إذا سمع شيئاً من كلام سيدى الشيخ رضى الله عنه فإنه يبادر لنقله بيده ويقول للحاضرين ألا تسمعون رائحة الولاية ! وكان الفاضل الصالح الشيخ محمد المقابل رحمه الله تعالى إذا ذكر سيدى الشيخ فى مجلسه هام وهاج ومنع أن يذكر معه غيره إلى أن يحتم المجلس ولو كان الغير أباً يزيد كما نقل ذلك عنه .

حدثنى الكامل الفاضل الصالح السيد المكي بن العارف الهمام السيد اسماعيل الولي بن السيد عبد الله الكردي قدس سره . قال : قال لى والدى لولا أن تداركنى سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه عندما فتح على ووضع يده على صدرى لأخذنى الفتح وهو له على أعظم منه . : قالت وقد زار السيد المذكور الأستاذ المترجم عند قفوله من الحج بأمر مرج ، ورأيت ولده وخايفته الفاضل السيد المكي يرسل بعض أزواجه إلى زيارة ضريحه لطلب الذرية فى عهد إقامته (بأمر درمان) إحياء للود القديم واعترافاً بما حصل لوالده من الأستاذ المترجم من الإغاثة والأمداد ، وكان السيد اسماعيل الولي المذكور يقول لما فتح على وأطلعنى الله على من فى الديوان ما رأيت أحداً عليه هيبة ووقار وبهجة كسيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، قال وقد رأيت فى الحضرة وهو النائب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسمعت أهل الديوان لا يلوذون إلا به ، والهواتف لا تهتف إلا باسمه ، وكان الرجل الصالح الفقيه الإمام ولد دوليب رحمه الله تعالى يقول : لما فتح على ودخلت ديوان أهل الله تعالى سألت عن القطب النوث فقيل لى صاحب العنق

الطويل وهو الذى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنون بذلك سيدى الشيخ رضى الله عنه ، وكان العطا المجذوب العقلى رحمه الله تعالى يقول : ما سمعت ولا رأيت ولياً يمازح أصحابه بسر الله كسيدى الشيخ رضى الله عنه فرأيت يغطيه لمن طلبه فى الحال ، وإذا ضاق صدره منه أخذه عنه حدثنى الفقيه محمد ولد البشير السرورابى رحمه الله قال : كان الشريف محمد الهاشمى كثيراً ما يمر علينا ، وقد تزوج هناك فى السروراب بدار الجلال بنت الحاج عبد الوهاب ولد محمد تلميذ الشيخ البحيراني ، وإذا مر فى بعض الأحيان بطريق قبة الشيخ لم يزره كعادة غيره ، فسألته يوماً عن عدم زيارته ، فقال لى : رأيت فى القبة نسوة ولم أستطيع الزيارة مع وجودهن هنا فنام عندي بالشرق من الثمانيات ، فانتبه من نومته عجباً وقال : بادر بنا إلى المراكب لزيارة سيدى الشيخ . فقلت له : ما حصل لك . فقال : قد دخلت الآن الديوان فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم والأولياء حوله ، وسيدى الشيخ احمد الطيب وهو أكبر من حوله وهو الغوث والفرد والقطب . فلما أردت الوصول إلى النبي صلى الله عليه وسلم أمرنى أن لا أقدم عليه إلا من بعد وصولى إلى الشيخ رضى الله عنه .

فبادرت معه إلى البحر إلى أن خرجنا . وزار سيدى الشيخ واعتقده اعتقاداً كاملاً وأكثر من زيارته إلى أن مات رحمه الله بالدامر ودفن به .

وسمعت الكامل الصالح الشيخ حمد النيل بن الشيخ أحمد الريح رحمه الله تعالى يكثر من الثناء على الشيخ كثيراً . وعند ما كنا نحن وهو فى سجن الخليفة عبد الله ابن محمد خليفة المهدي قال لى : لا يخرجنا من هذا السجن إلا سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه . وقد رآه أحد أتباعى البارحة أمام منزلى بأمر درمان ، وهو يريد إخراجنا من السجن ، فلا بد من خروجنا منه . وقد سرت محبته بذلك فينا إلى أن سمى علينا مولوداً ولد له مدة إقامته بأمر درمان ، وقد توفى ذلك المولود

بأم درمان . وكان الفاضل الكامل الزاهد الشيخ محمد ولد يونس خليفة الشيخ دفع الله رحمه الله تعالى يبالغ في ذكر الشيخ والثناء عليه . وسمعت العالم العلامة الشيخ الحسين ولد الفقيه إبراهيم زهرا رحمه الله يقول : لما توجهت إلى الحج زرت خريج سيدى الشيخ رضى الله عنه فحصل لى أنس عظيم ، وصرت أبكى إلى أن فاتنى رفقتى . وكان السيد العظيم والشریف الفخيم الشريف محمد الأمين الهندى قدس سره يقول : الشيخ أحمد الطيب هو عماد الأولياء ومحل إمداداتهم ، وقد أردت الانتظام فى سلكه على يد وارثه العارف بالله الشيخ محمد التوم ولد بان النقا فى عهد قراءتى العلم بسنار على شيخنا الفقيه النذير ، إلا أن المذكور قد منعنى من ذلك ، وإنى إلى اليوم غير راض عنه .

وكان العلامة الصالح الفقيه محمد ولد الفقيه إدريس الشهير بولد دوليب إذا ذكر الشيخ رضى الله عنه فى مجاسه يكثر من التواجد والثناء عليه جداً وربما قطع الدرس التذاذاً بسيرته . وكان الأستاذ العارف بالله تعالى سيدى الشيخ محمد أبو الحسن السمان ، قدس سره ، يقول : من أراد الوصول ، فعليه بطيب الأصول . وكان الشيخ عبد الباقي ابن الشيخ عبد القادر البطيخانى يقول : اللهم انفعنا بأربعة من الموسومين من الأولياء بأحمد ، وانفع بالباقيين أهلهم . قيل له من هم ؟ قال : أحمد الرفاعى ، وأحمد البدوى ، وأحمد زروق ، وأحمد الطيب رضوان الله عليهم أجمعين ، وغير ذلك من ثناء العارفين .

ما فيه عيب غير أن ضياءه	حسده شمس الأفق عند طلوعها
وعلاه ذكر النور لما قد علا	فى الحضرة العلياء بين جموعها
الطيب المختار من أزل لنشر	أصول طرق الأولياء وفروعها

الباب الرابع

وفيه تسعة فصول

الفصل الأول

في مبنى طرائقه اللاتى ذكرها وغيرها ، من طرائق السادة الصوفية ، وأركانها ، وأحكامها ، وواجباتها ، وإلزامها فبينها على ستة أشياء : التوبة ، والعزلة ، والزهد ، والتقوى ، والقناعة ، والنسليم . وأركانها ستة أيضاً : العلم ، والحلم ، والصبر ، والرضا ، والإخلاص ، والأخلاق الحسنة فى الصبر على الأمر الملقى . وأحكامها ستة أيضاً : المعرفة ، واليقين ، والسخاء ، والصدق ، والشكر ، والتفكير فى مصنوعات الله تعالى . وواجباتها ستة أيضاً : ذكر رب العالمين ، وترك الهوى والدنيا ، واتباع الدين ، والإحسان إلى المخلوقات ، وفعل الخيرات وربطها . وإلزامها : للمبايعة ، فتكون البيعة بمنزلة النكاح ليصير الولد صحيحاً لا عاهراً . وكيفيتها أن يأمر الشيخ المريد بالتوبة من جميع الصغائر والكبائر ، ثم يقابله بوجهه ويضع يده على يده ويأمره أن يغمض عينيه ويقول : لا إله إلا الله ثلاث مرات والمريد يسمع . ثم يقول المريد لا إله إلا الله ثلاث مرات ، والشيخ يسمع . ثم يقرأ للتبرك قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك — إلى قوله تعالى — أجراً عظيماً » . ثم يدعوله ويوصيه بما فيه إرشاده ونفعه من الأوراد . وعند بعضهم : فيقرأ الشيخ عند مبايعته للمريد بالبسملة والفاطمحة والإخلاص والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بلا انتقاص ، لتكون مهراً .

الفصل الثانى

فى بيان طريقته النقشبندية

وهى الطريقة المنسوبة إلى قطب العارفين، وتاج الواصلين، وخلاصة أهل الحق والدين، سيدى بهاء الدين النقشبندى البخارى قدس سره

إعلم أن هذه الطريقة، طريقة الصحابة على أصلها، لم تزد ولم تنقص. وهى عبارة عن دوام العبودية ظاهراً وباطناً، مع كمال الالتزام للنية والعزيمة، وتام الاجتناب عن البدعة والرخصة، فى جميع الحركات والسكنات، فى العبادات والعبادات والمعاملات، مع دوام الحضور مع الله تعالى على طريق الذهول والاستهلاك. فهى طريقة الانصباع والانعكاس لكمال ارتباطهم بها مع هذه المجاهدة الزكية المستورة، يستوى فى استفادتها الشيوخ والصبيان، وفى إفادتها الأحياء والأموات، ويندرج انتباهها فى الابتداء، وابتدائها فى انتهاء غيرها، لما فيها من انجذاب المحبة الذاتية مما فضل به واسطتها الصديق الأكبر رضى الله عنه، فهذه أم الطرق ومعدن الأسرار الصديقية والحقائق، ولا جرم أمرها كبير، وشأنها خطير. ترى منكبرى الأولياء مذعنين لها لاستقامتها واعتدالها، فضلاً عن الموقنين المعتقدين لتحريرها عن الشطح والرقص وسفاسف السماع، وسلامتها عن كدورات جهلة المتصوفة وزخارف الرقاع والابتداع، وتحليها من السنة السنية بالاتباع، وغلبة العلم والاستماع له من الاتباع. وهى مما جرى على قبوله الوفاق، وأقر بفضلها علماء الآفاق. وبالجملة فهى الطريق الأقرب الأفضل الأقوى الأتم الأكمل الأحكم الأوضح، والمشرّب الأعذب المصون عن كل قاذح. لا يدرك الوصف المطرى خصائصه وإن يكن سابقاً فى كل ما وصفا سقانا الله تعالى من رحمة المحتوم، بطابع أسرار العلوم اهـ.

قال في جامع الأصول : إن أصول طريق النقشبندية التمسك بعقائد أهل السنة ، وترك الرخص ، والأخذ بالعزائم ، ودوام المراقبة ، والإقبال على المولى ، والإعراض عن زخارف الدنيا بل وعن كل ما سوى الله ، وتحصيل ملكة الحضور ، والخلو في الجلوة ، مع التحلي بالاستفادة والإفادة في علوم الدين ، والتزني بزي عوام المؤمنين ، وإخفاء الذكر ، وحفظ الأنفاس ، بحيث لا يدخل ولا يخرج نفس مع الغفلة عن الله الكريم ، والتخلق بأخلاق النبي صاحب الخلق العظيم ، وشرائط هذه الطريقة ، الاعتقاد الصحيح ، والتوبة الصادقة ، والاستحلال من أرباب الحقوق ، ورد المظالم ، واسترضاء الخصوم ، والتحقيق بأداب السنة في الأمور كلها ، والدقة والتحقيق على العمل بأصح الشريعة ، والاهتمام على الجانية من كل المنكرات والمبتدعات ، والغيرة على التباعد عن الهوى والمذمومات ، قال في الروض النضير وللطريقة هذه أصلان ، من أعطيها أعطى كل شيء ، اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، وصحبة الشيخ الكامل ، ولكنها ليست توجد بالتكلف بل التكلف عندهم زندقة والسكن هي من عطاء الله تعالى يمن على من يشاء من عباده ، فالصحبة بشروطها مع هذين الأصلين كافية للانصياع والانعكاس ثم رابطتهم ولو بالمعاينة ثم الالتزام بما يتلقى عندهم من الأذكار الواردة عندهم معنئاً كاسم الذات والنفي والإثبات فمن يستعد لتقدم السلوك فله الثاني ، فأما المبتدئ في السلوك فله الثاني وكلاهما للمترقي فيه ويتدرج بالذكر في اللطائف الخمس التي هي القلب والروح والسر والخفي والأخفي فالقلب هو وإخوانه من الروح والسر والخفي والأخفي الذي هو عالم من عالم الأمر الذي خلقه الله تعالى بكن بغير مادة مركبة من لطائف عالم الخلق الذي خلقه الله تعالى من مادة النفس الناطقة والعناصر الأربعة محل القاب المضغة التي تحت الثدي اليسار والروح نعالها في اليمين والسر في يسار الصدر والخفي في يمينه والأخفي في وسطه والنفس في الدماغ

والعناصر تندرج فيها فكل من هذه المحال محال الذكر على الترتيب فكيفية ذكر اسم الذات بالقلب مثلاً أن يتصل اللسان بسقف الحلق وينطلق النفس على حاله والأسنان على الأسنان ويخيل في القلب نقطة الجلالة بمعناها فيستمر على ذلك من غير انقطاع وإن تكلم باللسان عند الحاجة فلا ينقطع خياله فإنه مدخل لما وراء هذه القوى المعهودة من القوة الوهبانية من رسوخ المذكور في القلب ونسيان ما سواه فإن حقيقة الذكر نسيان ما دونه فإذا دام الذكر دام نسيان الأغيار وإذا ارتسخ القلب ذكره^(١) إلى الروح ثم إلى السر ثم إلى الخفى ثم إلى الأخرى فكذلك الرسوخ لما بعد القلب من اللطائف على الترتيب المذكور فإذا ارتسخ بالذكر لطيفة النفس حصل سلطان الذكر بأن يعم على جميع رسوخ الإنسان بل على الآفاق أيضاً فعند ذلك يلقي كلمة لا إله إلا الله .

وكيفية الذكر أن يلتصق اللسان بلا إله إلا الله ، كما في الأول ويفتحبس النفس تحت السر ، ويتخيل منها إلى الدماغ ، ومنه إلى الكتف الأيمن ، ومنه إلى القلب فيحيط على اللطائف كلها ، ويلاحظ معناها بأن لا مقصود إلا الله ، فإن نفي المقصودية أبلغ لأن كل معبود مقصود ، ولم يمكس ويقول في آخرها « محمد رسول الله » ويريد به الأتباع بالتحديد ، ويكررها على قدر قوة النفس ، فإذا ضاق النفس يطلقه من الفم على الوتر ، ويقول :

اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ، فإذا استراح يشرع في نفس آخر ، لكن يراعى بين النفسين بأن لا يغفل بل يبقى التخيل على حاله لئلا يخل الاستمرار ، فإذا انتهى العدد إلى الإحدى والعشرين تظهر النتيجة وهي نسبتهم المعهودة من الدهول والإستهلاك ، فإذا لم تظهر فمعلوم أنه لم يكمل الآداب فليستأنف وليطابق الفعل القول ، فإن المقصودية في سواه إذا كانت باقية في الواقع لزم

(١) لعله وإذا ارتسخ في القلب سرى إلى الروح والله أعلم .

الكذب فليس بصادق ولا حضر في المهود ، فإذا فيه حق الجهاد وانتفاء المنفى وإثبات المثبت ، فإذا ظهرت النتيجة تصح له المراقبة وهو أن يلزم القلب معنى اسم الذات على طريق الاستغراق والاستهلاك بحيث لا ينفك عنه في أى حال كان ، فإذا انتهى أمره إلى انتفاء العلم مطلقاً حصل مبادئ الفناء فيسوغ له الذكر اللسانى بلا إله إلا الله مع التدبر الحقيقى وأقله خمسة آلاف ، وبحصول الفناء التام حصلت له أول درجة الولاية الصغرى ، وبقى بالله تعالى وقام به سبحانه وتعالى فحينئذ يليق به الاشتغال بنوافل الصلوات ، فإذا انتهت الصغرى بمحض كرمه تعالى وتشرف بالكبرى وهى ولاية الأنبياء ساءغ له الاشتغال بالسلوة ، فإذا سهلت عليه العناية وتمت له الأفنية وحصلت له الأبقية وانقطعت البرازخ تشرف بولاية الملأ الأعلى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ولا يظن الظان سهولة الأمر ، فإن قطع مسافة أدنى درجة منه مقدار خمسين ألف عام .

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال وبينهن حتوف
وهذه إشارة إلى جمال هذا الشأن العظيم تذكرة وأين الإجمال وأين التفصيل
فإنه لا تسمعه الأسفار ، اسكن من اشتملت عليه العناية الأزلية يقدر له المقدار ،
ولا يحمل عطايا الملك إلا مطايا ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، وسند الشيخ رضى
الله عنه فى هذه الطريقة ، وهو أنه أخذها بسندها المعلوم عن قطب دائرة الأكوان
سيدى وأستاذى الشيخ محمد بن عبدالكريم الشهير بالسمان ، وهو أخذها بسندها
المعلوم المتصل بإمام الطريقة وغوث الخليفة ذى الفيض الجارى ، والنور السارى ،
المعروف بشاه النقشبندى بهاء الدين محمد البخارى قدس سره وعم بره ، عن منبع
المعارف والكمال رئيس السادات السيد أمير كلال ، قدس سره ، عن المقبل على الله
ولما سواه ناسى قطب الاتقياء الشيخ بابا الشامسى ، قدس سره ، عن الواله فى محبة

مولاه الغنى المعروف بحضرة عزيزان على البرامتنى قدس سره وعم به ، عن المعرض
عن المراد الدنيوى والأخروى ، شيخ المشايخ الشيخ محمود الأنجير فتنوى ، قدس سره
عن المتسلق عن الحجاب البشرى ، قطب الأتقياء الشيخ العارف اليروسرى قدس
سره عن القطب الربانى ، غوث الخلائق عبد الخالق العجدوانى ، قدس سره ، عن
الغوث الصمدانى الشيخ يوسف الهمدانى قدس سره ، عن النشوان من رحيق
الحب السرمدى قطب الواصلين على الفارمدى قدس سره ، عن المحبوب السبحانى
غوث السالكين أبى الحسن الخرقانى قدس سره ، عن المؤيد بالتأييد الإلهى
صاحب الفيض الإلهى أبى اليزيد البسطامى قدس سره ، عن الإمام جعفر الصادق
رضي الله عنه ، عن الإمام محمد بن أبى بكر الصديق ، عن الصحابى المعدود من
آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلمان الفارسى رضى الله عنه عن خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، عن منبع الصدق
والصفا أفضل الخلائق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وتسمى هذه بسلسلة الذهب ، واعلم أن النقشبندى قد أخذها أيضاً عن روحانية
العجدوانى إلى آخر النسبة والفارمدى أيضاً عن الشيخ أبى القاسم الكرمانى
عن الشيخ أبى عثمان المغربى عن الشيخ أبى على الكاتب عن الشيخ أبى على
الروذبارى عن الشيخ أبى على القاسم الجنىدى البغدادى عن سرى السقطى عن
معروف الكرخى عن الإمام الرضا عن والده الإمام موسى الكاظم عن والده
الإمام جعفر الصادق عن والده الإمام محمد الباقر عن والده عن الإمام على
زين العابدين عن والده الإمام الحسين رضى الله عنه عن أمير المؤمنين على بن
أبى طالب كرم الله وجهه عن سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم والكرخى
أيضاً عن داود الطائى عن حبيب العجمى عن الحسن البصرى عن على بن أبى طالب
عن سيد الكونين وعلى أيضاً عن الصديق الأعظم ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ،

قال العارف عبد الوهاب الشعراني في المدايح : إعلم أيها الطالب ان المرید
إن لم یعلم آباءه وأجداده فی الطريق فهو أعمى و ربما انتسب لغير أبيه فیدخل فی قوله
صلی الله علیه وسلم (لعن الله من انتسب إلى غیر أبيه) ، وقال سیدی عمر بن الفارض
قدس سره :

نسب أقرب فی شرع الهوى بیننا من نسب من أبوی
وذلك لأن الروح الصق بك من حقیقتك فأبو الروح یلیك وأبو الجسم بعده
فكان بذلك أحق أن ینسب إليه دون أبی الجسم وقد درج السلف الصالح کلهم
على تعلیم المریدین آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم وأجمعوا کلهم أن من لم یصح له
نسب القوم فهو لقیط فی الطريقة لأب له . ولا يجوز له التصدر والجلوس لإرشاد
المریدین إلا بعد أخذه آداب الطريق من شیخ کامل مجمع على جلالته وخبرته
بالطریق ثم یؤذن له تصریحا بأن یرشد ویلقن ویلبس الخرقة على شروط ما كان
عليه السلف رضی الله عنهم أجمعین ، ثم من بعد كلام یسیر قال فیہ ایضاً . إعلم
یا أخى أن السر فی التلقین إنما هو لارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله
صلی الله علیه وسلم إلى حضرة الله عز وجل ، وأقل ما یحصل للمرید إذا دخل
فی ساسلة القوم بالتلقین أن یشعر إذا حرك السلسلة تجاوبه أرواح الأولیاء من
شیخه إلى رسول الله صلی الله علیه وسلم إلى حضرة الله عز وجل فمن لم یدخل
فی طریقهم بذلك فهو غیر معدود منهم ولا یحییبه أحد إذا حرك السلسلة .

الفصل الثالث

فی بیان طریقته القادرية

أى المنسوبة إلى القطب الأعظم ، والغوث الأکرم ، قدوة العارفين ،
وتاج هامة الواصلین ، العالم القاضل الأكمل ، المحقق المدقق المجتهد الأفضل ،

السر السارى ، والمدد الجارى ، فى المشرق والمغرب ، ملجأ الأولياء والسالكين
كنز المطالب الشيخ محى الدين عبد القادر أبى محمد بن أبى صالح موسى بن داود
ابن عبد الله بن موسى الجون ، بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن
ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين .

كان مولده قدس سره سنة إحدى وسبعين وأربعمائة بجيلان ، وسكن بغداد
سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وله ثمانى عشرة سنة . وأمه أم الخير أمة الجبار فاطمة ابنة
أبى عبد الله الصومعى ، وكان لها حظ وافر من الصلاح والتقوى . قال فى جامع
الأصول : وكان رضى الله عنه نحيف البدن ، ربع القامة ، عريض الصدر ،
عريض اللحية ، أسمر ، مقرون الحاجبين حفياً ، ذا صوت جهورى ، وسمت بهى ،
وقدر علىّ ، وعلم وفىّ ، رضى الله عنه . وأصول طريقته الخمسة : علو الهمة ، وحفظ
الحرمة ، وحسن الخدمة ، ونفوذ العزيمة ، وتَعْظِيم النعمة . فمن علت همته ارتفعت
مرتبته ، ومن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمة ، ومن حسنت خدمته وجبت
كرامته ، ومن أنفذ عزمته دامت هدايته ، ومن عظمت النعمة فى عينه شكرها ،
ومن شكرها استوجب المزيد من النعم حسب ما وعده . وفى الروض النضير : ومبنى
طريقته هذه على الذكر الجهرى فى حلق الاجتماع ، والرياضة الشاقة ، وتقليل الأكل ،
والقرار من الخلق ، والذل والانكسار . قال العارف بالله تعالى سيدى الشيخ
عبد الغنى النابلسى رضى الله عنه :

طريقتنا شريعة قادية فلا تخش قهراً وظلماً ولا فوتاً
وفى الشرق عبد القادر القطب شيخنا طريقته تفضى إلى العز مشبوتاً
طريقته ذل وانكسار لأجل ذا إلى الشرق مدت ستة أرجل الموتى
ومن شرط السلوك فيها أن يكون مصحوباً فى البداية باستحضار جلال الله
تعالى وعظمته ، إذ به تنقمع النفس وتذهب . قال على بن الهيثم رضى الله عنه :

كانت طريقة سيدى عبد القادر قدس سره ، تجريد التوحيد وتوحيد التفريد ، مع الحضور فى موقف العبودية ، لا شىء ولا شىء . وكان الشيخ عدى بن مسافر رضى الله عنه يقول : كانت طريقة سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه الذبول تحت مجارى الأقدار ، بموافقة القلب والروح واتحاد الباطن والظاهر ، وانسلاخه من صفات النفس مع الغيبة عن رؤية النفع والضرر ، والقرب والبعد ، وكان الشيخ بغا بن بطور رضى الله عنه يقول : كانت طريقة الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه اتحاد القول والفعل والنفس والوقت ، ومعاينة الإخلاص والتسليم ، وموافقة الكتاب والسنة ، فى كل نفس وخطرة واردة حال ، والثبوت مع الله عز وجل . وكانت طريقته التوحيد : وصفاً ، وحكماً ، وحالاً . وتحقيقه الشرع : ظاهراً ، وباطناً . ووصفه : قلب فارغ ، وكون غائب ، ومشاهدة رب حاضر ، بسريرة لا تتجاذبها الشكوك ، وسر لا تتنازعه الأغيار . وأذكارها خمسة ، ولها أساس يستعمل دبر الصلوات الفرضية ، وأوراد بالليل فى خوات كل ذكر .

أما أساسها فالاستغفار ولفظه استغفر الله الغفور الرحيم ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وصيغتها اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ، ولا إله إلا الله ، ويا الله ، ويا هو ، والجملة أنها خمسة كما تقدم ، وكل منها ينقسم إلى ثلاثة أقسام كبرى ، ووسطى ، وصغرى ، على قدر همم المريدين فصغرى الاستغفار مرتين ، ووسطاه عشرون ، وكبراه مائتان ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كالاستغفار فى مراتبها الثلاثة ، الصغرى ، والكبرى ، والوسطى ، ولا إله إلا الله صغراها ثلاث مرات ، ووسطاها ثلاث عشرة مرة ، وكبراه ثلاثمائة وثلاث عشرة مرة ، ويا الله صغراه خمسة ، ووسطاه أحد عشر ، وكبراه مائة وستون مرة ، ويا هو صغراه إحدى عشرة مرة ، ووسطاه تسع عشرة مرة ، وكبراه ثلاثمائة وسبعون

مرة ، على عدد عش ، قلت هذا هو الذى أخذناه عن مشايخنا وهم قد أخذوه عن شيخ الطريقة وسلطان الحقيقة سيدى الشيخ أحمد الطيب قدس سره وعليه غالب أهل الطريقة الطيبية السمانية القادرية ببلادنا وقد وقفت على رسالة للعارف بالله تعالى الشيخ إسماعيل بن الشريف تقاديم أحد الآخذين عن الشيخ رضى الله عنه وخواصه وهو يذكر فيها أن صغرى الاستغفار سبعون مرة والوسطى من كل الأساسات الخمسة فقد أنزله بمنزلة الكبرى التى تقدم ذكرها آنفاً ، وأما الكبرى فقد ذكر أن كل واحد من الأساسات الخمسة يذكر ألفاً ثم قال : إن تقديم مشايخنا القادرية الاستغفار على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة التخلية للبيت من القذرات والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة التحلية بالبخور والتهليل بمنزلة الكرسي العظيم ، واسم الجلالة بمنزلة الملك العزيز الكريم ، وما بعده من الأسماء بمنزلة الوزراء والبيت المشار إليه قلب المرید اه كلامه فلنرجع إلى ما نحن بصدده فمن بعد قراءة الأساس الذى اختاره له شيخه من أحد أعداده الثلاثة الصغرى والوسطى والكبرى فليغمض عينيه وليذكر أسماء الإشارة وهى هذه ها ، هو ، هى ، ولأشياخنا فيها معان شتى كلها تشير إلى الذات العلية وقد رأيت فى رسالة لقطب دائرة الأكوأ قطب هذه الطريقة سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام التى تسمى بإغاثة اللهفان وموائسة الوهأان ، أن ها إشارة إلى الهاء من لا إله ، وإن هو إشارة إلى الهاء من لا الله ، وإن هى إشارة إلى الهاء من محمد رسول الله ، والألف من ها والواو من هو والياء من هى للشباع ، اه حسب^(١) ، وكيفية الإشارة بذلك من بعد تغميض عينيه ، أن يشير (بها) إلى العلو (وبهو) إلى اليمين والشمال والخلف والأمام ، مع استدارة وجهه فى ذلك ، ويشير (بهى) إلى أسفل ، ثم يقول المرید لا وجود لغير الذات المنزهة عن التشبيهات ويختم بصلاة تنجيأنا ، وأما أوراد الليل من

(١) لعله حسى .

الأسماء الخمسة المذكورة فالصغرى ، من الاستغفار سبعة آلاف ، والوسطى
إثنا عشر ألفاً ، والكبرى سبعون ألفاً ، وصغرى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
إثنا عشر ألفاً ، والوسطى إثنان وخمسون ألفاً ، والكبرى سبعون ألفاً ، وصغرى
التهليل إثنا عشر ألفاً ووسطاه خمسة وثلاثون ألفاً وكبراه سبعون ألفاً ، وكبرى
الكبرى مائة وخمسون ألفاً وذلك ما بين اليوم والليلة .

قال شيخ الطريقة سيدى الشيخ أحمد الطيب قدس سره . ولا يداوم على
هذا إلا صاحب بصيرة ، وصغرى الجلالة ، أربعة آلاف ، ووسطاه أربعة
وعشرون ألفاً ، وكبراه ستة وستون ألفاً ، وإن شئت قلت سبعون ألفاً ، وكبرى
الكبرى مائة وتسعون ألفاً ، وهو ورد سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله
عنه ، وصغرى الهوية ألفان ، ووسطاه اثني عشر ألفاً ، والكبرى تسعة عشر
ألفاً ؛ وهو ذكر الانتهاء والاستغراق فى عظمة الربوبية ، ولكل واحد من هذه
الأعداد خلوة وعلوم ومكاشفات ، وفتح يرد على قلب المريد ، ولكن الشرط
الصدق والإخلاص وصحبة العارفين بالله ، ولا ينتقل للمريد من ذكر إلى ذكر
إلا بعد ظهور الثمرة ، أو إشارة الشيخ ، أو الإذن الالهى ، أو بهاتف ، أو بإلهام
من الله ، تبارك وتعالى ، أو بإذن نبوى ، ومن فعل بخلاف هذا ، بأنه لا يجيء
منه شيء . مادام على هذه الحالة فافهم والله ولى التوفيق .

واعلم أن كيفية الذكر بالكلمة الشريفة ، بعد التأدب بآداب الذكر المذكور
فى كتب القوم ، من طهارة ووضوء واستقبال القبلة وصمت واستحضار صورة
النبي صلى الله عليه وسلم . وروحانية شيخه وغير ذلك ، هو أن يقدم . الاستغفار
ألفاً ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كذلك ألفاً ، ثم يشتغل بالعدد المأذون
فيه من أعداد الكلمة المذكورة ؛ فإذا فرغ من ذكر الاسم المفرد ألفاً ، والهوية
كذلك ألفاً .

وأما النفوس في هذه الطريقة ، لوامة ، وملهمة ، ومطمئنة ، فما دام المرید في الأولى فذكره الكلمة ، وفي الثانية المفرد ، وفي الثالثة الهوية ، وهذا ينتهي سيره بأطوار النفوس الثلاثة المذكورة ، وقد تحصل المرید في ذكره لاسم الهوية هذا . جذبات الكمال ويفتح له خزائن سر السر ، وإنما سميت نفسه فيها بالمطمئنة ، لأنهم اطمانت بعد شقها للحجاب بأنامل التسليم للقدر والامتنال بحفض الجناح الأمر المحتوم المقدر ، فكان جزاؤها بعد إقامتها لناموس هذين الوصفين ، أن يقول لها مليكها يوم حشر الثقلين ، « يا أيتها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية » الآية . وأما سند الشيخ رضى الله عنه في هذه الطريقة القادرية فإنه أخذها ولبس خرقتها من بحر العرفان ، وقطب الزمان ، سيدى الشيخ محمد ابن عبد الكريم المدنى القرشى الشهير بالعمان ، رضى الله تعالى عنه وعنا به في كل آن ، بالمدينة المنورة عام ثلاثة وسبعين بعد المائة والألف وهو أخذ الطريقة ولبس الخرقة من صاحب الكرامات والمورد الهنى ، سيدى الشيخ محمد طاهر المدنى ، وهو قد أخذ الطريقة ولبس الخرقة من كنز الحقائق ، سيدى العارف بالله الشيخ محمد الصادق ، وهو أخذ الطريقة ولبس الخرقة من الإمام العلامة الأوحى ، النحرير الفهامة المسند ، التقي المتفنن البارع سيدى محمد عقيلة بن أحمد بن سعيد المشهور والده بعقيلة الحنفى المكي رضى الله عنه ، وهو أخذ الطريقة ولبس الخرقة من الشيخ قاسم بن محمد البغدادى وأيضاً قد تلقى الذكر ولبس الخرقة من السيد محمد بن على الأحمدى والسيد عبد الله بن على أبا حسين السقاف وأجاز له مكاتبه السيد على بن عبد العيدوس الساكن بيندر سورت من أرض الهند وأخذ الطريقة ولبس الخرقة سيدى قاسم المذكور عن سيدى عايد الفتاح بالذال المعجمة ، وهو قد تلقن الطريقة ولبس الخرقة من سيدى قريب الله السائح .

روى أنه اجتهد في تهذيب نفسه وترقيتها في مقامات الكمال نحو أربعائة

سنة حتى تفرغ بعدها لإرشاد المريدين ، وهو الذى قرب به سنداننا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرنا من الفروع القادرية ، وهو قد أخذ الطريقة ولبس الخرقة عن سلطان الأولياء ، وقدوة الأصفياء سيدى عبد القادر الجيلانى الشريف الحسنى . وقد أخذ الطريقة ولبس الخرقة عن الأستاذ أبى سعيد محمد القاضى المبارك . وقد أخذ ولبس عن شيخ الإسلام أبى الحسن على بن أحمد بن يوسف الهكارى القرشى . وقال فى الأنساب : وهكار بفتح الهاء وتشديد الكاف فى آخرها راء مهملة بعد الألف ، بلدة أو ناحية من جهة فوق الموصل من الجزيرة . وقال ابن الأثير فى اللباب : وهكار ولاية تشمل على حصون وقرى من أعمال الموصل . وهو قد تلقن ولبس عن الأستاذ أبى الفرج محمد بن عبد الله الطرسوسى بسينين مهملتين بينهما واو ، نسبة إلى طرسوس ، وهى بلدة مشهورة . وهو قد أخذ ولبس من الأستاذ أبى الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحرس التيمى . وقد أخذ ولبس عن الأستاذ أبى بكر داف ، بضم الدال وفتح اللام ، ابن حيدر الشبلى ، نسبة إلى شبلة ، قرية من قرى أسروشنه بضم الهمزة وسكون السين وفتح الشين المعجمة والنون وبعدها هاء ، بلدة عظيمة وراء سمرقند من بلاد ما وراء النهر . وهو رضى الله عنه مالكي المذهب ، وهو قد أخذ ولبس عن سيد الطائفة الإمام أبى القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز ، بالخاء المعجمة والزاي المشددة المكررة ، النهاوندى القوايرى ، وهو قد أخذ الطريقة ولبس الخرقة عن خاله أبى الحسن السرى بن المغلس ، بضم الميم وفتح الغين وكسر اللام المشددة وبعدها سين مهملة ، السقطى ، وهو قد أخذ الطريقة ولبس الخرقة من أبى محفوظ معروف بن فيروز الكرخى ، بفتح الكاف وسكون الراء وبعدها خاء معجمة ، نسبة إلى قرية ببغداد ، وهو أخذ الطريقة ولبس الخرقة عن أبى سليمان داود بن نصير ، بضم النون الطاوى الكوفى تلميذ الإمام أبى حنيفة النعمان وأجل أصحابه ، وهو أخذ الطريقة

ولبس الخرقة عن حبيب بن محمد المعجمي ، وهو أخذ الطريقة ولبس الخرقة عن سيد التابعين أبي سعيد الحسن بن أبي الحسن بن عزبدل بن سربدل بن أربدل ابن مرعبل بن معربل بن مسربل بن مسرهد بن مسدد البصري . روى عن أبي نعيم أن نسبة الحسن هذه المذكورة رقية للمقرب ، وإنما الأعمال بالنيات ، وهو قد أخذ الطريقة ولبس الخرقة عن أمير المؤمنين ، ويعسوب العارفين ، وقدوة العلماء والصالحين ، أبي الحسن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهو قد تلقن الطريقة ولبس الخرقة من علم الوجود ، وشمس الشهود ، محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو عن روح القدس جبريل عليه السلام ، وهو عن رب العزة جل جلاله وتعالى أسمائه وصفاته ، وقد أدرجت هذه السلسلة الذهبية نفعنا الله بأمرارها العلمية في هذه القصيدة :

شرب المحبة من ألت اديرا	وبه الأوائل نالت التوقيرا
فقدوا سكارى غائبين عن السوى	بشهود من أهدى النبا التنويرا
لم يعرفوا غير الذى أفهام	لا أمراً أبداً ولا مأمورا
أنصخوا ملوكاً فى الزمان وسادة	وشموس فضل ظاهر وبدورا
فى كل مرتبة لهم قدم وفى	كل المجالى قد حبوا التصديرا
فرقت إلى أوج العالـا أرواحهم	وجنت من الروض الغيوب زهورا
ورأوا هناك عجائباً وغرائباً	مستورة فى غيبتها وستورا
لله يا الله من شرب به	صارت أئمتنا الكرام صدورا
فلقوا به ذوقاً بحار حقائق	ولهم كلام قد حلا تعبيرا
بمشارق الفخر العزيز فقد بدوا	بالنور بدراً قد محّا الديجورا
ومرادنا بالشرب ذلك سر ما	قد كانت فى توحيدنا مستورا

هي كلمة الإخلاص من هي خلصت
 حازت^(١) بها أمم لها فلتقنوا
 حتى تعمري صـيروا بشرابها الـ
 تاهوا بها حيث استدام شرابهم
 أملاك أحوال إذا ما شتمهم
 لا ريب أن الكون وهو عبئهم
 والسر هذا لا يكون سوى بتد
 وإذا أدبرت في الدياجي كؤوسه
 وهناك ترقص عن هوى أرواحهم
 وبكأس هذا السر توحيد الهدى
 جبريل مولاي الذي قد كان من
 هذا سقى المختار أفضل مرسل
 وهو الذي في حقه قد أنزل الـ
 شرفاً له في هذه الدنيا وفي
 هذا سقى زوج البتول على من
 هذا سقى حسن المعالي إمامنا الـ
 هذا سقى العجى ذاك حبيبهم
 هذا سقى داوداً الطاء الذي
 هذا سقى معروفاً الكرخي حـ
 هذا سقى محي الدياجي سريهم

من كان في أيدي الرجيم أسـيرا
 علماً وعزاً دائماً وجبورا
 أشهى نحاسي الطباع نصيرا^(٢)
 من كأسها واستعملوا التبصيرا
 لرأيهم بعيون قلبك نورا
 فيه^(٣) فائر حكمهم تأثيرا
 قمين امرئ فضل الوري تـشميرا
 فاحت لكل الشاربين عـبـيرا
 طرباً بشرب قد أهاج ضمـيرا
 أسقى الإله أمينه المنصورا
 مولاه للرسل الكرام سـفـيرا
 من جاء بالحق المبين بشيرا
 رحمان قولاً صادقاً مزبوراً
 يوم به للدار كان زفيرا
 بالعلم كان مكاشفاً وخـبـيرا
 بصري من بالحق كان بصـيرا
 كأساً غدا شرابها مغمورا
 قد كان روضاً في المعلوم مطيرا
 تـي صار عن غير الإله نفورا
 كأساً سري في كل قلب نورا

(١) معناه حازت بها أمم علماً وعزاً فلتقنوا لها فقيه تعقيد لفظي سبب خفاء معناه .

(٢) أي ذهباً نصيراً . (٣) فيه متعلق بأثر .

هَذَا سَقَى فخر الطريق جُنَيْدَهُم
لله دره من فتى متبحر
هَذَا سَقَى الشبلى من جرياله
هَذَا سَقَى الأستاذ عبد الواحد الـ
هَذَا سَقَى طرسوسهم أعنى أبا الـ
هَذَا سَقَى العلم الحكارى الذى
أعنى أبا الحسن الامام المرتضى
هَذَا سَقَى القاضى المبارك ياله
هَذَا سَقَى كنز الغنى غوث الرجا
سلطان كل الأولياء الجيلى من
رب الكرامات التى لم يحصها
أهلا به من سيد سرنا به
هَذَا سَقَى القطب الهدادى عَلَيْهِم
هَذَا سَقَى السامى قريب الله من
من ساح عد التواء من أعوامنا
هَذَا سَقَى الأستاذ ذاك العائد الـ
هَذَا سَقَى من خندريس قاسماً
هَذَا سَقَى طود العلوم عقيلة الـ
هَذَا سَقَى شيخ الشيوخ محمداً
هَذَا سَقَى للطاهر الأواه ذا
هَذَا سَقَى قطب المدينة سيد الـ
بواب خير الأنبياء محمد الـ

فسقى الأنام صغيره وكبيره
قد فاق فيضا أنهره وبحوره
كأساً بها فى الله غاب عصوره
فرد الذى للكاس كان مديراً
فرج الذى فى القوم كان أمير
قد كان سحباً ماطرأ وهيمراً
قولاً وفعلأ غيبة وحضوره
من شيخ علم كم أفاد حبور
شمس الضحى بدر الدجا المشهور
اسقى من الكاس الطهور كثيراً
قلم البنان ولا أمرؤ تعبيرا
دنيا وفى يوم يكون أخيرا
كأساً بها قد لازم التشميرا
قد كان فى كشف الغيوب شهيرا
بأجل العالى أتى مسطورا
فتاح من فى الفتح كان كبيرا
قسما بمن أعطاه كان عطيرا
مكى من ساد الكبار صغيرا
أعنى بذاك الصادق المنظورا
ك محمد كأس جلى التكديرا
سادات كأسا منزعا نخمورا
سمان من فاق البدر ظهوراً

من كان من بيت الورى نظراته
 فوحي ما قد ناله من ربه
 هذا سقى قطب الحضائر طيب الـ
 نجل البشير فياله من كامل
 فكأنه في أى قلب سعادة
 بركاته عمت وأعجز آية
 لله در أولئك القوم الألى
 أشياخنا الغر الألى هم في الورى
 من لم يكن متمسكا بجنابهم
 وكذلك من لم ينتظم في سلوكهم
 لو يعلمون الناس ما هم فيه من
 أم كيف لا وهم السلاطين الألى
 تاتى من المولى بواسطة لهم
 فوحيهم دنيا وأخرى لا يضا
 لهم الشفاعة في غدد خديتها
 وعلى النبي صلاة مولاه الذى
 وعلى الصحابة ثم آله ما تلا
 أوهاج قلب عند نعمة طائر
 ولسدى معروف الكرخى رضى الله عنه هذا نسبة أخرى وهو أنه قد أخذ
 الطريقة عن على الرضا بن موسى السكاظم وهو عن أبيه السيد موسى السكاظم
 وهو عن أبيه السيد جعفر الصادق وهو عن أبيه السيد الباقر وهو عن أبيه السيد
 زين العابدين وهو عن أبيه الامام الحسين وهو عن أبيه أمير المؤمنين على

ابن أبي طالب كرم الله وجهه وهو عن سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

واسيدى جعفر الصادق هذا رضى الله عنه وصلة أخرى وهو أنه قد أخذ الطريقة عن جده لأمه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وهو أحد الفقهاء السبعة من التابعين بالمدينة وكان من أكملهم في علم الظاهر والباطن وهو قد أخذ الطريقة عن سلمان الفارسي رضى الله عنه وهو قد أخذها عن أبي بكر الصديق وهو عن النبي صلى الله عليه وسلم .

واسيد الطائفة الامام أبي القاسم الجنيد قدس سره اتصال أيضاً بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبالامام على بن أبي طالب من جهة أويس القرنى وعبد الله بن مسعود من طريق الفضيل بن عياض رضى الله عنه فمن تلك الجهة تكون الطريقة القادرية متصلة بالطريقة الأويسية والفضيلية أيضاً .

وللقطب الأعظم سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه وصلة أخرى إلى عمر وابن عباس وهو أنه قد أخذها عن أبي الخطاب محفوظ الكلودانى عن القاضى أبي يعلى عن مولانا الحسن بن حامد عن مولانا أبي بكر عبد العزيز عن أحمد بن محمد الخلالى عن أبي بكر المروزى عن الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمر وابن عباس رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وله رضى الله عنه وصلة أخرى إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه وذلك أنه أخذ الطريقة عن أبي الوفاء الكردى عن سيدى أبي محمد الشنكى وهو عن أبي بكر بن هوار البطايجى عن روحانية سيدى أبي بكر الصديق رضى الله عنه فتسبته إليه كنسبة أويس القرنى عن روحانية النبي صلى الله عليه وسلم . قال العارف بن باديس رضى الله عنه في منظومته المشهورة :

ولابن هوار في المقامات رتبة تقاعس عنها ذو التكاسل والنفس
رأى المصطفى في نومة قائله أبو بكر الصديق شيخك في الأنس
فأصبح مكسوا من الصوف جبة وطاقيه تمحو التأليل من باس
وقال ستحي سنة القوم بعدما أميت وتفشو بالعراق إلى الرمس
فنال شهيراً في الآفاق كأنما له الخلق حشوا بالدعاء إلى النيس

وأما كيفية أخذ المريد من الشيخ فيها فهو أن يحدد الوضوء أولاً وإن اغتسل
فهو أفضل ، ثم يصلي ركعتين تحية الإرادة بالفاتحة مرة والإخلاص سبعاً ، ثم
يجلس أمام الشيخ على هيئة جلسة التشهيد ، والشيخ يمسك المريد بيده ويقرأ
بسم الله الرحمن الرحيم مرة ، واستغفر الله سبعة مرات ، آمنت بالله وملائكته
ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله تعالى ، والبعث بعد الموت حق
مرة واحدة . ويقول بعد ذلك أسلمت وجددت إسلامي وتطهرت من جميع الذنوب
توبة نصوحاً وتبرأت من الكفر وموجباته . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً عبده رسوله . أخذت الطريقة والخلافة والأجازة ، ولبست التاج
أو العمامة وعاهدت الله على يد الأستاذ الفلاني على الاستقامة والشرعية الغراء
بتقوى الله والتفويض في جميع الأمور إلى الله ، والرضا بقضائه ، والشكر على
آلاء الله كما عاهد هو على يد شيخه فلان الفلاني ، وهكذا إلى ما شاء الله من
مشايخ السند محلياً لهم بأبلغ الأوصاف وأكملها إما إلى آخره أو ما أراده منهم .
ثم يقرأ إن الذين يبايعونك الآية ، ثم الفاتحة ويدعو للمريد بالاستقامة على
الشرعية والطريقة ثم يعلمه راتب الطريقة القادرية ، وهو أن يقرأ الفاتحة بعد
صلاة الصبح ويهدي ثوابها لروح النبي صلى الله عليه وسلم ، وروح سيدنا عبد القادر
الجيلاني رضي الله عنه ، وجميع السادة القادرية .

قلت وأما كيفية أخذ العهد في هذه الطريقة السمانية عن مشايخنا فيها رضوان

الله عليهم هو أن يلقي الشيخ مریده هذه الكلمات قبل الكلمة الشريفة وآية
المبايعة بعد أن يمسك إبهام المريد من يده اليمنى . رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً
وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، وبالقرآن دليلاً ، وبالكعبة قبله
وبالشيخ فلان شيخاً ودليلاً إلى الله ورسوله وبالمؤمنين إخوة والطاعة تجمعنا
والمعصية تفرقنا ، ثم يقرأ الاستغفار مرتين والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
مرتين ، ولا إله إلا الله ثلاثاً ، نافياً عن يمينه مثبتاً عن شماله ، وبعدها يقول : محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يا الله خمساً ، ثم هو إحدى عشرة مرة ، ثم أسماء
الإشارة المذكورة آنفاً ، ثم يقول لا وجود لغير الذات المزهة عن التشبيهات ، ثم
يقرأ صلاة تنجيناً . الخ . ، ثم يقول سلكت هذه الطريقة القادرية السمانية
الجنيدية العلوية المحمدية الجبريلية الإلهية . اللهم انفعنا بها ثلاثاً ، ثم يخرجان
يديهما من الاشتباك ويرفعانهما للفاحة ، ثم يقبل يد شيخه ويشغل بما يأمره به
من الأوراد .

وللسادة القادرية أيضاً رضى الله عنهم كيفية أخرى في المبايعة والتلقين ،
وهو أن يجلس الشيخ مستقبل القبلة على طهارة ووضوء وخشوع وأدب ، كحالة
جلوسه للصلاة ، والمريد يكون كذلك على طهارة ووضوء ، ثم يأمره بالتوبة عند
إرادة السلوك تبعاً لقول الله تبارك وتعالى : « إذا جاءك المؤمنات يبائعنك » الآية
وبصلاة ركعتين لله تبارك وتعالى ، ثم يأمره بأن يدنو منه ، بحيث يلصق ركبته
بركبته أو قريباً من ذلك ، ثم يأخذ الشيخ بإبهام المريد اليمنى فيقرأ كل واحد
منهما التعوذ والبسملة والفاحة إلى آخرها ، ثم الاستغفار مرتين ثم الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم مرتين ، ثم يأمر الشيخ المريد أن يغمض عينيه ويفتح عين
قلبه ملاحظاً لمعنى الذكر ، فيلقنه لا إله إلا الله ثلاث مرات ، مبتدئاً بلا إله
بجهة القاب خاتماً بإلا الله صعوداً وهبوطاً ، ثم يقرأ بعد ذلك رضيت بالله رباً

و بالإسلام ديناً و بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، و شيخنا فلان شيخاً ،
فإن زاد على ذلك فواسع ، و يقرأ آية المبايعة « إن الذين يبايعونك - إلى - عظيم »
ثم يقبل المرید يد شيخه و يخرج يده من يده ثم يرفعانها بالقائمة ، و يدعو الشيخ
لمريده بالمغفرة و العفو و العافية و القبول لعله ينال بها من الله القربة و الوصول .

الفصل الرابع

في الكلام عن الخرقة

إعلم أن الخرقة ، و هي عبارة عن كل ما يلبسه الشيخ للمريد من قميص و ثوب
و قلنسوة ، سواء كان ذلك أخضر أو أسود أو أحمر أو أبيض على أنواعها ، و كذلك
تاج السادة الخلوتية . و قد اختلف العلماء في صحة الحديث الوارد في الخرقة و اجتماع
الحسن البصري بالإمام على كرم الله وجهه و أخذه منه و تلقينه . فقال ابن دحية
و ابن الصلاح و الدمياطي و الذهبي و المسكاري و ابن حبان و العراقي و غيرهم ببطلانه
و ألاكثر على صحته ، و هو الأرجح .

و قد ذكر العلماء في الأصول في وجوه الترجيح ، أن المثلث مقدم على النافى
لأن معه زيادة علم . و استدلل القائلون بصحة الحديث بما أورده المزني في التهذيب
من طريق أبي نعيم عن أبي القاسم عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا
بسنده إلى يوسف بن عبيدة ، قال : سألت الحسن البصري فقالت يا أبا سعيد ،
إنك تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنك لم تدركه . قال : يا ابن أخي ،
لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ، و لو لا منزلتك عندي ما أخبرتك ،
إني في زمان ، كما ترى ، فكلمنا سمعتني أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو من على بن أبي طالب رضي الله عنه ، غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر
عليما . و كذا نقل سيدى الشيخ أبو بكر العيدروس في الجزء اللطيف ، بسنده

إلى الحافظ أبي طاهر السائق أن نسبة الخرقه انتقلت من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وكذا إلى الحسين ، وانتقلت من علي إلى الحسن البصري ، ومن الحسن إلى زين العابدين . وفي البراهين الكسبية أن من خدش في طريق لبس الخرقه من المتأخرين متمسكه في ذلك عدم سماع الحسن من علي رضي الله عنه بناء على إنكار جماعة من الحفاظ سماعه ، ولم يبق دليل على نفي اللبس غير إنكار السماع . فإذا صح وثبت بأسانيد الأئمة المعتبرة في الكتب المعتمدة ، كالإمام أحمد والترمذي والنسائي والحاكم والضياء المقدسي وأبي نعيم والدارقطني وأبي يعلى وغيرهم . لم يبق للخدش النافي متمسك في الخدش ثم قال : إن لبس الخرقه من طريق الحسن البصري قد رواه جماعة من أكابر أهل الله ، ومن المعلوم أن فيهم من هو جامع بين الفقه والتصوف وطرف صالح من الحديث ، كالشيخ عبد الكريم بن هوازن القشيري وأطال في ذلك فراجعه إن شئت . وقال الشيخ أحمد الطاهر الحميري : في مطية السالك إلى ملك الممالك ، في الكلام عن الخرقه نقلا عن الإمام الشعراني في مدارج السالكين .

وقد رأيت في بعض الكتب أن أصل هذه الخرقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيت في بعض الكتب أن أصل هذه الخرقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أخرج له جبريل صندوقاً ففتحها فإذا فيه خرق خضر وحمر وسود فقال ما هذا يا جبريل : فقال هذه خرق ستكون لخوادم أمتك قال : ورأيت هذا الحديث متصل السند من صاحب الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : رواه البزار أيضاً بأسناد لا بأس به والله أعلم . لكن قال شيخنا هذا متكلم فيه نعم قد أوصل في المدارج سنده في الخرقه من شيخه سيدي محمد الشناوي اللابس من يد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري إلى أويس القرني وفيه أنه لبسها من يد عمر وعلى رضي الله عنهما بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لهما بذلك وأنهما رضي الله عنهما لبساها من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليه الصلاة

والسلام لبسها من يد جبريل عليه السلام في بعض الإسراءات السماوية وجبريل لبسها بأمر الحق جل وعلا قال : وهذا مجمع عليه فما ذكره ابن خلدون في مقدمة تاريخه من أنه لا أصل لرفع سند الخرقة إلى علي رضي الله عنه وأنه كرم الله وجهه برىء من ذلك وأنه لم يختص من بين الصحابة بتحلية ولا طريقة في لباس ولا حال وإن الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة لم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه . مردود وفيه من القدح في أئمة الدين العارفين ما لا يخفى وكان صلى الله عليه وسلم يخص من شاء من أصحابه بما شاء من العلوم والطرائق كما خص حذيفة رضي الله عنه بعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة أفاده في سمرود المطالع ، لكن قال الزرقاني في مختصر المقاصد لبس الخرقة المشهور بين الصوفية باطل لا أصل له نص عليه جمع من الحفاظ حتى من لبسها اقتداء بالسادة الصوفية وألف الجلال السيوطي مؤلفاً سماه (اتحاف الفرق برفو الخرقة) لكن غاية ما فيه إثبات أن الحسن البصري سمع من علي في الجملة وليس فيه إثبات أن علياً ألبس الحسن ولا أن المصطفى ألبس علياً الخرقة على الصورة المتعارفة بينهم اهـ .

ثم الكلام إنما هو في أصل السند فأما لبسها من أهلها لأهلها فهو معروف لا ينكر ، فكل قوم شعار ولكل شعار وقار ، وقد نصوا على جواز تمييزهم في الحياة وبعد المات وأما لغيرهم فلا يجوز . قال الصاوي في شرح الصلوات ، قال بعض العارفين أن خرقة القوم لأهلها نور وزينة ، ولغيرهم سماجة وظلمة بل يدخل في الوعيد لقوله تعالى (ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) . وأما قول بعض العارفين :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

فالمراد التشبه بالعمل ومجاهدة النفس ، قال السهروردي : لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ والمريد وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه ، والتحكيم سايع في الشرع

مصلح دنيوية فهاذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق في طلبته يقصد شيخاً بحسن الظن وعقيدة يحكمه في نفسه لمصلح دينه يرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجهيد ويبصره بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو ويسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه ، فيلبسه الخرقة إظهاراً للتصرف فيه ، فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ ودخوله في حكم الله ورسوله وإحياء سنة المباشرة مع رسول الله اهـ . من عوارف المعارف والله در العارف بالله تعالى سيدى عبد الرحيم البرعى حيث قال :

لله فرقة أقوام تداوواها أئمة لهم التمكين والجاه
إلى أن قال :

وكم خلائق لا يحصون عدتهم في نهج فرقنا تاهوا وما تاهوا
وأما إدخالنا في الخرقة لتاج السادة الخلوتية ، فقد ذكره سيدى الشيخ أحمد الصاوى في شرح الصلوات مما يسمى بالتاج بين الصوفية الذى يوضع على الرأس وقرصه صوف أبيض ، وهى الخرقة المعروفة للسادة الخلوتية التى هى شعارهم وفيه إشارة كما قال أستاذنا المؤلف رضى الله عنه إلى سلوك طريق التصوف وبياض القلب وهو مضرب على وجه مخصوص محيط به أربع جلالات . أى فى كل جهة اثنا عشر ضلعاً عدة حروف لا إله إلا الله إشارة إلى شهود إحاطة الرب به إحاطة من جميع جهاته إحاطة قيومية معنوية لا حسية تنزه الله عن ذلك . وبعضهم يجعل وسطه زراً إشارة إلى الوحدة وبعضهم يجعله خالياً إشارة إلى الفناء وبعضهم يجعل فى وسطه هاء هكذا (هـ) إشارة إلى الهوية الدائرة بالعالم دوران علم وقدرة وقيومية لا دوران حس . اهـ .

الفصل الخامس

في طريقته الخلوتية الجنيدية المنسوبة إلى أبي محمد الخلوتي

قال سيدى مصطفى البكرى قدس سره في شأنها إن طريقتنا خلاصة جميع الطرق وإنها تجمعها ، وذكر مالهام من الخصائص في مؤلفاته الشهيرة ؛ قال أبو البركات في شرحه لفرائد الفوائد عند قول الناظم :

وكن على نهج الجنيد سارى فإنه طريقتنا المختار
وإن نهجنا أتنا منـه معنعنا كما رواه عنه

يعنى أن نهجنا أى طريقنا السالكين نحن عليه وهى الطريقة الخلوتية المنسوبة لأبي محمد الخلوتي رأس الخلوتية وإمامهم كان يلزم الخلوة كثيراً وكذا أتباعه فسموا الخلوتية ، قد أتنا أى ذلك النهج منه أى من الجنيد معنعنا أى مسنداً لإمام عن إمام كما رواه الثقات عن الجنيد . فقد رواه أستاذنا القطب الربانى أوحـد العارفين ، وإمام السالكين سيدى مصطفى بن كمال الدين البكرى والد المصنف عن شيخه العارف بالله تعالى الشيخ عبد اللطيف إلى أن أوصلها إلى القطب العارف بالله تعالى أبي محمد الخلوتي ثم منه إلى إمام الصوفية أبي القاسم الجنيد ، ثم منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين أركانها وأورادها فى المنهل العذب ووضع فيها أوراداً أجملها الورد المشهور فى آفاق الدنيا تلقته الأئمة بالقبول ، وهو ورد السحر . وهى أقرب الطرق إلى الله تعالى ، كما قال فى قصيدة :

ألا إن نهجى نهج خير الخلائق محمد الداعى لأسنى الرقائق
فهيا اسلكوا يا قوم إن طريقي خلاصة ما تحويه كل الطرائق
وإن رمتما سيراً بها يا أولى النها فجزوا بسيف الجـد عنق العلائق
وإنما كانت خلاصة ما تحويه كل الطرائق ، لأنها بعد أن شاركت

الطرق في الأركان من الجوع والسهر والعزلة والصمت وملازمة الذكر والفكر وخصوص النية لله وحده ، وإسناد الشيخ عارف سلك طريق القوم ليسلم له قيادته ويخرج عن اختياره لما يراه فيه ذلك الشيخ ، والصدق في الجميع : اختصت بأشياء لم يوجد مجموعها في غيرها ، وذلك لأنها احتوت على أكثر من ثلاثمائة آية كل يوم وليلة في كتاب الله تعالى ، باعتبار ختم الصلاة ، وسورة يس وما يليها من ورد الستار وتبارك وعم يتساءلون وغيره ، وأكثر من خمسمائة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، باعتبار ما تفرق في الأوراد ، مع قراءة الدر الفائق وعلى أكثر من ثلاثمائة استغفار ، باعتبار ما يتلى في الأوراد ، مع ورد المسبحة ، وما يتلى قبل صلاة الصبح ، وعلى تلاوة أسماء الله الحسنى كل يوم ، وعلى قراءة سورة الإخلاص ، مع تسبيح مخصوص ، وهذا المجموع لم يوجد في طرائق القوم على تقليل الطعام ، والكلام ، والمنام ، والاجتماع على الأنام ، مع ذكر الله تعالى على الدوام ، وصحبة شيخ عارف يقطع بالسالك مفاوز الأوهام ، مع اجتهاد وصدق عزيمة ومراقبة الملك العلام اه بحروفه .

وقال في المنهل : وقد سردنا مجموع ما يقرأ المريد في الأوراد الليلية والنهارية ، ما خلا ورد الستار والصلوات ، وأوردناها فرأيناها يزيد على مائتي آية من كتاب الله تعالى . وقد جاء في الحديث الشريف « من قرأ مائتي آية فقد أكل كثر » . رواه أبو نعيم عن المقداد . وفي رواية « من قرأ أربعين آية في ليلة لم يكتب من الغافلين ، و « من قرأ مائة آية كتب من القانتين » . و « من قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة » . و « من قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر » . وفي رواية : « من قرأ ثلاثين آية في ليلة لم يضره تلك الليلة سبع ضارٍ ولا لص طارٍ وعوفي في نفسه وأهله وماله حتى يصبح » ، رواه الديلمي عن ابن عمر إه مطية السالك .

واعلم أن النفوس في هذه الطريقة سبعة ، وحقيقتها أنها نفس واحدة وإنما تعددت باعتبار صفاتها : أمانة ، لوامة ، ملهمة ، مطمئنة ، راضية ، مرضية ، كاملة ، وحقيقة النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسمّاها الحكيم الروح الحيواني ، وهي جوهر مشرق للبدن ، وعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن دون باطنه . فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد ، إلا أن الموت هو الانقطاع الكلي ، والنوم هو الانقطاع الناقص . فثبت أن القادر الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب فتى بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه فهو اليقظة ، وإن انقطع ضوءها عن ظاهره دون باطنه فهو النوم ، وأما بالكلية فهو الموت . والنفس الأمانة هي التي تأمر بالشهوات واللذات الحسية وتجذب القلب إلى الجهة السفلية ، فهي مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة . قال في جامع الأصول : إعلم أن النفس شأنها عظيم ، وأمرها خطير ، وقد جاءت في التحذير منها الآيات والأحاديث ، والحث على تزكيتها والتبري منها . فمن الآيات قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد » . وقوله : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » . وقوله : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي » . وقوله : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » .

ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم : « إن أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك » . وقوله : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » . وعلى جميع المسلمين وجوب مراقبة الله وتهذيب النفس وتزكية أخلاقها على كل من لم يرزق قلباً سليماً وهذه النفس مذمومة عند كل شخص وفي كل زمان بل أهل جميع الملك متفقون على ذم النفس والتحذير من مكرها ، وخداعها ، وعدم الميل إلى غرورها ، فذلك جعل أئمة الطريق أول اشتغال المرید بقهر النفس ورياضتها ،

ومخالفة هواها ، وقطع مألوفاتها ، وشبهواتها ، وأمره بالحذر منها والمسكر منها وأزمه بحاسبتها ، قال عليه الصلاة والسلام (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) . وقال البوصيري رحمه الله تعالى :

وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر أن السم في الدسم
فلذا فرضت معرفتها فرض عين على كل فرد من أفراد الوجود لأن معرفة
الرب موقوفة على معرفة النفس لقوله عليه الصلاة والسلام : (من عرف نفسه فقد
عرف ربه) وتقيضه من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه ، فمعرفة الرب فرض عين
لأن عبادة الرب تعالى تتوقف على معرفته ؛ لأن من لم يعرفه لم يعبد ، والحاصل
أن معرفة النفس منبع العلوم والحكم ومطلع الفضائل والشيم ومصباح كشف
أحوال الملكوت ، ومشكاة شهود أنوار الجبروت ، ومعارض الوصول إلى حضرة
اللاهوت ، فما يصل أحد من بني آدم إلا بمعرفة نفسه ومعرفة النفس لا تحصل
بنظر عقلي ، بل إنما تحصل بنور يقذفه الله تعالى في قلب عبده ، ولا يقذف الله
ذلك النور إلا في قلب من تمسك بحبل الشريعة الغراء ، وأثبت بذيل السنة
العلماء ، من الرياضات المتعالية والمجاهدات المتوالية بالانسلاخ عن الدنيا بالكيفية ،
والتجرد عن القوة الجزئية والكيفية ، وتركية النفس عن الصفات الردية ، وتوصيفها
بالأخلاق الحميدة ، فبعد ذلك يقذف الله تعالى على قلبه نورا من عنده وبذلك
النور يعرف نفسه ، ثم يعرف ربه كما قال تعالى : (أفمن شرح الله صدره للإسلام
فهو على نور من ربه) فمن ذلك جميع علوم الأنبياء ، والأولياء ، والعرفاء بالله (ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ، ولا يظن ظان أن تلك المعرفة تحصل بقراءة
الكتب الشرعية ، ومطالعة كتب الصوفية ، من غير مجاهدة بالأعمال الصالحات
وغير تركية النفس وتجريدها عن الشواغل البدنية فهيئات أن يعطى ذلك الظان

معرفة أو كشفاً أو شهوداً . اه . ملخصاً من جامع الأصول لكن مع حذف
أو زيادة . اه .

وحيث علمت أن عدد النفوس سبعة كما تقدم لك ذلك ، فقد وضع أهل
طريقتنا الخلوتية أسماء سبعة لأن كمال كل نفس وخلصها من الحجب الظلمانية
والنورانية لا يحصل إلا بتجليات تلك الأسماء على الترتيب المعلوم عندهم وهو الذي
تقدم . أمانة . لومة . ملهمة . مطمئنة . راضية . مرضية . كاملة .

فالأمانة وهي تأمر بارتكاب السيئات وتزين لصاحبها ذلك بحيث يرى معاصيه
حسنات وهي نفس الفساق لا تأمر بخير أصلاً أخذوها من قوله تعالى (إن النفس
لأمر بالسوء) وضعوا لها من الأسماء (لا إله إلا الله) لنفي الأغيار من كل
حجاب ظلماني .

واللومة : هي التي بعد وقوع صاحبها في مهامه المعاصي لا مته على فعله لعرفانها
أن ترك ذلك أدب مع مالك النواصي وأخذوها من قوله تعالى (ولا أقسم بالنفس
اللومة) ووضعوا لها الاسم الأعظم ، وهو (الله) للخلاص فإن تجليه يضيئها .

والملهمة : هي التي تلهم المرید وترشده للخير وللعمل السديد ، وبسببها يظهر له
بعض الإلهامات والمكاشفات وهي^(١) إلا على من وفق وهي من أعظم الآفات
وأخذوها من قوله تعالى (فألهما فجورها وتقواها) ووضعوا لها الاسم الثالث
وهو (هو) بالسكون والمد وهو موضوع لحقيقة الحق فذكره يناسب الغائي في ذات
الله وصاحب هذه النفس فإن في مقام السكر .

والمطمئنة : وهي التي اطمأنت على مداومة الطاعات وملازمة الاستقامة على مر
الآنات ، وهي أول درجات العارفين ، ويطلق على صاحبها نسبة العارف عند أهل
التمسكين وأخذوها من قوله تعالى (يا أيها النفس المطمئنة) ووضعوا لها (حقاً) لأن

(١) هنا كلمة ساقطة وإعلها شافة أو عسيرة أو حجاب والمراد المكاشفات إلا على من
وفق فإنه لا يلتفت إليها بل يقول مقصودي أمانى والله أعلم .

تجليه يحصل به دوام الطمانينة لكون معنى حق الثابت الذى لا يقبل الزوال
أزلاً ولا أبداً .

والراضية : قد أخذوها من قوله تعالى (راضية) وهى التى رضيت لأحكام المولى
واطمانت تحت أقداره تبارك وتعالى ووضعوها من الأسماء (حيا) لتجليه عليها
بالحياة السرمدية .

والمرضية : أخذوها من قوله تعالى : (مرضية) والمعنى أنها مرضية، للرب جل وعلا
ووضعوها (قيوماً) لأن به قوام العالم ، فتخلع على صاحبها خلعة القيومية فيصلح
للخلافة الكاملة وهى من قوله تعالى (وادخلني جنتي) ووضعوها قهاراً لتخلع على
صاحبها خلعة يقهر بها المعاندين والمعرضين لأنه صار داعياً من دعاة الحق . قال العارف
سيدى محمد الجفرى فى شرحه على وسيلة شيخه وأستاذه القطب سيدى الشيخ محمد
السمان قدس سره . (وصاحبها هو الذى انصف بجميع المقامات ومقامه القطبية عند
السادات نفعا الله بهم فى الحياة و بعد المات) . وأما سند الشيخ رضى الله عنه فى هذه
الطريقة الميمونة والذخيرة الخزونة فإنه رضى الله عنه أخذها من قطب دائرة الأكران
المربى بنظرات سيد ولد عدنان سيدى الشيخ محمد بن عبد الكريم المدنى القرشى
الشهير بالسمان ، وهو قد أخذها على من لا زال نهر فيضه على القلوب يجرى ، شيخ
مصر والحجاز والشام السيد مصطفى بن كمال الدين البكرى، وهو قد أخذها عن الشيخ
عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي ، وهو عن العارف بالله مصطفى افندى الأدرنى
وهو عن سيدى على قره باشا افندى واشتهرت الطريقة به، وهو عن سيدى إسماعيل
الجرومى ، وهو عن سيدى عمر القوادى، وهو عن سيدى محيى الدين القسطنطينى
وهو عن الشيخ شعبان ، وهو عن خير الدين التوقادى ، وهو عن جابى سلطان
الأقسدائى الشهير بجمال الخلوقي، وهو عن محمد بهاء الدين الأرذنجاني، وهو عن سيدى
يحيى الباكوبى، وهو عن صدر الدين الخيالى، وهو عن سيدى الحاج عز الدين، وهو

عن محمد مبرام الخلوٲى؁ وهو عن عمر مبرام الخلوٲى وهو الذى انبلجت الطريقة على يديه؁ وهو عن سيدى محمد الخلوٲى؁ وهو عن إبراهيم الزاهد التكلانى؁ وهو عن سيدى جمال الدين التبريزى؁ وهو عن شهاب الدين محمد الشيرازى؁ وهو عن ركن الدين محمد النجاشى؁ وهو عن قطب الدين الأبهري؁ وهو عن أبى النجيب السهروردى؁ وهو عن عمر البكرى؁ وهو عن وجيه الدين القاضى؁ وهو عن محمد البكرى وهو عن محمد الدينورى؁ وهو عن سيد الطائفة الجنيد بن محمد البغدادى؁ وهو الذى انتهت إليه الطرق المشهورة؁ وهو عن السرى السقطى؁ وهو عن معروف السكرخى؁ وهو عن داود بن نصير الطائى؁ وهو عن حبيب العجمى؁ وهو عن الحسن البصرى؁ وهو عن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه؁ وهو عن سيد الكائنات عليه الصلاة والسلام؁ رضى الله عنهم وألحقنا بنسبهم أجمعين .

الفصل السادس

في طريقته الأنفاسية نسبة إلى الأنفاس

جمع نفس بفتحٲين؁ وهو نسيم الهواء . سميت بذلك لمصاحبٲها وملازمتها الأنفاس في خروجها ودخولها . وكيفيتها إذا خرج منك النفس تقول الله؁ وإذا دخل تقول هو بالسكون . وهذه الطريقة من أعظم الطرق لاشتغالها على هذين الإسمين : الإسم الأعظم الذى هو الله . والثانى اسم الهوىة لتخصيصها بالجمع بينهما؁ بين النفسين الصاعد والهابٲ؁ بحيث لا تجرد النفس ولا الخاطر دخولا على قاب ذاكِرهما . واعلم أن اسم الهوىة محيط بجميع الموجودات؁ وهذا الاسم؁ أعنى الله؁ مستودع جميع معانى الألوهية؁ وصفات الربوبية؁ وهو كنز الأزلية؁ وخزانة القدسية . فجميع ما اشتملت عليه اللاهوتية والملكوٲية والجبروتية مندرجة في سره في خزائن غيبه والذكر به؁ وهو يكون قابلياً بالجنان من غير حركة اللسان؁ وذلك

بالإثبات من غير نفي ، كما أمر الله به نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله : « قل الله ثم ذرهم » . وهي نسبة الصديق الأعظم التي أخذها باطنياً من المصطفى صلى الله عليه وسلم . وهذا هو السر الذي وقر في صدره كما دل عليه الحديث : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة بل بشيء وقر في صدره » . وهذا هو ذكر الصديقين من دوائر الأولياء ، وجميع خوارقهم متوقفة على الذكر به في الملكوتيات والشهاديات . قال في مطية السالك ، إلى مالك الممالك : وذكر ابن العربي إن هذا الذكر ذكر الخاصة من عباد الله الذين عمر الله بأنفسهم العالم . وقال الياقني رحمه الله تعالى : إن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذكر الأولياء . وذكر الأقطاب : الله ، الله ، الله ، يسكون الهاء وتخفيف الهمزة ، كذا ذكره في شمس الآفاق .

وقال أبو العباس المرسى لبعض أصحابه : ليكن ذكرك الله فإن هذا الإسم سلطان الأسماء ، وله بساط وثمره ، فبساطه وثمرته النور ، ثم النور ليس مقصوداً لنفسه وإنما يقع به الكشف والعيان ، وقال في البراهين الكسبية سيدي شيخ بن محمد الجفري رحمه الله تعالى : إن الإسم الأعظم هو الاسم (الله) عند أكثر العلماء رضي الله عنهم لأنه الإسم الجامع المنعوت بجميع الأسماء قال تعالى (هل تعلم له سميّاً) أى هل تعلم أن غيره يسمى الله قلت : وقد رأيت في الدر المنثور في تفسير الأسماء الحسنى بالمشهور للعالم الفاضل النحرير الكامل الشيخ عبد العزيز نفعنا الله به من بعد كلام على هذا الإسم الله وكونه لا يطلق على غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازاً ، قدمه على بقية الأسماء ، بخلاف سائر الأسماء ؛ فإنه قد يطلق على غيره مجازاً كالتقادر والرحيم والعليم هكذا قيل واعترض باسم الرحمن ، فإن أجيب بأنه أطلق على مسيلة الكذاب اعترض بالمثل وهو أن بعض النساء سميت ابنها الله فنزلت نار من السماء فأحرقتها ، إلا أن يقال : فرق بين من بقى أويقات ومن هلك سريعاً وقد رجح بعض

الصوفية الذكر به على الذكر بكلمة (لا إله إلا الله) قال الإمام المرسى: استحياء من النفي والإثبات في حضرة مشهودهم، وفي النفحات الإلهية في كيفية سلوك الطريقة الحمديدية لسيدى الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان قدس سره نقلا عن مفتاح الفلاح لسيدى تاج الدين بن عطاء الله السكندري، سأل رجل الشبلى: لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله؟ فقال: لأن الصديق أعطى ماله كله فلم يبق معه شيء فتخلل بكسائين بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلفت لعيالك؟ فقال: الله فلذا أنا أقول الله فقال السائل: أريد أعلى من هذا فقال الشبلى: استحي من ذكر كلمة النفي في حضرته والكل نوره قال: أريد أعلى من هذا، فقال الشبلى: قال الله لنبيه (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) فقام الشاب وزرع زعقة فقال الشبلى: الله فزرع ثانياً فقال الشبلى: الله فزرع ثالثاً ومات، فاجتمع أقارب الفتى وتعلقوا بالشبلى وادعوا عليه الدم، وحملوه إلى الخليفة فأذن لهم ودخلوا عليه وادعوا الدم. فقال الخليفة للشبلى: ما جوابك؟ فقال: روح حنت، ورنث، وسمت، وصاحت، فدعيت، فسمعت، فأجابت، فما ذنبي؟ فصاح الخليفة: خلوا سبيله. قال شيخنا في هذه الروح الزكية، التي طابت فمادت نفسها زكية، فهيناً لها هنية:

روح تحن إلى اللقاء دواما	وتذوب من شوق إليه غراما
روح إذا سمعت بذكر حديثكم	حنت إليه صباة وهياما
لبت لداعيكم إجابة سرعة	كشفت له لثم الجمال فهاماً
سمعت لداعيكم فخر كما الهوى	وازداد وقد عاشقها وضراماً
صاحت وما باحت بسر منكم	ولقد كست مهبج النفوس سقاماً
فرقت بكم لما أصيبت منكمو	عن قوس سلاب النفوس سهاماً
وسمت إليكم عن شجى وتلف	وصبت لتهطى بالوصلال مراماً

ولها بكم ولثة يزيد ولوعة وله الذي قد آتخفه كلام
وجالكم لما بدا لعيانها وبكم أزاح القرب منه لثاما
خرجت من القفص الذي يردى بها فتظل تستسقى المدام دواما
عكفت على حان الشهود بربها واستنشقت طيباً يفوق خزاما
ماذا على الشادى الذى يشدو بها إذ ما أجابت للهوى استسلاما

وفى آخر باب الذكر من الرسالة القشيرية ، كان يقول : كان بين أصحابنا رجل يكثّر من قول الله ، فوق يوماً على رأسه جذع فسقط الدم فكتب على الأرض الله ، الله . قال فى مفتاح الفلاح : لأن ذا كره مشاهد لجلال الله وعظمته ، فانياً عن غيره . قال بعضهم : ومن كان هكذا حاله فلا تستغرب منه الخوارق ، قال فى جامع الأصول : واعلم أن اسم الجلالة والعظمة والهيبة ، وتعالى اسم الذات ، هو لفظة الله . وهذا الاسم الشريف موضوع للذات الإلهية باعتبار انصافها بجميع صفات الألوهية ، وأسماء الربوبية ، والجلال ، والجمال ، والكمال . وعند بعض العارفين : اسم موضوع للذات الإلهية من حيث هى بلا اعتبار شئ ، لقوله : « هو الله أحد » وبهذا الوضع كان أعلى من الاسم الأحد ، ومن سائر الأسماء الإلهية من حيث الرتب . وقيل : مشتق . وقيل : لا . وقيل : موضوع لمعنى . وقيل : لا . والأصح أنه اسم الذات ، وجميع الأسماء والصفات والكمالات مندرجة تحته . وهو الاسم الأعظم عند أبى حنيفة وعند العارفين من أهل الطريقة ، وإن لكل نبي من الأنبياء اسماً مخصوصاً تجلّى الله تعالى به عليه . ولنبينا صلى الله عليه وسلم هذا الاسم الشريف وبه تجلّى الله عليه . فإذا كانت رتبة نبينا عليه الصلاة والسلام أعلى من رتب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، كانت رتبة هذا الاسم الشريف أعلى من رتب سائر الأسماء الإلهية اهـ .

قلت وقد ورد فى الحديث القدسى عن الله تعالى ما يوجب كمال التشهير

في ذكر هذا الإسم واجتناء ثمراته كل يوم وليلة وأنه تعالى قال : (أنا مع عبدي ما تحركت بي شفاته) وفي الأنوار السنية أنه عليه الصلاة والسلام قال : إذا قال العبد الله خلق الله من قوله ملكاً مقرباً لا يزال يصعد حتى يغيب في علم الله وهو يقول الله الله وينزل على موضع صعوده عمود من نور قد سد الأفق يغلب نوره على نور الشمس ثم لا يزال ذلك العمود يتسع حتى يملأ السكون طولاً وعرضاً فلا يمر شيطان إلا وأخسه وأذله ور بما أحرقه ، ويقول الله : يا ملائكتي هذا عبد من عبادي قد أجريت على لسانه اسمي الأعظم فوعزتي وجلالي لأفيضن عليه نوالى وجودي وأنا الجواد الكريم وأنا لا أختص لاسمى إلا من ارتضيته لي ووليته على دائرة حضرتي فهو ولي ما دام ذا كراً لي) اهـ . فائدة قد اجتمعت برجل من أولياء الله تعالى فقال لي : هل تحب أن أمنحك فائدة ما سبقت مني لأحد غيرك قلت نعم قال اجتمعت في بعض الوقائع بسيدنا عزرائيل عليه السلام فقال لي إن ذكرى من بين الملائكة بالإسم (الله) وقد أذنتك فيه أن تذكره في نصف كل ليلة ألف مرة فشكرته على ذلك وذكرت هذا الإسم لوقته فوجدت فيه حياة وقد أذنت لكل من طهر لسانه من الغيبة وقلبه من الخواطر البخسة في ذكره .

إسماً إذا ما كنت تذكره ترى مدداً وفيضاً كالسحاب الهاطل

وإذا له لازمت ألفاً نلت ما تهواه من عز ومجد كامل

وأما (هو) فهو اسم موضوع للإشارة عند أهل الظاهر لا يتم الكلام إلا بالخبر نحو قائم وقاعد فنقول هو قاعد وعند هذه الطائفة هو اخبار عن نهاية التحقيق ويكتفون به عن كل بيان يتلوه لاستهلاكمهم في حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم فما سواه لا شيء حتى تقع الإشارة إليه ، وحكى عن الشبلي أنه قال : لقيت جارية حبشية وهي مولعة تجد وتسرع في مشيها فقلت لها يا أمة الله رفقا عليك والطنى بنفسك فقالت : هو هو ، فقلت لها : من أين أقبلت؟ فقالت : من هو

فقلت لها أين تريدین؟ فقالت : إلى هو . فقلت لها : ما تريدین ؟ فقالت : هو .
فقلت لها : ما إسمک ؟ قالت : هو . فقلت لها کم تذکرین ؟ قالت : هو فقالت لا یفتر
اسانی عن ذکر هو حتی ألتی هو ثم قالت :

وحرمة الود مالی عنکم عوض ولیس لی فی سواکم بعدکم غرض
ومن حدیثی بکم قالوا بها مرض فقلت لا زال عنی ذلك المرض
قال الشبلی رحمه الله : فقلت لها یا أمة الله ما تعنین بقولک هو ؟ آ الله
تريدین؟ فلما سمعت ذکر الله شهقت شهقة فاضت منها نفسها رحمة الله علیها. قال :
فأردت أن آخذ فی تجهیزها ودفنها فنودیت یا شبلی من هام بحبنا وتاه فی طلبنا
وتوله بذکرنا ومات باسمنا فأترکه انا فدیته علینا قال الشبلی : فالتفت أنظر من المنادی
والتکلم فسترت عنی وحجبت عنها فلم أدر أرفعت، أم دفنت، رحما الله بمنه وغفر
لنا بفضلہ ، قال فی البراهین الکسبية من بعد کلام علی هذا الاسم : وفيه معنی
لطیف وهو أن قولک هو حرفان هاء وواو فالهاء تخرج من آخر مخارج الحروف
والواو تخرج بین الشفتین فهو أولها مخرجاً فأشار إلى ذاته بهتدين الحرفین تعالی
فقال هو الله إلى قوله هو الأول والآخر لا أول قبله ولا آخر بعده منزّه عن الحلول
والنزول، كما لا یخطر بالعقول، قال الشيخ عبد الکریم الجلیلی : اعلم أن هذا الاسم
أی إسم هو أخص من اسمه الله وهو سر لاسم الله ألا ترى أن اسم الله ما دام
هذا الاسم موجوداً کان له معنی يرجع به إلى الحق وإذا فک بقيت أحرفه غیر
مفيدة وقال بعض المشائخ : إن هو اسمه الأعظم لأنه ليس له مبتدأ ولا منتهی فهو
من أقصى الجوف إلى مالا نهاية له واعلم أن الأسماء کلها دالة على أفعال وصفات
والاسم (هو) لا صفة له فإنه دال على الذات المعروفة الموصوفة ومنه ظهرت الصفات
وإليه تعود ألا تراه هو يقول (هو الله الذی لا إله إلا هو) ثم قال : (عالم الغیب والشهادة)
ثم قال : الرحمن الرحیم ثم قال : الملك القدوس ثم قال : هو، ثم قال : الباریء، فهو أصل.

الأسماء ، وإليه تشير القلوب ، وحوله تطوف السرائر ، فهو الظاهر الذى لا ينكر ،
والباطن الذى لا يدرك ، فاعلم ذلك فإنه من السر المصون ، والأمر البديع المكنون
وما أجدرنى حينئذ أن أنشد وأقول شعراً :

بدالك سر طال عنك اكتتامة ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه
ولله در من قال :

فاسمع إذا غنت المثنائى تقول يا هو لييك يا هو
ما قلت للقلب أين حى إلا وقال الضمير ها هو
اهـ . من البراهين الكسبية . وحيث علمت أن كيفية الذكر فى هذه الطريقة
أن تقول : (الله) عند خروج نفسك (وهو) بالسكون عند دخوله فالمطلوب عدم
إهمال شيء من أى عدد لازمت عليه من أعدادها ، وبه أمرت من حضرة شيخك ؛
وذلك يكون على حسب المهمة وصدق الطلب ، وخلص النية ، فمن الأعداد ما هو
ألفان ، ومنها ما هو سبعة آلاف ، ومنها ما هو أحد عشر ألفاً ، ومنها ما هو خمسة
وعشرون ألفاً ، فإذا لازم المريد على واحد من هذه الأعداد مع صحبة الشيخ الكامل ،
فما بينه وبين الوصول إلى الله تعالى إلا كما بين سواد العين من بياضها ، وكم وصل
بهذه الأوراد فى ليلة أو ليلتين أو يومين أو ثلاثة أيام ، وإن شئت أن تقول بعد قولك
الله فى شرك مقصودى ، أو محبوبى ، أو معبودى ، أو أنت الله لا غيرك ، ولحظت بقولك
الله بحت الذات بلا تركيب ولا مبناء ، قال تعالى : (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)
وهو يشير بها إلى القرب وقال تعالى : (ونحن أقرب إليه منكم الآية) فهو أبلغ وأحسن
وأقرب للترقية وفيضان السر على قلبك . لطيفة : حكى أن بعض المريدين كان شغله
بهذه الطريقة إلى أن استغرق سره وسر سره ذلك الذكر المشغول به وهو الاسم
الله (والاسم) هو على الصفة المذكورة ، وكان نائماً وبقربه رجل من المريدين وهو قائم

يصلى فقال أحد أولاد إبليس لأبيه لعنه الله: هلا أغويت هذا القائم؟ فقال :
لولا نفس النائم لأغويته .

الفصل السابع

في بيان طرق له بمجمله

فقد أخذ الأدب عن شيخه سيدى الشيخ محمد السمان، وهو عن السيد عبد الله
بدهر العلوى، وأخذ الحديث عن شيخه المذكور، وهو عن علامة الآفاق، سيدى
الشيخ محمد الدقاق، وهو عن شيخ الشيوخ سيدى عبد القادر القاسى، وأخذ علم
النقل والعقل عن شيخه المذكور، وهو عن سيدى محمد المغربى وغيره . وأخذ علم
التصوف عن شيخه المذكور، وهو عن روحانية الشيخ محيى الدين بن العربى .
لذا كان يقول : مذهبي محيى الدين، وطريقتي قادريه . وفيما بعد كان يقول :
ليس لأحد من أشياخى على منة إلا سيد الإنس والجن، قاله العلامة الجفرى فى
شرحہ على التوسل . قال : وقال لي : تَرَبَّيْتُ بنظرات رسول الله صلى الله عليه
وسلم مشافهة : وأخذ عن شيخه أيضاً من الأسرار المأخوذة المتصلة أسانيدھا بالباز
الأشهب قدس الله سره ونفعنا بهم أجمعين . وأيضاً قد أخذ عنه ما أخذه من الحق
تعالى فى يوم الخطاب من الإفاضة، بشهادة قوله شعراً :

وفى يوم الخطاب ناجى مبشراً بالمنى جنانى
وقوله أيضاً :

أنا كنت مكنوناً لسر علمته وعن فهمه إدراك غيرى قاطع
— ويوم (ألت) الكل جاء لدعوتى وهام بحسنى والدموع هوامع
أشار بالكل إلى تلامذته، كما وقع ذلك لأضرابه كالسيد ابراهيم الدسوقى،
وأبى يزيد، وسهل بن عبد الله التستري، فانهم كانوا يعرفون مرديهم من يوم

الخطاب ، ويرسلون تلامذتهم من ولد منهم في أى قطر كان ، ويأتون بهم إليهم ،
كأبى العباس المرسى في قصة ياقوت العرشي اه .

الفصل الثامن . في بيان طريقته الاسمية وهي طريقة الموافقة

سميت بذلك لنسبتها لأسماء الله الحسنى ؛ فإنها لا تؤخذ إلا منها ، ويختلف الأخذ
فيها على حسب الأغراض الدنيوية والأخروية ، لكن ذلك لا يكون إلا بأنفاس
الشيخ الكامل المرشد المربي . وهذه الطريقة لم يشتهر بها في بلادنا هذه أحد
بالتربية والترقية غير الأستاذ المترجم ، وهي الجامعة لمعاني الأسماء وأسرارها التي
لا تحيط بها الأفكار ، ولا يتوصل إلى البعض منها إلا الخواص الأخيار . وإليها
أشار الحق تعالى بقوله : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » . فالمشايع قد أرشدوا
بها المريدين على نياتهم وترقياتهم ونصيبتهم في الله تعالى ، ولما رأوا تقلبات أحوالهم
في حالة السلوك فتحوا لهم في هذه الطريقة باباً لتيسير الأمور الصعبة الدنيوية
ليتفرغوا لطلبهم الأخرى ، والطريقة المذكورة هي تنقسم على أربعة أقسام :
حرفية ، وطبيعية ، وعددية ، وحالية . فإذا استكملت الأربعة في اسم قام مقام
الاسم الأعظم ، حينئذ يفعل به المريد ما يشاء ويختار ، سواء كان المختار دنيوياً
أو أخروياً ، والعمل بها راجع إلى نية العامل . فإن الشيخ الكامل يعطيه من
الأسماء ما يوافق لحاله منها . فمعنى الاسم المعطى هو الذى يخلق منه روحانى الاسم
فتقضى به الأشياء ، وليس كل ما يعلم يقال ، وفيما ذكرناه كفاية لمن له مع الله
حال . ولها افتتاح ، وأساس ، ودعوة تقرأ بعد تمام الافتتاح .

أما الافتتاح فهو : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك من كل معصية « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم » .

وأما الأساس فهو : أستغفر الله العظيم ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وصيغتها : اللهم صلى على سيدنا محمد النور وآله ، ثم لا إله إلا الله ، ثم يا ذا الجلال والإكرام ، ثم الاسم الموافق لاسم الذاكر لأسماء الله تعالى ، والقاعدة في ذلك أن يقرأ المرید كل واحد منها خلف الصلوات الفرضية على عدد اسمه بالجُمْل الكبير وإن دخل الخلوة فهذا الاسم الإلهي الموافق لاسمه أعنى المذكور آنفاً .

وأما الدعوة ، فهي تقرأ بعد تمام الأذكار المذكورة والعدد الكبير ، وشرطها أن تتركب على معنى الاسم الموافق لاسم الذاكر ، وكذلك الروحاني . وللطريقة هذه خلوتان ، ظاهرية وباطنية : فالظاهرية ثمرتها أنها تجلو مرآة القلب من أشكال تنقش فيها ، وهذه الأشكال ظلمات منطوية بعضها على بعض فيحصل صدأ القلب وهو الغفلة ، وبواسطة الخلوة ، والذكر ، والصوم ، والطهارة ، والسكوت ، ونفي الخواطر ، والربط ، وتوحيد المطلب ، تنجلي مرآة القلب من الصدأ . فالخلوة كالسكر ، والذكر نار ومبرد ومطرقة ، والصوم والطهارة آلة التصقيل ، والسكوت ونفي الخواطر ينقي الخاطر من الظلمات ، والربط تلميذ ، وتوحيد المطلب أستاذ . فهذه الخلوة وسيلة إلى الخلوة الحقيقية ، أعنى الباطنية التي هي محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره . وأما صورتها فهو ما يتوصل به إلى هذا المعنى من التبذل إلى الله ، والانقطاع عن غيره اه .

وسند الأستاذ رضي الله عنه في هذه الطريقة ، وهو أنه قد أخذها من الخضر عليه السلام ، وقيل من شيخه الإمام الهمام الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان قدس سره ، بالسند المذكور عنده ، إلى الإمام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه .

الفصل التاسع

في طريقته رضى الله عنه

في المسبغات الخضرية

فإنه قد أخذها عن شيخه سيدي الشيخ محمد السمان قدس سره ، وهو عن الشيخ محمد طاهر المدني ، وهو عن السيد نعمة الله الهندي ، وهو عن الخضر عليه السلام ، وهو عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيأتي الكلام في بيانها . قال الإمام أبو طالب المكي : في الجزء الأول من كتابه (قوت القلوب) ، بعد أن ذكر المسبغات العشرة هذه : وإن الخضر عليه السلام أهداها إلى إبراهيم التيمي وأنه أمره أن يقرأها غدوة وعشية ، قال له الخضر عليه السلام : إنها أعطاني إياها محمد صلى الله عليه وسلم ، وذكر من فضلها وعظم شأنها ما يحل عن الوصف ، وأنها لا يداوم عليها إلا عبد سعيد قد سبقت له من الله عز وجل الحسن . قال : وحذفنا ذكر فضائلها اختصاراً فوجدنا ذلك قد استكمل الفضل ، والمداومة عليها تجمع له جميع ما فرقناه من الأدعية . وروى ذلك سعيد بن سعيد عن أبي طيبة عن كرز بن وبرة — وكان من الأبدال — قال : أتاني أخ لي من الشام فأهدى لي هدية وقال : يا كرز اقبل مني هذه الهدية ، فإنها نعم الهدية ، فقلت : يا أخي من أهدى لك هذه الهدية ؟ قال : أعطانيها إبراهيم التيمي . قلت : أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه ؟ قال : بلى . قال : كنت جالساً في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد ، فجاءني رجل فسلم على وجلس عن يميني ، فلم أرف في زمان أحسن منه وجهاً ، ولا أحسن منه ثياباً ، ولا أشد بياضاً ، ولا أطيب ريحاً . فقلت : يا عبد الله من أنت ومن أين جئت ؟ ! فقال : أنا الخضر . فقلت : في أي شيء جئتني ؟ قال : جئتك للسلام عليك وحباً لك في الله عز وجل ، وعندى

هدية أريد أن أهديها إليك . فقلت ماهي ؟ قال : هي أن تقرأ قبل طلوع الشمس وقبل أن تغرب سورة الحمد سبع مرات . وقل أعوذ برب الناس سبعاً ، وقل أعوذ برب الفلق سبعاً ، وقل هو الله أحد سبع مرات ، وقل يا أيها الكافرون سبع مرات ، وآية الكرسي سبع مرات ، وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات ، وتصل على النبي صلى الله عليه وسلم سبع مرات ، وتستغفر لنفسك ولوالديك وما توالدا ولأهلك والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات سبع مرات وتقول :

اللهم يارب إفعل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل ، إنك غفور حلیم جواد كريم رؤوف رحيم ، سبع مرات ، وانظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية . فقلت أحب أن تخبرني من أعطاك هذه ؟ فقال : أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم . فقلت : أخبرني بثواب ذلك ، فقال لي : إذا لقيت محمداً صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فإنه يخبرك ، فذكر إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى أنه رأى ذات ليلة في منامه أن الملائكة جاءت فاحتملته حتى أدخلته الجنة ، فرأى ما فيها ووصف وصفاً عظيماً مما رأى في صفة الجنة . قال : فسألت الملائكة . وقلت لمن هذا كله ؟ فقالوا : للذي يعمل مثل عملك ، وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها ، فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبياً وسبعون صفاً من الملائكة ، فكل صف كما بين المشرق والمغرب ، فسلم على وأخذ بيدي ، فقلت : يا رسول الله إن الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر ، صدق الخضر ، وكل ما يحكيه فهو حق ، وهو عالم أهل الأرض ، وهو رئيس الأبدال ، وهو من جنود الله عز وجل في الأرض .

قلت يا رسول الله فمن فعل هذا ولم ير مثل الذي رأيته في منامي هل يعطى مما

أعطيته ؟ قال : والذي بعثني بالحق إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم ير الجنة إنه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ، ويرفع الله عز وجل عنه غضبه ، ومقته ، ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه شيئاً من السيئات إلى سنة ، والذي بعثني بالحق نبياً لا يعمل بهذا إلا من خلقه الله تعالى سعيداً ، ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيماً ، وكان إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى مكث أربعة أشهر ولم يطعم طعاماً ولم يشرب شراباً . فلعله بعد الرؤيا ، والله سبحانه وتعالى أعلم . ذكره الأعمش هـ .

قال العلامة الصاوي رحمه الله تعالى في شرحه على الصلوات مشيراً إلى المسببات المذكورة ، وإنها من أوراد الطريقة ، قال : ومن فوائدها زوال الحقد والحسد .

الفصل العاشر

في فضائل طرائقه التي تقدم ذكرها

روى عن غوث التلقين ، وإمام الثقلين ، القطب الرباني ، الشيخ عبد القادر الجيلاني ، أمدنا الله بمدده ، أنه كان يقول : البيضة منا بألف والفرخ لا يقوم . يريد بالفرخ المريد المفتوح عليه ، وبالبيضة غير المفتوح عليه ، وأي فضيلة أكبر من هذه ، وكان يقول أيضاً أنا آخذ بيد كل من عثر من أصحابي ومريدي وأحبائي إلى يوم القيامة ، نعمة من ربي وكرامة ، فإن فرسى مسروج ، ورحى منصوب ، وسيف مشهور ، وقوسى موتور ، لحفظ مريدي إلى يوم القيامة ، ومن كلامه رضي الله عنه :

أنا لمريدي جامع لشتاته	وأخرجه من كل شر وفتنة
تمسك بنا في كل هول وشدة	أغيثك في الشدات طرا بهمة
مريدي إذا ما كان شرقاً ومغرباً	أغثه إذا ما صار في أي بلدة

ومن كلامه : من استغاث بي في كربة كشفت عنه ، ومن ناداني في شدة فرجت عنه ، ومن توسل بي إلى الله تعالى في حاجة قضيتها اه .

وقال الإمام سيدى الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان رضى الله عنه : من أخذ طريقى أدخلته في سلك النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يكتب شقياً ، ولو كان فاسقاً مبتدعاً فإن الله تعالى يصطفيه بخير ، ويخصه بما خص به أوليائه ، ومن كلامه : من أخذ طريقى لا بد أن تجذبه العناية ولو عند الموت ، وتحسن خاتمه ويكون من أولياء الله تعالى ، قال تلميذه الشيخ صديق بن عمر خان رحمه الله : وقد شاهدنا ذلك مراراً ، وكان يقول : من أخذ طريقتنا كتب علينا ، ومن أكل طعامنا دخل الجنة ، ويشمل هذا المعنى كل من أكل طعام من يعزى إليه من مردييه ، ومن كلامه رضى الله عنه : كل من أخذ طريقى أغناه الله ، وإن طريقى غنى في الدنيا وكرامة في الآخرة ، واعلم أن الغنى يكون على قسمين : إما من خالص الدنيا من درهم ودينار وغيرها ، أو باليقين كما هو المقصود عند خواص أهل الدين وعقلاء المسلمين ، وقد أشار رضى الله عنه في بعض كلامه بما به غنى المريرين ، وبهجة المحبين ، وأمن للخائفين ، وفرج للمكروبين المستغيثين : أنا في الدنيا أحمى مريرى إذا أتى بصدق وفي العقبى له أنا شافع أنا غوث من قد أمّ نحوى وحرزه إذا مسه من نكبة الدهر فاجع

وفي مقام الخطاب ناجى مبشراً بالمنى جنـانى
وفضله : أنه لا يخزى له مريرى في الدار الآخرة .

— ومن كلام القطب الشهير سيدى الشيخ أحمد الطيب البشير ، قدس سره : طرحت على ورقة فيها : « سلام قولاً من رب رحيم » ، إلى عبدنا الطيب ، قد غفرنا وقبلنا لكل من رآك أو رأى من رآك إلى سبعة ، أو أخذ عليك طريقك . وقال سيدى عبد الغنى النابلسي ، قدس سره ، مشيراً إلى هذه الطريقة

القادرية ، عند أخذه لها على يد الشيخ عبد الرزاق من ذرية الشيخ عبد القادر
الجيلي رضى الله عنه :

أياسا كنين الشرق قد شرقت بكم عيونى برفع حين شامت سنا البرق
فقوموا بعذرى عندكم إن مبتدى غرامى بكم قد كان من أقرب الطرق
وما ذاك إلا أنتى كنت غافلا أظن جدارى ليس يؤذن بالخرق
فمدت يد شريقة قادرية بها نشأتى خضراء طيبة العرق
فقلت لأهل الغرب لا تعبتونى بكم إنتى فى الجمع من غير ما فرق
صعدت بكم أوج الملا وترمت بألحانكم فى القلب ساجعة الورق
ألا فاعذروا طرف الحب فإنه رأى البرق شرقياً فهاج إلى الشرق
ومن كلامه أيضاً :

طريقة شريقة قادرية فلا تخش قهراً وذلاً ولا فوتاً
وفى الشرق عبد القادر القطب شيخنا طريقته تفضى إلى العز مثبوتاً
طريقة ذل وانكسار لأجل ذا إلى الشرق مدت سنةً أرجل الموتى
وقال الأستاذ الأوحى ، والإمام الأجد ، سيدى مصطفى البكرى ، قدس سره ،
مشيراً إلى ما خص به من حضرة مولاد ، عند ما قر به إليه واجتباه : إنه قد أخذ
عنى الطريقة سبعة من ملوك الجان ، وأخذت عليهم عهداً عامة وخاصة ، نفعها
عام وخاص بمريدى . فعلم من هذا أن الجان ليس له تصرف فيمن يعزى إليه
إلى منتهى الأبد . قال سيدى الشيخ صديق بن عمر خان ، تلميذ العارف السمان ،
رضى الله عنه ، فى (الكوكب الزاهر الدرى ، فى مناقب السيد مصطفى البكرى) :
وكان رضى الله عنه يقول : أنا وزير المهدي ، فمن شاء منكم فليؤم إلى ليتهدى .
فلما انتقل سأل رجل أستاذنا العارف بالله سيدى الشيخ محمد السمان ، رضى الله عنه
وأرضاه ، وقال له : إن شيخكم يقول : أنا وزير المهدي ، وذا هو قد انتقل قبـال

أوانه وظهوره ! فقال له : صدق فيما قاله وبه اعترف ، ألا ترى أن السلطان يجهز
العساكر إلى جهة تختلف أعمالهم فيها ويؤمر عليهم أمراء عديدة ، ويقدمهم أمامه
فيهدوا له الأرض حتى يلحق بهم ، فلم يعصوا كلامه ؛ فمنهم من مهد الأرض ،
ويبقى حتى يصل إليه الملك ، ومنهم من يقاتل حتى يقتل قبل وصوله ويهلك .
فالسيد رضى الله عنه ممن تقدم ومهد الأرض ، ثم انتقل قبل وصول المهدي إليه ،
فانقطعت حجة الرجل ، ولم تبق له شبهة عليه ، وعلم أن ما قاله السيد حق ، وفهم
المعنى وزال عنه الشك ، وبالحق لحق ، ومن نظمه رضى الله تعالى عنه :

أزال الحجب عني ذو الجلال	وأطلعني على ذاك الجلال
وفي حان التداني من فضلا	على بقربه بعد المطال
ونلت مكانة في القرب جد ^(١)	أمامي دونها كل الرجال
وأسقاني مدام الحب صرفاً	ومنا كان صلى واتصالي
أنا البكري والحسنى جدى	رسول الله طه ذو الكمال
مريدى لا تحف واشرب بكأبي	وهم تيهاً على كل الموالي
أنا قطب الورى بل كل قطب	لأمرى طائع في كل حال
واسمى مصطفى البكري وخرى	له طوعاً دنا أوج المعالي
لى الأكوان فى التصريف حقاً	بلا ريب فدع كثر الجدال
فسيفى قاطع فاحذره تنج	وإلا ذقت أنواع الوبال
مريدى أنت منى فى احتراز	فلا تهتم من قيل وقال
لى الجاه الممظم عند ربى	فكم أسدى وأعطانى سؤالى
وأكرمنى بما قد رمت منه	لجدى الهاشمى غوث المآل
صلاة الله تغشاه دواماً	وأصحاباً كراماً بعد آل

(١) اعله جدى إمامى أو أمامى والله أعلم .

وجدى الصاحب الصديق حقاً رفيق الفار محمود الخصال
مدى الأزمان ما غنت حمام على الأغصان فى جنح الليالى
وأما طريقة القطب الهمام ، الغوث الربانى ، سيدى الشيخ بهاء الدين
النقشبندى ، قدس سره ، قال فى جامع الأصول : فهى طريقة الانصباغ ،
والانعكاس ، لكمال ارتباطهم بها مع هذه المجاهدة الزكية المستورة ، يستوى
فى استفاضتها الشيوخ والصبيان ، وفى إفاضتها الأحياء والأموات ، ويندرج انتهاؤها
فى الابتداء ، وابتداؤها فى انتهاء غيرها ؛ لما فيها من انجذاب المحبة الذاتية مما فضل
به واسطتها الصديق الأكبر رضى الله عنه . فهذه أم الطرق ، ومعدن الأسرار
الصديقية والحقائق ، ولا جرم أمرها كبير وشأنها خطير .
وأما الطريقة الأنفاسية ، فيكفى فى شرفها أن ذاكرها يترقى فى درجات القرب
على عدد خروج نفسه ودخوله . وأما طريقة الأسماء فيكفى أنها طريقة هى الوسائط
بين العبد والرب قال الله تعالى : « والله الأسماء الحسنى فادعوه بها » .
وأما المسبغات فقد سبق الكلام على فضلها ، نفعنا الله بها وسائر الطرق
الواصلة إلى الله تعالى المغترفة من بحر النبوة .

الباب الخامس

وفيه سبعة فصول

الفصل الاول

في إثبات كرامات الأولياء

كتاباً وسنة وإجماعاً

الأولياء جمع ولي، والولى فى اللغة ضد العدو، وفى اصطلاح أهل الحقيقة له معنيان: فعيل بمعنى مفعول، كقتيل وجريح، وهو من يتولى الله رعايته وحفظه فلا يكله إلى نفسه لحظة كما قال: (وهو يتولى الصالحين) والثانى فعيل مبالغة فاعل ككريم وعليم، وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى، وطاعته، فيأتى بها على التوالى من غير أن يتخللها عصيان أو فتور، وكلا المعنيين شرط فى الولاية، فمن شرط الولاية والولى: أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبى أن يكون معصوماً، وكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع، هكذا ذكره الإمام التشيرى وغيره من أئمة الطريق والكرامات جمع كرامة، وهو ما يكرم الله به عبده من الأمور الخارقة للعادات ووقوع الكرامات جائز، ومتحقق عنه أهل العلم والمعرفة، وفائدتها معرفة الولى الصادق، من المدعى الكاذب بتعريف الله تعالى، وقال أبو عثمان رضى الله عنه: من كان له سريرة صالحة سنية أظهر الله تعالى منها رداء يعرف به، ولا بد من كونها فعلاً خارقاً للعادة فى زمن التكليف، قال فى اليواقيت والجواهر فى مبحث المعجزات: إن كرامات الأولياء ثابتة شائعة بين أهل السنة والجماعة، وإنما أنكرها أكثر المعتزلة

لعدمها فيما بينهم وذلك أن من أدل دليل على أنهم أهل بدعة ، ومن شبه المعتزلة في إنكارها قولهم : لو جوزنا وقوعها على يد الأولياء لمجز الناس عن الفرق بينها وبين المعجزة ، والجواب : لا تعجيز ؛ لأن المعجزة هي التي تظهر مع الدعوى ، بخلاف الكرامة فإن صاحبها لا يتحدى بها ولو أظهرها وقت الدعوى كانت شعوذة ^١ .

ومن الدليل على جواز الكرامة : قول صاحب سليمان عليه السلام : « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » وقول عمر رضي الله عنه في خطبة يوم الجمعة . يا سارية الجبل ، وبلغ صوته إلى سارية تلك الساعة ، حتى أخذ حذره من العدو السكاكن في الجبل وكان سارية بمصر ^(١) وقوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » وقوله تعالى : « وهزى إليك بجذع النخلة » ولم تكن مريم نبيه ، وقصة أصحاب الكهف ، وتكليم الكلب لهم ، والذي كونه كرامة مثل إظهار ، الطعام في غير وقته ، أو ماء وقت عطش ، أو قطع مسافة بعيدة في مدة قريبة ، أو تخليص من عدو ، أو سماع خطاب من هاتف ، أو نحو ذلك ، ومن ذلك كلام الطفل لجريج الراهب حين قال : من أبوك؟ قال فلان الراعي ، ومن ذلك قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين دعوا الله عز وجل بصالح أعمالهم فأنفرت عنهم الصخرة التي لا يستطيع الجمل الغفير أن يرحزحها من فم الغار ، ومن ذلك كلام البقرة التي حمل عليها صاحبها المتاع وقولها إني لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث كما في الصحيحين ، ومن ذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أكل مع ضيفه فكان كلما أكل لقمة من تلك القصعة يربو من أسفلها أكثر منها ، حتى شبع الضيوف ، وهي أكثر مما كانت قبل بثلاث مرات . ومن ذلك أن حارثة بن النعمان كان يقول لعياله في كل شيء احتاجوا إليه : إرفعوا الفراش تجدوا حاجتكم فيرفعونه فيجدونها ولم يكن تحت الفراش شيء قبل ذلك ، وبالجملة فقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين ومن

(١) الصواب أنه كان بأرض نهاوند ببلاد العجم .

بعدهم ما يبلغ حد الاستفاضة ، وقد سئل الإمام أحمد رضى الله عنه لم لم يشتهر عن الصحابة كثرة الكرامات كما وقع لمن بعدهم من الأولياء ؟ فقال : إنما لم يشتهر عن الصحابة كثرة الكرامات لأن إيمانهم كان في غاية القوة بخلاف إيمان من بعدهم فكما ضعف إيمان قوم كثرت كرامات أولياء عصرهم تقوية ليقين الضعفاء منهم ، قال الياقنى : والناس في إنكار كرامات الأولياء على أقسام ، فمنهم من ينكرها مطلقاً وعم أهل مذهب مشهور ، ومنهم من يصدق بكرامات من مضى ويكذب بكرامات أهل زمانه ، فهؤلاء كبنى إسرائيل فإنهم صدقوا بموسى حيث لم يروه ، وكذبوا بمحمد حين رأوه حسداً وعدواناً ، ومنهم من يصدق بأن الله تعالى أولياء في عصره ولكن لا يصدق بأحد معين ، فهذا محروم من جميع الإمدادات في عصره ، وبعضهم إذا رأى أحداً من أولياء زمانه متربعا في الهواء ، قال هذا استخدام للجن لا ولاية وأطال الياقنى في ذلك ثم قال : وبالجملة فلا ينبغي لأحد التوقف في كرامات الأولياء لأنها جائزة عقلاً وواقعة نقلاً . أما جوازها عقلاً فلأنها من جملة الممكنات التي لا تستحيل على القدرة الإلهية وبذلك قال أهل السنة ، والجماعة من المشايخ العارفين ، والنظار ، والأصوليين ، والفقهاء ، والمحدثين رضي الله عنهم أجمعين .

الفصل الثانى

في عقوبة من آذى أولياء الله تعالى أو أنكر لكراماتهم
ورد في الحديث القدسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال الله عز وجل :
(من آذى لى ولياً فقد آذنته بالحرب) أى أعلمته أنى يحارب له ، ومن حاربه الله
لا يفلح أبداً . قال العلماء لم يحارب الله عاصياً إلا المنكر على الأولياء وآكل الربا
ويخشى عليه خشية قريبة من سوء الخاتمة ؛ إذ لا يحارب الله إلا الكافر . قلت : وقد
بلغنا في عصرنا عن المشددين في الإنكار حسداً وعدواناً على الفقراء أهل الطريق

أنهم قد عرضت عليهم شهادة التوحيد عند الموت فأعرضوا : أعاذنا الله من ذلك بمنه وفضله . قال سيدى وأستاذى العارف بالله الشيخ محمد السمان رضى الله عنه فى النفحات الإلهية فى كيفية سلوك الطريقة الحمديدية : سئل الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى أن قومًا من الفقهاء ينكرون على الصوفية إجمالاً وتفصيلاً فهل يعذرون أم لا ؟ فأجاب ينبغي لكل ذى عقل ودين أن لا يقع فى عرضة الإنكار على هؤلاء القوم ؛ فإنه السم القاتل ؛ كما شوهد ذلك قديماً وحديثاً ؛ كما روى عن ابن السقا المنكر على أولياء الله فأشاروا عليه أن يموت كافراً ، وشوهد عند موته بعد تنصره لفتنته بنصرانية أبت عليه إلا أن يتنصر ، فاستقبل الشرق وكان كلما حول إلى القبلة استقبل الشرق ، حتى طلعت روحه وهو كذلك ، وإنه كان أوجه أهل زمانه ، علماً وذكاء وشهرة وتقدماً عند الخليفة ، فحقت عليه الكلمة بواسطة إنكاره . قال : وإن الإمام أبا سعيد بن عصفرون إمام الشافعية فى زمانه صدر منه لذلك الولى نوع قلة أدب ، فأوعده بأن تفرقه الدنيا إلى أذنيه ، فولاه نور الدين الشهيد الأوقاف بدمشق ، وكان سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه قد تأدب معه عند اجتماعه به فدعاه له ووعدته بالولاية ، وإن قدمه ستصير على رقبة كل ولى لله . فانظر سوء الأدب وعاقبته وحسن الأدب وفائدته .

وحكى الإمام سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى الطبقات الكبرى فى ترجمة سيدى الشيخ سويد السنجارى قال : وكان : من يقول ممن وقع فى أولياء الله تعالى ابتلاه الله بانعقاد لسانه عند النطق بالشهادتين عند الموت . ولقد كان شخص من أكابر بلدنا يقع فى حق الفقراء ، فأدركته الوفاة فقالوا له : قل : لا إله إلا الله . فقال : لا أستطيع ذلك : فعلمت من أين أتى فدخلت الحضرة وجعلت أنرضى خاطرهم حتى رضوا عنه فأطلق لسانه وأسأل الله قبول توبته . وقال أيضاً فى ترجمة سيدى الشيخ إبراهيم المتبولى رضى الله عنه : ونام عنده جماعة من فقهاء الأزهر فى بركة

الحاج ، فوجدوا عند الشيخ مملوكين أمردين من أولاد الأمراء ينمان معه في الخلوة فانكروا عليه ، ثم رفعوا أمره إلى الشرع بالصالحية ، فأرسل القاضي وراءه فحضر فدخل الصالحية وقال : مالكم ؟ فقال القاضي : إن هؤلاء يدعون عليك أنك تختلي بالشباب وهذا حرام في الشرع : فقال : ما هو إلا هكذا . وقبض لحيته بأسنانه وصاح فيهم فخرجوا صائحين ولم يعرف لهم خبر بعد ذلك الوقت .

ثم جاء الخبر أنهم ارتدوا وتنصروا ببلاد الأفرنج ، فشفعوا فيهم عند الشيخ فلم يقبل شفاعة أحد ، ثم انقطع خبرهم ، وقال أيضاً : ورماء أهل بيت من متبول باللواط مع ولدهم ، فقال : هتك الله ذراريتهم ، فمن ذلك اليوم صار أولادهم مخانيث وبناتهم زوان إلى يومنا هذا ، ورماء واحد أيضاً بفاحشة فقال له : سود الله نصف وجهك فصار له خدّ أسود وكذا ذريته إلى وقتنا هذا .

وقال سيدي الشيخ محمد السمان رضي الله عنه في رسالته التي تقدم ذكرها : روى عن المشايخ العارفين ، والأئمة الواصلين ، أنهم قالوا : أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم ، قالوا : ويخشى عليه سوء الخاتمة ، أعوذ بالله من سوء القضاء ، وقال بعض العارفين : من رأيتموه يؤذى الأولياء ، وينكر مواهب الأصفياء فاعلموا أنه محروم مطرود عن قرب الله ، وقال الإمام الجمع على جلالته وأمامته أبو تراب النخشي رضي الله عنه : إذا ألف القلب الأعراض عن الله صحبته الوقعة في أولياء الله ، قال الإمام العارف شاه بن شجاع الكرمانى : ما تعبد متعبد بأكثر من التعجب إلى أولياء الله لأن محبتهم دليل على محبة الله .

وقال أبو القاسم القشيري : إقبال المشايخ على المريد أصدق شاهد على سعادته ومن رده قلب شيخ ، يرى شؤم ذلك ولو بعد حين ، ومن خذل بترك حرمة الشيوخ ، فقد أظهر الله رقم شقاوته وذلك لا يخطئ .

حكى الإمام اليافعى ، عن الشيخ عبد العزيز الديرينى ، أنه أدركه المغرب وهو

في حاجة ، فصلى وراء فقير يلحن في قراءته فعزم الشيخ على الإقامة عنده ليعلمه فلما سلم قال له يا عبد العزيز الحق حاجتك فإن من هي عنده يريد السفر وما عليك من هذا اللحن الذي سمعته والتعليم الذي نويته . قال : فكربت من قوله ، وتوجهت إلى مقصدي ، فلما وصلت إلى من عنده تلك الحاجة وجدته عازماً على السفر ولو تأخرت عنه ساعة لفاتني . وذكر الياقبي أن جماعة من الفقهاء أنذكروا على جماعة من الصوفية لحنهم في مواجيد فأعادوا تلك الكلمات في الحال وأعربوها بوجوه من الإعراب ثم أنشدوا :

لحنها معرب وأعجب من ذا أنت إعراب غيرها ملحنون
وقال بعض المشايخ لبعض الفقهاء المنكرين عليه بعد ما عرض له أسد فمنعه منه اشتغلت بصلاح الظاهر فحقت الأسد ، واشتغلنا بصلاح الباطن فخافنا الأسد .
وقال آخر لمن أنكر عليه قراءة ملحونة ، فقال له : إن كنت لحت أنا في قراءة القرآن ، فقد لحت أنت في الإيمان . يريد بذلك عدم إخلاصه في أعماله ونسبته لنفسه لا لله تعالى ، وهو لحن فاحش عند الطائفة .

حكى الشعراني في طبقاته في ترجمة الشيخ محمد بن أحمد القرغل رحمه الله :
أنه قد مر عليه شيخ الإسلام ابن حجر بمصر يوماً ، حين جاء في شفاعته لأولاد عمر فقال في سره ما اتخذ الله من ولي جاهل ، ولو اتخذ الله له . على وجه الإنكار عليه . فقال له : قف يا قاضي فوقف فأمسكه ، فصار يضربه ويصفعه على وجهه ويقول : بل اتخذني وعلمي . واعلم أن الإنكار هذا قد يختلف باختلاف المنكرين فمنهم من يقصد به الفضيحة للمنكر عليه وتنقيصه بين الناس ، ونفورهم من محبته ، حسداً نفسياً وعدواناً شيطانياً . ومنهم من يتوصل إلى ذلك بجهله ودعواه العلم ، فيشكلهم في حقائقهم ومعانيهم على غير الوجه المطلوب عندهم .

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

ومنهم من يكون إنكاره احتقاراً وانتقاصاً وسبباً جاراً للهلاك والقتل على يد بعض الظلمة ، ومرجه إلى الحسد أيضاً . ومنهم من يكون إنكاره فيما حصل لهم من العلوم الدنية والأسرار الوهية التي لا يتوصل إليها أحد إلا بالفيض الإلهي ، وما أشاروا إليه من الرموز والكلام المعنى . وقد نبهوا رضى الله عنهم جميعاً على أنه لا يجوز لأحد أن يخوض في كلامهم إلا من عرف مصلحتهم . فالإنصاف الوقوف عند ما لا يصل إليه فكر المرء من كلامهم وأقوالهم . قال شيخ الإسلام الحزومي : لا يجوز لأحد من العلماء الإنكار على الصوفية إلا إن سلك طريقهم ورأى أقوالهم وأفعالهم مخالفة للكتاب والسنة ، وأما بالإشاعة فلا يجوز إنكاره عليهم . وقال العلامة ابن حجر في تحفته من كتاب الردة : ولا أثر لسبق لسان أو إكراه أو حكاية كفر أو شطح ولى في غيبته أو تأويله فيما هو مصطلح عليه بينهم وإن جهله غيرهم ، إذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة عند أهله لا يعترض عليه بمخالفته لاصطلاح غيرهم ، كما حققه أئمة الكلام وغيرهم ، ومن ثم زل كثيرون في التهور على محققى الصوفية بما هم بريئون منه إه .

وفى العرائس القدسية قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : وقد ابتلى الله هذه الطائفة الشريفة بالخلق خصوصاً أهل الجدل فقل أن تجد منهم أحد أشرح الله صدره بالتصديق لأحد معين بل يقول لك إن لله أولياء أصفياء موجودين لكن أين هم فلا تذكر له أحداً إلا ويأخذ يدفع ويرد خصوصية الله له ويطلق اللسان بالاحتجاج على كونه غير ولى الله تعالى ، وغاب عنه أن الولي لا يعرف صفاته إلا الأولياء فمن أين لغير الولي نفي الولاية عن إنسان فاحذر يا أخى عمن هذا وصفه وفر منه فرارك من السبع الضارى .

قال العارف بن عطاء الله السكندرى فى كتابه لطائف المنن قد أنشدنا الشيخ علم الدين الصوفى لنفسه رحمه الله .

استتار الرجال في كل أرض تحت سوء الظنون قدر جليل
ما يضر الهلال في حندس الا يل سواد السحاب وهو جميل

ثم قال : وأشد حجاب يحجب عن معرفة أولياء الله تعالى شهود المائلة وهو حجاب قد يحجب به الله تعالى الأولين قال سبحانه حكاية عنهم : (ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه) وقال سبحانه مخبراً عنهم : (أبشراً منا واحداً نتبعه) فإذا أراد أن يعرفك بولى من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته ، فإياك أيها الأخ أن تصغى إلى الواقعين في حق هذه الطائفة والمستهزئين بهم فتسقط من عين الله تعالى وتستوجب المقت منه فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق والإخلاص والوفاء ومراقبة الأنفاس مع الله وقد سلموا قيادهم إليه وألقوا أنفسهم سالماً بين يديه وتركوا الانتصار لنفوسهم حياء من ربوبيته واكتفاء بقيوميته فقام لهم بأوفى ما يقومون لأنفسهم وكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم والمغالب لمن غالبهم اهـ .

قلت : ومع ما أوردناه من النصوص المثمرة والأقوال النافعة المحررة فلا يسلم من داء الإنكار على هذه الطائفة في جميع الأعصار إلا من أراد الله به خيراً ليرسمه في ديوان الأخيار .

وما الآيات تغنى للحسود عن الإنكار والنص الصريح
فكم من حاسد يدرى صوابا وقوله كله فيهم قبيح

الفصل الثالث

في بيان الأنفع المرید بعد معرفته الواجب عليه شرعاً
هل هو إلا كثار من قراءة العلم والتبحر فيه
أم سلوك طريق القوم على وجه الرياضات والمجاهدات ؟

فالجواب . أن الأنفع له سلوك طريقة القوم وإيضاح ذلك . أن معرفة الله تعالى متوقفة على معرفة النفس كما ورد عنه ذلك صلى الله عليه وسلم « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ، وتقيضه من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه . فمعرفة الرب فرض عين ، لأن عبادة الرب تعالى تتوقف على معرفته ، لأن من لم يعرفه لم يعبد ، وعبادة الرب فرض لقوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » . قال ابن عباس : أى يعرفونى ويوحدونى ، وكما يتوقف عليه فرض فهو فرض . فمعرفة النفس فرض عين ، فمن جهل معرفة نفسه فهو أجهل بمعرفة ربه ، فلا بد من معرفة نفسه حتى يعرف ربه ويعبده ، وذلك لا يكون إلا بصحبة العارفين الواصلين الكاملين لأنهم يطلعون المرید على دسائس نفسه ويظهرونها من نجاستها المعنوية المانعة لها من دخول حضرة الله تعالى ، ولا يكون ذلك بكثرة العلم ولا بتدريسه ولا بتأليفه ولو أقام المرید فى ذلك ألف سنة ، فإن آخر مجالسه فيه كأول مجلس من عمره فيه . لذا قال الشعرانى فى الأنوار القدسية : واعلم أنه لا يمكن لطالب العلم العمل بالعلم وآدابه ويصير^(١) عليه الأنس والخير إلا إن كان معتقداً فى طائفة الفقهاء مخالطاً لهم ، لأنهم ينبهونه على الدسائس المانعة للقلب عن قبول الخير ، لأن العلم قوة للنفس ، وكما كثر قويت وتكبرت وبعدت عن الخير . وكثيراً ما أسمع شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصارى رضى الله عنه يقول : الفقيه

(١) قوله ويصير : أى ويحصل له .

إذا لم يكن له إلمام بطريق القوم وملاحظتهم وإصلاحهم ومآخذهم فهو جاف ،
ولذلك عدم أهل الجدال من الفقهاء والعباد الترقى في درجات الولاية وجدوا على
ما فهموا من ظواهر النقول ولم يتعدوا إلى ما وضعه الشارع في طيها من الزواجر^(١)
والتوابع ، فلم يزدادوا بكثرة العلم وتلاوة القرآن زهداً في الدنيا وإقبالاً على ربهم
وماتوا وأحدم يود لو كان عنده واديان من ذهب ، بل يود أن لو زيد له رغيغ
آخر على خبزه . فافهم يا ولدى فإن السالك على يد الفقراء كالطيار إلى حضرات
القرب ، والسالك من غير طريقهم كالذى يزحف تارة ويسكن أخرى ، مع
بعد الطريق .

وقال اليافعى رضى الله عنه : مكثت نحو عشرة سنين وأنا بين خاطرين ،
خاطر يدعونى إلى طريق الفقهاء ، وآخر يدعونى إلى طريق الفقراء ، فاجتمعت
بشيخ من أولياء اليمين فكاشفنى وعرف ما فى قلبى وقال لى : يا ولدى مبدأ الفقير
نهاية الفقيه ، لأن مبدأ الفقير الفقر عن كل شىء والإخلاص لله تعالى فى جميع
عباداته ولا يطلب منه عوضاً على عبادته ، وهذا نهاية الفقيه ، ثم يترقى الفقير فى
درجات القرب والمواهب . ثم قال : إن أحببت أن أريك شيئاً من ثمرات العلم
الذى تريده وثمره الفقر فعلت ذلك . فقلت له : نعم . فأرسل إلى شخص من
أكابر العلماء أن يأتى وأمر الجماعة أن لا يقوموا له ولا يفسحوا له ، فجاء ولم يجد
إلا موضع النعال ولم يلتفت أحد إليه فتكدر وكاد أن يكفرهم . فقال له الشيخ :
يا فقيهه أجد فى نفسى منك شيئاً . فقال : وأنا أيضاً فى نفسى منك شيئان وقرن
بين أصبعيه وولى ساخطاً يسب الشيخ وجماعته . فقال : انظر ثمرة هذا العلم الذى
تطلبه . ثم أرسل إلى فقير من الفقراء فجاء ووقف ولم يجد موضعاً كالأول ، وسلم
ولم يرد عليه أحد سوى واحد فضحك ووقف صف النعال وأدارها لهم . فقال له

(١) صوابه الزواجر والروادع .

الشيخ : أنا في نفسي منك شيء . فقال : يا سيدى أنا أقول أستغفر الله وكشف رأسه . فقال انظر ثمرة طريق الفقراء قال : فلزمت طريق الفقراء إلى أن صرت كما ترونى . فاسمع يا أخى هذه الحكاية واشتغل بما يشمر لك هذه الثمرة واحذر أن تكون ممن يكثر من جمع العلم من غير عمل ، اعتماداً على الأحاديث الواردة في فضل العلم ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » . و « العلماء ورثة الأنبياء » . فقد قال صلى الله عليه وسلم : « من ازداد علماً ولم يزد هدى فقد ازداد من الله بعداً » . وقد اجتمع الشيخ عبادة المالكي بالشيخ مدنى رضى الله عنه فلم يعظمه ولم يلتفت إليه ، فقال له : يا سيدى ما منعك أن تعطينى حقى فى الإكرام ؟ فقال : وكيف وأنت مشرك . فقال : وما وجه إشراكى ؟ ! قال : حالك الذى أنت فيه الآن ، وطلبك التعظيم والخضوع لك ، وليس ذلك إلا لله تعالى . فمن ينازع الله فى ما يستحقه ، ويطلب أن يكون له مثله ، كيف يكرم ، وإنما يستحق الإهانة والاحتقار ، فسكت الشيخ عبادة ساعة ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، تبت إلى الله تعالى ، وهذا أوان دخولى فى الإسلام بعين بصيرة وكال صدق ، رحمه الله ، لأن الإسلام هو الانقياد وترك المنازعة لله تعالى فى أوصافه وما يستحقه ، وملازمة الأعمال الصالحة ، ورؤية نفسه أنه أحقر خلق الله ، فافهم أرشدنا الله وإياك إلى الصراط المستقيم .

الفصل الرابع

فى بيان عدد الأولياء

وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، والكل متفرقون فى البلاد كلما مات شخص خلفه آخر من صالحى المسلمين . منهم النقباء ثلثمائة ، والنجباء سبعون ، والأبدال ، كما ذهب إليه الجم الغفير ، أربعون ، والأخيار سبعة ، كما أن الأوتاد

أربعة والإمامان واحد عن يمين القطب وواحد عن الشمال ، فإذا مات خلفه صاحب الشمال بحكم الكبير المتعال ، وإذا مات وفى واحد منهما خلفه واحد من الأوتاد ، وإذا وفى واحد منهم خلفه واحد من الأخيار العباد ، وهكذا كل طبقة دنيا تخلف الدرجة العليا . وهكذا قال الصوفية الثقة : كمحى الدين والقونوى على الدرجات . ومنهم الأمناء الذين لم يظهروا على ظواهرهم مافى بطونهم ، وهم الملامتية ، وهم أعلى الطائفة ، ولم يزل مريدهم متقلبا فى أطوار الرجولية ، وسموا بذلك للوم الناس لهم على كل حال مع كمال الرسوخ فى ميادين طرق الفحول الرجال ، لم ينسبوا لأنفسهم قولا ولا فعلا بل يرون الجميع صادرا من المولى ، ومنهم الأفراد وهم الرجال الخارجون عن نظر القطب سيدهم ، وليس لهم علم بقطب ولا غيره لاستغراقهم فى شهود ربهم ، وهم الذين تولى تربيتهم المحبوب الأعظم صلى الله عليه وسلم بنفسه وأدخلهم على ربه فأضحوا مطمئنين فى مقعد حضائر قدسه .

ثم الأولياء على أربعة أقسام ، كما قاله الشيخ الأكبر الهمام : رجال الباطن ، ورجال الظاهر ، ورجال الحد ، ورجال المطلع ، وهم الأكابر . فرجال الباطن هم الذين لهم التصرف فى عالم الغيب والملسكوت ، فيستنزلون أرواح السكواكب فيما يريدون بقدره الحى الذى لا يموت . اختصهم الحق بفتح مغلق باب باطن الكتب المنزلة ، والمصحف المطهرة المكلمة ، وكلام العالم فى الأرض والسماء ، ونظم الحروف من جهة معانيها والأسماء ، وهم جلساء الحق ولهم المشورة فى مقعد صدق . ورجال الظاهر هم الذين لهم التصرف فى عالم الملك والشهادة ، الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والعبادة . ورجال الحد هم الذين لهم التصرف فى عالم الأرواح النارية ، وعالم الجبروت والبرزخية ، وهم رجال الأعراف ، أهل التشمير والتمييز والسراح عن ذميم الأوصاف ، والأعراف سور حاجز بين الجنة ودار الثبور ، وبرزخ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، فهو حد بين السعداء والأشقياء أهل

المرية والحجاب ، وهم أهل الرحمة التي وسعت كل شيء ، السكاملو الأوصاف ، ولهم في كل حضرة دخول وإشراف ، وهم العارفون بالصفات التي يقع بها الامتياز لكل موجود عن غيره من الموجودات الحسية والعقلية بقدره الواحد المعبود . ورجال المطلع ، وهم الذين لهم التصرف في أسماء الله فيستنزلون بها ما شاء الله ، وهذا ليس لغيرهم من العارفين ، ويستنزلون كل ما هو تحت تصرف الرجال الثلاثة المتقدمين ، وهم أعظم رجال الصوفية ويسمون بالملامية . والأقطاب أولو المقامات والتمكين أقسام ، كما ذكره في فنوحاته الشيخ محي الدين .

القسم الأول — الأقطاب العيسويون : وهم الذين جمع لهم الميراثان ، الروحاني الذي يقع به الانفعال على مر الزمان ، والحمدي الذي تقع به الرحمة على جميع الأنام . وهم الذين سرى حالهم في مريديهم بضرب الصدر والظهر والمعانقة ، إشارة لصالح الأمر ، أو بسط ثوب ويفرفون فيه من الهوى ويأمرونه بضمه إلى صدره فلم ينس ما روى ، كما وقع لسيد الأنام عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام في غرفه من الهوى ثلاث غرفات وحطها في ثوب أبي هريرة لما اشتكى له كثرة النسيان ، مع كثرة مجالسته وسماعه حديث سيد ولد عدنان ، وأمره بضم الثوب إلى صدره ، فما نسي بعد شيئاً من نهيه وأمره . وضربه جرير بن عبد الله البجلي في صدره بيده الشريفة لما اشتكى له سقوطه دائماً عن ظهر الفرس السمينة والضعيفة وغير ذلك مما ثبت معجزة للمحبوب الأعظم ، فهو كرامة لورثته من كل محب أكرم . ومن علامتهم الشفقة على كل مسلم وكافر ، ومحسن وظالم ، وعدم التكلم إلا بخير ، ويرون الأشياء بعين المنصف العالم .

الثاني — الأقطاب المصونون في ضنائن غيب رب العالمين : وهم الموسومون عند السادة الصوفية بالسادة القادة الملامية للوم الناس لهم على ما يفعلون ، وهم في الباطن مع الله معبرون ، وهم الذين صانهم وسترهم في قاب صون الغيرة الإلهية الملك العلام ،

وصدق عليهم قوله تعالى : « حور مقصورات في الخيام » ، فلا يعرفون بين العالم بخرق العادات ، ولا يوصفون بينهم بكثرة العبادات ، ولا يشار إليهم بالصلاح الذي في عرف العباد ، مع كونهم محفوظين عما لا يليق بعناية رب العباد ، فهم الأخفياء ، الأبرياء ، الأمناء ، الأكياس ، الصلحاء ، الأولياء ، المختارون ، الغامضون في الناس ، فيهم قال عن ربه سيد الأكياس : « إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر والعلانية وكان غامضاً في الناس » . قد دخلوا في مقام القرب من رب الأرباب ، واكتفوا بالمسبب عن الأسباب . فحينئذ لهم نالوا هذه المرتبة عند الله لصونهم القلوب عن أن يدخلها غير الله ، أو تتعلق بكون من إلا كوان سوى الله . فليس لهم حديث ولا جلوس إلا مع الله . فهم بالله قائلون ، وفي الله ناظرون ، وإلى الله راجعون ، والله منقلبون ، وعن الله ناطقون ، ومن الله آخذون ، وعلى الله يتوكلون ، وعند الله قاطنون . فما لهم معروف سواه ، ولا مشهود إلا إياه ، صانوا نفوسهم عن نفوسهم ، فلا تعرفهم نفوسهم ، فهم في غيابات الغيب محجوبون ، وهم ضنائن الحق المستخلصون ، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق مشياً ستر عن كل حجاب . فهذه حالتهم أبد الآباد ، أولئك هم أولوا الألباب .

الثالث — أقطاب النياية : وهم رجال مخصوصون ذوو سيادات ، وهم الذين يسمعون عن الله ، ويتكلمون بالله ، ويقبلون العادات عبادات ، فيأكلون بنية التقوى على طاعة الله ، وينكحون لأجل الكف عن محارم الله ، وينامون في القيلولة لأجل القيام في حنادس الظلام ، ويلبسون أحر الثياب إظهاراً لنعمة الملك العلام ، وهكذا في جميع الحركات والسكنات ، أولئك أهل المسكارم والسيادات ، شغلوا أنفسهم بتمحيص النيات ، وأحسنوا القصد في الحركات والسكنات ، قلوبهم وأسرارهم متعلقة بالله ربهم من حيث معرفة نفوسهم ، لا اجتماع لهم بالنهار

مع الغافلين ، حركاتهم ليلاً نأظروهم في غيب رب العالمين : وهم في الرجال قليلون ، وكل الطوائف لمقامهم متظلمون ، لأنه مقام ضيق جداً على كل عالم ، لاحتياج صاحبه إلى حضور دائم ، وأكبر من كان فيه أبو بكر الصديق الأكبر ، ودونه كل محبوب مجذوب شفيق أعطر .

والرابع — أقطاب الركبان وهم قسمان : منهم من يركب نجب الهمم ، ومنهم من يركب نجب الأعمال . ونعتهم في الفتوحات فأفصح وقال :

إن الله عبداً ركبوا	نجب الأعمال في الليل البهيم
وترقت همم الذل بهم	لعزير جل من فرد عليم
فاجتباهم وتجلى لهم	وتلقاهم بكاسات النديم
من يكن ذارفة في ذلة	إنه يعرف مقدار العظيم
رتبه الحادث إن حققها	إنما تظهر فيها بالقديم
لطف ذاتاً فما يدركها	عالم الأنفاس أنفاس النسيم
إن الله علوماً جمّة	في رسول ونبي وقسيم

ومنهم أقطاب دائمة وأبدال ونقباء وأوتاد ، ومنهم نجباء ورجبيون وأفراد . فالطبقة الأولى من هؤلاء الأمم وهم الراكيون نجب العزائم والهمم تركت التصرف في هذا العالم مع كامل التمكين والتولية لهم من القوى المتين ، ولبسوا جلابيب الستر والخفاء ، وكتبوا في سجل الفتيان الشرفاء ، ودخلوا في سرادقات الغيب واستتروا بحجب العوائد ، وشربوا من عمار لزوم العبودية والافتقار الطارف منه والتالد ، وهم الكرام الأخفياء ، الأبرياء الأصفياء ، هجيرهم لا حول ولا قوة إلا بالله ، تبرؤوا من الحول والقوة ونسبوهما إلى الله واتصفوا بلسان بي يتكلم ، وبي يبصر ويسمع ، مشاهدين صدور الضر والنفع منه ، متأديين بأداب الله لا يضيفون ما لا يليق بالله إلى الله ، على قدم الخليل إبراهيم ، المخبر عنه ربنا الملك العليم بقوله : « الذي خلقني

فهو يهدين . والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين » . ولم يقل
أمرضني ، تأديباً مع الله تعالى ، فأضاف الخلق والهداية والشفاء إليه . فالمرض من
حيث أنه قبيح ظاهر لم ينسبه إليه متصفين بحاله الخالي : علمه بحالي ، يغني عن
سؤالي ، مغرداً عندايب لسان حالهم عن صحة مقالهم :

حذب الدهر علينا وحنا	ومضى في حكمه وما وني
فعمشقناه غنيًا فعمسى	يطرب الدهر بإيقاع الغنى
نحن حكمناك في أنفسنا	فاحكم إن شئت علينا أو لنا
ولقد كان له الحكم وما	كان ذاك الحكم للدهر بنا
فشفيع هو دهرى والذي	طرف الدهر كذا طرفنا
فرَكِبْنَا نَطْلُبُ الأصل الذي	جعل السر لدينا علنا

والخامس — الأقداب المدبرون : وهم الطائفة الثانية الركبانية العارفون ،
وهم الذين جعل بأيديهم التدبير والتفصيل لجميع المخلوقات . فلهم الاسم المدبر المفصل
وهجراً هم يدبر الأمر يفصل الآيات ، وهم العرائس أهل المناص ، سادات العوام
والخواص ، فلهم المعتاد وغير المعتاد من الآيات ، فالعالم عندهم كله بينات .
وهم العقلاء الناظرون في لب الأمور ، لا في قشورها ، وهم الباحثون عن بطون
المعاني ، الغير المكتنفين بظهورها .

والسادس — أقطاب ألم تركيف : وهم الذين على مرّ الآت من شتاء
أو صيف ، يتفكرون في صفات مبدع هذه المخلوقات ، ويجولون بالنظر إلى
ملكوت الأرضين والسموات ، مستغرقين في شهود رب العالمين ، ليس لهم وجهة
إلا الله ، ولا يقع لهم نظر إلا عليه ، أو أملك الخواص من الناس ، الأصفياء الأكياس .
والسابع — أقطاب صل فقد نويت وصالك : وهم المعنيون بقوله : « يحبهم
ويحبونه » . فخذ أيها الناظر هذه الفائدة لك ، وهي نداء من الحق يناديهم

بالوصال ، ويفقههم بأنه قد نوى وصالحهم وحصل السكال ، كما قال على لسان سيد ولد عدنان : « أجيب دعوة الداعي إذا دعاني » ، ثم قال : « فليستجيبوا لي » ، فإن الدعاء صدر مني وهو لي . وقال في الحديث القدسي تبارك وتعالى : « من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً » الحديث ، إكراماً وإجلالاً ، فإذا اجتهد العبد في وصال مولاه تولاه ونصره وآواه .

الثامن — أقطاب الرموز : وهم الذين أطلعهم الله على تلك الكنوز من سر الحروف التي يعلمها هو وحققهم بمعنى لا إله إلا هو ، ومكنهم رب الأرض والسماء ، من التصرف في وضع الأشياء ، وجعل مقامهم أسمى اه . نقلا من الشرح المسمى : بالجنة اليانعة الأقرب ، لمن أحب رفع القناع ، عن محيا معاني جالية الكرب ، ومنيلة الأرب ؛ للعالم العلامة الأوحى ، والفهامة الأنجد ، السيد محمد الجفري رحمه الله تعالى .

الفصل الخامس

في بيان تحقق قطبانية الأستاذ المترجم
قدس الله سره ، ورفع بين الخلائق ذكره

حدثني الحاج محمد ولد نعيم ، رحمه الله ، قال : قد سألت الشيخ رضي الله عنه عن مقامه عند ربه تعالى في ملأ من صالحى تلامذته فقال لي : أنا القطب الجامع ، وإن العلوى والسفلى تحت قدمي هذه ، ثم ضرب الأرض ضرباً خفيفاً بقدميه مرة أو مرتين ، وذلك بعد دخوانا عليه للزيارة . وكان من عادتنا أن نزوره كل يوم في العسداة ، فقال لنا : عرجت روحى البارحة إلى السماء السابعة فوجدت سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام هناك ، وأعطانى هذه العصا ، وهى من سلم وجدناها في يده وأمرنا بالتبرك بها ، وقال : لا يضعها أحد على ظهره إلا وقد ولد ،

وإن كان عقيماً . قال : فوضعتها على ظهري وكنت عقيماً لا ذكر عندي ولا أنثى ، فولدت ببركتها أنا وأولادي نحو الحسين ولداً من ذكر وأنثى ، والعصا المذكورة كانت قدرها نحو ذراع ونصف ، وقد رفعت من بعد وفاة الأستاذ قدس سره ، ولترجع إلى ما نحن فيه .

حدثنا شيخنا رحمه الله تعالى قال : قال سيدي الشيخ محمد السمان رضي الله عنه لسيدنا الشيخ : على رأس السبعين من عمرك ستصير قدمك على رقبة كل ولي لله تعالى . حدثني الصالح الشيخ أحمد الكوكلقي رحمه الله قال : حدثني من أثق به من أهل الفضل قال : سألت سيدي الشيخ رضي الله عنه عن القطب الغوثي هل هو كما قيل لا يفارق مكة ، أو في كل بلد يكون ؟ قال : بل يكون في كل بلد ، إلا أن نوره يتصل بمكة . قال : فرأيت في الحال نوراً خرج من الشيخ حتى رأيت من بمكة والبيت والمسجد من قائم وقاعد وطائف ، فعلت أنه هو القطب الغوث من غير شك مني في ذلك . ولما تصرف ولده الشيخ إبراهيم الدسوقي رحمه الله في بعض الظلمة بالحال زجره رضي الله عنه وقال له : معرفاً بحاله إن الكون كله تحت قدمي هذه فما مالت نفسي أن أتصرف في شيء منه ولو قدر جناح بعوضة . وبلغنا أنه قد سلب حاله نحواً من ثلاثة أشهر أدباً ثم ردها عليه بعد أن تاب على يديه .

حدثني الشيخ حبيب الله بن أحمد الباسطاني قال : قال لي رجل اجتمع بالشيخ وكان من الثقات ، سمعت سيدي الشيخ رضي الله عنه وهو يقول : ما من روح يخرج من جسده إلا ويعرض علينا ، سواء كان شقيماً أو سعيداً ، ثم يذهب إلى ما شاء الله له . حدثني الحاج إبراهيم الحلبي ، وكان من أهل الذوق ، قال : رأيت مناماً كرسياً أمام الكعبة ، وذلك في عهد الشيخ ، وجلس عليه رجل ما رأى الرءون مثله ، قلت : من هو ؟ قيل سيدي القطب عبد القادر الجيلاني ، ثم قام وجلس

بعده سيدى محمد السمان ، قدس سره ، سويعة ، ثم قام فجلس بعده سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ولم يقم ، فانتبهت من نومي وقصصت هذه الرؤيا على سيدى الشيخ رضى الله عنه من غير إيضاح لاسمه واسم سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه ، فقال لى رضى الله عنه : هذا كرسى القطبانية ، ولا يجلس عليه إلا القطب وآخرهم هو أكثرهم عليه جلوساً .

حدثنى الشيخ محمد ولد طه القاطن أمام بندر المسلمية رحمه الله ، عن شيخه الشيخ محمد ولد على الركابى ، عن الشيخ حبيب بن إمام الكوبابوى قال : قال لى كنت سائحاً ببلاد المغرب ، فصعدت على جبل فوجدت فيه حية مطوقة بطوق من ذهب ، فصيحة اللسان ، وهى من الجن ، فقلت لها : كم لك هاهنا ؟ قالت : لى ألف سنة ، فقلت لها : ما شغلك ؟ قالت : إجراء ذكر كل قطب من الأقطاب على لسانى ، وكنت قد وجدتها وهى تقول : السمان ، السمان . فقلت لها : إن السمان قد توفى . فقالت : السمان هو الطيب ، فعلمت أنه هو الوارث لقطبانيته ، وهذا هو السبب الذى حركنى من بلاد المغرب إلى صحبة سيدى الشيخ والأخذ عنه . قلت : وقد وجدت له قصيدتين مدح بهما الأستاذ بعد مقابلاته له ، ورأيت فيهما العجب العجائب وشهادة بقطبانيته . إحداها أربعائة بيت ، والثانية ثمانمائة بيت . قال الفقيه فضل السيد ولد حسين ، وكان أحد التلامذة الصالحين : قال لى شيخنا هذا رضى الله عنه ، ما من ولى على وجه الأرض فى هذه الأيام ، إلا وهو محتاج إلى فيوضاتنا وإمداداتنا وتوليننا له فى جميع أموره الظاهرية والباطنية . وقال الشريف محمد الهاشمى المغربى الحسنى : حضرت الحضرة فوجدت صاحب الوقت والتصرف سيدى الشيخ رضى الله عنه ، وأمرنى جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحييه بالسلام ، وأن أقف بين يديه حتى أرجع إليه صلى الله عليه وسلم . وفيما سيق لك فى فضل الثناء من هذه المناقب وغيره من الفصول كفاية لأولى الأبواب ، والله الموفق بمنه وكرمه للصواب .

الفصل السادس

في بيان ما تحدث به ، مما أنعم الله تعالى به عليه ،
مما يشهد بفسوخ قدمه وسعة ما خصه الله به من كرمه

حدثني الحاج دفع الله الرفاعي قال : سمعت سيدي الشيخ رضي الله تعالى عنه
وأنا بين يديه وهو يقول : كنت في حضرة فيها جميع الأولياء ، فسمعوا هاتفاً من
من قبل الحق جل وعلا وهو يقول : يا معشر الأولياء ، إن الطيب من سلاطينكم
قلت : وبهذا اللفظ قد أخبرني بعض إخواني أنه سمع مثل ذلك عن ولده سيدي
الأستاذ نور الدائم رضي الله عنه .

حدثني الشريف صالح ولد عمر التيجاني الهندي قال : حدثني الفاضل محمد
ولد ساتي علي قال : قال لي الشيخ رضي الله عنه ، دخلت الحضرة فوجدت أقرب
الأولياء إلى النبي صلى الله عليه وسلم السيد أحمد البدوي وسيدي الشيخ إبراهيم
الدسوقي ، وسيدي معروف السكرخي ، وأبا يزيد البسطامي ، فأقامني صلى الله عليه وسلم
وحدي عن يمينه وهؤلاء عن شماله ، ثم قال : إن الطيب هذا هو يد من أيدي ،
من أحبه أحبني . وقال رضي الله عنه : كثيراً ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبلني كما يقبل الأب ولده الصغير .

ومن كلامه رضي الله عنه : ما حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة
من الساعات ، ولم أقل قولاً ولم أفعل فعلاً إلا بإذنه في جميع الأوقات . ومن كلامه
رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت وإبراهيم ولدي كهاتين
أشار بأصبعه صلى الله عليه وسلم السبابة والوسطى مضمومين . ومن كلامه رضي الله
عنه : كان الشيخ أبو مدين شعيب المغربي رضي الله عنه يوصل في النظرة الواحدة
إلى الله تعالى سبعين رجلاً ، وأنا لست دونه .

ومن كلامه رضى الله عنه حصل بى الحال ، فبينما أنا طائر فى آفاق السماء الرابعة وإذا بجبريل عليه السلام قد لقيني ، فقلت له : يا جبريل أين أخى محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لى : يا ابن البطون الطاهرات إنما أخوه على . قلت أراد بذلك له الوقوف على الأولى ، وهى تربية جبرائيلية ، وإن كان القول بالأخوة له صلى الله عليه وسلم قد أجازته الحديث المروى عنه صلى الله عليه وسلم ، ففى صحيح الإمام مسلم رضى الله عنه سنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم أصحابى وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، قالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم أصحابى ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، رأييت لو أن رجلاً له خيل غرة محجلة بين ظهري خيل دهم بهم^(١) ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ، ألا ليذاذن رجال كما يذاذ البعير الضال ، أناديهم : ألا هلم ، فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : سحقتاً ، سحقتاً . »

فالأخوة ثابتة كتاباً وسنة ، كيف وقد قال الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » . ولكن الأدب تركها معه صلى الله عليه وسلم وأن يدعى برسول الله ، ونبي الله ، كما أرشدنا رب العزة جل جلاله بقوله : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » . ويرحم الله القائل :

ودعا جميع الرسل كلا باسمه ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي

ولكن القطب المترجم معذور فى ذلك الوقت لأنه فى حال هيام واصطلام ، والله در من قال :

(١) بهم : جمع أبهم ، وهو الذى لا شبهة فيه .

يقولون زرنا واقض واجب حقنا وقد أسقطت حالي حقوقهم عنى
وقد أشار الإمام النابلسى رضى الله عنه بقوله فى ديوانه المشهور :

نحن إخوان النبی المصطفى	وَدَّ لو كان رأنا وكفى
وهم الأصحاب كانوا قبلنا	جاء هذا فى حديث يقتنى
وانقضت أصحابه وانقطعوا	وبقينا نحن إخوان الصفا
حبنا من حبه مكتسب	ومع البعد به البعد انتفى
وهو يشـتاق ونشـتاق كما	يشتكى نشكو تباريح الجفا
وإذا وَدَّ وَدِدنا مثله	وهو أمر جلّ عن أن يوصفا
إنَّ للإخوان فى الحكم يداً	تقتضى منه عهداً ووفاً
وهو أيضاً نسب متصل	وحدة الروح مقام الخلفا
وإذا الصحبة فى الظاهر قد	عظمت فضلاً وزادت شرفا
نسبة الإخوان فى الباطن لا	تقتضى إلا الجوى والشففا
شرطوا الرؤية بالعين فمن	نالها منه فبالجسم اكتفى
وتركنا الذات للذات ترى	رؤية التحقيق من غير خفا
فاعرفوا بالفرق ما بينهما	فاز بالإحسان من قد عرفا

وقول جبريل عليه السلام له : يا ابن البطون الطاهرات هو شاهد على طهارة
نسبه رضى الله عنه .

ومن كلامه رضى الله عنه : من دفن بينى وبين الشيخ عبد الحمود أبى شيبة
المشهور بالطيار ، فإنه لا يعذب فى قبره بنوع من أنواع العذاب ولا بالنار .

ومن كلامه رضى الله عنه : قد دخلت الخلوة وجاءنى جبريل عليه السلام
وبيده قطعة من حرير مكتوب فيها هذه الصلاة وهى : اللهم صلى على سيدنا محمد
النور وآله . وقال لى : هذه هدية مناك ، وأطلعنى على أسرارها عليه السلام .

ومن كلامه رضى الله عنه : قد أدخلت ولدنا عبد الرحمن الفادى الخلوة بصلاة اسمه تعالى رحمن ، فعرضت روحه على الحق جل وعلا فخفضت وتأدبت ، وقال : إلهى ماجزاء من أحب عبدك سيدى أحمد الطيب ؟ قال جزاؤه ألا أحرقه بنارى . ومن كلامه رضى الله عنه : من رأى من رآنى ، ومن رأى من رآنى ، إلى ثلاثة . وفى رواية إلى سبعة ، لم يحرق بالنار . ومن كلامه رضى الله عنه : من قال عند حَفَرِهِ لقبر ميت من الأموات : هذا قبر أحمد الطيب ، فلا يعذب ولو لم يكن من أهل الطاعات . ومن كلامه رضى الله عنه : قد سألت الحق جل وعلا هل الأفضل للمريد الصادق أن يتوسل إليك بصلاة الأسماء ، يعنى صلاته ، أم بدلائل الخيرات ؟ قال لى : وعزتى وجلالى وارتفاعى فى علوى ، إن من توسل إلى مرة واحدة بصلاة الأسماء ، أفضل ممن يتوسل إلى بسبعين مرة بدلائل الخيرات . ومن كلامه رضى الله عنه : أنه قد كان معى يوماً أخى الحاج أحمد البقارى ، فسمعت هاتفاً من قبل الحق تعالى وهو يقول : لأُقَرَّبَنَّكُمْ فى الدنيا والآخرة . واعلم أن الحاج المذكور من أصدقاء الشيخ رضى الله عنه ، وخواص أحابيه . وكان أخذه على سيدى الشيخ محمد السمان قدس سره بالمدينة المنورة ، وهو من أهل القدم الرفيع فى الولاية ، وقد زوجه الشيخ بأخته آمنة بنت البشير وولد منها ، وله مناقب وكرامات وفضائل شتى ، وهو من آل بيت النبوة ، حسبنى النسب ، وأجداده قاطنون بدارفور ، وهم أشهر من أن يذكروا . كالشيخ الماحى ولد داود ، وغيره . وإنما شهر بالبقارى ، لسكناه فى أرض البقارة ، وتهيئته بهيئتهم ، كنسبة السيد أحمد البدوى إلى البادية ، وما له فيها إلمام غير الهيئة فقط .

ومن كلامه رضى الله عنه : من حصل به هم فليقل : يا أحمد الطيب ، يا أحمد البدوى ، فلا يرى همًا بعد هذا . وكلامه رضى الله لا يحصى ، وفيما ذكرنا غنى لمن استغنى ، وهناء لمن أراد الله له أن يهنا .

الفصل السابع

في بيان ما أكرمه الله به من فسحة أجل من حضرت
لقبض روحه ملائكة القبض عليهم السلام ، وشبه ذلك

حدثني الفاضل الصالح الشيخ الحسين بن الفقيه إبراهيم الخليل بن الفقيه محمد
الأغبش ، قال : مرضت مرضاً أشرفت فيه على الهلاك إلى أن يئس كل الناس من
حياتي ، فجاءتني ملائكة القبض لقبض روحي ، فرأيت سيدي الشيخ أحمد الطيب
رضي الله عنه ، وهو قريب منهم ، يقول لهم : أما قلت لكم لا تقبضوا روحه !
فرجعوا عند ذلك . فإن قال قائل : إن هؤلاء الملائكة لا يقدمون على أحد
إلا بإذن من الله تعالى . فالجواب : إن الأمر والشأن كذلك ، ولكن قد يحصل
النسخ خرقاً للعادة ، إكراماً من الله تعالى لوليه ، هذا فيما تعلق به خاطره ، في فسحة
أجل المذكور . ونظير هذه الحكاية ، ما ذكره سيدي عبد الوهاب الشعراني
في ترجمة سيدي الشيخ محمد الشربيني ، قال : لما ضعف ولده أحمد وأشرف على
الموت ، حضر عزرائيل لقبض روحه ، قال له الشيخ : إرجع إلى ربك فراجعه .
فإن الأمر قد نسخ . فرجع عزرائيل ، وشفي أحمد من تلك الوعكة وعاش بعدها
ثلاثين عاماً . ومن ذلك المعنى الخارق للعادة ، أن سريره رابحة ، التي أهداها إليه
الشيخ ناصر ولد أبي لكيلك ، لما توفيت ودفنت ، كان الشيخ رضي الله عنه
جالساً على شفير قبرها ، فلما حضر الملكان زعق زعقة بهم عالية ، ثم قال : يا بني
الله ورسوله أن يفتن أو يعذب جسد التصق بجسدي . فسل عن ذلك فقال :
إن الملكين أرادا أن يفتناها فنحيتهما عنها بإذن الله تعالى . قلت : وقد رأيت
في شرح الشيخ الصاوي رضي الله عنه ، على بعض كتب التوحيد ، أن الشيخ
إبراهيم اللقاني ، رحمه الله تعالى ، لما دفن وحضر الملكان ليسألاه قد حضر عنده

إمام دار الهجرة ، مالك بن أنس ، رضى الله عنه ، وقال لها : أمثل هذا يستحق أن يسأل في أمر دينه ، فتنحيا عنه . وهذا الكلام إما أن يكون هكذا لفظه ، أو حكيمته بالمعنى ، لأن عهدى به طويل . ونظير هذا الكلام إكرام الله تعالى لأوليائه ما حكاه الشيخ الجفري العلوى ، في كتابه (كنز البراهين الكسبية ، والأسرار الرهيبية الغيبية) في ترجمة سيدى عبد الله باعلوى ، قال : ومنها أن رجلاً أنشده أبياتاً تتعلق بالبعث والحساب ، فتواجد صاحب الترجمة وخر مغشياً عليه ، فلما أفاق قال للرجل : أعد الأبيات . فقال الرجل : بشرط أن تضمن لى الجنة . فقال : ليس ذلك لى ، ولكن اطلب ما شئت من المال . فقال الرجل : ما أريد إلا الجنة . فقال إن حصل لنا شيء ما كرهنا ، ودعاه بالجنة ، فحسنت حال الرجل وانتقل إلى رحمة الله تعالى ، وشيعه صاحب الترجمة وحضر دفنه ، وجلس عند قبره ساعة فتغير وجهه ، ثم ضحك واستبشر . فسئل عن ذلك فقال : إن الرجل لما سأله الملك عن ربه ، قال : شيخى عبد الله باعلوى ، فتعجبوا لذلك ، ثم سألاه أيضاً فأجاب بذلك ، فقالا : مرحباً بك وبشيخك عبد الله . ويدخل فى هذا المعنى قول الشيخ رضى الله عنه ، الذى تقدم ، وهو إذا أردتم أن تحفروا قبر ميت ، فقولوا : هذا قبر أحمد الطيب ، فإن الله تعالى لا يعذب صاحبه .

ومن ذلك حكاية سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه ، أنه قال : أيما امرئ مسلم عبر على باب مدرستى خفف الله عنه العذاب يوم القيامة . وكان رجل يصرخ فى قبره ويصيح ، حتى آذى الناس ، فأخبروه فقال : إنه رآنى مرة ولا بد أن الله يرحمه لأجل ذلك . فمن ذلك الوقت ما سمع له أحد صراخاً . حدثنى من أثق به قال : رأيت صبيّاً أحضره أهله بين يدى الشيخ رضى الله وهو مريض ، فقال لهم : إن أجل ابنكم هذا قد حضر ، ولكن لا يقبضه الملك وهو عندنا هنا ، فاحفظوه ألا يخرج . فلما كان بعد أيام قد خرج الولد إلى الصحراء

فجاء أهله ولم يجدوه ، فلما أخبروا الشيخ رضى الله عنه قال لهم : إذهبوا خلفه
وخذوا معكم كفنًا واذفنوه فإنه قد مات . وإيضاح ذلك أن الشيخ رضى الله عنه
قد اطلع من طريق الكشف أن قبض روحه لا يكون في موضعه ، ولكن يكون
في موضع آخر . فلما كان وقع الأمر على حسب اطلاعه وكشفه ، وإلى ذلك
الإشارة بقوله تعالى : « عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من
ارتضى من رسول » أى أوولى ، كما قال أجلة المفسرين

الباب السادس

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول

في بيان كراماته في حياته

إعلم وفقني الله وإياك على محبة الأولياء ، والتصديق بكرامات الأصفياء ،
أن كرامات الشيخ رضي الله عنه ، لا تحصى ، ومناقبه لا تستقصى . وجميع
ما حواه هذا المؤلف من بدايته إلى نهايته ، كله كرامات . ولكن عقدنا هذا
الفصل كمادة أهل المؤلفات ، فنقول : منها ما هو معلوم لدى كل من حضره
وشاهده ، وهو أثر أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر على هامة رأسه مؤثر
فيها ، وله ضياء يبصر به الوجه لمن نظر إليه ليلاً .

ومنها ما أخبر به الحاج العباس ولد أحمد ولد القاضي نصير السرورابي أنه قال :
لما قتل الشيخ عبد الله ولد عجيب ، المشهور برأس تيره ، فقد توجه الشيخ ناصر
ابن الشيخ الأمين إلى ملك سنار يستخلفه في بلده ، من بعد المذكور ، فتوقف
الملك وأحب أن تكون الرئاسة لأخيه أوتسرى الأمين . وكان قد حضر مع الشيخ
ناصر الفقيه محمد ولد أبي أمونة ، وكان من المهتمين بأمر الشيخ ناصر وشأنه .
ف ذات يوم قال له أبناء القاضي نصير ، كالمداعين له : خذ الطريقة على أحد هؤلاء
المشايع ودع ما أنت فيه . يشيرون بذلك إلى سيدى الشيخ أحمد الطيب والشيخ
يوسف بن الشيخ محمد الطريفي رضي الله عنهما وغيرهما ، وكان يومئذ بمدينة سنار .

فقال لهم : لا آخذها إلا على من يخبرني بما في نفسي مكاشفة ، فطافوا به على مشايخ الطريق ، فما خاطبه أحد منهم ، إلى أن دخلوا به على سيدى الشيخ ، وذلك بعد العشاء الأخيرة ، فأمرهم بالرجوع إلى محلم والإتيان إليه عند صلاة الصبح .
فما حضروا التفت الشيخ رضى الله عنه إلى الفقيه محمد ولد أبى أمونة وقال له : إن ناصراً قد قلدناه أمر الرئاسة التى يطلبها فى هذه الليلة ، من غير رضا ملككم . فعند ذلك تواجد محمد ولد أبى أمونة طرباً ووقع على قدم الشيخ يقبلها ، وقال : والله هذا الذى كنت أضمرته فى نفسى . ثم إنه طلب الطريقة من الشيخ فأعطاهها له . ومن قبل طلوع شمس ذلك اليوم قد ضرب الدنقر الذى هو علامة على المشيخة فى دار الملك ، بمشيخة الشيخ ناصر ورئاسته على بلده ، بعد أن كان ذلك أبعد فى نفس الملك من كل بعيد .

ومنها ما هو أشهر من أن يذكر : وهو أن الشيخ عبد الله ولد عجيب ، الشهير برأس تيره تعدى على جماعة من الجوعية قتلهم وأخذ أموالهم ظالماً فاستغاثوا بالشيخ رضى الله عنه فى رد أموالهم عليهم . فكتب إليه الشيخ كتاباً فى ذلك ، فأبى أن يرد إليهم شيئاً . ثم كتب إليه ثانياً فأبى ، ثم ثالثاً بالعزل عن الملك فقتله أولاد الشيخ الأمين فى ثانى ليلة ذلك اليوم شر قتلة .

حدثنى الحاج العباس ولد احمد ولد نصير ، قال : حدثنى عمى الحاج الأمين ، قال كنت ممن حضر مع الشيخ رضى الله عنه صلاة صبح تلك الليلة التى قتل فيها عبد الله رأس تيره المذكور ، فسمعت الشيخ رضى الله عنه ، بعد أن صابنا الصبح ، يقول : الآن قد عرضت على جنازة عبد الله رأس تيره ، قال : فاختلج صدرى فى كلامه وتردد ، وما زلت على ذلك إلى أن وردت الرسل إلى جهتنا بقتله ، وكان ذلك فى ضحوة ذلك اليوم . فبادرت إلى الشيخ رضى الله عنه ، مسرعاً وجلاً ، مما كان منى ، فطلبت منه السماح فسأحبنى ، رضى الله عنه .

ومنها ما أخبرني به الحاج العباس المذكور أيضاً ، قال : حدثني عمي الحاج الأمين قال : قال لي كنت مرة جالساً بين يدي الشيخ رضي الله عنه ، فلما رأيت انكباب الناس على زيارته وتعظيمهم له ، ومحبتهم فيه ، قلت في سرى : هذا كاد أن يكون كشيخنا الشيخ يوسف بن محمد الطريفي فما استتم هذا الخاطر حتى امتلأ جسمي ناراً وحرّاً ، ولم تزل الحرارة تزداد فيّ إلى أن وصلت إلى قلبي فاستغثت عند ذلك بشيخنا الشيخ يوسف رضي الله عنه ، فتحولت تلك النار والحرارة إلى ظهري ، ولم تزل كذلك ، وإني في غاية من الضر والألم الشديد ، ومع ذلك كرهت نفسي أن تبدي جزءاً ، فالتفت على الشيخ رضي الله عنه بحالة غضب ، وقال : نحت جبل بأظفار ، وحفر بئر بإبار أهون علىّ من كلمة إنكار ، قال : فقلت يا سيدي أتواخذني بالخطرات القلبية ؟ ! فقال لي : ألا تتوب بعد هذا ؟ فقلت : بلى : قال : فكأنا طفي ، بماء .

ومنها ما بلغني عن أئق به من إخواننا السمانية : أن الترك عند دخولهم البلاد مرة جماعة منهم بناحية الشيخ رضي الله عنه فرأوا نسوة فهربن منهم فتبعوا أثرهن إلى أن دخان على الشيخ رضي الله عنه ، فزعاً منهم ، فأرادوا الدخول على الشيخ وإخراجهن من عنده قهراً . فعند ذلك أشار الشيخ قدس سره بيده إليهم وقال قهار ، فخرجت من تحت أرجلهم ريح عاصف فأخذتهم وما كانوا عليه راكبين من الخيل ، ولم يقف أحد على خبرهم إلى يومنا هذا .

ومنها ما أخبر به الحاج أحمد بن محمد الأغيش رحمه الله وغيره ، من تلامذة الشيخ ، قالوا : كنا عند الشيخ ، رضي الله عنه ، عند دخول الترك في البلاد ، فقصص جماعة من أعيانهم إحراق سيدي الشيخ بالنار ، كما فعلوا ذلك بغيره . فلما أوقدوا النار في البيت الذي فيه الشيخ ، هممنا بأن نحمله ونخرجه منه خوفاً عليه فزجرنا وقال لنا : قفوا مكانكم ، فإني وعزة ربي مؤمن من نار الدنيا والآخرة ،

ثم التفت إلى النار فحمدت بعد اشتعالها ، فارتعدت فرائص المذكورين وتصيبوا عرقاً ، حتى كادت أرواحهم أن تزهق خوفاً و فرقا ، حتى جثوا على ركبهم ونزعوا ما على رؤوسهم وبكوا بين يديه رضى الله عنه .

ومنها ما أخبرني به من أثق به من الأخيار ، قال : بلغنا أن الشيخ رضى الله عنه مر يوماً بمقبرة سنار والناس يمشون خلفه ، وهو راكب على فرس ، فوقف عند قبر جديد دفن وضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال للحاضرين . أمن الفنج صاحب هذا القبر ؟ قالوا نعم ، وله ثلاثة أيام من حين موته . فسكت ، فقال له بعض الناس : أخبرنا يا سيدى بخبره . قال رضى الله عنه : سمعت للملكين يسألانه وهو يحبيهما بلالهما إلا الله محمد رسول الله ، وذلك إلى أن بلغ ثلاث مرات ، ثم سألاه في الرابعة فقال : وهات الملك بإبدال الحاء هاء ، وذلك بلغته . يريد بذلك وحياء الملك لا أزيد على ذلك . قيل للشيخ رضى الله عنه : ماذا فعل به ؟ قال : كاد الشجاع أن يكون ولياً .

ومنها ما أخبرني به جماع ولد عجيب ، عن خاله الحاج ولد البشير الترابي ، عن أبيه قال : لما اشتهر الشيخ رضى الله عنه بالولاية والكرامات ، وخوارق العادات ، وانقياد الناس إليه حسده بعض العلماء والمنسوبين إلى الصلاح من أهل بلده ، لا سيما أهل الجاه من أبناء الصالحين المتقدمين . فاتفق رأيهم على أن يذهبوا إلى الشيخ ناصر بن الشيخ الأمين في أمره ، لينهى الناس عن زيارته وعن الاعتقاد فيه ، وأن لا يلقبه أحد بالشيخ . فتوقف الشيخ ناصر عن ذلك ، ثم ألحوا عليه فوافقهم ، فحبس في ذلك اليوم جماعة ممن يعتقدون في الشيخ رضى الله عنه ويزورونه . فلما كان اليوم الثاني صار الغالب على الناس كثرة الاعتقاد في الشيخ ، وزيادة على ما كانوا عليه ، ولا يزالون يزادون عقيدة وطريقة ، وأنهم من كثرة اشتغالهم بذكره وبجبه تركوا كثيراً من أمورهم فجمع الشيخ ناصر المذكورين الذين

كانوا سبباً في هذا الأمر ، وقال : ماذا تراءى لكم في هذا الرجل ؟ ! قالوا :
كثرة الاعتقاد فيه وقوة أمره ، قال : ينبغي أن يقال فينا وفيكم : « يريدون
أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره » الآية . ثم إن الشيخ ناصر
ولد الأمين قد أرسل إلى الشيخ رضى الله عنه هدايا كثيرة وطلب منه السماح
فسأحه ، وصار من المعتقدين فيه إلى أن مات . ويحق أن ينشد في هذا الموضع
هذه الأبيات ، وهى للعارف الشيخ عبد الغنى النابلسى وهى هذه :

شمعتى أشرقت بنورك ربى	وعليها حواسدى كالقراش
كلما حاولوا بأن يطفئوني	حرقوا بى فكان أمرى فاشى
وأضاءت بالحق أنوار شمسى	فأرونى بأعين الخفـاش
أنظن الكلاب إذ نبحتنى	أن تعييرهم يندس شاشى
أو بأتى فى الناس أنقص قدراً	بكلام الأراذل الأوباش
لا ومن خصنى بزائد علم	لم يعموا من وبله برشاش
وجلا خاطرى بنور يقين	ورماهم فى حيرة واندھاش
وابتلاهم بخيبة وعناد	وقلوب أسرى الشكوك عطاش
وحبائى رفعا عليهم جميعاً	بمقام عال شريف الحواش
لا ينالون بالتمرض منى	غير كفر بالحق واستيحاش
وضلال عن الصواب ولعن	فى معاد على المدى ومعاش
فانقشوا يا منافقون أو امحوا	سأريكم فضيحة النقاش
قد نبشتم عن كفركم باعتراض	فاقطعوا بينكم يد النبـاش
أو لم تعلموا بأتى نور	لاح للكشف فى الظلام الغاشى
فلتفرّوا إنى طلعت شهاباً	يا شياطين أو خذوا حرب جاش
فارس السهل الكميت بعيد	أن تجارى مداه عرج الجحاش

ومنها ما أخبر به الخليفة عبد الجبار ولد سعد ، عن شيخه السيد الحسن الميرغني ، رضى الله عنه قال : سمعته يقول إن الله تبارك وتعالى قد أكرم وليه الشيخ احمد الطيب بكرامتين عظيمتين في أولاده :

الأولى — ان لكل واحد منهم نفحة من الله تعالى تدركه ولو عند الموت .
والثانية — انهم لا يموتون إلا على حسن الخاتمة . قلت : ومصدق هذا إن كل من ينسب إلى الشيخ رضى الله عنه لا يخلو من حال تشهد بفضله وإن كان ممن لا يعتنى به في ظاهر الأمر .

ومنها ما أخبر به الحاج محمد ولد نعيم رحمه الله قال : رأيت رجلاً أصيب بجنون فأتى به أهله إلى سيدى الشيخ رضى الله عنه وهو مقيد ، فلما رآه قال لهم : فكوا منه القيد ، فلما أطلقوه خرج منه دخان نتن وفاق لوقته .

ومنها ما أخبر به رجل من أهل الصعيد قال : سافرت في بعض السنين إلى الجبال ، فلما وصلت إلى جبل يقال له قرير يصة ذهب ما معى من الماء واشتد بى الظمأ ، فاستغثت بالأولياء . فرأيت في تلك الحالة رجلاً جليلاً مهاباً أصفر اللون ، فوقف أمامى ثم أشار بيده إلى موضع قريب منى فقصدت موضع إشارته فوجدت قرية مملوءة ماء فأخذتها ، والتفت إليه فلم أجده . فلما رجعت إلى بلدى وأخبرت بذلك بعض الناس قال رجل منهم : هذا الوصف لا أراه إلا فى سيدى الشيخ احمد الطيب رضى الله عنه فتعلق خاطرى بزيارته ، فلما وقع بصرى عليه عرفته وعرف هو أنى عرفته فتبسم وقال : أنت صاحبنا بقرير يصة ، قلت نعم . ثم دعا لى بالبركة ، فرجت منه إلى بلدى فرحاً مسروراً .

ومنها ما أخبر به الشيخ محمد ولد طه الرفاعى قال : كنت قبل صحبتى لسيدى الشيخ مصحباً لبعض المشايخ المشهورين ، فلما صحبت سيدى الشيخ رضى الله عنه أقمت عنده أعواماً ثم طلبته الإذن فى الرجوع إلى وطنى ، فأذن لى وأمرنى بزيارة

ذلك الشيخ ، وكان شيخاً غيوراً ، فتغير به الحال عند ما رآني ، ثم عاتبني على اتصالي بالشيخ وانفكاكي عنه ، فسكت غير معتذرة له . فلما علم عدم رجوعي إليه وجه همته على بالضرر ، فخرجت من عنده مسافراً إلى بلدي ، فلما سرت كذا كذا ميلاً فلم أشعر إلا وهو بين يدي ، فلما أراد أن يأخذني بالحال استغثت بسیدی الشيخ رضى الله عنه فرأيته قد نزل من الجو بيننا ، فأخذ كل واحد منا بيد من يديه ووضعه فوق فراشه من محله .

ومنها ما أخبر به الرجل الصالح تلميذه العارف بالله الشيخ محمد ولد الحاج النور البرياني قال : كنت في عهد الشيخ إذا حملت ثيابه إلى البحر لأغسلها فإني أسمع أمواج البحر بالأذن الظاهرة تقول لي : دع لنا ثياب الشيخ نغسلها . قال : وهذا دأبها في كل وقت جئت لغسلها حتى عزمت على التصرف فيها بالاسم الأعظم . فعند ذلك سكنت ولم تقل شيئاً .

ومنها ما أخبر به الحاج النعيم ولد الزملي رحمه الله تعالى قال : كنت مع سيدي الشيخ رضى الله عنه بالجزيرة الشهيرة بقندال ، فصلى بنا المغرب في بعض الأيام ، فلما قرأنا الراتب سمعته يقول : وعليكم السلام ياسيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وعليكم السلام ياسيدي أحمد البدوي ، وعليكم السلام ياسيدي أحمد الرفاعي ، وعليكم السلام ياسيدي إبراهيم الدسوقي ، وهكذا إلى أن عد كثيراً من الأولياء . ثم قال : وعليكم السلام ياسيدي إبراهيم الخليل ، وعليكم السلام ياسيدي إسماعيل الذبيح ، وعليكم السلام ياسيدي موسى بن عمران ، وعليكم السلام ياسيدي عيسى بن مريم ، وهكذا يذكر نبياً بعد نبي إلى أن قال : وعليكم السلام ياسيدي يارسول الله ، ثم بكى كثيراً وبكى الحاضرون لمكانه . ثم لمعت أنوار باهرة ، وفاحت ريح عطرة فهم المريدون بذلك وحصل أنس عظيم ومدد فخيم .

ومنها ما أخبرتني به بعض زوجات الشيخ رضى الله عنه : كان من عادة الشيخ

كثرة السهر وعدم الاضطجاع ، فبات عندي في ليلتي وهو قائم على أقدامه ، فلما بقي من الليل نحو الثلث ، رأيت في بيتي نوراً أضوا من الشمس ، وبدت له رائحة أحلى من المسك ، فأردت أن أكشف الثوب عن وجهي لأنظره ، فأمرني أن لا أكشف الغطاء عن وجهي . فلما طلع الفجر زال ذلك النور والرائحة . ثم بعد أيام سأله رضي الله عنه عن ذلك فقال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أتكلم معه في أمر الكون . ثم أمرني رضي الله عنه بالكتان فكتمته إلى أن توفي رضي الله عنه .

ومنها ما أخبرني به الشيخ سعيد المسالي قال : سمعت سيدي الشيخ رضي الله عنه يقول : كنت في حضرة فيها جميع الأولياء فأدنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم غطاني بأنواره الخاصة به فحجبت عن الأولياء ولم يرني أحد منهم بعد ذلك ، إلى أن جاء سيدي محمد السمان رضي الله عنه فرآني وقال : يا رسول الله من هذا الذي إليك أدنيت ، وبأنوارك غطيته . قال : الطيب ابني . قال الشيخ سعيد المذكور : سمعت سيدي الشيخ رضي الله عنه ، بعد أن ذكر هذه القصة يقول : لا أشك بعد هذا في شرفي واتصالي برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوته لي . قلت : ولذا قلت في بعض قصائدي التي مدحته بها :

من نسل فاطمة الزهراء ذو شرف وسادة ما لهم في المجد أقران
ومنها ما أخبر به شيخنا رحمه الله قال : رأيت سيدي الشيخ قدس سره إذا جلس في ليلة مقمرة يكاد أن يباهي نوره نور القمر ، وكثيراً ما كنت أدخل بيتاً مظلماً يتراءى للعين كأن فيها سراجاً ، حتى لو أن أحداً أراد أن يقرأ مكتوباً على ضوئه لقرأه .

أخبرني حمد ولد علي الجميعابي عن عمه أو عن أبيه قال : قال جئت ليلاً من محلي بالجميعاب قاصداً لزيارة سيدي الشيخ رضي الله عنه ، فلما وصلت لم أعرف

الموضع الذي هو به ولم أجد من يدلني عليه ، فعند ما آتت لاح لعيني نور في بعض بيوت نساؤه فقصدته وكنت أظنه مصباحاً ، فلما قربت منه تبين لي أنه نور يبدو من جهة الشيخ رضي الله عنه .

ومنها ما أخبرت به جدتنا رحمة بنت الصائم قالت : دخلت على الشيخ رضي الله عنه مرة فوجدته نائماً متبسماً ، فعجبت من ذلك ، ثم خرجت . فلما مشيت قليلاً سمعته تنحنح فرجعت إليه وزرته ، ثم سألته عن تبسمه في حالة نومه قال : كان معي في هذه الساعة رسول الله صلى الله عليه وقد قباني بين عيني فتبسمت فرحاً بذلك .

ومنها ما أخبر به رجل من أهل شالدي قال : سافرت في بعض السفين إلى دنقلة لأشترى تمرأ ، وكان معي جماعة من أهل بلدي فنزلنا عند رجوعنا منها عند الشيخ رضي الله عنه ، وكان الوقت غلاء ، فقال لنا : هل نجد فيكم ذا مروءة يبيع لنا تمره لأجل مسمى ، نستعين به على الفقراء والضيوف . قال : فقلت له نعم . فدعا لي بالبركة وأمرني بالإقامة معه ، واستلم تلامذته مني التمر وكذلك الجمل الذي يحمله بالثمن الذي رضيت به ، ثم إنه وادع رفقتي الذين كانوا معي فسافروا . وبعد أيام كتب لي كتاباً وأمرني أن أسافر إلى بلدي ، وأن لا أقرأ ذلك الكتاب إلا بعد أن أرى بلدي ، فلما رأيت البلد فتحتة وقرأته ؛ فإذا فيه من أحمد الطيب بن البشير إلى فلان وفلان وفلان ، ثلاثة من الجن سماهم بأسمائهم . مضمونه : إذا وصلكم كتابي هذا فاعطوا حامله من الذهب ما يكفيه . قال : فخرج من الأرض ثلاثة على أحسن هيئة فقبلوا يدي ورجلي واستبشروا بقدومي عليهم ، ثم أمروني أن أغض عيني ففعلت ، فإذا أنا بأرض بيضاء و بساتين وقصور مارأى الرءون مثلها ، ورأيت الجن يهرعون إلى من كل جهة بالهدايا الذهبية ، كالأوقية والنصف والربع ودون ذلك . وسمعتهم يقولون لبعضهم فرحاً وسروراً : اليوم جاءنا رجل من سيدي

الشيخ أحمد الطيب . وهكذا حالهم معي ، إلى أن تمت لي ثلاثة أيام ، ثم جاء الثلاثة المذكورون ويدهم طاسة مملوءة ذهباً وأمروني أن أغض عيني ، كالحالة الأولى ، ففعلت ذلك ؛ فإذا أنا في الموضع الذي حملوني منه . فلما وصلت محلي بشالدي وقع بصر زوجتي على فرأيت وجهها كالحلأ عابساً ، وداخلها من جهتي شر عظيم لتخلفي عن أصحابي ، لأنها حملتني على العدم بإضاعة مالي . فلما رأيتها على تلك الحالة بادرت بإطلاعها على ما عندي من الذهب ، فلما رأته كادت أن تزهر روحها فرحاً بذلك . قال الرجل المذكور : فوالله كل ما وجدته من ذلك فهو من بركة سيدي الشيخ رضي الله عنه ، وإني لا أفتر بعد ذلك إلى ولد الولد .

ومنها ما أخبرني به محمد ولد أحمد ولد صغيرون قال : كنت جالساً مع سيدي الشيخ رضي الله عنه في بعض الأحيان ، فرأيت صقراً نزل من الجو بين يديه كالمتألم الشاكي ، فتناول رضي الله عنه ورقة على عجلة وكتب فيها كتابة وعلقها في عنقه فطار ، وأنا إلى هذا اليوم في حيرة من ذلك .

ومنها ما أخبرني به الأخ الصالح يس ولد عبد الله الدويحي قال : حدثني رجل من الفضلاء قال : كان بالمغرب رجل من الأقطاب فسلم حاله من القطبانية فتوجه من بلاده لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، رجاء أن ترد عليه قطبانيته ، فلما وصل المدينة المنورة رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يأمره بزيارة سيدي الشيخ رضي الله عنه . فعند وصوله بالدامر وجد به رجلاً من تلامذة الشيخ فأطلعه على أمره ، فناول طاقية عنده كان أهداها له الشيخ رضي الله عنه ، فلما وضعها على رأسه عادت عليه القطبانية في الحال ، فأخبر بذلك التلميذ المذكور فسجد شكراً لله تعالى ، وكتب له كتاباً إلى سيدي الشيخ رضي الله عنه يخبره بأمره ، وبما حصل له ببركته ، وتوجه من وقته إلى بلاده حامداً شاكراً .

ومنها ما أخبرني به من أثق به قال : إن رجلاً يقال له إبراهيم بن منصور ،

وهو من ذرية الأولياء المشهورين ببلادنا قد نزل بالتمانيات ، وكان قد أفشى للناس بعض أشياء ليعتقد بها ، فأخبر الشيخ رضى الله عنه بذلك قال : مروه أن لا يقيم تجاه وجهي ، فأمره فأبى ، وسمع منه كلام فيه رائحة افتخار ودعوى ، وأن الشيخ لا يتصرف فيه . فما استتم كلامه حتى تغير عليه الحال ، وأخذته الأحوال ، وتراكت عليه الأحوال ، فخرج مسرعاً مذعوراً وترك ماله من دابة وغيرها . فلما وصل محله سئل عن ذلك فقال : عند ما تكلمت بكلامي هذا سمعت من جهة الشيخ رضى الله عنه أصواتاً مرهبة وأنفاساً مزعجة ، ورأيت عواماً ومدافعاً تكاد الأرض أن تنقلب منهما ولولا مبادرتي بالخروج لهلك . قلت : وما سمع أن هذا الرجل بعد ذلك مر على تلك الناحية إلى أن مات .

ومن ذلك ما أخبر به بصير ولد عبد الحمود قال : حصل بنا عطش شديد على الطريق عند مجيئنا من دارفور ، حتى أشرفنا نحن ومن معنا على الهلاك ، فاستغثنا بسيدى الشيخ رضى الله عنه ، فأخذتني سنة من النوم فرأيت الشيخ رضى الله عنه وفي يده إناء مملوء ماء فناولنى إياه فشربت حتى رويت ، وكنت قد رأيت في الإناء نجس . فلما استيقظت وجدت نفسى ريان ، وفي فمى بعض من النجيل ، وهو نبات معلوم ، ثم بدت لنا سحابة ، وكان الوقت صيفاً ، فأرسلت ماء كثيراً ، فلما وصلنا ما عندنا من الأواني ، وتوجهنا ، فلما وصلنا زرنا الشيخ رضى الله عنه ، فأخبرنا بما وقع لنا من ذلك كله مكاشفة .

- ومن ذلك ما أخبرنى به رجل كان له اعتقاد فى الشيخ رضى الله عنه ، قال : سافرت فى بعض السنين إلى القضايف ، فلما بقى بينى وبينها مسافة قليلة ، تعرض لى ومن معى جماعة من قطاع الطريق ، فحصل بيننا وبينهم قتال شديد ، فضر بنى رجل منهم برمح فى جوفى حتى خرجت أمعائى ، فوقعت على الأرض ولم أشعر بشيء ، فلما افترق الفريقان ، ورأى أصحابى على تلك الحالة يئسوا من

حياتي ، وذهبوا إلى عرب كانوا بالقرب منا ، ليأخذوا منهم آلة يحملوني عليها .
فقبل رجوعهم جاءني سيدي الشيخ رضي الله عنه وأدخل أمتعائي في محلها فالتأمت
كما كانت . فلما رجعوا ورأوا ذلك كادوا يطيطرون فرحاً ، فسألوني عن ذلك
فقصصت عليهم أمري . ففانوا لي : والله هذه أعظم كرامة للشيخ رضي الله عنه .

ومن ذلك ما أخبرت به بعض زوجات الشيخ رحمه الله عليها قالت : رأيت
سيدي الشيخ رضي الله عنه ، كثيراً ما يتطور في الأوقات : فتارة يكون شاباً ،
وتارة يكون صبياً ، وتارة يكون شيخاً ، وهكذا .

ومنها ما أخبر به الشيخ محمد ولد علي ولد غلام الله ، رحمه الله تعالى قال :
حضرت مرة عند سيدي الشيخ رضي الله عنه ، عند صلاة العشاء الأخيرة ، فقام
وأمرني أن أحمل الركوة وأن أمشي خلفه ، وأن لا أضع قدمي إلا في موضع قدمه ،
فعلت ذلك . ولم يزل هو رضي الله عنه ماشياً إلى أن مشى على بحر ، فلما جاوزه
وقف أمام بيت فيه صبي يبكي ، ومعه امرأة تستغيث بالشيخ رضي الله عنه ، في إزالة
ما به من الألم ، ثم سكت الصبي من بكائه فرجع الشيخ ، وأنا خلفه كعادتي ،
إلى أن وصلنا ، ولا أدري هذا في أي البلاد .

ومن ذلك ما أخبر به الفقيه عبد القادر ولد سعيد تلميذ الشيخ قدس سره قال :
كنت كثير الخوف من الجوع ، فشكوته يوماً إلى الشيخ رضي الله عنه ، فمس
بيده الشريفة على بطني : فمن ذلك اليوم ما جعت يوماً من الدهر .

ومن ذلك ما أخبرني به غير واحد من تلامذة الشيخ ، رضي الله عنه ، قالوا :
نزل عند الشيخ رجل مغربي ، فلما رأى كثرة الفقراء والواردين وضيق النفقة ،
استأذن من الشيخ أن يعطيه وفقاً يستعين به على النفقة ، فأذن له في ذلك ، فاستعمله
بين يده فاستخرج منه نصف أوقية ؛ فلما رأى الشيخ منه ذلك ضرب بعكازه على
ذلك الحبل الذي استخرج منه نصف الأوقية ، وقال للرجل : انظر في موضع هذه

الضربة . فنظر قال : فما الذى رأيته ؟ قال : سوفاً . قال : فماذا سمعت ؟ قال : سمعت شخصاً يقول ضاعت لى نصف أوقية . قال له : أهكذا تفعل الرجال ! ثم إن الشيخ رضى الله عنه وضع دائرة على الأرض بمكازه ، ثم ضربها به فصارت ذهباً خالصاً . فقال له : الأسر هكذا إن استطعت ، فتأب الرجل لوقته ، وأخذ على الشيخ الطريقة وصار من المحبين فيه .

ومن ذلك ما أخبرنى به مقبول ولد أحمد الولى قال : كان ببلدنا رجل من الجبارة الشجعان ، فظهرت منه إساءة أدب مع بعض أصحاب الشيخ رضى الله عنه ، فأخبر بذلك الشيخ ، فقال : أخذنا منه رداء الشجاعة وألبسناه رداء الخوف . فمن ذلك الوقت صار قلبه أضعف من قلب الطائر إلى أن توفى .

ومن ذلك ما أخبرنى به رجل من المجموعة قال : كان به جنون فى حال صغره ، فأخذته جدته وذهبت به إلى سيدى الشيخ فشكت له ذلك ، فأمره رضى الله عنه بالنظر إلى وجهه ؛ فمن ذلك اليوم زال منه ما كان يحده فى نفسه .

ومن ذلك ما أخبر به محمد ولد عجبنا الحلاوى قال : زرت مع سيدى الشيخ أحمد البصير رحمه الله تعالى ، سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، فشكى له ما وقع من قاسم ولد محمد أبو لكيلك ، من العداوة والأذى ، كاطالب للإذن فى التصريف فيه ، فقال الشيخ قدس سره : لا تطالب نحو هذا ، فإنك إن فعلته حصل لى منك الإياس . أما تعلم أن لكل ولى فرعون ، وإن فرعونى حسن ولد بشير ، فإنه شكأنى وحركنى إلى الخلقاية لأجل ذلك ، نحواً من اثنتى عشرة مرة ، فما مالت نفسى فى أن أتصرف فيه بشيء . ولكنه مرة قد مر بحائط ولد عجيب الحاكم الذى شكأ إليه ، فنزل الحائط إلى أسفل وضربه حتى وقع مغشياً عليه غيره منه ، فأبى قلبى ذلك ، فارتفع الحائط إلى محله .

ومن ذلك ما أخبرنى به مقبول ولداً أحمد الولى قال : إن حسن ولد بشير قد جمع

يوماً جموعاً كثيرة وتوجه بهم إلى قتال الشيخ وعشيرته ، فلما قربوا وعلموا قلة
الناس الذين مع الشيخ رفعوا أصواتهم فرحين معتقدين الظفر ، فعند ذلك نهزم
الشيخ رضى الله عنه نهرة وقع البعض منهم منها على الأرض ، ثم ولوا هاربين ،
فلم يتيسر لهم بعد ذلك جمع لمحاربة الشيخ رضى الله عنه ولا الإقامة ببلده ، وصاروا
كان لم يكونوا .

ومن ذلك ما أخبرني به مقبول ولد احمد ولد الولي المذكور قال : إن الملك نمر
ملك الجليلين لما تغلب عليه ابن عمه المساعد وأخذ منه البلاد ، وذلك عام سنة عشر
بعد المائتين والألف من الهجرة ، توجه للملك سنار ليرد البلاد عليه ، فما وجد عنده
مقصده ، وعند رجوعه نزل بالكنجر عند الشيخ رضى عنه ، وشكى إليه ما حصل
له من عدم قبول ما طلب من ملك سنار ، فقال له الشيخ : لا تصرف لأحد
في البلاد ، فاشترها منى وأنا أبيعها لك . قال : اشتريتها بسبعين أوقية من الذهب
وعشرة من الخيل ، فقبل الشيخ منه ذلك ، ووعدته بالنصر هو ومن معه ، وكانوا
نحواً من أربعين فارساً ، وأمر أن لا ينزلوا إلا بالعواليب . وعند مقابلتهم للعدو
أن يحضروا صورته في قلوبهم ويقولوا : شامت الوجوه ثلاثاً . فلما وصلوا العواليب
وقابلهم جيش المساعد ، وكان جيشاً عرمرماً ، مشتملاً على جميع الفروع العباسية
سافلاً وصعيداً وغيرهم ، كالمسبغات^(١) . فلما فعلوا ما أمروا به انهزم الملك المساعد
وجيشه الهزيمة المشهورة التي يضرب بها المثل في أقطار الأرض ؛ واستوى نمر
ابن محمد على البلاد ، ووفى للشيخ رضى الله عنه بما عقده معه ، ولم ينازعه أحد بعد
ذلك ، إلى أن قتل اسماعيل بن محمد على باشا ، وكان ما كان .

ومن ذلك ما أخبرني به الشيخ احمد ولد الكوكلى رحمه الله تعالى قال : كان
الشيخ حسيب بن إمام المغربي رحمه الله تعالى يدخل تلاميذه الخلوة بمكة ، فأدخل
أحد الفقراء الخلوة بجبل النور ، ودخل هو أيضاً بجواره ، فسمع في بعض الليالي

(١) اسم لقبيل من الناس

إنساناً يتحدث مع تلميذه ، ثم ذهب وجاء آخر وتحدث معه كالأول ؛ فخرج الشيخ وجاء إلى التلميذ وقال له : أتدرى من تحدث معك أولاً ؟ قال : لا قال : ذلك الخضر عليه السلام ، والثانى سيدى وأستاذى الشيخ أحمد الطيب ، جاء من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، متوجهاً إلى بلاده ، وكلاهما قاصد إرشادك ، فاجتهد فيما أنت فيه .

ومنها ما أخبر به تلميذه الحاج محمد ولد الاغيش قال : إن بعضاً من تلامذة الشيخ المقيمين معه كانت له سرية ، فرآها شخص من الترك فتعلق خاطر بهما ، وأراد أن يأخذها من ربها ظمناً ، فأخبر الشيخ بذلك ، فالتفت إلى الفقراء وقال لهم : أذنت لكم بالتصرف في هذا الشخص ، فوالله لقد رأيته انتفخ بطنه في الحال ومات على أسوأ حالة .

ومنها ما أخبر به الرجل الصالح أحمد بن حامد بن أحمد الجليلاني رحمه الله تعالى قال : سافرت في طلب الشيخ المرشد نحواً من خمس عشرة سنة ، فما من مدينة إلا وقد دخلتها ، ولا قرية إلا وقد طفت بها ؛ وقد دخلت مكة والمدينة ومصر ، فلم يتيسر لى مقصدي . ثم أخبرت بسيدى الشيخ رضى الله عنه فقصدته ، وقلت فى سرى : لا آخذ عليه حتى أرى آية تدل على كماله . قال : فلما قربت منه لاقيت الخضر عليه السلام ، فعلمت أنه شيخى ومرشد وقته . ثم لما دخلت عليه فى موضعه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم جالساً معه ، فنظر إلى رضى الله عنه مبتسماً وقال لى : هل وجدت طلبك ؟ قلت : نعم سيدى ! فمد إلى يده وبايعنى ، والحمد لله على ذلك . ومنها ما أخبر به دفع الله ولد عايس الشايقانى قال : كان فى نفسى من جهة الشيخ رضى الله عنه شىء بأسباب الفتنة التى حصلت بيننا وبين عشيرته ، فحدثتنى نفسى وحسنت لى شقوتى قتل الشيخ رضى الله عنه ، فصعدت على الجبل ليلاً وكنت ممن يعرف وقت خروجه . فلما انتصف الليل خرج كعادته ، وكان بيدي

رمح ، فلما وقع بعصرى عليه رجف قلبي ، وسالت دمعتي تدمماً على ما خطر بقلبي .
ثم رأيت على رأسه نوراً أشد ضياء من المصباح ، فكسرت عند ذلك رمحي وتبت
على يده ، فسأحتني رضى الله عنه .

ومنها ما هو أشهر من أن يذكر ، وهو أن حسن ولد بشير ، المشهور بأذية
الشيخ وعداوته ، قد جمع جمعاً لقتل الشيخ رضى الله عنه حسداً وشقاء ، فلما قربوا
منه ظهر لهم ما بينهم وبين الموضع الذى فيه الشيخ أسد كرية المنظر ، كأنه قطعة
جبل ، فهربوا منه ؛ ولم يزالوا كذلك إلى أن وصلوا محلهم ، وذلك كان جهاراً .

ومنها ما أخبر به سالم ولد مضوى ، الشهير بولد الحسين ، قال : حدثني محمد
ولد حسن ولد بشير قال : نويت ليلة قتل الشيخ رضى الله عنه ، ومعى جماعة
من بنى عمى ، فقدمنا على الطريق الذى كان من عادته أن يمر عليه ، وذلك ليلاً ،
فما نشعر إلا وقد خرج من بيننا ، ثم مشى قليلاً ووقف . فنهبت أصحابي وذهبنا
إليه بسيوفنا ورماحنا ، فلم يزل شخصه فى أعيننا ، فلما قربنا منه وأردنا أن نبطش
به ظهر لنا المرئى حجباً ، فتعجبنا من ذلك ، وعلمنا مكانته عند الله تعالى .

ومنها أن كل من بارزه بعداوة أو حسد ، أو أضمر فى نفسه من ذلك شيئاً ،
فإنه يتلاشى أمره . وقد رأينا أبناء أهل العداوة ، وهم إلى يومنا هذا كأن على
وجوههم قطعاً من الليل مظلماً ، إلا من تاب . وسبب هذه العداوة التى ذكرناها
حتى أدت إلى الجراءة على هذا القطب الأعظم وإرادتهم قتله مراراً ، هو أن بعضاً
من يدسب إلى الشيخ قد حصل بينه وبين المذكورين فتنة إلى أن أدت إلى القتل ،
ولم تزل الفتنة نامية ، وأن الجماعة الذين مع الشيخ لا زالوا ظافرين بهم مع قاتلهم
وضمفهم ، فوقع فى أنفسهم أن هذا الظفر كان عليهم من جهة الشيخ ، وأضمرُوا
العداوة ، وأنهم لا يقتلون إلا الشيخ وأولاده ، وقد خيب الله مقاصدهم ، فمزقوا
كل ممزق .

قوم لقد بدد الجبار جمعهم فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم
فياك ثم إياك يا أخى من عداوة الأولياء وأذيتهم . وفى الحديث القدسي :
« من آذى لى ولياً فقد آذنته بالحرب » ، أى أعلمته بأنى محارب له . قال العلماء :
لا يحارب الله إلا الكافرون . وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « لو نقض
أحدكم الكعبة حجراً حجراً ، ثم حرقها بالنار ، أهون عند الله من أن يؤذى ولياً
من أوليائه .

ومن كراماته رضى الله عنه ما أخبر به النصيح ولد أبى عاقلة السرورابى قال :
كانت لى ساقية كثيرة المدم ، فذهبت يوماً إلى الشيخ رضى الله عنه وشكوت
له ذلك ، فأمرنى أن أدخل البحر إلى سرتى قريباً من الموضع الذى فيه ساقيتى ،
وأن أنادى بأعلى صوتى : أيها الملك الأحمر أنا رسول من سيدى الشيخ إليك ،
وقد أمرك بالخروج أنت وجندك من هنا . قال : فمن ذلك اليوم ما رأيت لها هدماً .
ومنها ما أخبرنى به من أثق به من أهل طريقتنا السمانية وعلمائها قالوا : بلغنا
أن الملك المتولى الملك فى عهد الشيخ بسنار كان له اعتقاد فى بعض الأولياء ، وكان
لا يحب أن يذكر فى مجلسه إلا ذلك الولي . فاتفق يوماً أن حضر عنده رجل من
تلامذة الشيخ ، فبالغ فى مدح الشيخ وماله من المناقب والكرامات ، فغضب ذلك
الملك من كلامه حتى قام من مجلسه ، فعند ذلك خاف الناس على الرجل منه ، فكث
نحو ساعة ، ثم عاد إلى مجلسه فرحاً مسروراً مستبشراً ، ووجد الناس على ما كانوا عليه
من الجلوس ، فقال لهم : أتدرون ما حدث بى ؟ فقالوا : لا نعلم من ذلك شيئاً ! قال :
لما قمت من المجلس على الحالة التى رأيتمنى عليها قد خطفنى شئ ، فلم أشعر إلا وأنا
بين يدي سيدى الشيخ احمد الطيب رضى الله عنه بأمر مرح التى بالسافل ، فعاتبني
على ما صدر مني ، فتبت على يديه وأخذت منه الطريق وأقمت معه ثلاثة أيام
بلياليها ، ثم دفعني فما أشعر إلا وأنا بداري . فتمجيب الحاضرون من ذلك وقالوا :

ما على هذا مزيد . ثم إن الملك منع من ذلك اليوم أن لا يذكر في مجلسه أحد إلا سيدى الشيخ رضى الله عنه ، ولا زال على محبته والاعتقاد فيه إلى أن مات . ومنها ما أخبر به الشيخ يعقوب الدويحى رحمه الله قال : كنت قبل أخذ الطريقة على سيدى الشيخ رضى الله عنه مالت نفسي على أخذها على بعض الأسيان ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد أن استخرت الله تعالى أن يدلنى على ما يوصلنى إليه ويقبلنى عليه ، وهو صلى الله عليه وسلم يشير إلى سيدى الشيخ احمد الطيب ويقول : « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه » الآية . وكان مع الشيخ وقتئذ ثلثة من الأولياء ، وقال : فذهبنا إليه أنا وأخى المصرى ولد قنديل وأخذنا عنه والحمد لله على ذلك .

ومنها ما أخبر به بعض الفضلاء : كان فى عهد الشيخ رضى الله عنه رجل يستعمل التنباك فى فيه ، فلامه بعض الناس على ذلك ، فذهب إلى سيدى الشيخ رضى الله عنه وطلب منه أن يتفل فى فيه رجاء أن يتوب ، فتفل له فى فيه كما طلب منه ذلك ، فتاب لوقته ؛ ثم صار يقرأ القرآن على ظاهر قلبه ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات رحمه الله .

ومنها ما أخبر به الحاج الماحى العيسابى قال : زرت سيدى الشيخ رضى الله فى عهد الشباب وطلبت منه أن يكتب لى ورقة أعلقها على عضدى ، وكان قلبى يومئذ مواجاً بالقرآن ولم أحفظ منه شيئاً ، فلما كتب لى رضى الله عنه تلك الورقة وعلقها على عضدى صرت كما ترى أقرأ القرآن جميعه على ظهر قلبى .

ومنها ما ذكره بعض العارفين ، كالشيخ المجذوب ولد قمر الدين وغيره قالوا : إن الأولياء رضوان الله عليهم اتفقوا على إهلاك السودان من حلقا إلى جبال إدريس ، وأرادوا بذلك سعادتهم ، لأنهم رأوا أن تركوا يموتون على غير دين الإسلام ، وذلك حسب ما تراهى لهم من الكشف ، إلا سيدى الشيخ احمد

الطيب رضى الله عنه ورجلاً من الأولياء ، أياً أن يوافقا على ذلك ، فحصل النزاع بين الشيخ والقطب المتولى وقتئذ وطال بينهما ذلك ، إلى أن حضرا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله لطيف بعباده » ، فتأخر عند ذلك الغوث ، وعلم مطابقة مراد الشيخ لمراد النبي صلى الله عليه وسلم . ومن ذلك انعقاد إجماع أهل الإسلام على ولايته ، وتسليم الناس له ، وانقيادهم إليه ، ومحبتهم فيه حياً وميتاً ، بداية ونهاية : على اختلاف بلدانهم وطرائقهم ، وأخلاقهم وعقائدهم في الأولياء . فلا تجد قوماً إلا ولهم فيه غرام ، ولا محفلاً إلا وله فيه تولع وهيام ، ولا أذكىء إلا ولهم معرفة بكراماته ، ولا أولياء إلا ولهم تعرض لنفحاته ، وهذا نادر في غيره . وكان الفقيه العلامة أحمد ولد كنان رحمه الله تعالى مع صلابته في الدين وشدة إنكاره على المتصوفة ، إذا ذكر الشيخ في مجلسه يقول : ذلك هو الولي الذي لا يختلف في ولايته اثنان ، وغير ذلك من الكرامات العظيمة ، والآيات الفخيمة ، التي تستغرق الأعمار ، ولا تسعها الأشعار . فمن لى بعد البحر والبحر زاهر ومن لى بإحصاء الحصى والكواكب

الفصل الثاني

في إحيائه للأموات

هذا الفصل وإن كان ملحقاً بالذي قبله ، من تبين الكرامات ، فقد أحببنا أن نقرده وحده ليعيه الفكر بدون تردد وإيهام .
إعلم أن إحياء الأولياء للأموات مشهور ، وهو من خصائص أهل وحدة الصفات ، ولا يكون للولى إلا إذا فنى عن صفته الحادثة ، كقدرته بشهود قدرة الحق تعالى . فإذا فنى عن قدرته خلع عليه تعالى خلة قدرته القديمة . قال الأستاذ المترجم في حكمه : لا يخلم عليك خلة من خلع قدمه إلا أن ترجح باطنك جملة

من منازعته ، أى فى صفاته ، وأهل وحدة الذات^(١) لهم ذلك الإحياء ، بخلاف غيرهم . ذكر الأستاذ المترجم رضى الله عنه فى شرحه على حكمه أنه قال : سألت الحق تعالى أن يحيى لى رجلاً قد مات ، فأحياه لى . فسألت الملك الذى أتى إليه بروحه عما يسأل عنه الموتى ؟ قال لى : من قواعد الإسلام الخمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلاً . وقد ثبت أن الفاضل الصالح الحاج أحمد ولد محمد الشريف الشهير بالبقرى ، صنو الشيخ رضى الله عنه فى الطريق وصهره ، أنه لما توفى وحمل إلى المقبرة ، قد جلس الشيخ عند رأسه ونحا الناس عن قرب ، إلا رجلاً واحداً اختفى قريباً منه لىسمع كلامه مع المذكور . فقال الشيخ ، رضى الله عنه : قد بقى لى من العمر ثلاثون سنة ، وأردت أن أهيك من عمرى لترجع إلى الدنيا ، فإن فىك إصلاحاً للمسلمين . فقال : لا أشاركك فيها ، لأنى أعلم يقيناً أنك أنت الأصلح الأنفع . فألح عليه فلم يقبل ، ثم وادعه ودفنه ، ومثل هذا كثير .

ومن ذلك أنه رضى الله عنه لما دخل مدينة سنار قدم عليه القضاة والعلماء وأركان الدولة ، وقالوا له : نريد أن يحيى لنا ميتاً من هذه القبور ، وكان البعض منهم قد أخذ عنه الطريق ، والبعض متوقعون . فقال لهم : اختاروا أى قبر أردتم ، وكان بمجلسه الفقيه المصرى ولد قنديل ، والشيخ يعقوب ولد على الدويحى ، وكانا قد أتيا للطريق ؛ وكان ذلك يوماً مشهوداً . فخرج معهم حتى وقف على القبر الذى أرادوه ، فأحياهم من فيه ، وكان رجلاً ، وأسمهم كلامه وخطابه ، فاعتقدوه بذلك الاعتقاد الزائد ، وصار لديهم أكمل ولى على وجه الأرض .

(١) أعلامها الصفات .

الفصل الثالث

في بيان مكاشفاته رضى الله عنه وعنا به

فمن ذلك ما أخبر به العارف بالله تعالى ، الشيخ المصطفى بن الشيخ الإمام ، خليفة سيدى الشيخ دفع الله ولد سيدى إدريس العركى رضى الله عنه ، قال : لما أخذت الطريقة على سيدى الشيخ رضى الله عنه . قلت فى سرى : هل الولى الكامل مثل سيدى الشيخ هذا يوصل إلى الله تعالى فى اللحظة نحو خمس من الرجال ؟ فالتفت على وقال لى : نحو أربعين .

ومن ذلك ما أخبرني به الحاج العباس ولد احمد ولد نصير ، رحمه الله ، قال : كان عمى الفقيه محمد ولد القاضى نصير ، من العلماء . وكان قد توجه فى بعض السنين إلى الغرب ، وعند رجوعه منه جاء ماراً بموضع الشيخ عشاء ، فأمر من معه أن يذهبوا إلى بعض خلوات الشيخ للمبيت عنده . وأما هو فجلس على الأرض كالمتهجير ، لما فى نفسه من الكدر ووساوس الكبر ، وهو يقول فى سره : إن هذا الرجل أخى وابن عمى ، وسنه كسنى ، والآن قد لقب بالشيخ ، وبالسيد ، وبالفقيه والحاج ؛ فما الذى أدعوه به عند ملاقاتى له ! وما زال خاطره متفرقاً عليه إلى أن حضر عنده الشيخ فى الموضع الذى هو به ، فباشره وضمه إليه ، وقال : ما لى أراك يا محمد أخى متردد الخاطر ، فإن دعوتنى بالطيب هو اسم أبى لى ، وإن دعوتنى بالفقيه لقب أبائى لى ، وإن كان بالحاج ، فقد حججت إلى بيت الله الحرام ، وإن كان بالسيد أو بالشيخ ، فقد لقبنى بهما سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه ، فعند ذلك بادر الفقيه المذكور وطلب منه السماح ، وقال : ما كنت أظن هذا ، فأنت والله سيدى ، ثم سيدى ؛ ثم ذهب معه مسرور الخاطر ، وشهد بكرامته ومكاشفته .

ومن ذلك ما أخبر به أيضاً الحاج العباس المذكور ، قال : كان عند مجيئي .
الشيخ رضى الله عنه من المدينة المنورة قد بنى على الجبل خلوات للتعبد . فمر ذات يوم
جدنا القاضي نصير ولد محمد والقاضي عبد الحمود ولد أبى القاسم لأمر لها بالجميعاب ،
فلما نظرا إليه وهو على الجبل يبني ، قالاً سرّاً : أيزعم ابن أخينا هذا أن الله تعالى
هناك ، ثم صعدا الجبل لمقابلته لصلة الرحم ، فقال لها مكاشفاً : إن الله تعالى منزّه
عن الجهة والمكان ، ولكن بنأى هذا هنا بأمر من سيد الأكوان ، صلى الله
عليه وسلم ، فوق الندم في قلوبهما وتابا ، ثم طلبا منه السماح فسأحهما ، ثم ذهبا
إلى ما كانا يقصدانه .

ومن ذلك ما أخبر به العارف بالله تعالى الشيخ محمد ولد على ولد غلام الله
الركابى ، تلميذ الأستاذ المترجم رحمه الله تعالى ، قال : أمرنى سيدى الشيخ قدس
سره يوماً أن أحلق رأسه ، فلما فرغت رأيت في أذنيه شعرات فقلت في سرى :
أما يأمرنى بحلقها . فقال رضى الله عنه مكاشفاً على ما فى ضميرى : هذه الشعرات
التي ترغب أن آمرك بحلقها جاءتنا شهباً من جدنا العرف بالله تعالى الشيخ حسن
ولد حسونة .

ومن ذلك ما حدثنى به شيخنا رحمه الله ، قال : إن رجلاً من الكبايش
يقال له مروس ، جاء زائراً سيدى الشيخ رضى الله عنه فسأله عن اسمه فقال :
اسمى عبد الواحد . فقال له الشيخ : بل اسمك مروس ، فبهت الرجل عند ذلك ،
ثم أخذ الطريقة عليه وتاب على يديه وصار من الصالحين .

ومن ذلك ما أخبرنى به الخليفة الحاج البشير الترابي قال : زرت سيدى الشيخ
رضى الله عنه مع شيخنا الشيخ النعيم ولد مضوى الترابي ، فلما رأيت سعة إمداداته
وكثرة فيوضانه ، طلبت منه طريقة الموافقة الأسماوية ، فقال لى : ما اسمك . قلت :
الحاج . قال : لا ، ولكن حتى تعرف اسمك . وما بلغني قبل ذلك من أحد من

أهلى أن لى اسماً غير هذا . فلما رجعت وسألت أهلى بعد أن أخبرتهم بكلام سيدى الشيخ رضى الله عنه قالوا : إن اسمك الأصلى الذى سميت به يوم سابع ولادتك هو صالح

ومن ذلك ما أخبرنى به الشريف محمد بن الشريف النور ولد الطاهر الباسطابى رحمه الله تعالى قال : قال لى والدى قدمنا من الفجيجة أنا وخالى الشريف محمد نورين للطريقة عند سيدى الشيخ رضى الله عنه ، وكتبنا له من عندنا كتاباً بجميع مرادنا منهم ، ولم نطلع عليه أحداً . فلما أخذنا عنه الطريقة أمرنا بإحضار ذلك الكتاب ، فلما قرأه أفاض علينا بجميع ما فيه مما طلبناه منه رضى الله عنه . ومن ذلك ما أخبرنى به عبد الرحمن البابلى المدنى ، عن بعض العارفين بأحوال الشيخ ومناقبه ، قال : لما دخل الشيخ رضى الله عنه مصر ونزل بجامع الأشرف ، أتاه ثلاثة من الشبان ، أحدهم توسل بالشيخ إلى الله تعالى أن يرزقه محبة سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه . والثانى طلب أن يرزق محبة الصبيان . والثالث طلب حاجة وعينها باسمها ، وكان ذلك فى سرهم . وقال الثالث : إن قضيت حاجتى لأهدين لى سيدى الشيخ قنديلا وشايًا . فلما دخلوا عليه أخذ بيده شيئاً وتقل فيه وأعطاه للأول ، وقال : اللهم ارزقه محبة سيدى الشيخ محمد السمان قدس سره . وقال للثانى : تب عما أضمرت فى نفسك ، فتاب لوقته . وقال للثالث : قد قضيت حاجتك اتقنا بالقنديل والشاى .

ومن ذلك ما أخبر به الكثير من الناس قالوا : إن رجلاً قد شهر نفسه فى عهد الشيخ بأنه كمال الدين ابنه ، وقد أيقن الناس عليه بأنه هو ، وكان يكثّر من زيارة الشيخ رضى الله عنه وتزور معه أعيان البلد ، وتزوج بامرأة فى السروراب من الخليلاب ، ولم تظهر كلمة من الشيخ فيه . فسأله ذات يوم بعض من الناس : هل هذا الرجل يا سيدى هو كمال الدين ابنك كما قال ، أم لا ؟ فأجابه رضى الله عنه :

نيس هذا بكمال الدين ، وإنما هو على ولد بنحيت . فمن ذلك اليوم طفيت شهرته
وخرج من البلد خجلاً عاجلاً . ثم بعد أشهر قلائل قد جاء أهله وعرفوا أنه على
ولد بنحيت .

ومن ذلك ما حدثني به الشيخ أحمد الكوكلي رحمه الله قال : حدثني الفقيه
أحمد ولد كنان قال : قال لي والدي كان بيني وبين الشيخ محبة وصحبة ، فذات يوم
ذهبت لزيارته ومعي جماعة ، فرأيت أنه يخاطب كل واحد منهم باسمه من غير سابقة
في ذلك .

ومن ذلك ما أخبرني به غير واحد من آل بيت الشيخ قدس سره قالوا : زار
جماعة الشيخ رضي الله عنه في عهده ، فلما رأوا تلامع وجهه بالأنوار ، وبروز
الحقائق من فيه ولطائف الأسرار ، كبر شأنه عندهم . ووقع بصر واحد منهم على
سيدى البشير بن مالك رحمه الله تعالى فقال في سره : أمثل هذا كيف يخرج منه
مثل هذا ؟! مشيراً بذلك إلى الشيخ رضي الله عنه . فنظر إليه الشيخ من بين الجماعة
نظرة غضب وقال : يا هذا وعزة ربي ، إن هذا البشير الذى رأيت ، وأسأت الأدب
معه ، لقد رأيت في اللوح المحفوظ أنه من الأولياء الصديقين . فحجل الرجل عند
ذلك ، ثم وقع على قدمي الشيخ يطلب منه السماح فسأحه .

ومن ذلك ما أخبر به الشيخ ولد فضل الله الصنجاوى قال : كنت أطلب
رواية سرية الشيخ رضي الله عنه ، عند ما سمعت أن من رآها لم تأكله النار .
فذات يوم ركب إلى محل بالقرب فحملت نعليه ماشياً خلفه ، وفي نفسى ذلك الخاطر ،
فالتفت إلى رضى الله عنه وقال : يا فلان باسمى أن من رأى من رآنى لم تأكله
النار . قال : فحمدت الله على ذلك وأردفت الحمد شكراً ، حيث جعلنا من أتباع
الشيخ رضي الله عنه ومحبيه .

ومن ذلك ما أخبر به الشريف محمد المكي قال : قدمت من مكة شرفها الله

تعالى لزيارة الشيخ رضى الله عنه والانتظام فى سلك طريقته . فلما وصلت الجميعاب
نمت بها ، فرأيت رضى الله عنه فرحاً بى ، مستبشراً بقدومى عليه ، ثم عاتقنى
فحصل لى من السرور بعد اليقظة ما لا أصفه ، فلما وصلت ودخلت عليه وجدته
جالساً على فرش و بين يديه جماعة ، فقبلت يده ولم أجد عنده ما رأيته فى نومي
قبل ذلك ، فانكسر خاطرى . فالتفت إلى رضى الله عنه وقال : أما يكفيك
ما حصل لك بالجميعاب بالأمس ، ثم قال : كنت فى هذه الليلة بمكة ، وقد حصل
بينى وبين من فيها من بعض الأولياء نزاع فى أمر ، فنغذت ما شئت ، وقد جئت
هنا قبيل الصبح ، قال ذلك وهو معتذر لى . فقلت يكفينى ذلك ياسيدى ، فأخذت
عنه الطريقة والحمد لله على ذلك .

الفصل الرابع

فى بيان إخباره رضى الله عنه بالمغيبات

إعلم أن إخباره بالمغيبات كثير جداً . فمن ذلك ما حكاه لى من أثق به من
الجموعية قال : زار جماعة من الجميعاب سيدى الشيخ رضى الله عنه ، وكان فيهم
رحمة ولد منصور والد الزبير باشا ، فلما خرجوا من عنده أخبر بأن رحمة ولد منصور
سيخرج من صلبه ملك مبارك ، فكان هو الزبير باشا كما ذكر .
ومن ذلك إخباره بمرور الشيخ إبراهيم الرشيد بن حاج الدويحى الأحمدى
بالبلاد وثنائه عليه .

ومن ذلك ما أخبر به الشيخ الضوى والد الشيخ الطيب راجل السوكى الركابى
قال : ذهبت لزيارة سيدى الشيخ رضى الله عنه ، وللأذن فى التبرك باسمه ، فلما
زرت وأعلمته بذلك قال : وهبتك الاسم وروحه ، فما أتى عليه وقت يسير إلا وقد
ولد ولداً وسماه الشيخ الطيب ، فصار مباركا .

ومن ذلك ما أخبر به الفقيه محمد أحمد بن الحاج عبد الرهاب البجيراني قال :
رأى والدي أن واحداً من أولاد الشيخ رضى الله عنه يرضع في ثديه أو جالس على
رأسه ، فأخبر بذلك الشيخ رضى الله عنه قال : أتعرفه قال : لا ، ولكن إذ رأيته
عرفته . فأمر الشيخ إحضار أولاده عنده فحضروا ، وكانوا نحو اثني عشر صبياً ،
فقال له : من هو من هؤلاء ؟ قال : هذا ، وأشار إلى الوالد سيدى الشيخ نور الدائم
رضى الله عنه ، قال له : هو الوارث لنا .

ومن ذلك ما أخبر به الصديق ولد أحمد ولد مالك ، عن الشيخ أحمد الرفاعي
ابن الأستاذ المترجم ، رحمه الله تعالى قال : تزوجت بسبعة من النساء فاولدت
واحدة منهن ، فذهبت بعد أن تزوجت بالثامنة لوالدى وشكوت له عدم الذرية
وما أنا عليه من الشفقة والضجر ، فرأيت رفع طرفه إلى السماء ، ثم قال رأيت لك
غلامين ، أحدهما الصديق ، والثاني عمر ، فكان الأمر كما قال . وإن عمر هذا
هو المدعو الآن بالشيخ وهو المجذوب .

ومن ذلك إخباره للفقيه الأمين ولد أم حقين ، حيث أتاه زائراً مع خاله الفقيه
سليمان ولد حامد الجموعى ، وهو يومئذ صبي ساكن مع خاله المذكور بالحلفاية ،
إذها إلى جزيرة إسلاج ، فإنه سيكون لك بها شأن .

ومن ذلك قوله للحاج أحمد ولد سنهورى ، حين صحبه واستأذنه في السكنى
بالصعيد : قد أخبرنى رسول الله صلى الله وسلم أن سكونتك يكون بالجميعاب فإنك
تخطى منهم ، فسكن نمت وصار له من الخطوة والمكانة ما لا يخفى .

ومن ذلك ما أخبر به أحمد ولد منير الضوايى الجميعابى قال : سألت الشيخ
رضى الله عنه عن الملك لمن يكون بعد الفونج والهميج ؟ فأخذ بيده قبضة من تراب
وطرحها على الأرض فإذا هى قد صارت تملاً أحمر ، قال : سيكون للترك . قال :
فما أتت علينا بعد كلامه سنين إلا وقد جاء الترك وملكوا البلاد .

ومن ذلك حكاية عبد العدل العقلى ، فإنه كان قد اشتهر بالصلاح ، وظهرت على يده كرامات ، فأثنى عليه يوماً بين يدي الشيخ رضى الله عنه ، فقال الشيخ للحاضرين الذين أثنوا عليه : قولوا لصاحبكم بعد اليوم : العبد قد اعوج . فما أتت عليه بعد ذلك أيام إلا وقد جاء الترك ، ومال قلبه إلى الرئاسة فقلدها ، وظلم وشرب الخمر وترك الصلاة .

حدثني محمد ولد حسن الكبوراني ، قال : سافرت معه إلى سنار ، بعد أن ذهب ما كنا نعتقده فيه من البركة . فرأيت له لا يصلى ، فوبخته على ذلك ، فقال لى : قل اللهم إني أعوذ بك من السلب بعد العطاء ؛ وحكايته أشهر من أن تذكر .

ومن ذلك إخباره بقصر عمر ولده نور الله ، بعد أن أخبر بولايته ، فكان الأمر كما قال ؛ وكذلك بعد رجوع ابنه كمال الدين من سياحته ، وكانت فى عهده . ومن ذلك إخباره للتلامذة بقوله : سيقدم عليكم أديب الأدباء . فما مرت عليهم أيام قلائل إلا وقد جاء سيدى الشيخ محمد التوم ولد بانقا رحمه الله تعالى ، وأخذ على يدى الشيخ الطريقة ، وأطاق عليه الاسم ، فى حياة الشيخ وبعدها .

ومن ذلك إخباره للشيخ محمد بن الشيخ يوسف ، والد الشيخ أحمد الريح رحمه الله عند ما خشي التنارع مع إخوانه فى شأن الخليفة ، وذلك فى آخر عمر والده وجاء ليلاً مستغيثاً به ، فقال له : إن الخلافة لا تخرج منك ، ولا من ذريتك من بعدك ، فكان الأمر كما قال .

ومن ذلك إخباره لجدتنا فاطمة بنت عبد الجبار : بأنه لا يموت إلا فى بيتها وفى نوبتها ، فكان الأمر كما قال .

ومن ذلك إخباره لتلميذه الشيخ محمد ولد بشير السروراني العلاباني ، بعد أن وضع يده على رأسه : لا يدفن الرأس الذى وضعت يدى عليه إلا ببقيع الفرقد .

فبعد وفاة الشيخ رضى الله عنه سافر المذكور إلى الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فتوفي بالمدينة ، ودفن بالبقيع .

ومن ذلك قوله للعالم العلامة الفقيه محمد ولد الفقيه سالم الشهير بولد قطب العودى الصغير ونابى : يا صاحب خليل ، أرى عمرك سيكون طويلا ، فإنه قد عمر حتى بلغ من الكبر عتيا .

ومن ذلك ما أخبرنى به شيخنا رحمه الله قال : قال لى رضى الله عنه . عند وداعى له فى آخر زيارتى له ، وكنت قد زرته فى عمرى خمس مرات ، أقر على ولدنا الشيخ أحمد البصير السلام ، وما أظن أنه يكون بينى وبينه بعد الآن اجتماع فى الدنيا . ومن ذلك إخباره بغلبة الملك نمر ولد محمد السعدابى على ابن عمه الملك المساعد مع ما كان فيه المساعد من الشدة والقوة .

ومن ذلك إخباره بحرق الملك إدريس بالمسجد الجموعى بالنار ، عند ما أساء الأدب معه ، وقتله للشفيع ولد احمد ولد صغيرون .

ومن ذلك إخباره للحاج محمد ولد نعيم الزملى بطول عمره ، فعاش مائة وخمس عشرة سنة حتى توفي ، وغير ذلك .

الفصل الخامس

فى شرح ما أورده علينا أخونا الشيخ عبد النور ابن الوالد الأستاذ سيدى نور الدائم من كلام الشيخ رضى الله عنه

قال : قد اجتمعت فى أسفارى فى بعض السنين ، بالعالم الفاضل الفقيه دفع الله بقوى بتقى . فلما عرف نسبى إلى الشيخ فاتحنى بالثناء على الشيخ وقال لى : كالباسط والسائل ، كان فى عهد قراءتنا للعلم (بأبى عشر) عند شيخنا الفقيه الأمين ولد محمد بن ، أنانا رجل من تلامذة جدكم ، فإذا قلنا له مثلا : اقرأ معنا فإنه

يقول لنا : قال لى شيخنا سيدى الشيخ رضى الله عنه : ارقوا ولا تقرأوا . وهذا الكلام فى نفسى منه شىء ، مع علمى بكمال الشيخ . فقلت له : سأوضحه لكم على مراد الشيخ إن شاء الله تعالى ، لينجلي لكم ما توهتموه . اعلم أن قوله ، رضى الله عنه : ارقوا ولا تقرأوا ، أى من بعد معرفة ما افترضه الله عليكم بالحفظ والسؤال من علم الظاهر ، ثم ارقوا فى علم الباطن ، الذى هو علم القلب وما حواه من الأرواح والنفوس بالتشبث بذيل السنة العليا بالرياضات والمجاهدات ، لتصفى الروح من كدراتها العنصرية ، وتزكو النفس من قذراتها الطبيعية ، وتطهر الذات من الأحداث المعنوية المانعة عن التقرب من الله تعالى . ومن بعد ذلك يشرق الذهن ، ويستضيء العقل ، وتستنير جميع القوى ، وتستقيم الحواس على الهدى ، ويشرق القلب ببارقة المحبة ، ويتجهر الروح بالأنوار الإلهية . فبعد ذلك يصير عارفاً بنفسه ، ومشهداً لربه ، يتجلى له ربه على الدوام فى الباطن والظاهر ، ويكون معه تعالى على كل حال ، بمضمون لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ؛ وقوله : ولا تقرأوا أى زيادة على ما افترضه عليكم ، كعلم الأفضية والبيوع والأنكحة والمواريث والآلة والجدال ، وغير ذلك . فإن هذا مانع لكم عن خلوص نفوسكم من شوائبها وأكدارها ، وشاغلكم بما ليس فيه طائل ، كالتدريس لأجل السمعة ، والجدال والتمييز على الأقران ، وحب الجاه والرئاسة ، والقرب إلى السلطان ، والتدليس وتحسين اللسان ، وتنميق العبارات ، والخطب على المنابر ، وتطويل القراءة فى المحراب ، وهو مع الله غير حاضر . وغير ذلك من لبس الفراوى ، وتكبير العائى ، مع أنه فى بحر العمى والغواية عائى ؛ ولذا قال المحققون : أنه لا يمكن لطالب العلم العمل بالعلم وآدابه ، ويصير عليه الأنس والخير ، إلا إذا كان معتقداً متمسكاً بهذه الطائفة ، لأنهم ينهبونك على دسائس نفسك الأمانة بالسوء ، المانعة لك عن قبول الخير على الوجه

المطلوب ، النافع لنفسك ، الخرج لها عن طبائعها الكدرية . فإن العلم من غير سلوك لها فيه قوة على مقصودها من الأهوية . قال تعالى : « أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم » . فإذا علمت من هذا بأن للنفس تصرفاً فيمن هو على علم ، فكيف فيمن هو على جهل ! ولزيد ذلك العلم الباطني ، ولما يؤدي إليه من ثمرات علم الشريعة وأسرار الحقيقة ، قال الامام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى ، بعد أن كان يقول ، قبل أن يجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، ويأخذ عنه : هل ثم طريق يقرب إلى الله تعالى غير ما بأيدينا من الفقه ؟ فلما اجتمع بالشيخ صار يقول : من أدل دليل على صحة طريق القوم ، وأن أهلها قعدوا على القواعد ، وقعد غيرهم على الرسوم ، ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ، ولم تقع على يد فقيه كرامة ولو بلغ من العلم ما بلغ ، مالم يتبع طريقهم . وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول لولده عبد الله : يا ولدي عليك بالحديث ، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية ، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه . فلما صحب أبا حمزة البغدادي ، وعرف أحوال القوم ، صار يقول لولده : يا ولدي ، عليك بمجالسة هؤلاء القوم ، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة ، والخشية والزهد ، وعلو الهمة .

وبلغنا أن الامام الشافعي رضي الله عنه كان يجالس الصوفية ويقول : يحتاج الفقيه إلى معرفة اصطلاح الصوفية ليفيدوه من العلم مالم يكن عنده . واعلم أن هذا العلم الباطني لشدة ثمرته ، وترقية العاملين به لحضرة الحق تعالى ، جنح إليه كثير من العلماء من المتقدمين والمتأخرين . واعتقدوه وآثروه على غيره للنفع ، وعملوا به ، وأسروا بالعمل به ، وأنفوا فيه الكتب النافعة من علماء المذاهب الأربعة . فمن الحنفية : كابن الهمام وابن الشبلي والشرنبلاني وخير الدين الرملي والحموي وأمثالهم . ومن الشافعية : كسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام والغزالي والسبكي والسيوطي

وشيخ الإسلام القاضي زكريا والشهاب بن حجر وأضرابهم . ومن المالكية :
كالعارف أبي الحسن الشاذلي وخليفته أبي العباس المرسى وخليفته ابن عطاء الله
والعارف ابن أبي حمزة وناصر الدين والزروقي وغيرهم . ومن الحنابلة : كالشيخ
عبد القادر الجيلاني وخر الإسلام والشيخ عبد الله الأنصاري وابن النجا ونحوهم
فهؤلاء العلماء الكرام بعد التضرع في علم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن
واستفادتها من أهلها بالصحة والخدمة والسلوك وحسن الاعتقاد والإخلاص
والتخلية من الرذائل، والتحلية بالفضائل، كما نقل بعض العلماء . قال : رأيت الغزالي
في البرية وعليه مرقعة ويبيده غكازة وركوة فقلت له : يا إمام أليس التدريس
ببغداد أفضل من هذا ؟ فنظر إلى شزراً وقال : بزغ بدر السعادة في فلك الإرادة
وظهرت شمس الوصل .

تركت هوى ليلي وسعدى بمعزل وعدت إلى تصحيح أول منزل
ونادت بي الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل
ولما كان هذا العلم من أبلغ العلوم وأنفعها، وهو علم الأكابر، المحتوى على جميع
الذخائر. حتى أن الواحد من أهله لو سلم له فيه لوسع العالم علماً . قال سيدي الشيخ
صديق بن عمر خان السمانى رضي الله عنه، في النفحات السمانية مشير إلى كمال أهل
هذا العلم وفضلهم على غيرهم : واعلم يا أخى أنا لو قدرنا ألف عالم رزق من العمر
ألف سنة ودرس كل واحد منهم في ألف مسجد، وصنف من الكتب ألف ألف
كتاب ، لما بلغوا جميعاً مئداً من الأولياء ولا نصيفه . وهو أفضل منهم بخصلة
واحدة ، وهى التى فضل بها سيدنا أبو بكر الصديق على سائر الصحابة وهى معرفة
الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صدقة ، بل
بشئ . وقر فى صدره » . وأنى لمن ضيع عمره كله وهو يقول : القضية إما كلية
أو جزئية . وآخر يقول : مدة الحيض عشرة أيام ، وأقله ثلاثة أيام ، وجاء

زيد راكباً واستقبال القبلة شرط ، والركوع ركن ، والزكاة طهارة المال ، أن يدرك رتبة من يقول : استقبال القبلة إشارة إلى التوجه الكلى في طلب الحق ، والركوع إشارة لانعدام جميع الموجودات السكونية تحت وجود التجليات الإلهية . وأما الزكاة فهي عبارة عن التزكى وإيثار الحق على الخلق ، يعنى يؤثر شهود الحق تعالى في الوجود ، على شهود الخلق . فإذا أراد أن يشهد نفسه يؤثر الحق فيشاهده سبحانه وتعالى . فهيئات وأين الثريا من يد المتناول ، تطاولت الأعناق منهم في الطلب ، وقصرت الهمم ووقف يعبوب عزمهم دون ذلك ، وانقطع سبب رجائهم ، وانصرم ، نعم لوأنهم عملوا بما علموا ، وأفنوا نفوسهم في بقاء مولاهم ، وانعدموا لأناخت بهم مطاياهم في حى الأحباب ، وفتح لهم بواب الحضرة الباب وقطع لهم راهب الدير الزنار ، وسقام الخمار ، راح رحيق الشهود في الآثار ، وتلى عليهم القس (فاعتبروا يا أولى الأبصار) . وانكشفت لهم الحقائق ، وهبت عليهم نسائم الرقائق ، وشهدوا الوحدة في الكثرة ، وأقيلت عنهم العثرة ، وعلموا أن تقريرهم إياه بقولهم : الله قديم ليس بحادث . فلو كان حادثاً لسكان متغيراً ، وكل متغير حادث . إنما كان به وأنهم ضيعوا العمر بالتمريف ، وما وقفوا عليه وقد أفنوا في طلبه ، وما شهدوا بعد كشف الغطا ، وما نالوا من المواهب الربانية العطا

عجبت من فئة أفنوا زمانهم	والعمر يارب في بحث القضايا
يرجون منه دليلاً يستبين على	توحيد ذاتك جهلاً بالنتيجات
وما كفاهم بإخبار الكتاب بها	على أسان رسول بالدلالات
فهم مع الشك ما عاشوا وما برحوا	إلى انقضا النحب في نفى وإثبات

قلت حينئذ : يظهر لك أن كلام الأستاذ المترجم رضى الله عنه ارقوا ولا تقرأوا .
إشارة إلى معظم أركان العلم ، كقوله عليه الصلاة والسلام : « الحج عرفة »

الفصل السادس

في بيان أخلاقه رضى الله عنه وتواضعه وخشوعه وآدابه

أما أخلاقه : فقل أن توجد في غيره ، ولا في جبلة من الجبلات مطبوعة ،
وهي روضة تفوق الرياض بما فيها من الأزاهير ، وإنه بحر لا يغيره شيء ، ولا يخرج
منه إلا الدر والجواهر . أقول :

فلو مزجت بالملح أخلاق ذاته لصار أعذب من سلسال خمار
فلا نمائلهما شهد ولا ثمر بستانه قد سقته سحب أمطار

وأما تواضعه وخشوعه : فذاك هو العجب العجيب ، لأنه رضى الله عنه قد
خمدت نيران شهواته ، وسكت دخان صدره ، وأشرق علم قلبه بنور التعظيم لله
تعالى . فلم يزل قائم القلب بين يديه ، مطرق السريرة لمشاهدته وقربه إليه .

وأما آدابه : فكان نفعنا الله به ، لا يعترض على أحد في شيء من أحواله
وأقواله الظاهرة والباطنة ، ولا يمدح الطائع على طاعته حتى يغتر ، ولا يذم العاصي
على عصيانه حتى يفر . يرى الناس كلهم عبيد الله ، وأنه تعالى الفاعل فيهم ما يريد .
قال في الروض النضير . مشيراً إلى أخلاقه رضى الله تعالى عنه : وكان لا يرضى
ولا يفضب إلا في الله تعالى ، أخلاقه كأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
كما سبق لك في باب الثناء عن ولي الله تعالى الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين
رحمه الله تعالى . ومما يدل على ذلك أن الشايقية شنوا الغارة على الجميعاب في بعض
السنين ، وقد رأى فارس منهم ثوباً على الأستاذ المترجم رضى الله عنه ، وهو وقتئذ
بالسكنجر ، فتجراً وأخذ ذلك الثوب ، ظاناً أنه من آحاد الناس . وكان ذلك
الرجل به صداع شديد منذ عشرين سنة ، وقد أيس لشدته من معالجة الأطباء .
فلما أخذ ذلك الثوب ولبسه شفى لوقته ، ولم يعد عليه ذلك الصداع ، بعد أن كان

ملازماً له . وحكى لقومه بعد رجوعه من الجيعاب ما حصل له من الشفاء ، وبث لهم الأمر على وجهه . فقالوا : هذا الذى أخذت منه الثوب ولبسته هو الأستاذ الأعظم قطب البلاد ، سيدى الشيخ احمد الطيب بن البشير ، رضى الله تعالى عنه . فكاد الرجل أن يذوب خجلاً بما حصل منه من الإساءة ، ففرغ ورجع إلى الشيخ طالباً منه العفو والسماح ، وانخلع عن الثوب ووضع بين يديه واعتذر إليه . فقال له قدس سره : قد رأينا حين أخذك له . عارضاً عليك وداء ، فأردنا شفائك به فالبسه فرجع إلى أهله مسروراً آمناً مطمئناً ، وهذه الحكاية بين الشايقية أنهر من أن تذكر .

ومن ذلك أن الملك إدريس الجوعى ، الشهير بالحينة ، لما أعار على الجيعاب دخل بعض جماعته على حلة سيدى الشيخ بقصد النهب ، فوصل رجل منهم إلى موضع سيدى الشيخ ووجده قائماً يصلى سبحة الضحى ، فأخذ الفروة التى تحته فلم يتغير الشيخ لذلك ، ولم يتصرف فيه بشئ . فدخل عليه بعض أهله ولامه على عدم تصرفه فيه . فقال لهم : الأمر سهل ، فلا ينبغي لنا التصرف بشئ . من أسرار الحق تعالى لأجل ذلك ، فهذا التصرف نقص عندنا .

ومن ذلك ما حكاه رضى الله عنه قال : كنت مشغولاً بورد عتق لأبوى ، فجاءت جنازة حسن ولد بشير محمولة ، وكان المذكور من أشد الأعداء على فرأيت عليها ما أوحش صدرى ، وأحييت أن لا أهبه منى شيئاً من الدعاء . فسمعت هاتفاً من قبل الحق تعالى يقول لى : لا تبخل بما أعطاك الله . فوهبت له ذلك الورد عن رضى منى دون سخط .

ومن أحسن تواضعه لله تعالى وانكساره أن امرأة كان عندها عجيين ، فقالت لها بعض النسوة : إن فلاناً أو فلانة قد مات ، إذهي معنا للعزاء فيه . فقالت : ووجدت من يحرم لى عجيني ذهبت معكن . فسمع قولها الشيخ رضى الله عنه

فقال لها : انتنى به فأننا أحرسه لك إلى أن تأتى . وكان رضى الله عنه رءوفاً بالعباد شقيقاً عليهم . فإذا وجد من هو محتاج لحلق رأسه حلقه له بيده ، وكانت له أمواس وإبار مَعْدَّة لمن يحتاج لذلك ويمسح بالدهن رؤوسهم ، لاسيما اليتامى والمساكين . وكان يباشر خدمة أهله بنفسه ، وإذا بنى بيتاً لإحدى زوجاته فإنه يباشر العمل مع البناتين ولا يستنكف ، حتى أن بعضاً من المحبين رآه يباشر بناء فأراد أن يترك الشيخ له ذلك العمل يباشره هو تعظيماً وإجلالاً للشيخ ، فأبى عليه رضى الله عنه وقال : من لم يكن له بطش بيده لم يكن له حظ في الرجولية .

ومن آدابه رضى الله عنه : أنه ما روى يوماً ما ماداً رجله بين الناس ، وكان جلوسه على نوعين : إما أن يضع فخذه على رجله الأخرى ، أو يتربع في جلسته ، ولا يزيد عليها ، طال المجلس أو قصر . وكان محباً للفقراء والمساكين ، بأذلالهم ما عنده وإذا ضاق عليهم الخناق في أمر المعيشة تصرف من قبل الحق تعالى وأزال ما بالمساكين والجوع ، كما تقدم في فصل الكرامات قبله .

الفصل السابع

في أقواله وأفعاله وأحواله بمجمله

منها : ما سمعناه من تلميذه الشيخ القرشى بن الزين رحمه الله . ومنها ما سمعناه من غيره ممن أدر كناهم من أهل الفضل . كان قدس سره لا يجلس إلا وهو مستقبل القبلة مغمضاً عينيه ، كثير الذكر ، سبحته لم تزد على تسعة وتسعين حبة ، وكلما فرغ من واحدة تناول الأخرى . وهكذا . وكان يطوى نحو اثني عشر يوماً ولا يطلب ماء ، إذا كان مفطراً في الأيام التي يمنع الصوم فيها كالأعياد . فإذا أتى إليه به أخذ منه قليلاً ثم يتركه ، وإذا دخل الخلوة الأربعينية وكان يكثر من دخولها جداً لا يأتد إلا بورق السدر . ويقول هو أخف للمعدة . وكان ليس له

مرحاض كمادة الناس ، وإذا أراد الخلاء لا يخرج إلا إذا نامت العيون . ويقول
بعد قضاء حاجته : الحمد لله الذى أخرج عني مشقتي ، وأبقى في جسمي قوتي .
وكان إذا سلم عليه إنسان لا يقول له إلا اللهم أعنه على دينه ، ولا يزيد على ذلك
وكان لباسه القميص ، ولا يلبس تحته سراويل . ويلبس تحته الطاقية الحجازية ،
وعليه عمامة بيضاء . وتارة أم قرين وهي التي كان يلبسها رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم تحت قنأسوته ، وفوقها يلبس مغفره في الحرب . وكان أعلم التي
يلبسها النمل الحجازية المعروفة بين سلاطين السودان . وقد أدر كناها وشاهدناها
وكان يأخذ في يده عصا من سلم وهي تسعة قبضات بقبضة يده ، وذكر فيها فضلا
وكانت له رائحة كأنها المسك الأذفر ، إذا أقسم على شيء يفعل فإنه ينجزه ويقول
في حلفه : وعزة ربي ، ولا يزيد بعدها شيئاً . وإذا قيل أن فلاناً قد قال كذا
وكذا ، يقول : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) . وإذا قيل له أن الغلابيين اقتتلوا .
يقول : « ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد » وإذا قيل له : أن فلاناً
قد مات يقول متى حي حتى يقال مات ، كان الله ولا شيء معه ، وكان عنده
الخير والشر ، والخلو والمر ، والموت والحياة ، وغير ذلك كله سواء . وكان لا يهتم
بمشاء ولا غداء ، وإذا ورد عليه ضيف أو جماعة من المريرين فلا يكل أمرهم
إلا إلى الله تعالى ، فما يشعرون إلا ويأتيهم من يقوم بأمرهم من أولاده أو أزواجه
أو غيرهم . وإذا سئل عن مسألة علمية تكلم على قدر الإفادة ، وإذا كانت دينية
سكت ولم يتكلم . وإذا باحثه أحد في سر من أسرار الحقيقة تغير حاله ، وربما
تكلم فيها نحو أربع ساعات . وإذا كان المباحث أهلاً للإمداد انتقل حاله من الخائفة
الأولى إلى حالة أخرى ، ويقول : آه أواه . فما يشعر إلا وهو ضريع على الأرض
لا يدري حسه من معناه وتحصل له العافية بالولاية وكال الفتح . وكانت أفعاله
أربعاً وكان يدور بينهم واحدة بعد واحدة ، وكان ليس له تلميذ يأخذ ما يرد عليه

من الهدية وكل من حضرها فهي له قريباً كان أو بعيداً . وكان لا ينسب له شيء من الدنيا ولو شاة . ولا ينام من الليل ولو ساعة لأنه صار مروحناً كالملائكة عليهم السلام .

وكان له لوح من نحاس يكتب فيه ولا يكتب إلا بقلم الثمام ويقول : هو أبرك من غيره ، ويكتب بالمداد الأحمر دون غيره ، إلا إذا اضطر إلى المداد الأسود ، وإذا أساء عليه أحد وقال له بعض الناس ألا تتصرف فيه ، يقول : التصرف لا يليق إلا لمن عرف الناس ومدحتهم وهديتهم ونسأهم ، وأما أنا فإني لا أعرف من هذا شيئاً . نحن قوم قلوبنا بالله عامرة ، لا نعرف الدنيا ولا الآخرة .

وإذا أتاه مريد وطلب منه الطريق أخذ بخوراً ووضع على جمرة وأمره أن يدخله تحت ثيابه ، فإن خرج دخانه تنناً أعطاه الطريق ، وقال له : طريقة شيخك ملطخة بالدنيا لا تصلح لإرشاد المريدين ، فيعطيه الأوراد وما تمر عليه أوقات قليلة إلا ويفتح الله عليه . هذا إذا كان المريد أخذ الطريقة قبله على الأشياخ . وكان إذا مشى يقول : « هو الذي يسيركم في البر والبحر » . وإذا جلس يقول : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً » . وإذا مد يده على طعام قال : تبارك ربك ذو الجلال والإكرام ، انظر كيف مد يدك على الطعام . وإذا قيل له اعطنا من الأوراد ما نقضى به حوائجنا عاجلاً ، يقول : عليكم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وكان له مرود ومكحلة ومشط يسرح به لحيته ، ويكثر من دهن رأسه ولكن يجعل له وقاية .

وكان لا تستفرزه الضراء ، ولا تستخفه السراء ، على غاية الشجاعة والسخاء ، والورع والمروءة ، وهذا الفصل مما لا يحصر ، وفيما بيناه كفاية .

الفصل الثامن

في فناءه في الله وبقائه به

إعلم أن الفناء كناية عن الطهارة ، والبقاء كناية عن الصلاة عند أهل الإشارة ،
وأنشدوا :

إن الفناء طهارة الإنسان	لصلاة معرفة البعيد الداني
فصلاة معرفة الإله بغير ما	طهر الفناء عديمة الأركان
والكفر فيها ظاهر بكلامه	وبفعله وإزالة الإيمان
إن الفناء طهارة معروفة	لصلاة معرفة على الإنسان
وهو الفناء المحض بالتطهير عن	خبث الجسوم كثائف الإنسان

وقال آخر :

ليس الفناء إعدام صورتك التي	قد سميت بالممكن الإنسان
حتى تلاشت ظاهراً وتعيناً	وغدت بلا وجه من الوجدان
لكنه استهلاك وصفك يا فتى	في وصف موجدك العلي الشان
فإذا فנית بقيت بالحق الذي	أبداك يا معبودوم في الأعيان
وظهرت في هذا الوجود بخارج	حتى استفدت وجودك المتداني

وكان الأستاذ المترجم رضى الله عنه ، من شلة سطوع شمس التجليات الذاتية على قلبه لا يرى ولا يسمع ولا يحس بشيء ، وذلك في غالب أوقاته . وقد دخل عليه مرة والدنا سيدى الأستاذ نور الدائم ، فقال له : من أنت ؟ قال : نور الدائم . قال : لمن تنسب ؟ قال : ابنك . قال : ما كنت أظن قبل اليوم أن لى ولداً اسمه نور الدائم ، مع أنه من مشاهير أولاده . وكان من تتابع الأفضية عليه تأتبه في بعض الأحيان المرأة من نسائه فتجده لم يعرفها ، فتقول له : أما عرفتني ! أنا زوجتك

فلانة . فيقول : إن كنت كما قلت اثبتني بشهادة ، أو احلفي على هذا المصحف
أنك زوجتي ، وغير ذلك . وعند العارفين أن الولي إذا استغرق قلبه في الشهود
الذاتي ، كالأستاذ هذا ، فإنه يعنى عن الأكوان ، ولا يرى الدنيا ولا الآخرة .
ومن كلامه في حكمه الذي يشهد له بتحقيقه بهذا المقام قوله : إن أوصلك
المنان إلى أعظم مكان ، أمهدك لا أنت ولا أكوان . كان الله ولا شيء معه ،
وهو الآن على ما عليه كان . وقوله : نحن قوم قلوبنا بالله عامرة لا نعرف الدنيا
ولا الآخرة ، وأنشدوا :

وبعد الفنا في الله كن كيفما تشاء فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

الفصل التاسع

في عجائب إرشاداته وغرائب فيوضاته

سمعت العارف بالله تعالى الشيخ القرشي بن الزين رحمه الله تعالى يقول :
ما من أحد أخذ عن سيدي الشيخ أحمد الطيب قدس سره ، إلا وقد فتح عليه .
قلت : ويؤيد هذا قوله في كتاب حكمه . توحيد الحال طريق المقر بين لا الأبرار
فمن سلكه على يد خبير عارف بالله كان من أهل حضرة الله يشير بذلك إلى نفسه
رضي الله عنه . ومن عجائب إرشاداته ، وغرائب فيوضاته ، ما حدثني به الشيخ
سعيد المسلمي ، تلميذ الأستاذ المترجم رضي الله عنه قال : سمعت سيدي الشيخ
قدس سره يقول : بأن أبا بكر ولد أبي القاسم الضوائي الجيمابي كان أخذ علينا
الطريقة وأقبلناه على الله تعالى فمات قبل أن يفتح عليه ، فما زلت أرقيه في قبره ،
والآن من وقت وفاته قد بلغ ستة عشر عاماً ، وقد أدخلته في هذا العام القطبانية
فمن زار قبره سبع جمع لم تأكله النار . قال الشيخ سعيد المذكور : فلما سمعت ذلك
من سيدي الشيخ رضي الله عنه ذهبت لزيارة قبره ، فلما جلست عنده رأيته يمد

كما تميد السفينة في يوم الرياح العاصف ، فعلت بذلك كرامته ، وحدث الله أن جعلنا من أتباع الشيخ ومحبيه .

ومن ذلك ما حدثني به رجل من تلامذة الشيخ رضى الله عنه ، يقال له الحاج إبراهيم الحلبي . بعد أن اختبرته في علوم الشيخ ومعارفه وإفادته لى بعبارة يقصر عنها فهم غيره مع أنه أمي ، فسألته عن السبب الذي أوصله إلى هذه المعرفة فقال : أمرني سيدي الشيخ رضى الله عنه مرة أن أمشي خلفه ، وأن أضع قدمي في موضع قدمه ، فلما فعلت ذلك نحو ثلاث مرات ، غبت عن وجودي ، ووقعت على الأرض مغشياً على ، فلما أفتت وجدت في نفسي هذا العلم .

ومن ذلك ما أخبرني به العالم العلامة الفقيه أحمد ولد دفع الله البرياني بسنار عام تسعين بعد المائتين والألف . قال : زرت سيدي الشيخ رضى الله عنه في عهد شباني ، ومعى جماعة من عشيرتي فبادرت بالدخول عليه قبل الجماعة ، فوقع في بصرى كأنه الشمس أو البدر عند تمامه ، فلما قبلت يده التفت على وقال : قد دنا العمر بالانقضاء ، فهل نجد أحداً نعطيهِ الطريقة ونكيله كيلاً . ثم قال : وعزة ربى إن أسرار الله عندي بالقرب والكوب والكيزان . قال : فوالله ما استتم كلامه حتى رأيت في الموضع الذي هو فيه قرباً وأكواباً وكيزاناً تدور وهي من نور . دوراناً شديداً . فدهشت عند ذلك ، ثم خرجت ، وأخبرني بذلك أصحابي فقالوا له : إنا لا نشك فيما أخبرتنا به لأننا نعلم أن للشيخ رضى الله عنه ما هو فوق هذا . لكن نخشى أن أخذنا الطريقة أن ينفعنا بنفحة تزهدها فيما نحن فيه من محبة المال والنساء ، وكانوا شباناً عزاباً ، قال : ومن جهلنا وشدة غباوتنا ، وعى بصائرنا ، قد اتفقنا الجميع على عدم النزول عند الشيخ خشية أن يزهدها في مرغوبنا ، فتوجهنا إلى السروراب وما زلنا نتواري بالأشجار مخافة أن يخرج من محله فيلحظنا . قال : فما مرت علينا أيام يسيرة إلا وقد بلغنا وفاته

رضى الله عنه . فندمت ندماً ما علمته لغيرى على عدم اتصالي به ، وأخذى منه الطريق بعد ما رأيته بعينى من خوارقه . فذهبت إلى تلميذه الشيخ أحمد البصير فأخذت عنه الطريق ، ثم من بعده ذهبت إلى تلميذه سيدى الشيخ محمد نوم . فأخذت عنه . ومع هذا فما طفيت جرة حرارة ندى .

ومن ذلك ما أخبر به شيخنا رحمه الله . قال : كنا فى حضرة الشيخ رضى الله تعالى عنه . فجاء رجل من الحامداب يقال له الحاج السراج ولد عمر من أهل وواسى وكان عنده هدية فمد يده بها إلى الشيخ رضى الله عنه قائلاً له : يا سيدى هاك . فالتفت إليه الشيخ وقال له : وأنت هاك ، فوقع فى الحال مغشياً عليه ورأى مارأى من الأسرار .

ومن ذلك ما أخبرنى به محمد ولد البشير قال : إن جدى محمد ولد نبوق لما طلب من سيدى الشيخ رضى الله عنه الطريق قال له : إنك لا تستطيعه ، ولكن املأ نظرك فى وجهى ، ففى الحال تغير عليه الحال وصار مجذوباً إلى أن مات .

ومن ذلك ما أخبر به العارف بالله الشيخ بشرى (بضم الباء) ابن بشير ، الأستاذ المشهور ببلاد الرحمان من الحبشة قال : لما أخذت الطريقة على يد سيدى الشيخ رضى الله عنه أقمت بعدها ثلاثة أيام لم يفتح على بشىء ، فرغبت نفسى المدد من الشيخ رضى الله عنه ، فكاشفته على ما فى ضميرى ، ثم أمرنى أن أقول ، وأنا بين يديه ثلاث مرات هذه الصيغة : اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة دائمة مستمرة بدوامك يا فتاح ، فلما قلتها كشف لى عن الملكوت ، وكان ما كان .

ومن ذلك ما أخبرنى به من أثق به من الفضلاء قال : جاء رجل إلى الشيخ قدس سره يطلب منه الطريق إلى الله تعالى فقال له الشيخ : هات ما عندك ، فأخرج الرجل شيئاً ومده إلى الشيخ وقال : والله لا أملك إلا هذا المئقال . فقال له الشيخ

قبلناه منك وصيرناك من الأبدال فتجوهر الرجل من وقته وبلغ درجات الكمال .
ومن ذلك ما أخبرني به شيخنا رحمه الله تعالى قال : كنت يوماً في حضرة
الشيخ رضى الله عنه ، فطلب رجل منه ثوباً فخلعت ثوبى وألبسته ذلك الرجل ،
فنظر إلى الشيخ رضى الله عنه ثم قال : اللهم اكسبه من نور جمالك وجلالك ،
وقال لى : ما دعوتها لأحد قبلك . قلت : ولا يخفى بعد ذلك ما كان عليه ببركة
دعوة الشيخ من الحلل الجمالية ، والبرد الجلالية التي فاق بها أهل عصره .

ومن ذلك ما حدثني به أيضاً شيخنا رحمه الله قال : حضر يوماً عند سيدى
الشيخ رضى الله عنه ثلاثة من تلامذته وهم : الشيخ محمد ولد مكى ، والشيخ محمد
ابن الحاج النور البرياني ، والفقير محمد بن الطيب ولد عبد الحمود . فالتفت الشيخ
رضي الله عنه إلى الشيخ محمد ولد مكى وقال : وهبت لك مقام جدك الشيخ إدريس
ولد الأرباب رضى الله عنه . وقال للشيخ محمد بن الحاج النور : وأنت أيضاً وهبتك
مقام جدك الشيخ على ولد برى رحمه الله تعالى . وللفقيه محمد ولد الطيب ولد
عبد الحمود : أنت معى فى الدنيا والآخرة . قلت : أما الشيخ محمد واد مكى رحمه الله
تعالى فقد ظهرت على يده خوارق تشهد له بذلك . منها ما أخبر به الرجل الصالح
الحاج الحسن ولد بلول تلميذ العارف بالله تعالى السيد أحمد ابن إدريس قدس سره
القاطن بقرى قال : سألت الشيخ محمد ولد مكى رحمه الله تعالى عما حصل له من
المدد من سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه فقال لى : لا يحصى ، ولكنى فى
كل ليلة أجتمع بالأنبياء من عهد آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
حدثنى تلميذه الشيخ على الرباطى قال : قال لى شيخى رحمه الله تعالى : إن الله منَّ
علىَّ بمقام جدى الشيخ إدريس ولد الأرباب ببركة سيدى الشيخ أحمد الطيب
رضى الله عنه إلا أنه قد زاد على باثنين كثرة الكرامات وطول العمر . وأما
الشيخ محمد ولد الحاج النور البرياني ، فقد كان آية من آيات الله تعالى .

وقال ما شئت فيه من مديح تجده فوق ما نطق المديح .
أخبرني الرجل الصالح الشيخ احمد ولد ابراهيم رحمه الله تعالى قال : بلغنا أن خاتمة
العرفان سيدى السيد محمد عثمان الميرغنى رضى الله عنه لما مر بمقبرة البرياب جعل
يكثّر النظر في قبر الشيخ محمد بن الحاج النور رحمه الله ، ثم قال لأصحابه : إن صاحب
هذا القبر أكمل من صاحب هذه البنية يعنى جده الفقيه على ولد برى رحمه الله .
وأما الفقيه محمد ولد الطيب فإنه مع ما كان عليه من الفقه والصدق والبركة
التامة . فقد زوجه سيدى الشيخ رضى الله عنه بإحدى بناته ، وبعد موته دفن
مع الشيخ في قبته . وهذا شاهد كلامه رضى الله عنه ، أخبر الفقيه الصالح الكامل
الشيخ ابراهيم ولد عبد الدافع المفتى الحميدابى رحمه الله تعالى . قال : كانت بيني
وبين الفقيه محمد ولد الطيب حال حياته محبة قوية ، فلما جئت من مصر زرت
سيدى الشيخ رضى الله عنه ، وسلمت عليه فرد السلام على الفقيه محمد المذكور ،
وسمعت من قبل الشيخ كلاماً أعجبني لم أفهمه . فأرسل المفتى المذكور كتاباً بذلك
إلى عبد الحمود ولد الطيب صنو الفقيه محمد يخبره فيه بهذه الكرامة الظاهرة .
ومن ذلك أن العارف بالله تعالى الشيخ محمد التوم ولد بان النقا . كما روينا ذلك
عن الثقات ، لما خدم سيدى الشيخ رضى الله عنه سبعة أيام ، أمره أن لا يزيد
على ذلك . وقال له : ما حصل لى من سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه
من اللد في السبع سنين التي خدمته فيها ، وهبته لك في السبعة الأيام هذه
وأعطيتك مقام جدك الشيخ موسى ولد يعقوب رضى الله عنه . وملكك أرض
الصعيد . قلت : ولا يحقك بعد هذا ما كان من أمره وخوارقه ، وتصريفه ،
وانقياد الصغير والكبير له ، والأحر والأسود ، والسلطان والوزير ، والحاكم
والأمير ، والصلحاء والعلماء ، مع الإرشاد الذي لا يجاذى ، والممد الذي في النفوس
أحلى من الشذا .

ومن ذلك أنه قد أوصل إلى الله تعالى تلميذه الشيخ المصطفى ابن الشيخ الإمام خليفة العارف بالله تعالى ، سيدى الشيخ دفع الله ، ولد أبى إدريس العركى ، رضى الله عنه ، بمجرد المبايعة من غير سهر ولا رياضة . ووهبه بعد ذلك مقام جده الشيخ دفع الله المذكور .

ومن ذلك أنه أوصل إلى الله تعالى الشيخ محمد ولد يعقوب العبطى فى أول ليلة من اجتماعه به ، وأخذه عليه . ووهب للشيخ حسيب بن الإمام المغربى ألفين وخمسمائة من الجن يخدمونه ، وذلك بمجرد الاجتماع به قبل ليلة المبايعة . وأرشد التكرورى ، الذى جاء بكتاب سيدى الشيخ محمد السمان ، رضى الله عنه ، بمجرد تلاوته للكتاب .

ومن ذلك أن تلميذه صالحاً الجرارى ، رحمه الله تعالى ، كان أمياً . فلما اجتمع به وأخذ عنه الطريق ، أرشده وصار من كبار المؤتقين فى المعارف . وقد رأيت له نظماً بديعاً فى الحكمة وغيرها ، وسماه : « بشمسية الإشراف ، فى علم الحروف والآفاق » ، وهو يشهد بكماله .

ومن ذلك ما حدثنى به الشيخ نور الدائم ابن أخينا الشيخ الصديق ، رحمه الله تعالى ، قال : حدثنى الفقيه محمد ولد فضل الله الصباحوى ، تلميذ سيدى الشيخ ، رضى الله عنه ، قال : كنت قبل أخذى الطريقة على سيدى الشيخ ، رضى الله عنه ، أمياً لا أعرف شيئاً ، فطلبت منه ، بعد الأخذ ، أن أرجع إلى بلادى قال : فأخذ بيده الشريفة إبريقاً فيه ماء وصبه على رأسى ، فأحسست بذلك الماء بليلاً فى باطن جسدى ، ولم أر على ظاهره شيئاً ، فتعجبت من ذلك . فلما فرغ رضى الله عنه ، قال لى : هذا السقى الذى تعنيه القوم ، اذهب فإن لك ما تروم . قال : فمن ذلك اليوم نزل على قلبى من العلم اللدنى ، والفيض الإلهى ما لا يخطر ببالى قبل ذلك ، والحمد لله .

ومن ذلك ما أخبر به العلامة الفقيه أحمد ولد كنان ، رحمه الله ، قال : زرت سيدي الشيخ ، رضى الله عنه ، في مدة حياته ، وهو في ذلك الوقت بأم مرج الصعيدية ، ومعى رجلان من تلامذة سيدي الشيخ يوسف بن الشيخ محمد الطريفي ، قدس سره . فلما دخلنا عليه في الموضع الذي هو به ، رأيته كالشمس في رابعة النهار . فقال لنا : خذوا عني طريقاً أخذ من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فتوقفت أنا عن الأخذ ، وأخذ عليه الرجلان اللذان معى . فلما خرجنا من عنده قلت لهما : ما جوابكما لسيدي الشيخ يوسف ؟ فقال أحدهما : أما أنا فمن حين وضعت يدي على يد الشيخ رضى الله عنه ، لقد كشف لى حتى رأيت اللوح المحفوظ . وقال الآخر : والله أنا قد حصل لى بعد خروجى منه مثل ذلك . قال : ولعلمى بصدقهما ودينهما رجعت إلى سيدي الشيخ أحمد الطيب ، رضى الله عنه ، وطلبت منه الطريق فأبى وقال لى : فاز بها أخواك . قال : فندمت على ذلك أشد الندم . وأما ما فقد بلغنا من الآيات وظهور الكمالات ما لا ينكر .

ومن ذلك ما أخبرنى به من أثق به قال : إن رجلاً كان من زبالة أبى جريد قد تاب على يد الشيخ ، رضى الله عنه ، وصار من المنتظمين فى سلكه وأقام معه أياماً . ثم حدثته نفسه بالرجوع إلى مذهبه فاستأذن الشيخ فى أن يذهب إلى أهله ، ووعدته بالرجوع إليه ، وكان ذلك كذباً منه . فعلم الشيخ رضى الله عنه ما فى نفسه كشفاً ، وأمره أن يذهب إلى شجرة كانت بقره ويشغل ثمة بالذكرك جهراً ، نحو ساعة أو ساعتين ، حتى بعد ذلك يأذن له بالسفر إلى أهله . فقام الرجل من عند الشيخ فرحاً ، وصار مشتغلاً بالذكرك كما أمر ، ثم إن الشيخ أتاه من خلفه ولم يشعر به الرجل ، فضربه بالعكاز على كتفيه فتقايأ الرجل عند ذلك دماً عبيطاً ، ثم خرج من بطنه هر كبير ، يسمى فى عرف أهل بلادنا ، بأبى عاج ؛ ففتح عليه فى الحال وصار من الأبدال .

ومن ذلك ما أخبر به بعض الفضلاء : أنه قد أرشد في مدة إقامته بمدينة قنا من أرض الريف عشرين ألفاً ، وفي مدينة سهاج ثلاثة آلاف .

ومن ذلك جمعه للشيخ محمد النور المدفون بالحران ، كما أخبرني بذلك الشريف محمد بن الشريف النور ، من أول ليلة بالخضر عليه السلام ، واستمر على ذلك إلى أن مات .

ومن ذلك ما حكى أنه جاءه رجل وطلب منه أن يعطيه اسماً يذكر الله تعالى به . فأمره أن يذكر الله بيبصل ، فذكر بها إلى أن وصل . فسئل بعد ذلك ، فقال : لما أمرني سيدي الشيخ ، رضى الله عنه ، بالذكر بهذه اللفظة لم يتردد خاطري في ذلك ، وأخذت كلامه على الجذ . ففتح على من كل حرف منها معنى اسم من أسمائه تعالى : فمن الباء بر ، ومن الصاد صبور ، ومن اللام لطيف . فصار نسانى لاهياً بهذه اللفظة ، وقلبي ملاحظ للأسماء المذكورة مستتراً بها من حيث الظاهر ، ذاكر من حيث الباطن ، فافهم .

ومن عجائب إرشاداته ، وغرائب فيوضاته ، فتحه لتلميذه الشيخ محمد ولد مكي في الحال بسبب حكاية الدهن المشهورة .

ومن ذلك إرشاده لتلميذه الشيخ يعقوب بن أحمد الأنصاري القاطن بقدي حين أمره أن يشهد الله تعالى في صقر مر عليه طائراً فخرقت بصيرته السموات السبع ورأى ما رأى ، ثم إنه ملكه بعد ذلك تسمياً وتسعين سيداً من الجن .

ومن ذلك أن أحمد ولد على النوفلابي طلب منه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فوهبها له في ليلة الإثنين والخميس ، واستمر على ذلك إلى أن مات .

ومن ذلك أن الشيخ حبيب الله ولد القرصى الشويحاتى الكردفاني ، قد كان أمياً من رعاة الأبقار ، فرأى في منامه ما حثه على الاجتماع بسيدي الشيخ ، رضى الله عنه ، فذهب إليه وأخذ عنه الطريق ، ثم استأذنه ورجع إلى محله .

قال الفقيه حسب الدائم الجعلي : قد رأيته مرة في حلقة ذكر بموضعه من
أبي عرائش ، وهو يدور في الهواء ، خالياً من الأرض .

واعلم أننا لو أرخينا القلم في عجائب إرشاداته ، وغرائب فيوضاته لخرجنا من
الغرض المطلوب من قصد الاختصار . وقد قالوا : يكتفى الحاذق اللبيب بما يدل على
الكثير من القليل . وفي كلام العارف بالله الشيخ القرشي بن الزين الذي قدمناه ،
في أول هذا الفصل : وهو أنه ما من أحد أخذ على سيدى الشيخ إلا وقد فتح عليه ،
غنية لأولى العقول ؛ عما لا يتيسر لنا جمعه في هذه الفصول . وأما إرشاده بعد
وفاته ، فهو كثير جداً . وسندكر نذراً منه في فصل تلامذته الذين انتفعوا به ،
إن شاء الله تعالى .

الفصل العاشر

في بيان ما أكرمه به الحق تعالى

من خرق العادة لمن نالوا به حفظ القرآن العظيم بدون قراءة على الأشياء
هذا الفصل ، وإن كان محله فصل الكرامات ، ولكن لعظم كرامة حفظ
القرآن المجيد ومكاته ؛ أفردناه هنا استقلالاً .

فمن ذلك ما أخبرني به شيخنا ، رحمه الله تعالى ، قال : كان أبو عاقلة المشهور
بالولاية والكشف ، أول أمره أمياً ، فلما صحب سيدى الشيخ ، رضى الله عنه ،
وسار بسيره ، صار يقرأ القرآن على ظاهر قلبه بالروايات السبع .

ومن ذلك ما أخبر به العلامة الفقيه أحمد ولد كنان ، رحمه الله تعالى ، قال :
رأيت رجلاً أمياً قد جاء لزيارة سيدى الشيخ أحمد الطيب ، رضى الله عنه ، وكان
وقتئذ بأم مرح التي بالصعيد ، فأهدى للشيخ حمل بعير من الذرة ، وكان الوقت
غلاء ، فقال له رضى الله عنه : تمن علينا . فقال أتمنى حفظ القرآن . فأمره

رضى الله عنه بالوضوء وصار يعلمه الوضوء شيئاً فشيئاً ، فلما تم الوضوء فتح عليه بالقرآن جميعه .

ومن ذلك ما أخبر به الفقيه مضوى تلميذ عبد الواحد الكباشي ، الشهير بمروس ، قال : حدثني شيخى قال : زرنا سيدى الشيخ احمد الطيب ، رضى الله عنه ، مع الفقيه عبد الله ولد أبى الحسن العرمانى ، فلما رأيت إفاضة على المريدين ، وإرشاده للسالكين ، طمعت نفسى بأن أسأله القرآن ، وكنت أميلاً لا أعرف منه شيئاً . فلما كلمته بذلك ، أمرنى أن أجمع عنده بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ، ثلاثين رجلاً ممن يقرأ القرآن على ظاهر قلبه . فلما كان يوم الجمعة ، فى الوقت المعين ، جمعت العدد الذى أمرنى به ، فأمرهم أن يجلسوا حلقة ، وأمرنى بالجلوس وسطهم ، وأمر أن يقرأ كل واحد من هؤلاء جزءاً من القرآن ؛ فلما فرغوا من قراءتهم وجدت القرآن جميعه فى صدرى .

ومن كلامه ما أخبر به شيخنا رحمه الله تعالى ، قال : إن الفقيه عليا ولد قرشى الخلاوى المشهور ، لما عسر عليه حفظ القرآن ، وسمع بكرامات سيدى الشيخ بإعطائه القرآن لمن طلبه منه ، ذهب إليه فأدخله الخلوة سبعة أيام وأمره أن يقرأ كل يوم فى المصحف سبعاً من القرآن العظيم ، ويتلوه ليلاً على ظاهر قلبه ؛ فلما كملت السبعة أيام صار ممن يضرب به المثل فى معرفة القرآن وإتقانه . ثم إن سيدى الشيخ رضى الله عنه وهب له مصحفاً عظيماً أهداه له سيدى الشيخ محمد السمان حين كان معه بالمدينة المنورة . قلت : وهو إلى يومنا هذا عند أولاده بالخلاوين ، ويسمونه بالسمانى ، وهو مشهور لديهم .

ومن كلامه ما أخبر به الحاج الماسح العيسابى قال : زرت سيدى الشيخ رضى الله عنه فى عهد الشباب وطلبت منه أن يكتب لى ورقة أعلقها على عضدى ، وكان قلبى يومئذ موانعاً بالقرآن ولم أحفظ منه شيئاً ، فلما كتب لى رضى الله عنه

تلك الورقة وعلقتها على عضدى صرت كما ترى ، أقرأ القرآن جميعه بحمد الله
على ظاهر قاي .

ومن ذلك ما أخبر به بعض الفضلاء قال : كان في عهد الشيخ رضى الله عنه ،
رجل يستعمل التنباك بقمه كمادة غيره من الناس ، فلامه بعض الناس على ذلك ،
فذهب إلى سيدى الشيخ وطلب منه أن يتفل في فمه رجاء أن يتوب من ذلك ،
فتفل له الشيخ في فمه كما طلب منه ذلك ، فتاب لوقته ، ثم صار يقرأ القرآن على
ظاهر قلبه ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات ، وغير ذلك .

البَابُ السَّابِعُ

وفيه سبعة فصول

الفصل الأول

في بعض كلامه رضى الله عنه وعنا به

فمن ذلك قوله : أدنى درجات الولى أن يكشف الله له من البهموت إلى الظلمة ، وهو الكشف عن عالم الملكوت . وأوسطها الكشف عن عالم الجبروت . وأعلاها الكشف عن عالم اللاهوت .

ومن كلامه رضى الله عنه : من علامات محبة الحب ، فناؤه عن صفاته بصفات محبوبه .

ومن كلامه رضى الله عنه : من الحال أن يفتح الله لك باب شهود حضرته ، وأنت لم تطهر قلبك من جنابة شركه .

ومن كلامه رضى الله عنه : التوحيد ظاهره التنزيه عما لا يليق بالذات المقدسة العلية ، وباطنه نفي الحول والقوة منك عنك بالكلية .

ومن كلامه رضى الله عنه : توحيد الظاهر ، تقوية لتوحيد الباطن . إن سلم صاحبه من دائه السكامن ، ونظر لله تعالى وحده في المتحرك والساكن .

ومن كلامه رضى الله عنه : أنت مع الوجود ، مادمت تشهد لك معه وجوداً فإن اعطماك وهناك جذبك وأدناك وغيبك إياك^(١) .

(١) أى عن نفسك والله أعلم .

ومن كلامه رضى الله عنه : إن أوصلك النان إلى أعظم مكان ، أشهدك لا أنت
ولا الأكوان . كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان .

ومن كلامه رضى الله : ما أحب رجل أن يعرف بإظهار الكرامات لديه ،
وانقياد الخلائق إليه ، إلا فسد دينه ، وذهب في مولاه يقينه .

ومن كلامه رضى الله عنه : حب الكرامات وانقياد الخلق من ظلمة الباطن .

ومن كلامه : ورود الواردات ، وإظهار الكشوفات ، وجلب الخليقات ، والنظر
في لوح المحو والإثبات ، يقال إنها درجات ، وعند أهل الدرجات ليست بدرجات .
وإنما هي عطالات و بطالات . من وقف معها حجب عن المطلوب ، وطرده عن
حضرة المحبوب .

ومن كلامه : إذا دخل قلبك سلطان الأحذية ، غبت به عن الأنية ، إن الملوك
إذا دخلوا قرية أفسدوها بالقهرية .

ومن كلامه : وصولك إلى الله وصولك إلى علم العظمة والجلال ، واتصالك
بشهود وحدة ذاته ، وأسمائه وصفاته و بوحدة الأفعال .

ومن كلامه : الكشف ما أطلعك على الغيوب ، والتجلى ما كشف لك
عن المحبوب .

ومن كلامه : العارف بالله تعالى من شهد الحق في كل شيء يراه ، والعارف
بنفسه من استدل عليه بما سواه .

ومن كلامه : المؤمن ينظر بنور الله تعالى في الملكوت ، والعارف من ينظر به
إليه في حقائق اللاهوت .

ومن كلامه : لا ذكر ظاهر و باطن ، فظاهره الإسم و باطنه ملاحظة معناه .
فمن وفق على ذلك فلا يستبطىء الفتح من الله تعالى .

ومن كلامه : أول المقامات في طرق أهل الله ، التوبة لله والالتزام طاعة الله بخوف الله ، والصبر على مراد الله ، والزهد فيما سوى الله .

ومن كلامه : توحيد الأفعال لا يثبت في سكره إلا كمل الرجال ، إذا حصل لك فيه الفناء عن الأنام ، كن رجلاً جامعاً تابعاً لشرع من ظله الغمام .
ومن كلامه : لا يخرجك عن شهود الوهم والخيال ، إلا كثرة ذكر الله بالصدق والابتهاال .

ومن كلامه : السلوك على توحيد الحال ، طريق المقربين لا الأبرار . فمن سلكه على يد خبير عارف بالله ، كان من أهل حضرة الله .
ومن كلامه : المحب لا ينام ، والعارف لا يلوم ، والمشاهدة لا تدوم .
ومن كلامه : من سكن سره لغير الله تعالى نزع الله نور الإيمان من قلبه وألبسه لباس الطمع في غيره .

ومن كلامه : الخلق في الشريعة خلق ، وفي الحقيقة حق .
ومن كلامه : السير إلى الله تعالى لا يكون إلا بهذه الأحرف الخمسة وهي : خرزرس . فالحاء خبير عارف بالله تعالى ، والزاي الأولى زاد ، وهو التقوى . قال تعالى : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » . والزاي الثانية زامله وهي الهمة التي تصل بها إلى عين النعمة . والراء رفاقه وهم الإخوان المساعدون على الطريق . والسين سلاح ترهب به العدو ، وهو الاسم .

ومن كلامه : إذا أردت أن تكون من المقربين أهل السباق ، فلا تر لوجودك أثراً ، ولا لذاتك رفعة ، ولا لنفسك عملاً منك إليه يساق .

ومن كلامه : رأيت هو الفاعل ، وسمعت هو القائل ، وشاهدت القدم ، وحققت القدم ، وتلاشى الناسوت ، وبقي اللاهوت .

ومن كلامه : إن اللائيم جسداً ونفساً وروحاً ، فإن اختل واحد منهن فإنه

لا ينتج أبداً . قال أما جسده : فجامع الأنوار ، ونفسه الشعور بعظمة الله ، وروحه
نقى الحول والقوة .

ومن كلامه : أيها المريد الناسك المهتم ، ومن تقصيرك في طلبك كالمقتم .
طرائقنا على عدد حروف نقط جم ، فإن كنت للأسرار لم تفهم ، اثتنا بصدق تظهر
بين الورى كالعلم ، من لم يأتنا في زماننا هذا لا بد أن يندم .

ومن كلامه ، مشيراً إلى علم الحقيقة : لو لوحت فهمي في هذا العلم عن الأفهام ،
لعجز عن فهمه كل ولي لله تعالى في هذه الأيام .

ومن كلامه : نحن قوم قلوبنا بالله عامرة ، لا نعرف الدنيا ولا الآخرة .
ومن كلامه : لا أرى في الكون إلا اثنين : إرادة تحرك ، وقدرة تسكن .
ومن كلامه ، حينما سأله العلامة محمد ولد أبي سعيد الكر كسي ، عن قول الفقيه
أحمد ولد مرتضى عند سكرته وجذبه : أنا ظاهر الله . فقال له : وأنا باطن الله .
فسكت عند ذلك العلامة المذكور ، فأنكر عليه بعض طلبته سكوته . فقال :
هذا قطب لا يعارض ، والأمر له في ذلك مسلم .

ومن كلامه : أقول كما قال إمام الطريقة أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه : من
أراد عز الدارين ، فليدخل في طريقتنا هذه يوماً أو يومين .

ومن كلامه : أوصل إلى الله تعالى كل من جاءني ، ولو كان منكراً
أو مستهزئاً بي .

ومن كلامه : من فقدت عنده حروف سكر ، فإنه لا يذكر . سئل رضى الله عنه
عن ذلك فقال : السين سر ، والكاف كيمياء ، والراء روحاني . قلت : وقد بلغنا
أنه رضى الله عنه وعنا به لا يعطى الطريقة لكل من طلبها من المريدين ، فمنهم
من يعلمه الكيمياء بأدنى إشارة ويأمره بالزهد فيها ، إلا عند الشدة ، ومنهم من
يصرفه في الروحاني ، ومنهم من يعطيه الطريقة ويمده بأسرارها ويصحبه فيها

بالتذوق والهمة . وكثيراً ما كان يحصل للعريد الفتح على يده عند المباينة أو بعد ساعة أو ساعتين ، أو يوم أو يومين ، فلذا كان يسمى ما بين أهل الله بالإكسير . ومن كلامه لو علم أهل زمانى ما أنا عليه . لأتونى ولو حبواً .

ومن كلامه : ماغضبت فى عمرى إلا مرة، ولا غبطت أحداً إلا مرة ولا خشيت مخلوقاً إلا مرة . أما الغضب فإنه حصل لى بسبب شتم شخص أردت أن أشتري منه طعاماً بسوق المدينة المنورة ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وذلك لخالفنى ما فى نفسه من الثمن . وأما الغبطة فإنى رأيت بها غلاماً مكتوباً على قلبه لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمداد من نور أبيض ، فأردت أخذ ذلك من قلبه فنهيت . وأما الخشية فعند دخولى بلاد الريف قصدنى بالحال واحد من الأولياء المعمرين يقال له كمال الدين، وكان ولياً عطافاً ، فأمنى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : إن كمال الدين هذا هو الولى الذى سمى سيدى الشيخ باسمه ولده كمال الدين فجاء كأنه هو حالاً وذوقاً .

ومن كلامه : من عهد آدم عليه السلام إلى وقتنا هذا ما وصل إلى ما وصلت إليه من درجات القرب من الأولياء إلا اثنا عشر ولياً .

ومن كلامه : خيرت بين واحد من ثلاث مقامات : مقام أبى القاسم الجنيد ، والسرى السقطى . وأبى يزيد البسطامى . فاخترت مقام أبى يزيد ، وربى زادنى عليه سبعين قدماً .

ومن كلامه : كنت فى حضرة فيها جميع الأولياء ، فهتف هاتف من قبل الحق سبحانه وتعالى قائلاً : يا معشر الأولياء إن الطيب هذا من سلاطينكم .

ومن كلامه : هتف بى هاتف من قبل الحق تبارك وتعالى ، وكان معى وقتئذ أخى الحاج أحمد البقارى تلميذ سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه يقول على لسان الحق سبحانه وتعالى لأعزنىكما فى الدنيا والآخرة .

ومن كلامه لتلميذه الشيخ سعيد المسلمى : يا سعيد ، لو أردت أن أكون بعد

كبرى هذا صبيًا لكنت ، أو شابًا لكنت ، أو فوق ما أنا فيه من الكبر لكنت .
قلت : وقد رأيته رضى الله عنه وعنا به ، عام خمس وتسعين بعد الألف والمائتين في
حلقة ذكر عندنا بالصعيد ، وهو صبي وعليه من الجلالة والأنوار ما لا أصفه ، ورأيتُه
إذا تحرك يتحرك الناس بتحريكه ، وإذا سكن كذلك ، وإذا حصلت به حال
فإنه يحصل لجميع الذاكرين . وهكذا إلى أن طلع الفجر وأذن المؤذنون ، ثم خرج
من أمام الحلقة فافهم والعهدة على قائلها .

ومن كلامه : لكل ولى طريق من الأسماء ، وأنا لى كلها طرق .
ومن كلامه لتلميذه سيدى الشيخ حسيب بن إمام المغربى ، بعد أن تكلم معه
في أسرار مثلث أبى حامد الغزالى رضى الله عنه ، يا حسيب : لو شئت أن أجرى
لك هذا النيل خلف الجبل لأجريتَه . فبكى عند ذلك الشيخ حسيب رضى الله عنه
وقال : معاذ الله أن أشك فى ذلك يا سيدى .

ومن كلامه : لما دخل الترك فى هذه البلاد ، أمر أهلها أطيعوهم ولا تخالفوهم ،
فإنى لقيتهم بدنقلة وأردت أن أبطش بهم ، فسمعت هاتفاً من الحق تبارك وتعالى
يقول لى : يا طيب تأدب لأمرنا ، فإنه قد ظهر . فألقيت ما كان فى يدي على
البحر ، فصار ذلك الموضع يفور كالتنور من شدة حرارة ذلك الملقى .

ومن كلامه لتلميذه فضل السيد الكباشى رحمه الله : اليوم شيخك شيخ
لجميع المشايخ .

— ومن كلامه للطيب ولد عبد الحمود ، كما أخبر بذلك الرجل الصالح الفقيه
الأمين ولد أم حقين ، رحمه الله ، قال : وجدت عند دخولى فى ديوان أهل الله
الشيخ إدريس ولد الأرباب ، والشيخ موسى ولد يعقوب ، يدخلان الأولياء فيه ،
فأرادا أن يكون دخولى على يديهما ، فاحتجبت عند ذلك عنهما فما رأيانى إلا وأنا

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم ، قال لهما : تأدبا
فإن الطيب من سلاطينكم .

ومن كلامه ، لما سئل عن ولده كمال هل يحبى . أم لا ؟ فأجاب : بأن أمره
الآن صار فى يده ، إن شاء أتى ، وإلا فلا . ثم ذكر أحوالا تركناها لضيق
القلوب عنها .

ومن كلامه فى حق تلميذه الشيخ أحمد البصير الحلاوى ، والشيخ عبد الرحمن
الفادنى : أما البصير فإنه يأتينى بالخبر من النبى صلى الله عليه وسلم . وأما عبد الرحمن
فإنه يأتينى به من عند الحق تبارك وتعالى .

ومن كلامه ، عند ما سأله تلميذه الفقيه أحمد ود الكامل الحلاوى ، عن
المسألة المشهورة التى عجز عن حلها علماء العصر وصلحاؤه ، وتكلم عليها من أول
الظهر إلى العشاء الأخيرة . فبكى تلميذه المذكور عند ذلك على تقصيره عن صحة
الشيخ قبل ذلك . فقال له : يا ولدى ، جميع ما سمعته وما لم تسمعه من مواهب الله
التي أعطانا إياها ، فهى من دعوة دعاها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى
قوله : اللهم افتح عليه ففتح العارفين بالله ، وبعد ذلك تفل لى فى فمى .

ومن كلامه : ما حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه ، وما قلت
قولاً وفعلت فعلاً إلا بإذنه ، صلى الله عليه وسلم .

ومن كلامه : ما فارقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع أوقاتي وحركاتى
وسكناتى إلا عند النساء ، وبيت الخلا .

ومن كلامه : لم يخاطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أهل الحضرة ،
إلا بالطيب ابنى .

ومن كلامه : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا طيب ، أنت وإبراهيم ولدى
كهايتين ، يريد بهما الوسطى والسبابة .

ومن كلامه : لا يوجد اليوم قريب من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وأنا
أنا أقرب منه . ولما أشده تلميذه العارف بالله الشيخ القرشي ولد الزين هذا البيت
من القصيدة التي امتدحه بها وهو :

ويأتيه النبي بكل أمر ويأمره بأحوال تليق

قال له : صدقت . هكذا أخبرنا تلميذه المذكور ، وكان رضى الله عنه فى بعض
الأحيان يقول : لا أعلم لى أباً غير رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : وهو يشير
بذلك إلى الأبوة الحقيقية التى هى نور محمد صلى الله عليه وسلم . وفى الحديث :
« أنا من الله ، والمؤمنون من نورى » . ومن كلامه رضى الله عنه تحدثاً بما أنعم
الله به عليه .

صفا الزمان بنا من بعد أ كدار	وفاز منى بإرشاد وأسرار
فالسكون بى لاهج والدهر منجذب	وبحر فيضى على أرض النهى جار
قوى الزمان جميعاً وهى قاصرة	عن فهم حالى وعن وصفى ومقـدارى
خصصت بالرتبة العليا وفقت على	أهل الولاية من بدو وحضار
قوموا ، تعالوا ، تملوا بالوصال بنا	يا أهل ودى وقصـادى وزوارى
نهجى قويم وكأسى وهى دائرة	على زمانى بسر سره سـارى
هذا جمالى تبدى للعقول وقد	لاحت من الجانب القدسى أقمارى
وفاح نشرى فهم القوم كلهم	به ولدت لهم فى السمع أخبارى
طوبى لمن مرة فى العمر أدركنى	وذاق كأس كالاتى وأنوارى
لله در امرئ فى حبنا سهرت	عيناه أو شم أنفاسى وأعطارى
لله در أويقات حوت شرفاً	بنا وفاض بها فى الكون تيارى
أنا الإمام الذى أضفى الزمان به	أحلى من الطيب أو من نعمة القارى

أنا الإمام الذى تحيا النفوس به
 أنا الإمام ، أنا القطب الشهير أنا
 أنا الهمام ، أنا الغوث المغيث أنا
 أنا الهمام ، ومفتاح الكنوز أنا
 أنا الهمام الذى دانت لهمة
 أنا الولي الذى عزت مداركه
 أنا الولي الذى تاه الوجود به
 أنا الولي الذى أغنت شوارقه
 أنا ابن أهل التقى فرع الأطايب من
 أنا طراز زمانى والمليك له
 أنا الملوك ، أنا شيخ الطريقة من
 أنا الأمين الذى ما خاف قط وما
 أنا جليس النبي المصطفى شرفاً
 سلكت ماشئت من نهج الوصال وقد
 من ذا الذى فى حضرات الجمال له
 نلت المقاصد من يوم الخطاب وقد
 ما أم سوحى شقى فى الورى أبداً
 لى البشارة من قبل الظهور ولى ال
 أيا مريدى لا تحش الزمان فلى
 ثم الصلاة على المختار من مضر
 ما أزعج الشوق مشتاقاً لساحته

فى كل دهر وآفات وأعصار
 حكى على كل سلطان وجبار
 الساقى لأهل الصفا كاسات خمار
 كنز المعانى ولى الواحد البارى
 كل الملوك بلا مین وإنكار
 عن فهم كل امرئ بين الورى دارى
 شيخ الطريقة فى نجد وأغوار
 فى ظلمة الليل عن ضوء وعن نار
 طابت بهم فى جميع الأرض آثارى
 ومحبيه بفيوضاتى وأذكارى
 فى القرب فاقت على الأشياخ أسفارى
 مالت خواطره يوماً لدينار
 بل طيب طبت فى سرى وإجهارى
 نلت الذى بعده قدرد أفكارى
 يد كملى وسعد نيل أوطارى
 شهرت ما بين عباده وأبرار
 ومن رآنى جلى من كل أكرارى
 ظهور بالخير فى الأخرى وفى الدار
 إغاثة وحي من كل أشرار
 وآله ثم أصحاب وأنصار
 فأجرى للدمع فى أصل وابكار

ومما قاله بعض المحبين على لسان الأستاذ ، هذه الأبيات :

وصلتُ إلى حقِّ الحقيقةِ بالحقِّ بعيدَ حقائقِ في حقيقةِ حقِّهِ
بعلمٍ وذوقٍ واكتشافٍ محقِّقٍ تعلمتُ علمَ الجمعِ من قبلِ فرقهِ
محقَّتْ نظامَ الكائناتِ بنظرتي وأفنيتهُ من بعدِ إحكامِ سحقهِ
ومن بعدَ ذا أبقيتهُ لشربعتي فلولا لسانُ الشارعينِ لم ابقهِ
وإن كنتَ لا تدري ما الوصولُ لحيَّاهُ إلينا لتدري كيف حالةُ صدقهِ
ستعلمُ عندَ الامتحانِ مكانتي وترفعني من تحتِ قولِي لفوقهِ
وإن كنتَ لا تدري الوصولَ فسلمنُ وكلَّ أمرنا لله مُرشِدِ خلقهِ
لقد عرَفَ الأقطابُ أني عارفُ بجيِّ وسارٍ في سَما نورِ برقهِ
ستنبئك مصرُّه إن سألتَ خيارَها بحالي وأنى فيه يعقوبُ شوقهِ
وفي بلدِ الله الحرامِ أعزَّةُ دروئي أولوا التحقيقِ في حقِّ حقِّهِ
هممتُ بإمساكِ العصا عندَ يمينهِ حرامِ فقال المجتبي القطبُ ألقهِ
وفي طيبةِ الأنوارِ فاحِ كرامتهُ عبيدُ من المولى ففرت بنشقه
إلى الله فوضتُ الأمورَ مسلماً وطالبَ توفيقٍ لإرشادِ أفقهِ
فإنَّ من الظنِّ الجميلِ ربَّنَا على منهجِ المختار طه ووفيقهِ
وإن نظر الخفاشُ نقصاً فإنمَّا رأى نقصه المركوزَ في نورِ حدِّهِ
وإلا فإنَّ الأملَى إذا رنا وحقَّقَ أن الحقَّ حقُّ لحدِّهِ
رأى ناصراً دينَ الإلهِ وسنةَ الرِّ سولِ على وفقِ الكتابِ وطبقهِ
عليه صلاةُ الله ما ذرَّ شارقُ وما حنَّ مشتاقُ لبارقِ شرقهِ

الفصل الثاى

فى بيان مؤلفاته رضى الله عنه فى الطريق وغيره

وعدد أحزابه وصلواته على النبى صلى الله عليه وسلم وما وجد من الفضل فى بعضها

إعلم ، وفقنا الله وإياك لاتباع آثاره ، وسقانا وإياك من كؤوس خماره .
أن مؤلفاته رضى الله عنه كثيرة ، منها : كتاب حكمه المسمى (بالنفس الرحمانى ،
فى الطور الإنسانى) وشرحه لها ، الذى سماه (بالجوهر الفريد ، فى علم الوحدة
والتوحيد) ، ورسالة لطيفة ألها فى خلوة كل ذكر من الأذكار الخمسة ، التى هى
أساس طريقة السمانى . وهى الاستغفار ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ،
ولا إله إلا الله ، وإيا الله ، ويا هو . وقد ذكر فيها العجب العجيب من الكلام
الذى يدهش السامع ، ويسحر الألباب ، ويرحم الله القائل فى ذلك :

طريقة قطب الأولياء محمد إمام الهدى السمان دانية الفرس

عليك بها ما دمت فى هذه الدنا ولازم بصدق ذكر أسمائها الخمس

وله مؤلف بديع تكلم فيه عن البسمة ، وذكر فيه بعض خواصها ومعانيها
وأسرارها ودعواتها وخلواتها وآدابها ، وهو نحو من خمس وعشرين كراساً .
وله كتاب (خواص الأسماء) من صلاته المسماة (بسر الأسرار) وهو نحو كراسين
ونصف . وله منظومة على المنازل القمرية الثمانية والعشرين مطالعها : ياطالباً لسعادة
فى المنزل ، قد بين فيها النجس والسعد من المنازل المذكورة . وله رسالة فى علم
الكيمياء . وله مؤلف يتعلق بالبروج الاثنى عشر المجموعة فى قول بعضهم :

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس الجدى نزع الدلو بركة الحيتان

وله غير ذلك .

وأما أحزابه رضى الله عنه ، فأربعة : حزب الأمان المشهور بين الناس تلاوة ونقماً . وحزب الجلال والجمال والكمال ، الثلاثة ألفها بيلاد الريف ، ما عدا حزب الأمان المذكور . وأما صلواته على النبي صلى الله عليه وسلم فهي اثنتا عشرة صيغة : سر الأسرار ، وسر سر الأسرار ، واللاهوتية ، والعظمة ، والعرشية ، والنورية ، والنورانية ، والأوصاف ، ومفتاح القلوب ، والكالية ، والروحانية ، والجمالية .

وأما ما جاء من الفضل في بعض صلواته على النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك ما ذكره في صلواته سر الأسرار ، وقد تقدم . ومن خصائص سر الأسرار سرعة الفتح على من اشتغل بتلاوتها ، وقد وصل بها إلى الله تعالى جماعة وحصل لهم الفتح : منهم سيدى الشيخ أبو صالح ، نجل الأستاذ المترجم ، وأخوه سيدى الشيخ عبدالرحمن ، والشيخ محمد ولد مكى ، والشيخ يعقوب الصليحاني . والفقيه احمد المصطفى ابن الفقيه الأمين ، والفقيه فضل السيد الكباشي ، والشيخ محمد ولد بدر وغير ذلك . وكان الشيخ محمد ولد بدر رحمه الله تعالى ، قد اجتهد فيها اجتهداً بليغاً حتى جنى ثمرتها مع أمره اتلامذته بقراءتها والمكوف عليها .

وأما صلواته اللاهوتية ، فقد رأيت بخطه الشريف ما نصه : فصل في صلواتنا اللاهوتية ، التي ألهمتها من قبل خير البرية ، محمد صلى الله عليه وسلم . أعلم أيها الناظر إليها والتالي لها ، إذا أردت درجات الكمال ، والاتصال بحضرة الرب الفعال ، اقرأها نهائراً على عدد لفظ الوصال ، وإيلاً كذلك ، فإنك تنال ما ذكرناه لك بلا إشكال . ومن قرأها خلف كل صلاة مرة قبلت جميع أعماله التي بين الصلوات ، ومحيت خطاياها التي تكون بينها . قال : وقال لى بعض الأخيار ، من حفظها حرم جسده على النار . ولها من الأعداد ست وعشرون ، ولها أيضاً ست مرات ، ولها أيضاً خمسون مرة ، اه كلامه بحروفه . قلت : قد أخبرني بعض أصحاب

الشيخ رضى الله عنه إن من داوم على قراءتها دبر كل صلاة فرضية مرة فإن النبي صلى الله عليه وسلم يتولى قبض روحه عند موته . وممن رأيت موظلاً عليها دبر كل صلاة شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ القرشي بن الزين رضى الله عنه . وبلغنا أن من قرأها على وضوء وطهارة في ليلة جمعة على عدد اسم محمد ، وهو اثنان وتسعون مرة ، فإنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم . وكل هذا مع صدق النية ، وحسن العزم ، وطهارة الباطن .

وأما صلاة العظيمة ، فقد حدثني من أثق به عن الشيخ رضى الله عنه ، قال : دخلت مرة الحضرة فرأيت رجلاً أعرفه وهو أقرب الأولياء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الحضرة ، فحصلت منه غبطة ، فوردت على قلبي هذه الصلاة وأنا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما جئت عند قولي فيها : حتى أنصل به لحضرتك ، حصلت لى غيبة فلم أشعر إلا وأنا أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الرجل ومن كل قريب . وقد رأيت بعض ترغيبه في هذه الصلاة أنه قال : من كان به همٌّ وقرأها على عدد « هم » ، وهو خمس وأربعون مرة ، فرج الله عنه همه .

وأما النورية ، فقد ذكر الشيخ أنه دخل خلوة ثلاثة أيام ، فرأى جبريل عليه السلام وفي يده هذه الصيغة مكتوبة بقلم القدرة بمداد من النور الأبيض ، وذكر أن من دخل بها الخلوة وقرأها اثني عشر ألفاً ما بين اليوم والليلة ، فإنه يجد من الفيض والفتح ما فوق أمله .

وأما النورانية ، فقد ذكر الشيخ رضى الله عنه أنها محتوية على الإسم الأعظم وأكنى بذلك فضلاً .

وأما مفتاح القلوب ، فقد ذكر الشيخ رضى الله عنه أنها وردت عليه وهو ماسك بيده في شباك النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك مدة إقامته بالمدينة المنورة ، على

ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، قال : فبعد قراءتها أخذتني سنة من النوم فمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طستاً مملوءة سرّاً فشربتها . وما بقي من الصلوات فلكل واحدة فضل تختص به ، كيف لا ، والكل جار على لسان قطب الزمان ومحل نظر الله من السكيان .

وأما الأحزاب ، فقد رأيت بخطه رضي الله عنه مرغباً في حزب الأمان ونصه : تنبيه في حزبنا المسمى بحزب الأمان ، إعلم أيها الأخ أنه حزب عظيم الفائدة كبير العائدة ، أمان لقارته من كل إنسى وجنى وشيطان ، بل من كل مؤذ من الحيوان ، وقراءته لذلك مرة صباحاً ومساءً ، وعند الخوف يقرأ سبعمائة . وأما ما بلغنا عن بعض أصحابه رضي الله عنه فهو : إن من قرأ هذا الحزب مرة واحدة فإن الله سبحانه وتعالى يحفظه من جميع ما يكره ، ومن قرأه مرتين يحفظ الله نفسه وولده وأهله وجيرانه ، ومن قرأه ثلاثاً فإنه يحفظ به السكون جميعه ، وفيه غير ذلك من الفضل . وأما بقية الأحزاب كما قيل في حقها :

قراءتها تحي الفؤاد وينجلي بها الهم والأواء والسوء والغم
فمن رام في الأيام أمناً ورفعة عليه بها إن كان ممن له فهم

الفصل الثالث

في ذكر ما كان مداوماً عليه من سور القرآن في صلواته الفرضية

وبيان فضل تلك السور

كان رضي الله عنه يقرأ في صلاة الصبح ، بعد الفاتحة ، سورة والضحي وألم نشرح . وفي الظهر يقرأ وإنا أنزلناه . وفي العصر بقل يا أيها الكافرون والإخلاص ، وقيل بسورة الزلزلة والعاديات . وفي المغرب بسورة الكافرون والإخلاص . وفي العشاء بسورة ألهاكم والعصر . ومن واظب على ذلك اقتداء به

تلميذه العارف بالله تعالى الشيخ القرشي بن الزين رضى الله عنه . ولا أدري ملازمة الشيخ رضى الله عنه لهذه السور دون غيرها ، لكثرة ثواب ، أو لخصوصية توجد فيها دون غيرها في الأوقات الفرضية من طريق الكشف ، أو لحديث خاص بها ! وأما بيان فضلها ، فقد ذكر العارف بالله السيد محمد حقي النازلي في كتابه (خزينة الأسرار) : أنه روى عن أبي بن كعب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن « من قرأ سورة والضحي سبع مرات عند طوع الشمس وعند غروبها ، لم يضع له ضائع ، ولا يهرب له هارب ، ولا يسرق له سارق من بيته ، ولا يقع في بيته فساد ، ولا يدخله وباء ولا طاعون . وكل سارق وطارق يقرب إلى بيته وسار بليل يجد على بيته سوراً من حديد ولا يجد لمنزله سبيلاً » . كذا في خواص القرآن . وقال صلى الله عليه وسلم : « من قرأ سورة والضحي كان له مثل أجر من وافى منى وعرفات » . وعن زين الدين البكري رحمه الله تعالى : من داوم على قراءة سورة والضحي أربعين يوماً ، كل يوم أربعين مرة ، يقول كل يوم عند فراغه من السورة : اللهم يا غنى يا مغنى أغنى غناء لا أخاف بعده فقراً ، واهدنى فإنى ضال ، وعلمنى فإنى جاهل . أرسل الله إليه من يعلمه الحكمة في نومه أو يقظته بحسب اجتهاده . كذا في خواص القرآن وفي شمس المعارف . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عني » ، كذا في روح البيان . ومن دام على قراءتها دبر الصلوات الخمسة يسر الله أمره ، وفرج همه ورزقه من حيث لا يحتسب . وقال بعضهم : تلاوتها تيسر الرزق ، وتشرح الصدر ، وتذهب العسر في الأمور ، وتصلح لمن غلب عليه الكسل في الطاعات والتعطيل والمعاش إذا داوم قراءتها . ومن قرأها دبر كل صلاة تسع مرات فك الله عسره ويسر رزقه ، ومن قرأها دبر كل صلاة أربعين مرة ، سبعة أيام متواليات أغناه الله تعالى بلا شك ولا شبهة .

ومن خواصها أن من أعسر عليه أمر من أمور الدنيا والآخرة ، فليتوضأ وليصل ركعتين ويقرأ بعد الفاتحة ما تيسر ، ثم يجلس مستقبل القبلة متوجهاً لله تعالى ، ويقرأها عدد حروفها ، ثم يسأل الله تعالى حاجته فإنها تقضى بإذن الله تعالى . وأما سورة القدر ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « من قرأ سورة القدر أعطى ثواب من صام رمضان وأحيا ليلة القدر » ، كذا في روح البيان : وقال صلى الله عليه وسلم : « من قرأ سورة القدر مائة مرة أدخل الله تعالى اسمه الأعظم في قلبه » . ويدعو ذلك العبد بما شاء تقضى حوائجه . ومن قرأها يوم الجمعة ألف مرة لم يمت حتى يرى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في منامه .

وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ » إنا أنزلناه في ليلة القدر « آتاه الله بكل آية قرأها ثواب من قرأ الإنجيل » . وروى عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه قال : « من قرأ » إنا أنزلناه في ليلة القدر « في فريضة من الفرائض نادى مناد : يا عبد الله قد غفر لك ما مضى من ذنوبك فاستأنف العمل ، ومن أخذ ناصية من يحبه فقرأ عليها » إنا أنزلناه في ليلة القدر « فإن الله تعالى يريه ما أحبه . ومن قرأها بعد وضوء قام بلا ذنب عليه ، وكان كيوم ولدته أمه .

ومن خواص هذه السورة الجليلة : أنها مشهورة في جلب الغنى ، فمن كانت له إلى الله حاجة فليقرأ » إنا أنزلناه في ليلة القدر « إحدى وأربعين مرة ثم يدعو بهذا الدعاء إحدى وأربعين مرة وهو : اللهم يا من يكتفي عن خلقه جميعاً ، ولا يكتفي منه أحد من خلقه جميعاً ، يا أحد من لا أحد له ؛ انقطع الرجاء إلا منك ، وخابت الآمال إلا فيك ، يا غياث المستغيثين أغثنى ، سبع مرات ؛ فإنها تقضى بإذن الله تعالى ، وذلك مجرب . ومن قرأها وسعى في حاجته رجع مسرور القلب وقضيت حاجته . وأما الكافرون وقل هو الله فقد أخرج أبو عبيدة من حديث ابن عباس رضي الله

عنهما قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : « قل يا أيها الكافرون ، تعدل ربع القرآن » . وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ قل يا أيها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن ، وتباعدت عنه مردة الشياطين ، وبرىء من الشرك ، ويعافى من الفزع الأكبر » ، كذا في التيسير . وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الإشرak بالله تقرأون قل يا أيها الكافرون عند منامكم » . وأخرج الترمذى وأبو داود والدارى عن عروة بن نوفل عن أبيه رضى الله عنه أنه قال : « يارسول الله علمنى شيئاً أقوله إذا آويت إلى فراشى فقال : إقرأ قل يا أيها الكافرون فإنها براءة من الشرك » ، كذا في مشكاة المصابيح . وأخرج في الفردوس عن عبد الله بن جراد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « المنافق لا يضحى ولا يقرأ قل يا أيها الكافرون » . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « عشرة تمنع عشرة ، سورة الفاتحة تمنع غضب الرب ، وسورة يس تمنع عطش القيامة ، وسورة الدخان تمنع أهوال القيامة ، وسورة الواقعة تمنع الفقر والفاقة ، وسورة الملك تمنع عذاب القبر ، وسورة الكوثر تمنع خصومات الخصماء ، وسورة الكافرون تمنع الكفر عند الموت ، وسورة الإخلاص تمنع النفاق ، وسورة الفلق تمنع الحاسدين ، وسورة الناس تمنع الوسواس » ، كذا في مشكاة المصابيح . وفيها أن من قرأ « قل يا أيها الكافرون » برىء من الشرك ، وتباعدت عنه مردة الشياطين ، وأمن من الفزع الأكبر ، وهى تعدل ربع القرآن .

وأما سورة الإخلاص فقد وردت في فضلها أحاديث شتى ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : « أيعجز أحدكم أن يقرأ في كل ليلة ثلث القرآن . قالوا : كيف ذلك يارسول الله ؟ قال : اقرأوا قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » . وعن أنس رضى الله عنه قال : « قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أحب هذه

السورة قل هو الله أحد قال : حبك إياها أدخلك الجنة » ، كذا في المعالم . وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة أعطاه الله من الأجر كمن آمن بالله وملأنته ورسله ، وأعطاه من الأجر كمثل أجر ثواب مائة شهيد » ، كذا في التفسير الكبير . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ سورة الإخلاص بإخلاص حرم الله جسده على النار » . وأخرج عقيل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع » ، كذا في الجامع الصغير . وأخرج مسلم عن معاذ بن جبل وأنس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ، بنى الله له بيتاً في الجنة » . وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد إثنتي عشرة مرة . فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى » ، كذا في الإتيقان . وأخرج أبو نصر عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد إحدى وخمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة » .

وأخرج الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من قرأ قل هو الله أحد كل يوم خمسين مرة نودي يوم القيامة من قبره قم يا مادم الله فادخل الجنة » . وأخرج البيهقي وابن عدي عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفر الله له خطيئة خمسين عاماً ، ما اجتنب خصالاً أربعاً : الدماء والأموال والفروج والأشربة » ، كذا في الجامع الصغير . وأخرج الخارجى في فوائده عن حذيفة رضي الله عنه : « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى بها نفسه من الله ، كذا في الجامع الصغير . وأخرج البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائة ألف مرة فقد اشترى بها نفسه من الله تعالى ، ونادى مناد من قبل الله تعالى فى سمواته وفى أرضه : ألا إن خلافاً عتيق الله فمن له قبله تباعة فليأخذها من الله عز وجل » ، كذا فى فتح المجيد .
وأخرج ابن السنن عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاده الله بها من السوء إلى الجمعة الأخرى » . وأخرج أبو سعيد القشيري فى الأربعين عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثنى رجله ، فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الناس ، سبعاً سبعاً ، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

فائدة جلية ، وخواص عجيبة ، وأسرار غريبة : إن من قرأ سورة الإخلاص ألفاً وواحدة فى مجلس واحد ، ببسمة واحدة فى أولها فقط دون غيرها ، وأن لا يفصل بكلام الدنيا فى أثناء القراءة فقد قرأ اسم الله الأعظم » ، كذا ذكره نصره افندى .
وأخرج الترمذى من حديث أنس رضى الله عنه : « من قرأ إذا زلزلت عدلت له نصف القرآن » . وأخرج أبو عبيدة من مرسل الحسن : إذا زلزلت تعدل بنصف القرآن ، والعاديات تعدل بنصف القرآن ، كذا فى الإتيقان . وأخرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن » ، كذا فى مشكاة المصابيح . وأخرج الحاكم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم ؟ قالوا : من يستطيع ألف آية ! قال : أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألفاً لها كم التكاثر » . وأخرج الفردوسى عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم « قارىء ألفاً لها كم يدعى فى الملكوت مؤدى الشكر » ، كذا فى الجامع الصغير اهـ .

الفصل الرابع

في بيان أذكار كان يحث عليها

وفوائد وأدوية نافعة إن شاء الله تعالى

فمن الأذكار التي كان يحث عليها رضى الله عنه ، بل وأعظمها تلاوة ، القرآن صباحاً ومساءً . فكان يأمر البعض من التلامذة بتلاوة السبع ، والبعض بالجزء والجزئين ، وغير ذلك . وكان كثيراً ما يحث على تلاوة صلاته المسماة بسر الأسرار واللاهوتية وغيرهما من صلواته على النبي صلى الله عليه وسلم ، وحزبه المسمى بحزب الأمان من سطوات الزمان . وذكر أن من قرأه سبع مرات فإنه لا يتصرف فيه إنس ولا جن ، وقد جرب ذلك وصح ، وكلمة لا إله إلا الله مادام المرید في الحجاب فإذا فتح عليه أمره بالإسم (الله) ، وله عليه رضى الله عنه هذه الدعوة وهى : اللهم إني أسألك بك وبحق اسمك الحزون المكنون الذى هو بين الكاف والنون ، وبحق اسمك المحبوب الذى تبهّر من اشتعال نوره العيون ، وبحق اسمك الأعظم الذى قامت به الأكوان وفي معانيه انتظم ، أن تجعلنى مشاهداً بك فيك في حياة الوجود ، فانياً بمشهد أول آخر ، ظاهر باطن ، كان الله ولا شىء معه ، وهو الآن على ما عليه كان شاهداً وشهوداً ، وصلى الله على النور الأول ، والنبي الآخر الأزهر ، اللهم صلى عليه وسلم . وأيضاً لا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة صباحاً ، ومثلها مساءً . ولا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً وصدقاً ألف ومائة وإحدى عشر مرة ، والبسملة على عددها الواقع عليها بالجل الكبير أو ألفاً أو اثني عشر ألفاً ، عند الشدة . وقد كتب رضى الله عنه في فضلها وأسرارها كتاباً عجيباً .

ومن الأذكار التي كان يحث عليها أيضاً الحسبة أربعائة وخمسين صباحاً ،

ومثليها مائة ، وعلى عدد لا تحف وهو ألف ومائة وإحدى عشرة مرة ، والإسم اللطيف على عدد ، الواقع عليه ، وغير ذلك من أعداد والأحرف النورانية وهي : اللهم كهيعص طس ق الرحمن مائه وإحدى عشرة دبر كل صلاة فرضية ، وبالليل يقرؤها ألفاً ومائة وتسعة وأربعين . وله رضي الله عنه هذه على الأحرف النورانية دعوتان صغرى وكبرى ، فالصغرى وهي هذه : اللهم يا رحمن يا موجوداً بكل مكان . بحق أسمائك الظاهرة والباطنة ، وبحق اسمك العظيم الأعظم ، الكبير الأكبر ، الفرد في أسمائك ، الذي لا يماثل اسم من أسمائك ، الجامع المقدس السرياني ، الذي من معانيه إخراج الأشياء من العدم إلى الوجود ، الذي إذا دعيت به أجبت ، وإذا سئلت به أعطيت ، أن تكون لي فعل ما أريد إنك فعال لما تريد . أجيئوا يا ملائكة التصريف ، جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، بحق من سمى نفسه « الله لطيف بعباده » ، وإني أقسم لو تعلمون عظيم عليكم ، وبحق النور المكرم الذي خلق منه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وأما الدعوة الكبرى فهي : اللهم إني أسألك بك وبكاف كفايتك يا مكنون الأكوان . وبهاء هدايتك يا هادي من استهدى إليك بلا أعوان . وبياء يقينك يا حي لا حي حيث كنت ولا مكان . وبعين علمك يا عليم يا من تعلم خائفة العَيْنَان^(١) ، وبإصاد صبرك يا صبور ، يا من لا يعجل بالعقوبة لأهل العصيان . وبطاء طوئك يا ذا الطول الذي لا يخفى على أهل البصيرة والشان . وبسین سرعتك يا سريع لمن سألته بتمهم الشفقتان . وبقاف قدرتك يا قدير على كل شيء يعجز الثقلان . وألف أحديتك يا أحد يا من لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شيئاً من الأعوان . وبلاد لطفك باللطيف يا من تلتفت بخفي لطفك على عبيدك بجميع الإحسان . وبراء رحمتك يا رحمن

(١) الكلمات التي تحتها خط جارية في الطريقة الاعرابية على قول من يلزم المشي حالة واحدة في جميع التراكيب .

يامن وسعت رحمته كل شيء مع طول الزمان . وبهاء حلمك يا حلیم يامن وصفت
نفسك بالحلم حيث لا جن ولا إنسان . وبیم مملكك يا مالك الملك يامن بيدك
ملكوت كل شيء من جماد وحيوان . وبنور نورك يامنور الأكوان ، يامن ليس
كمنله شيء مما يخطر في الأذهان . أسألك يا الله يا الله يا الله يا حي يا قيوم يا ذا الجلال
والإكرام يا حنان يامنان ، بحرمة اسمك الأعظم ، بسر كهيمص طس ق الرحمن ،
أن تقذف في قلبي نور هذا الإسم الأعظم ، بحيث لا أرى شيئاً إلا أراك قبله
بالعيان ، وأن تسخر لي روحانيته القائمة به ليكونوا عوناً لي على صلاح ديني ودنياي
في كل آن ، إنك على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير . أجب يا خنيائيل بحق
اسم الله الأعظم عليك أجب يا دعشطيش بحق خنيائيل عليك الوحا ٢ العجل ٢
الساعة ٢ « وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير » .
ومما كان يحث عليه رضى الله عنه أيضاً من الأذكار : الفاتحة على عدد فكاك
وهو مائة وواحد وعشرون مساءً وصباحاً ، وكذلك الإسم الكافي على عدده
الواقع عليه وهو مائة وإحدى عشر مساءً وصباحاً ، وله فيه رضى الله عنه عدد عظيم
لدفع الكرب وهو ثلاثة آلاف ، وبعدها « فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم »
ألف مرة .

وأما الفوائد : فمنها حثه لمن ضاق به الخناق وخشى الإملاق بتلاوة هذه
الأسماء دبر كل صلاة فرضية على عدد رزق وهو ثلاثمائة وسبع مرات ، والدعوة
خلفها مرة أو ثلاث مرات ، ولك أن تقرأ ذلك ليلاً أو صباحاً أو مساءً . فالأسماء
تقرأ على عدد ضربها في الأسبوع وهي ألقان ومائة وتسعة وأربعون والدعوة سبع
مرات . والأسماء المذكورة هي هذه : يا الله يارب يافتاح يارزاق ، أسألك
أن تفتح لي باب كل خير بكرمك ، وتهب لي رزق من فضلك ، وتنشره عليّ من
خزائن رحمتك ، وتسوقه إليّ من غير مشقة قلب ولا بدن . يا الله يا هو يارب

بافتتاح يا رزاق يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام ، « إن هذا الرزقنا ما له من نغاد » ، « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » ، « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، أجب يا نرواثيل وكن لى عوناً ومعيناً على صلاح دينى ودنياى ، الوحا ٢ ، العجل ٢ الساعة ٣ ، وصلى الله على نبي الشفاعة .

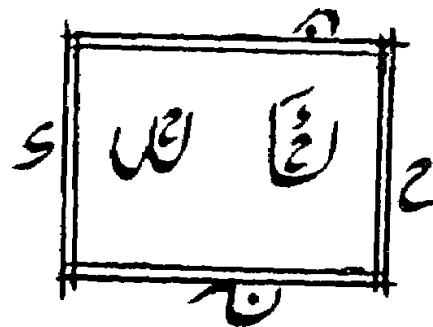
ومنها ما حث عليه أيضاً لأهل الفاقة وهو تلاوة الفاتحة ألفاً ومائة وأحد عشر إلى تسعة أيام مع الرياضة وتجنب كل ذى روح ، وبعد التسعة الأيام المذكورة يقرأها صباحاً مائة وإحدى وعشرين مرة ومساءً كذلك على عدد فسكاك فإنه يرى من التيسير ما لا ينكر .

ومنها ما وجد بخطه رضى الله عنه ونصه : إن اسمه تعالى (الله) عدد حروفه ستة وثلاثون ، فمن وضعه فى الوقف الثلاثى والقمر مقارن الزهرة أو سعد الأخبية فإنه يرى العجب فى دينه ودنياه ، وشرطه أن يقرأ الفاتحة أربع عشرة مرة قبل تركيبه وسورة الواقعة ثلاث مرات ، وأن يكون مستقبل القبلة على طهارة ، فى موضع طاهر متطيباً متبخراً ، فإن المراد يحصل إن شاء الله ، وهذه صورته .

ومنها الطلسم الذى أخذه من شيخه القطب السمان قدس سره ، فإنه نافع جداً سيما إن كتب فى الحجب الحفظية ، أو لأهل الأمراض الجنية ، لكن تكتب قبله البسملة وصلاة اسمه نافع والفاتحة إلى نستعين وهذه صورته :

اله	يا	هـ
يا	هـ	اله
هـ	اله	يا

هذا هو الوقف الثلاثى



هذا هو الطلسم

ومنها قوله لمن عسر عليه الحفظ أن يكتب هذه الآيات القرآنية عصر الجمعة وتقابل الكتابة بالنجوم ، ثم تمحى عند إشراق الشمس يوم السبت ويشر بها . وهكذا إلى سبعة أيام ؛ فإنه يكون ممن يضرب به المثل في الحفظ . والآيات المذكورة وهى هذه : « قوله الحق وله الملك » ، « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه » ، « لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » ، « سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله ، إنه يعلم الجهر وما يخفى » . ومنها ما رأيته بخطه رضى الله عنه فى قوله تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » . قال : عددها ٢٥٢٥ ، ولها من أسمائه تعالى ، الله ، وهاب ، سريع ، مجيب ، مغيث . ولهذا وفق عظيم من إلهام كريم جلب الرزق وقضاء الحوائج ، يقرأ يس مرة واحدة ، والأسماء المذكورة على عددها ٧٣ .

ومنها قوله رضى الله عنه : يكتب لمن به حى هذه الأسماء شقش ٢ شقموش ٢ نمو شالخ ٢ راع المنخ ٢ أبانوخ ٢ العجل ٢ الساعة ٢ .

وأما ماله من الأدوية النافعة ، فمن ذلك قوله : من ضعف بصره بنزول ماء فيه فليجمع هذه الأجزاء المذكورة ، وهى التى جمعها فى قوله : سقم فك ، فالسين منها سنبل ، والقاف قرنفل ، والميم محاب ، والفاء فلفل ، والكاف كل . ومن ذلك حته لصاحب البلغم على هذه الأجزاء وهى التى جمعها بقوله : معز لفكر ، ملح ، عطرون ، زنجبيل ، لبان ، فلفل ، كمون ، رشاد . فياخذها ويسحقها سحقاً ناعماً ويواظب على سفوف ذلك فى أول كل كل يوم فإنه يشفى بإذن الله تعالى .

الفصل الخامس

فى بعض مناجاته السحرية وأشعار كان يترنم بها

فى بعض الأحيان على حسب ورود التجليات على قلبه والأحوال

إعلم أنه رضى الله عنه وعنا به كان إذا جنه الظلام ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، افتتح مناجاة الحق تعالى وتلقى بين يديه بإنعامه وإكرامه .

ومن مناجاته : إلهي أخفيت ذاتك فليس ترى ، وأظهرت صفاتك للورى ،
وقلت : « الرحمن على العرش استوى » . سبحانك أين كنت قبل ذا .
ومنها : إلهي أعنا على فعل ما تحب وترضى وإن فعلت بنا خلاف ما نرضى ،
أرضنا بالقضا .

ومنها : إلهي ، لا جاهل بك إلا من أجهلته ، ولا عارف بك إلا من عرفته ،
القلوب بين يديك ، حققني بأوصافى بمنك لديك .

ومنها : إلهي علمنا علماً من لدنك ، ولا تشهدنا ذلك إلا بك منك .
ومنها : إلهي سافر بأسماعنا عن سماع نطق الحوادث إلى سماع خطابك الأقدس
وحدثك الأنفس . وبنظرنا عن السوى إلى شهودك يا عالم السر والنجوى .
وبأرواحنا عن الأكوان إلى منازل العرفان . وبأوصافنا القانية إلى شهود نعوتك
التي ثمار قطوفها دانية .

ومنها : إلهي خذنا منا عنا لنبقى بك لديك ، وصف أسرارنا عن الأغيار ،
وحققنا بسواطع الأنوار ، وكف عنا أكتفاً تكفنا عنك ، وهب لنا يداً مؤيدة منك .
ومنها : يا واحداً قد ملأت الأكوان بكبرياتك ، واستغرقت يا أحد أعدادنا
ذاتك ، ظهر وجودك متنوعاً في خليقاتك ، وهم شئون أسمائك وصفاتك ، وغير
ذلك من مناجاته رضى الله عنه .

وأما الأشعار التي كان يترنم بها ، فتارة كان يترنم بهذه القصيدة ، وهي
لابن الفارض رحمه الله تعالى :

أنتم فروضي ونفلي أنتم حديثي وشفلي
يا قبلتي في صلاتي إذا وقفت أصلي

وتارة :

تجرد عن مقام الزهد قلبي وأنت الله وحدك في شهودي

أراه سواك يا عين الوجود

أأزهد في سواك وليس شيء

وتارة :

فأنا ومن أهوى كشيء واحد
سمي وقلبي حيث كنت وساعدي
وإذا نطقت فلا يزال مساعدي
فلي الهناء لقد بلغت مقاصدي

لقد تصافينا المحبة بيننا
لازلت أقرب منه حتى صار لي
فإذا رأيت فلا أرى إلا به
إن شئت شاء وما أراد أريده

وتارة :

شوقاً إلى نور ذات الواحد الأحد
حتى أغيب عن التوحيد بالأحد

النار تضرم في قلبي وفي كبدي
أمن على بنور الذات منفرداً

وتارة :

وحياتكم ما فيه إلا أنتموا

هذا الوجود وإن تعدد ظاهراً

وتارة :

ومن داره غدا بالروح يشريه
في كل طرفة عين لا يساويه
أنفاس والكون كأساً ليس يرويه
فيشطحون على الأكون بالتيه

من ذاق طعم شراب القوم يدريه
ولو تعوض أرواحاً وجاد بها
وذو الصبابة لو يسقى على عدد الـ
وقطرة منه تكفي الخلق لو طعموا

وتارة :

وعن فهمه إدراك غيري قاطع
يغيب مصنوعاً بمن هو صانع

أنا كنت مكنوناً لسر علمته
ومن يشهد الأشياء والحق قبلها

وتارة :

وإلا تيم بالصعيد وبالصخر
وصل صلاة الفجر في أول العصر

توضاً بماء الغيب إن كنت ذا سر
وقدم إماماً كنت أنت إمامه

فهذى صلاة العارفين بربهم فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر
وتارة :

قم نحو حماء وابتهج وإلى ذاك المحيى فمـج
ودع الأكوان وقم غسقاً واصدق فى الشوق وفى اللـهج
والزم باب الأستاذ تفـز وتكون بذلك خلـ نجى
وتارة :

سماننا من به هـدينَا لحان سلمى وشهود ذلك
محمد القطب شمس فضـل بنوره عطر المسالك
وتارة :

فى الكون لا آدم لا إبليس لا ملك سليمان لا بلقيس
الكون إشارة وأنت المعنى يامن هو للقلوب مغناطيس
وتارة :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وتارة :

يارب جوهر علم لو أبوح به اقبل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دى يرون أقبح ما يأتونه حسنا
إنى لأكتم من علمى جواهره كى لا يرى الحق ذو جهل فيفتننا
وتارة :

الله أكبر كل شىء هالك وهو الوجود وليس ذاك ولا ذا
وتارة :

ودهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عنى مخبرا
وله غير ذلك رضى الله عنه من الترنمات الحالية ، والمقاصد العالية .

الفصل السادس

في بشارته لمحبيه ومريديه وأهل قرابته وناديه

حدثني من أثق به من الفضلاء قال : حدثني الحاج حسن ولد بلول ، تلميذ العارف بالله السيد أحمد بن إدريس ، القاطن بقرى قال : سمعت سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه يقول : طرحت على صحيفة من قبل الحق سبحانه وتعالى مكتوب فيها بقلم القدرة : سلام قولاً من رب رحيم ، إلى عبيد أحمد الطيب ، قد غفرنا لك ولوالديك وأهل قرابتك . قال : قلت ظني في ربي أكثر من هذا . قال : فجاءتني أخرى فيها ما في الأولى وزيادة . ولأهل قرابتك أجمعين . قلت : ظني في ربي أكثر من هذا . قال : فجاءتني ثالثة متضمنة لما في الصحيفتين وزيادة . كل من عرف اسمك .

حدثني غير واحد أن الشيخ رضي الله عنه قال لبنى عمه ، أولاد حامد ، وهم بعض فروع الجوعية ، لما ناصرهم على بعض أعدائه : أنتم حمايتي في الدنيا ، وأنا حمايتكم في الدنيا والآخرة . وشاهد صحة قوله هذا رضي الله عنه ما جاءنا عن جماعة مستقبضة لا يتواطئون على الكذب ، أن هؤلاء الجماعة المذكورين ما من أحد منهم مات إلا ومات على حسن الخاتمة ، ونطق بالشهادتين ، ولو كان عاصياً . وأي فخر في الدنيا والآخرة أعظم من هذا ، فهنيئاً لهم ثم هنيئاً لهم بذلك . وقد روى عنه ، رضي الله عنه أنه قال : إن الله تعالى قد شفعني في جميع أرحامي وعصبتى وأمنهم بي من النار والقرع الأكبر ، حتى السباب ، بكسر السين المهملة ، وهم طائفة من ذرية عبد الله القرين صنو الشيخ عجيب الكبير . سئل رضي الله عنه عن تخصيصه لهم بذلك قال : لدا فيهم رحم . وقد روينا عن غير واحد من الثقات أن من دفن بينه وبين الشيخ عبد الحمود أبي شعبة الولي العكري ، المتبور بالنوفلاب ،

خافه لا يعذب . وفي رواية : من العقبة إلى كررى . وفي رواية : من العقبة إلى بلاد
الجموعية ، والمراد بالعقبة هنا عقبة قرى .

حدثني الحاج ولد دفع الله البحيراني قال : سمعت شيخنا الفقيه الأمين ولد
أم حقين ، غير ما مرة ، يأمر أحبابه من أهل الشرق أن لا يدفنوا موتاهم إلا في
الموضع المذكور الذي أكرم به سيدى الشيخ رضى الله عنه ، ويذكر لهم حكايات
وغرائب رآها كشفاً ومناماً فيمن دفن فيه ، من حيث الإكرام الإلهي والغفران
ودوام الرحمة والإحسان . وقد بلغنا أن العلامة الفقيه أحمد ولد كنان رحمه الله ،
كثيراً ما يتمنى الدفن في ذلك الموضع .

حدثنا شيخنا رحمه الله قال : كنت إذا قدمت إلى زيارة الشيخ رضى الله عنه
في حياته فإني أشم رائحته من كررى . قلت : وفي هذا إشارة « لمن كان له قلب
أو ألقى السمع وهو شهيد » على ما تضمنه ذلك الموضع من الإسماع . وسمعت أيضاً
من بعض العباد أنه قال : قال سيدى الشيخ ما من أحد له فينا محبة أو قرابة ومات
إلا وأنتى أسبقة إلى قبره وألقنه حبه . ومن ذلك قوله : من زارنى قضيت
حاجته ، ومن تمسك بى حسنت عاقبته . ومن ذلك قوله : إن مبدأ سلسلتنا من
العرش إلى ما شاء الله ، وهى عجيبة جداً طولها مائة ألف عام ، وعرضها سبعون ألف
عام ، ولها لمان كالبرق ، ولا يراها من أهل الله إلا أهل التمسكين منهم . فمن تمسك
بها على صدق واعتقاد فإنه لا يشقى ولا يعذب بنار القيامة ، فإذا سيق أحد من
التمسكين بها مثلاً إلى النار فإنها تتحرك لذلك فيرد عن النار . قلت : وقد جال
فكرى مرة في شأن الطرائق الصوفية المشهورة بين الناس ، فرأيت النبي صلى الله
عليه وسلم مناماً وهو مستقبل القبلة يقول :

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

البيت المشهور من راتب سيدى الشيخ رضى الله عنه فعلمت ما تحته ، ولبعض
أصحابنا السمانية رحمه الله تعالى :

طريقة قطب الأولياء محمد إمام الهدى السمان دانية الغرس
عليك بها ما دمت فى هذه الدنا ولازم بصدق ذكر أسمائها المحس

تمسكى بالطيب عندى أجل القرب
طريقه هو الذى يرقى لأعلى الرتب

تم بحمد الله تعالى الجزء الأول من الكتاب المسمى «بأزاهير الرياض» المختلفة
الألوان . فى مناقب شمس العرفان ، وقطب الزمان ، وارث القدم المحمدى الشهير ،
تاج العارفين ، وعمدة المقربين ، شيخ الطريقة والحقيقة سيدى الشيخ أحمد الطيب
ابن البشير ، أمدنا الله بوابل فيضه العزيز آمين . لوارثه وحفيده ، خاتمة المحققين ،
وخالصة الأكابر العارفين . الجامع بين الشريعة والحقيقة ، المجدد لأنوار الطريقة ،
العارف الربانى أمين الدين ، سيدى الأستاذ عبد الحمود نور الدائم الطيبي السمانى ،
نفعنا الله به آمين .
ويليه الجزء الثانى .

الجزء الثاني

obeykandi.com

الباب الثامن

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول

في بيان رحلته إلى سنار والسبب الذي دعاه لذلك

إعلم ، جمعنا الله وإياك على محبة هذا القطب العظيم ، والملاذ الفخيم ، انا قد
روينا عن أدركناهم من أهل الفضل والمكانة ، والمعارف والإبانة . أن الشيخ
رضي الله عنه ، لما اشتهرت خوارقه في الأقطار ، وقصدته من كل جانب ركبانا
ومشاة الأخيار ، ونالت منه ما نالت من الأحوال العظام ، والبركات الجسام .
اشتقت إلى زيارته رجال الدولة الفونجية ، لاسيما أركانها أولاد محمد أبي لكيلك ،
خصوصاً منهم الشيخ ناصر . فمع ما عندهم من الأشواق العظيمة إلى ملاقة
سيدي الشيخ ، قدر الله تعالى أن أخاهم كِتَوَ ولد محمد أصابه داء الفالج ، فعالجوه
عند الأطباء والفقراء المشهورين الذين يبلادهم ، فأعيا الجميع دواؤه . فلما عجزوا
خطر ببالهم أنهم لو التجأوا إلى الله تعالى بسيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه
واستندوا إليه لشفي أخوهم من هذا الداء ، لأن ما للشيخ من الكرامات والخوارق
محقق لديهم . فأرسلوا من عندهم أناساً إلى سيدي الشيخ رضي الله عنه ليحضر
عندهم لدواؤه أخيه ، وأرسلوا مع الرسل ثمانين أوقية من الذهب السناري ،
وكتبوا كتاباً يذكرون فيه محبتهم الأكيدة وقرابتهم إليه ، بأنهم من الجعليين
عوضية عباسية ، وما لهم غير حضرته من يمتقدونه أو يقصدونه . فقدم الشيخ
رضي الله عنه مع الرسل المذكورين .

حدثني الفقيه غلام الله الركابي ، وكان من تلامذة سيدي الشيخ يوسف محمد الطريفي رضي الله عنه ، قال : كنا مع شيخنا المذكور نازلين ضيوفاً عند الفقيه علي ولد قرشي تلميذ سيدي الشيخ أحمد الطيب قدس سره ، فجاء الرسول منه يخبره بقدومه عليه . فلما سمع بذلك شيخنا الشيخ يوسف قال لنا : إذا قرب الشيخ أحمد الطيب من الحلة خبروني ، فلما قرب منها أخبرناه كما أمر ، فخرج للملاقاة رضي الله عنه ، فنزل سيدي الشيخ أحمد الطيب من فرسه وعانقه بمحبة وإجلال وجلسا ساعة يتحدثان وحدهما . ثم إن شيخنا توجه إلى حلة مصطفى ونزل عند تلميذه علي ولد بلال الشيب ، وتوجه الشيخ رضي الله عنه إلى منزل الفقيه علي ولد قرشي ، ثم سافر منه إلى سنار ونزل بالسالي عند الفقيه عبد الله ولد الرواج ، فاستبشر بقدومه اسبشاراً عظيماً ، وتأدب معه أدباً فخماً ، وأمر من معه من التلامذة أن يأخذوا عليه الطريق ونوّه بمكاته وعظيم منزلته ، ثم توجه إلى سنار وسمع به أولاد محمد أبي لكيلك فأتوه في موكب عظيم مشاة وركبانا ، وكباراً وشباناً . ولم يبق بالبلد أحد ، حتى النساء خرجن للتبرك بطلعته المنيرة ، والتحلى من أنواره التي هي أضواء من شمس الظهيرة . فلما أوصلوه المحل المعد له أمرهم بإحضار أخيهم كِتَوَ إليه ، فأحضروه بين يديه فنظر إليه نظرة واحدة فزال ما به في الحال ، واهتزت المدينة فرحاً وامتألت سروراً ، وهناء وحبوراً ، فكثرت اعتقادهم فيه وتأدبوا بين يديه ، وصاروا من خدمة نعليه . فطار بذلك صيته في النواحي والآفاق ، وعمرت بحديث كراماته وخوارقه الأسواق . فأتته الهدايا من رجال الدولة ومن غيرهم بكثرة ، وسندكر البعض في الفصل الذي بعد هذا . ثم إن كِتَوَ لما وجد الصحة والعافية ببركة هذا القطب الأجل ، اعتقده اعتقاداً زائداً ، ولهج بمدحه ومحبه قائماً وقاعداً ، وكذلك إخوانهم ومحبوهم وأتباعهم ، وذلك لما رأوه من كراماته الظاهرة ، وخوارقه الباهرة .

وفى كِتَفُ تلك الكرامة قد بدت كشمس الضحى والبدر عند تمامه
ولا عجب إذ زال ذاك بنظرة من الطيب القطب العلى مقامه
فكيف وذا ممن يسارع ربه له فى مرضيه ونيل مرامه
وقد أقام الشيخ رضى الله عنه بمنزل الشيخ ناصر أياماً عديدة مبجلاً معظماً
مفخماً ، ولا زال الشيخ ناصر يدل الناس على اتباعه ، ويأمر الأخيار بأخذ الطريقة
عليه دون غيره ، ويقول : هذا هو الولي الذى تضرب إليه أ كباد الإبل وتوجه
إليه الصادقون من أهل الفضل . وقد صار بيت أولاد محمد كله لا يحلف إلا ببركة
الشيخ رضى الله عنه ، وقد استمرت محبتهم فيه إلى يومنا هذا . وكان الشيخ رجب
ابن الشيخ إدريس له المحبة الكاملة التامة فى سيدى الشيخ رضى الله عنه ، وكان
يزوره فى كل جمعية دعاه لها الحكماء إلى الخرطوم ، وذلك كله بسبب خرق العادة
التي تقدم لك ذكرها . وفى مدة إقامته رضى الله عنه بسنار زاره الشيخ أحمد
المكاشفى تلميذ الشيخ عبد الباقي النيل رحمه الله تعالى ، وكان بينهما ما ذكرناه
فى فصل طلبه للشيخ المرشد ، فراجعه هناك إن شئت .

وقد أخذ عليه الطريقة فى تلك المدة الشيخ يعقوب بن على الدويحى ،
والمصرى ولد قنديل دفين ولد نفودى . وقد طلبا منه إحياء ميت فأحياه لهما ،
كما تقدم فى فصل الكرامات . والسبب الذى دعاها إلى أخذ الطريقة على سيدى
الشيخ رضى الله عنه ما حكاه الشيخ يعقوب المذكور ، قال : كنت قبل أخذى
للطريقة من الشيخ قدس سره ، مالت نفسى إلى أخذها على بعض أشياخ الوقت ،
فاستخرت الله فى بعض الليالى لذلك ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعه سيدى
الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، وهو صلى الله عليه وسلم يشير بيده الشريفة
إلى سيدى الشيخ قدس سره وهو يتلو هذه الآية : « وأن هذا صراطى مستقيماً

فاتبعوه « الآية . فذهبت إليه أنا وأخي المصري ولد قنديل وأخذنا عليه الطريق والحمد لله على ذلك .

ومن أخذ عنه ثمة العالم العلامة ، الدراكة الفهامة ، فخر الأماجد ، الشيخ أحمد ابن عيسى الأنصاري ، مع أخذه على سيدى الشيخ عبد الرحمن التادلى العمرى تلميذ سيدى الشيخ محمد السمان قدس سره . وكان قد أخذ الطريقة عليه فى صحن المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة ، كما قرأت ذلك فى إجازته المؤرخة عام اثنين وتسعين من بعد المائة والألف ، وذلك فى عام حجه رضى الله . وله إجازة أخرى من سيدى الأستاذ عبد الكريم نجل القطب سيدى الشيخ محمد السمان وخليفته ، كما حدثنى بذلك بعض خواص أولاده . وكما أنه قد أخذ عليه أمر تلامذته بالأخذ عايه ، وذلك كالفقيه محمد الأزرق بن الفقيه أحمد بن الفقيه حمد ولد المجذوب ، وكذلك الشيخ محمد ولد على الركابى ، والفقيه النخلى ، والفقيه بديدى ولد أبى صفية وغيرهم .

ثم إنه رضى الله عنه لما أخذ بخاطر أولاد محمد أبى لكيلك أحب العود إلى بلاده فشق عليهم ذلك وقالوا : إننا لا نستطيع أن نذهب منا لأننا محتاجون إليك وتلامذتك وأبناء عمك ، ولنا هنا أعداء ، فرجاؤنا أن تكون لنا حماية فى الدنيا والآخرة ، فألحوا عليه فى المقام معهم . وساعدهم على ذلك غيرهم من وزراء الدولة الفنجية وخيروه بين أن يقيم معهم بسنار أو بطلحة عواد ولد بركوت المسلمى ، فاختار الإقامة بالطلحة المذكورة .

الفصل الثاني

في إقامته بالمحل المذكور وما جرى له في مدتها

إعلم أن أولاد محمد أبي لكيلك لما علموا موافقة الشيخ رضى الله عنه لهم ،
في الإقامة بالمحل المذكور جمعوا قضاة الدولة وأركانها وعلماءها ، وأهدوا إليه أطياناً
بحرية وبرية بمحضر ذلك الجمع . منها الطلحة المذكورة وما والاها ، والقرس
المشهور اليوم بالكيعان ، وغير ذلك . وكتبوا له وثيقة بمضمون ذلك عليها أختامهم
وأختام كهراء رجال الدولة . فأخذ منهم تلك الكتابة جبراً لخواطهم ، ثم انفرد
بها ومزقها وقال : « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

هو العارف المعروف بالزهد والتقى وما له في كل الرجال مثيل
رمى لجميع الخلق عن خلف ظهره فما له من غير الإله وكيل

وقد اجتهد أولاده من بعده في البحث عن تلك الكتابة فلم يعثروا بها ،
وكانه لم يبلغهم تمزيقها ، وتفرقت تلك الأطيان بالناس ولم يكن لهم شيء . وقد أقام
رضى الله عنه بالطلحة المذكورة سبعاً من السنين ، وأتمته الناس من كل جانب
ومكان كأنهم قد دعوا من الرمس إلى دار القضاء والامتحان . وملا رضى الله عنه
في مدة إقامته هذه كل القلوب مسرة ، والنفوس هداية . وأغنت به طيور الإرشاد
على منابر رياض السعد والإمداد ، فصارت الخلق لا تلهج إلا بكراه ، والعيون
لا تنظر إلى سواه . وفي أيام إقامته ثمة قد زار السادة العركيين نفعنا الله بهم ، وكان
ذلك في عهد خليفتهم البحر الزاخر بالأسرار ، والبدر الظاهر بالأنوار ، سيدى الشيخ
يوسف بن الشيخ محمد بن عبد الله الطريفي رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم ، وقدم لزيارتهم
في نحو خمسة وعشرين علماً ، فتلقاها الشيخ يوسف في محفل عظيم وخلفه شاعره ولد
أبى مروة ، وهو يغريه في شعره على مصادمة الشيخ بالحال ويحرضه على ذلك

تحريراً . فلما رأى سيدى الشيخ يوسف طلعة الشيخ رضى الله عنه ، خلع القناع من رأسه ، والنملين من رجليه ولزم الأدب معه إلى أن تصالحا ، فقبل له فى ذلك قال : كانت فى النفس منه شىء ، فلما وقع بصرى عليه رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يمشى أمامه ، وقال لى صلى الله عليه وسلم : ائن تحرك خاطرك عليه بشىء لأحون اسمك من ديوان الأولياء . قلت : وفى هذا أقوى دليل على كمال سيدى الشيخ يوسف رضى الله عنه . وقد ظهر لى فى هذا له أربع كرامات : الأولى ، رؤيته للنبى صلى الله عليه وسلم يقظة . والثانية ، معرفته لمقام الشيخ وإشأؤه له . والثالثة ، سماعه لخطابه صلى الله عليه وسلم . والرابعة ، إثبات اسمه فى ديوان الأولياء . ثم إنه قد أنزل الشيخ عنده وبالغ فى إكرامه والثناء عليه وكان وقتئذ مع سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه صاحبه الحاج أحمد بن محمد ، البقارى مسكناً ، الشريف نسباً . وكان الشيخ يوسف رضى الله عنه يكثر من النظر إليه مستحسناً لحاله ، غابطاً لسكاه . ثم إن الشيخ استأذن من الشيخ يوسف أن يزور قبب الصالحين من آبائه فأذن له ، وكان معه إذ ذاك الفقيه أحمد ولد البتل الجموعى تلميذ الشيخ يوسف رضى الله عنه المذكور يرشده بمعرفة أهل القبب . حكى الفقيه المذكور أن الشيخ رضى الله عنه كلما أراد الدخول على قبة يرجع بورائه ويذهب عنها ، فقلت له : لم لم تدخل يا سيدى ؟ فقال : إنى كلما أردت أن أدخل قبة فإن صاحبها يخرج منها ويمشى إلى تلك القبة ، يعنى بذلك قبة سيدى الشيخ دفع الله رضى الله عنه ؛ وهكذا إلى أن وصل إلى قبة الشيخ دفع الله ، فخلع نعليه رضى الله عنه تأدباً . قال لى الخليفة أحمد ولد الناجى ، خليفة الشيخ دفع الله قال : حدثنى جدى ، ولا أدرى جده هذا هل هو من جهة أبيه أو أمه . قال : كنت ممن حضر يومئذ فسألت سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه فى خلعه لنعليه عند سيدى الشيخ دفع الله دون غيره ، فقال : إنه مستعد من اسمه تعالى الحى القيوم ، فلذلك تأدبت معه .

قلت : والشاهد على ذكر استمرار مدد سيدى الشيخ دفع الله إلى يومنا هذا دون غيره .

وكانت زيارة سيدى الشيخ رضى الله عنه للسادة العركيين لأمرين : أحدهما صلة رحم الطريقة الصوفية الحمديدية ، والثانى صلة القرابة الرحمية . أما قرابة الطريق فظاهرة ، حيث أن مستند الجميع القطب الجامع سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه . وأما القرابة الرحمية فإيضاحها أن الفقيه دفع الله ولد مقبل لما أتى من عرك وهو موضع معروف بالجهة الغربية ومعه بعض أهله نزل بالجميعاب وتزوج بهدية بنت عاطف الجودابية الجميعابية الجموعية يلتقى نسبها مع الشيخ رضى الله عنه فى منصور ولد جموع ولد غانم . فهذا هو رحم القرابة الذى ذكرناه لأن هدية المذكورة قد ولدت للفقيه دفع الله ولد مقبل أولاده الخمسة العدول بأبيض دير من بلاد الجميعاب ، ولهم حفير إلى يومنا هذا هناك سى بعرك . والخمسة العدول المذكورون هم : شيخ الطريقة ، وقطب الحقيقة ، سيدى الشيخ عبد الله العركى ، تلميذ الشيخ حبيب الله العجمى . وأخوه الشيخ محمد أبو إدريس والد الشيخ دفع الله . وعمر المجذوب ، وحمد النيل ، وأبو عائشة . فهؤلاء هم الخمسة العدول ، وسبب تسميتهم بالعدول ، لأنهم قد نشئوا نشأة مباركة ، وهى على الطاعة والعبادة وطهارة النفس من الرذائل ، وسلوك طريق الأولياء الأكبر .

أما الشيخ عبد الله المذكور ، فقد طلب العلم بنورى عند الشيخ عبد الرحمن ولد جابر وأقام معه سبع سنين ، وفيها قد حصل وتنبل وتفوق ، وهو شيخ طريقهم وممد الجميع . وقد حج أربعاً وعشرين حجة ماشياً ، ولحق الشيخ تاج الدين البهارى بالبصرة ووجده قد مات قبله ، وأنه وضع له أمانة من السرطواها فى طاقية وأودعها خليفته الشيخ حبيب الله العجمى . فلما جاء الشيخ عبد الله إليه ألبسه تلك الطاقية فانصبت فى قلبه علوم الشيخ تاج الدين وأسراره ، حتى وأنه قد فضل

على غيره في الكمالات والإمدادات . قلت : وقد رأيت في عام زيارتي للسادة
العركيين ، وهو سنة ألف ومائتين وتسعين عند الخليفة الشيخ محمد ولد يونس طاقية
وذكري أنها طاقية الشيخ تاج الدين البهاري التي أودعها عند خلفته لما توفي ،
وأمره أن يعطيها للشيخ عبد الله العركي ف تبركت بها ، ولا أدري الآن هل هي موجودة
أم فقدت . وقد ولد الشيخ عبد الله المذكور الشيخ عبد الرحيم المجذوب ، المشهور
ببياع المطر ، ونسله قليل .

وأما الشيخ محمد أبو إدريس والد الشيخ دفع الله رضى الله عنه ، فقد ورث
أخاه الشيخ عبد الله العركي في جميع أحواله ، وانتقلت منه تلك الوراثة السرية
إلى ولده القطب الفائق ، والبحر الزاخر الدافق ، سيدى الشيخ دفع الله رضى الله عنه .
وأما حمد النيل : فهو والد أبي عاقلة الكشيف ، والد الشيخ عبد الله الطريفي ،
والد الشيخ محمد المدفون بالمسحورة من الحجاز ، بقرب الشيخ عبد الرحيم البرعى ،
رحم الله الجميع . والشيخ محمد المذكور هو والد الشيخ يوسف رضى الله عنه .
وأما عمر المجذوب فلم يعقب ، وكذلك أبو عائشة . وقيل قد ولد بنتاً ولم يثبت
وكان الفقيه دفع الله ولد مقبل ، في بداية أمره هو وأولاده كأهل البادية ، رحالة
يقيمون ويظعنون ، وقد صحبوا شيخ وقته وأوانه ، أحد الأقطاب سيدى الشيخ إدريس
ابن محمد الأرباب ، وبالغوا في محبته ، وكذلك هو في إكرامهم ، حتى وأن محمد أولد
الفقيه المذكور قد سمي ولده إدريس عليه تبركاً باسمه ، وهو الذى كنى به . ثم إنهم
في بعض السنين نزلوا اتجاه الهلالية بما عندهم من المواشى يرتادون الكلاً ، فحصل
بينهم وبين العبدلاب شىء ، وقد مات أبوهم هناك ودفن بالهلالية ، وقبره ظاهر
يزار ، ثم إنهم استأذنوا الشيخ إدريس في موضع يقيمون فيه فأقامهم بأبي حراز ،
ولا زالوا على غاية المحبة والاتصال بسيدى الشيخ إدريس ، حتى وأنه قد تبني
الشيخ دفع الله ولد أبي إدريس وأمدّه بأسراره العظيمة ، وخلع عليه خلع فنه

الجسيمة . وكان الشيخ دفع الله لا يترك زيارة الشيخ إدريس في عام من الأعوام فيذهب إلى الزيارة بالشرق ويرجع بالغرب ، وينزل عند تلامذته أولاد الترابي الشيخ حمد وأخيه الشيخ ننه ، ثم يتوجه منهم إلى محله ، وهكذا دأبه . ولما كانت وفاة سيدى الشيخ إدريس صار الناس يذهبون إلى سيدى الشيخ دفع الله بأبي حراز يعزونه فيه ، كما يذهبون إلى الخليفة محمد ولد الشيخ إدريس ، وذلك لما بينهما من المحبة الخالية عن الأغراض ، المنزهة عن أن تشاب بصدود أو إغراض . ولعمري إن هذه البنوة الروحية المعنوية ، أقرب وآكد من البنوة الحسية ، قال العارف :

نسب أقرب في شرع الهوى بيننا من نسب من أبوى

رحم الله تلك الأرواح الطاهرة ، ونفعنا بهم وبمحبتهم في الدنيا والآخرة ، إنه قريب مجيب . فلنرجع إلى ما نحن بصدده : ثم إن سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، بعد أن قضى زيارة أهل القرب رجع إلى منزله عند العارف سيدى الشيخ يوسف قدس سره . ثم إن كثيراً من أولاد الشيخ دفع الله وغيرهم ، قد أخذوا عليه الطريق واعتقدوه اعتقاداً زائداً وانتفعوا به . وقد رأيت عام زيارتى للسادة العركيين ، رجلاً من ذرية سيدى الشيخ دفع الله ، يقال له أبو عاقلة ، فدنا إلى وقال لى : أنا من تلامذة جدك ، وإن فضل جدك على الأولياء كفضل الشمس على سائر الكواكب . وكان ذلك بين قومه . فقلت له : شأن المريد الصادق المستغرق في محبة شيخه أن يقول ذلك . ثم إن الشيخ قد وادع الشيخ يوسف وأراد أن يسافر إلى الطلحة التي سماها بأمره ، فعند ذلك جاء جماعة من كبار العركيين وشكروه على زيارته لهم ، وقالوا : نحن نحب أن نزورك في محلك مكافأة لك على هذا الصنع الجميل .

حدثنى الرجل الصالح الشيخ محمد ولد طه السمانى القاطن أمام المسلمية بولد عبد العزيز المدفون بالمحل المذكور رحمه الله تعالى ، قال : حدثنى الفقيه محمد

ولد رحمة قال : لما زار سيدى الشيخ رضى الله عنه أبا حراز رأينا منه خوارق
فداخلتنا غبطة من جهته ، فاستأذناه عند رجوعه بالحقوق به ، فأذن لنا وعين
وقتاً معلوماً نلحقه فيه ، فأخلفنا الوعد ولحقناه ، وذلك منا اختبار له لئرى حاله ،
فلما رأنا دعا كل واحد منا باسمه واسم أبيه وجده مكاشفة ، وكان قبل ذلك
لا يعرف منا أحداً فضلاً عن أبيه وجده . ثم أمر بإنزالنا ، وكنا نحواً من ثمانين
رجلاً من مشاهير العركيين . ثم أمر منادياً ينادى بأعلى صوته فى القرية التى
هو بها : أن لا يوقد أحد فى هذا اليوم نار الطعام ، قال : فما مكثنا قليلاً إلا وقد
بعث لكل واحد منا إناء مملوء عسلاً ، وإناء تمرأ . فلما انتصف النهار جلس
على باب خلوته التى هو بها وأخرج لكل واحد منهما إناء مملوءاً طعاماً وعليه
خروف مطبوخ ، فأكلنا وتمعجبنا من تصرفه وخوارقه ، وعلمنا أنه واحد وقته
ونسيج وحده ، ثم طلبنا منه إعطاء الطريق فأعطانا إياه والحمد لله على ذلك . قلت :
ولما كثرت الخوارق والكرامات من سيدى الشيخ رضى الله عنه ، سمع الناس
بذلك وأتوه من جميع الجهات للانتظام فى سلك طريقته والتبرك بآثاره والتملى
برؤية طلعتة . فعند ذلك شمر أرباب الحسد والأذى أذياهم فى نقل الأذى بينه
وبين سيدى الشيخ يوسف ، وأذاعوا كلمات شهيرة معارضة لحالة الولاية ، وذلك
كله من المردة المتهصبين والمريدين الجاهلين ، وأهل الغفلة عن الله والأغراض ،
الذين شغلهم الله بالتلذذ بالوقعة فى الأغراض . وقد قيل : إذا ألف القلب الإغراض
عن الله ، صحبته الوقعة فى أولياء الله . فنتقشوا تلك الخرافات والأباطيل فى صدور
السفلة من الناس ، ولا عجب فقبلهما قد أشاعوا بين الشيخ حسن ولد حسونه ،
والفقيه عبد الماجد ولد حمد الغبشاوى ، ما تأباه قواعد الدين ، وتكذبه حال
الأولياء العارفين . وكذلك ما نقلوه بين الفقيه عبد الله الغبشاوى ، والشيخ عبد الله
الخلنقى ، وكذلك بين الشيخ صالح ولد بان النقا ، والفقيه محمد ولد عبد الماجد .

وما بين الشيخ فرح تكتوك البطحاني ، والشيخ عبد القادر ولد الشيخ هجو .
وما بين أولاد الشيخ محمد ولد عبد الصادق ، الشيخ على ، والشيخ نور الدين
أبي شملة ، والشيخ أبي عاقله الكشيف ، في شأن تلميذهم سلوكه وغير ذلك .
وقد تتبعنا جميع ما هو متناول بين العامة في حق هؤلاء المشائخ ، فوجدنا أكثره
غير صحيح ، بل لو صح العشر منه لكان كثيرا في اعتقادي ، وما حملهم على ذلك
إلا التغصب مع الجهل بالشريعة المحمدية ، وبأحوال أهل العرفان من السادة
الصوفية فلا ينبغي لعاقل أن يصنى لتلك الأقاويل المختلفة الباطلة التي تؤدي إلى
تنقيص الأولياء ، والقدح في مراتب الأولياء الأبرياء ، فإن ذلك مما يسود الوجه يوم
القيامة والعياذ بالله تعالى وبالجمل إن ما هو مشاع ومنقول بين سيدي الشيخ يوسف ،
وسيدي الشيخ أحمد الطيب ، فإنه وإن كان البعض منه قد يكون صحيحاً فإن الله
قد عصم أسمائهما وخواطرها عن السماع في بعضهم ، وما زالا رضى الله عنهما على
حالة الوداد والمحبة والاتحاد ، إلى أن توفيا رحمهما الله الرحمة الواسعة ، ونفعنا
بهما آمين .

سلام عليهم كلما لاح بارق	وفاح نسيم السعد في كل أزمان
فيوسفنا مع طيب الأصل نعم ما	له قد أنيلا من وصال وعرفان
وليان حازا للفضائل كلها	وقازا بحفظ من حدود وشيطان
هما حصننا في كل خطب يهمننا	بهم نرتجي للوصل من خير رضوان

يحكى أن الشيخ رضى الله عنه في مدة إقامته بأمر مرح الصعيدية ، انقطع
المطر عن قطعة أرض يزرع بها خدامه ، فأمرهم بقلع نالة فيها فجرى من تحتها نهر
حتى ملأ الأرض ، فزرعت وأخصبت خصباً عجيباً . ثم إن سيدي الشيخ لما طالت
إقامته بالصعيدية ، اشتاق إلى أهله الذين بالسافل اشتياقاً شديداً ، فجأوه وعلقوا
بأذياله ، وأسبلوا العبرات بين يديه ، وشكوا له خراب البلد والنهب الذي وقع فيه

وغيره وطلبوا منه أن يمشي معهم لأنهم متحققون بقدومه معهم ، ووصوله للبلاد يواصلها السعد والبركات ، وتتهل عليها سحائب الخيرات فأجابهم إلى طلبهم فكادوا أن يطيروا فرحاً ، فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العود إلى وطنه القديم ، ومحل آبائه الفخيم ، فأذنه . ثم طلب أولاد محمد أبى لكيلك وعرفهم أنه يرغب العودة إلى بلاده وأن إقامته بالصعيد مدة سبع سنوات مع القدر الإلهي إنما كانت بسببكم ونظراً لحاظركم ، فأنجب خاطرهم بكلامه ، إلا أنهم حزنوا حزناً شديداً لفراقه ، فأعطوه هدايا كثيرة وهو رضى الله عنه لم يلتفت إلى ذلك ، كما هي عادته ، ولا زال الشيخ ناصر قرير العين به مسروراً بنسبته له ، ومحبه ، لا هجاً بذكره في كل الأوقات ، معولاً عليه في جميع الحالات .

الفصل الثالث

في رحلته من أم مرح الجديدة إلى أم مرح القديمة

إعلم أن الشيخ رضى الله عنه لما أذن له النبي صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى محل آبائه ، لم يابث أن رجع إلى بلاده مع المذكورين الذين أتوا إليه شفقة عليهم ورحمة بهم فاستوطن بلاده ، وزالت بمجرد إقامته فيها الظلمات والموم ، والكروب والغموم ، وطابت بعد خبثها بالنهب والسلب والقتل . فانقادت إليه أهل العصيان والطفيان ، فأرشدهم ونزع من قلوبهم وسوسة الشيطان . فأتوه خاشعين خاضعين سامعين لأقواله ، لا يجتهدون إلا في مرضاته . ثم أتاه المريدون من كل جانب ومكان ، فأخذوا عنه الطريق ، وشربوا من كوؤوس المعارف والتحقيق ، وعمرت البلاد وأضاء كوكب الإسعاد .

وأما أم مرح الجديدة الصعيدية فلم يأذن أحداً من أولاده أو أقاربه بالرجوع إليها ، خوفاً أن يملكوا أطيانها التي وهبتها له الملوك . وهو قد عاهد الله أن لا يشغل

نفسه بغيره ، أو يتصرف في ملكه تعالى بقول عبد من عباده ، لأن المعطى والمانع هو الله . وقد محيت تلك الكتابة ومزقت ، ولعل له ملحظاً آخر لم نطلع عليه ، وهذا ما وصل الفكر إليه ، وإلا فالعارفون أنظارهم وراء طور العقل ، رزقنا الله جهم والتسليم لهم . وما زال موضعه بأم مرح الصعيدية معروفاً محترماً بين الأفاضل يتبرك به الأكابر والأسافل ، إلى أن اندرست أعلامه .

حدثني الفقيه العالم أحمد ولد عوض الله المسمى قال : رأيت سيدي الشيخ محمد التوم ولد بان النقارضى الله عنه لما جاء للعزاء في الشيخ أحمد الريح قد خلع نعليه ، وكذلك تلامذته من بعده ومشوا حفاة ، وذلك عند ما قاربوا الدخول في حلتهم أم مرح الصعيدية ، وما رأيت أحداً منهم راكباً مطلقاً ، والكل على أدب .

وكان سيدي الشيخ أحمد الطيب ينظر إليهم بعينه ، وما زالوا على ذلك إلى أن جاوزوا القرية بنحو ميلين أو أكثر . قلت : وقد بلغني بعد حلول الحكومة المصرية بالسودان سنة ١٣١٦ أن محل سيدي الشيخ رضى الله عنه الذي كان مقياً فيه بأم مرح الصعيدية ، بعد أن كان مندرساً غير معلوم لأحد ، قد بينه للناس وشهره وأظهره وجعله مزاراً ، كهادته السابقة ، ابن بنت الهمام الشريف الفاضل الكامل القطريف ، الشريف النسبتين ، الشريف يوسف بن المرشد الذي هو بكل كمال مرتدى ، الشريف محمد الأمين الهندي ، فجزاه الله خيراً ، وأطال له عمراً ، ورفع له بالخيرات ذكراً ، إنه جواد كريم . إلا أني لم أعرف العام الذي أظهر فيه هذا الهمام للناس ذلك المزار وبينه لهم ، فمن عنده فيه علم فليالحقه بموضعه من هذا الكتاب .

الفصل الرابع

في مسائل نافعة إن شاء الله تعالى

فإن قلت : ما الذي يكتفى به المريد في معرفة التوحيد ؟ فالجواب ما حكى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما خطر ببالك فهو هالك ، والله سبحانه وتعالى بخلاف ذلك » . ونصه كما في المورد الرحمانى والمشرّب الأحلّى للظمان للشيخ أحمد الشهير بالطاهر على أرجوزة الشيخ أحمد بن شرقاوى قال بعضهم : صحبت أربعمائة صوفى وسألتهم عن أربع مسائل فلم يجبنى فيهم واحد ، فاغتممت لذلك ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فسألنى عن حالى فأخبرته بذلك ، فقال لى : سل عن مسائلك . فقلت له : ما حقيقة التوحيد ، وما حد العقل ، وما حد التصوف ، وما حقيقة الفقير ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أما حقيقة التوحيد فهي ما خطر ببالك فهو هالك ، والله سبحانه وتعالى بخلاف ذلك . وأما حد العقل فأدناه ترك الدنيا ، وأعلاه ترك التفكير فى ذات الله عز وجل . وأما حد التصوف فترك الدعاوى وكتمان المعانى ، وأما حقيقة الفقير وهي أن لا تملك شيئاً ، ولا يملكك شيء ، وأنت راض عن الله تعالى فى الحالتين . قال الإمام الشعرانى رضى الله عنه فى المبحث الرابع : فى وجوب اعتقاد أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق ، وأنها ليست معلومة فى الدنيا لأحد . خاتمة . كان الأستاذ أبو إسحاق الإسفراينى رحمه الله يقول : جميع ما قاله المتكلمون فى التوحيد قد جمعه أهل الحق فى كلمتين . الأولى : اعتقاد أن كل ما تصور فى الأوهام فالله بخلافه . الثانية : اعتقاد أن ذاته تعالى ليست مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات ، وقد أكد ذلك تعالى بقوله : « ولم يكن له كفواً أحد » اهـ . فإن قلت : هل يجوز للمريد أن يذكر بلا إله إلا الله مفردة بدون محمد رسول الله . الجواب ما قاله العلامة الشيخ أحمد الصاوى فى شرحه على خريدة شيخه أبى البركات الشيخ أحمد الدردير

رضى الله عنه ، ونصه . بعد أن ذكر فضيلة الذكر وأنواعه قال : وأسرعه إجابة لا إله إلا الله مفردة عن محمد رسول الله على التحقيق ، فيما عدا الختم ، فإذا أراد الختم ختم بها . كما في بعض طرق الشاذلية أنه يذكرها على رأس كل مائة ، هذا إذا ذكر وحده ، وأما إذا ذكر مع جماعة فلا يذكرها إلا عند الختم ، وبهذا درج أرباب الطرق الحمدية على الاختصار عليها ، فإذا أكمل السالك فالأفضل أن يضم معها محمد رسول الله اه كلامه . فإن قلت : ما معنى قولهم الطرق إلى الله على عدد أنفاس الخلق ؟ فالجواب ما قاله نجم الدين الغربى فى السير لا فى الاعتقاد ، فإن اعتقاد جميع الأولياء موافق لاعتقاد أهل السنة والجماعة . فإن قلت : ما معنى قولهم ما اتخذ الله ولياً جاهلاً ، ولو اتخذ له لعله ؟ فالجواب : جاهلاً بالله وصفاته ، إذ لو اتخذ لعله ذلك . وأما الإحاطة بعلم الفروع للولى فليست بشرط فى ولايته ، بخلاف ما تقدم . فإن قلت : ما الفرق بين الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة ؟ فالجواب : ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « الشريعة مقالى ، والطريقة أفعالى ، والحقيقة أحوالى » . المعنى : أى حال قلبه مع الله تعالى . وللشيخ رضى الله عنه عبارات شتى فى ذلك ، ولكنها راجعة إلى ما ذكر عند من له استبصار .

قال فى البراهين الكسبية ، والأسرار الوهية الغيبية : الشريعة ما ورد به التكليف ، والحقيقة ما حصل به التعريف . فالشريعة مؤيدة بالحقيقة ، والحقيقة مقيدة بالشريعة . فالشريعة وجود الأفعال ، والقيام بشروط العلم بواسطة الرسل ، والحقيقة شهود الأحوال بالله ، والاستسلام لغلبات الحكم بتقديره السابق فى القدم بواسطة الفضل والكرم ، إذ الأمر عندهم أمران : أمر إيجادى ، وأمر إيجابى . فالإيجادى هو الذى بلا واسطة ، وهو لا يخالف ألبتة . والإيجابى هو الذى يكون بالواسطة ، وقد يخالف منه ما من تأثير افعل ولا تفعل . والطريقة لها ظاهر وباطن : فالباطن عين الظاهر ، والظاهر عين الباطن . فظاهرها الشريعة ، وباطنها الحقيقة .

فبطون الحقيقة فى الشريعة ، كبطون الزبد فى لبنه ، فبدون مخضه لا يظفر بزبده .
فكل شريعة لا حقيقة لها عاطلة ، وكل حقيقة لا شريعة لها باطلة . فإن قال قائل
إني قد وصات إلى الولاية والقرب إلى حالة أسقطت عنى الصلاة مثلاً ، أو أحلت
لى الخمر ، فهل لقوله هذا أصل أم لا ؟ ! فالجواب : أنه لا أصل لمثل هذا فى الشرع
الحمدى مطلقاً ، بل يجب قتل من يعتقد مثل هذا ، فقتله أفضل من قتل مائة
كافر ، لأن ضرره أكثر ؛ قاله فى مطية السالك إلى مالك المالك . وفيها قيل
للجنيد : إن جماعة يزعمون أنهم يصلون إلى حالة يسقط عنهم التكليف بها ، قال :
وصلوا واسكن إلى سقر . وقال فى كلام آخر : من يقول بالإباحة والسرقه والزنا
عندنا أهون حالاً ممن يقول بهذه المقالة . ولقد صدق رضى الله عنه فى قوله هذا ، فإن
الزاني والسارق عاص بزناه وبسرقته ولا يصل إلى حد الكفر . وأما القاتل إسقوط
التكليف المعتقد له ، فقد انسل من الدين كانشلال الشعرة من العجين اه . قلت :
وقد كثرت دعاوى المتشبهين بأهل الجذب والحال وتركوا الصلاة وأوهموا بعض
الناس بأنهم يصلون فى مواضع أخرى ، وأنهم يباح لهم ذلك ، ويريدون بذلك
عرض الحياة الدنيا . ولا يخفى حالهم على من له أدنى بصيرة ونظر بنور الإيمان ،
أو توصل بأدلة العرفان . فإن قلت : إنا قد رأينا جماعة من المشايخ ينسبون
إلى الطريق ، ولهم آداب منفردين بها وحدهم ، كخلع العائم عند رؤية من يريدون
تعظيمه ، والأدب معه من مشايخهم وغيرهم ، وخلع النعلين والطاقيه ، وشد الوسط
والجثو على ركب أرجلهم وغير ذلك ، مما هو داخل فى هذا المعنى ، هل له أصل
يعذرون به أم لا ؟ الجواب : نعم إن لهم أصلاً يعذرون به .

قال الإمام الشعرانى فى طائفة طبقاته ، من بعد كلام : ثم إن العبد إذا دخل
طريق القوم وتبحر فيها ، أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة
على حد سواء . فيستنبط فى الطريق واجبات ومندوبات ، وآداباً ومحرمات

ومكروهات . وخلاف الأولى ، نظير ما فعله المجتهدون ، وليس إيجاب مجتهد
باجتهاده شيئاً لم تصرح الشريعة بوجوبه ، أولى من إيجاب ولى الله تعالى حكماً
فى الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه ، كما صرح بذلك الياضى وغيره . قال
شيخ بن محمد الجفرى العلوى فى كتابه « البراهين الكسبية » : كان الظن بهم
أنهم ما اختاروا هذه الهيئة إلا لكونها فى زمانهم أنفع للمريدين فيها هو المقصود
منه من التخلق والتأدب بأدابه ، وكل ما يكون وسيلة للمطوب فهو مطلوب ، وإن
لم يكن وارداً بخصوصه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يدخل فى عموم قوله
صلى الله عليه وسلم : « من سن سنة حسنة حيث حصل به ما كان حسناً وإلا كان
حداً » فقد قررت الأئمة القولية ولم يرد فى الفعل ، وإنما الأعمال بالنيات ، وإنما
لكل امرئ ما نوى . فإن قلت : هل الكشف والطيران وشبههما تختص
بالأولياء ؟ الجواب : إنها لا تختص بالأولياء ، لكن بين الأولياء وغيرهم فرق
ظاهر . فالأولياء يكون لهم ذلك بأسباب استقامتهم باتباع الشرع وإتيان أوامره ،
واجتناب نواهيه ، مع شدة الاجتهاد والخلوة والذكر البليغ ، ومجانبة الأهوية
النفسية ودواعيها . فإذا فنوا عن ذلك كشف لهم الحجاب الحسى والاطلاع على
عوالم الله ، فيدركون حقائق الأشياء على ما هى عليه ، وكذا يدركون الوقائع
قبل وقوعها ؛ والعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يخبرون عن شيء
لم يؤمروا بالتكلم فيه ، بل يمدون ما يقع لهم من ذلك بحنة ويتعوذون منه
إذا هاجهم ، والصحابة رضى الله عنهم كانوا على مثل هذه الحالة . وأما ما يقع من
النصارى والسحرة وغيرهم من المرتاضين ، فقد يحصل بأسباب الجوع والخلوة ،
وإن لم تكن هناك استقامة ؛ ومثاله إن المرأة إذا كانت محدبة أو مقعرة وحودى
بها جهة المرئ فإنه يتشكل فيها معوجاً غير صورته ، وإن كانت مسطحة تشكل
فيها المرئ صحيحاً . فالاستقامة للنفس كالانسياط للمرأة فيما ينطبع فيها من الأحوال .

قال الجنيد رضى الله عنه : إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء ويطير في الهواء ، فلا تلتفتوا إليه ، فإن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب ويمشى على الماء . ولكن انظروا في اتباعه للسنة والكتاب ، فإن الشيطان لا يقدر على ذلك أبداً . فإن قلت : إن ما يتكلم به الدراويش في حلق أذكارهم من اللغة العجمية ، هل له أصل أم لا ؟ الجواب : إن له أصلاً .

قال الإمام الشعراني في ترجمة سيدى القطب إبراهيم الدسوقي رضى الله عنه : وكان رضى الله عنه يتكلم بالعجمى والسريانى والعبرانى والزنجى وسائر لغات الطيور والوحوش اهـ . والصادق لا يخلو من موافقة لتلك اللغات ، قلت : وقد يتكلم السالك الصادق باللغات الملكية سماء سماء ، وبلغات صوفية الملائكة وأهل الطوق الأخضر الذين هم فوق العرش ، وقد يحيط معرفة بمعرفة الملأ الأعلى بألف ألف ألف ألف لغة ، لكن ذلك عند غلبة الواردات عليه ، وقد تخالط روحانيته روحانية الأنبياء فيتكلم بلسان كل نبي اجتمعت به روحانيته ، وبالسنة أقوامهم على اختلاف طبقاتهم وأزمانهم .

الفصل الخامس

في بيان الأضرين للناس في دينهم ، الصارفين لهم بأقوالهم وأخلاقهم

عن إقبالهم على الله وهديه ، وهما متفقه غافل ومتصوف جاهل

إعلم أن المتفقه الغافل هو أضر عباد الله تعالى في أوامر الله ونواهيه . قال الجنيد قدس سره : الغفلة أشد من دخول النار ، وعلامة هذا صرف نيته وإقباله عن طريق الآخرة ، كالزهد والقناعة والتوكل والصبر وغير ذلك ، وإعجابه بما عنده من الألفاظ العلمية ، معتمداً على الأحاديث الواردة في فضل العلم ، كقوله عليه الصلاة والسلام : « العالم في قومه ، كالنبي في أمته » ، أوقال : « الشيخ في أهله كالنبي

في أمته . . وقال : « العلماء ورثة الأنبياء » . وقال : « غناء أمتي كأنبياء
 بنى إسرائيل » . والعلماء المشار إليهم بهذا الحديث إنما هم العلماء بالله الذين علمهم
 في قلوبهم ، لا من يكون علمه في لسانه ، مثل علماء هذا الزمان . أما هؤلاء
 فعلمهم حجة عليهم لكونه في ألسنتهم فقط ، قاصدين بذلك زخرف الدنيا لحبهم
 إياها ، وجمعهم لها ، وتكالبهم عليها ؛ فهم بهذه الوسطة مبدلون مغترون . وقد قال
 صلى الله عليه وسلم : « بعداً بعداً ، سحراً سحراً » ، أى للمبدلين المغترين . وقال
 صلى الله عليه وسلم : « العلم علان ، علم اللسان فذلك حجة على ابن آدم ، وعلم
 في القلب فذلك العلم النافع » . وكل عالم لم يكن علمه في قلبه فهو عالم اللسان ، فمن
 علم من حاله الجنوح لحب الدنيا من زاعمى العلم فهو قرين الشيطان ووايه ، وتولاه
 الشيطان بواسطة ذلك ، فلا يجوز السلام عليه ولا رد السلام ، ولا محبته ولا الجلوس
 معه ، ولا التخلق بأخلاقه ، لأن أخلاقه شيطانية ؛ فإن الشيطان محب للدنيا ومدع
 للعالم . كذلك كل من اتصف بهذا الوصف من زاعمى العلم فهو قرين الشيطان
 ووايه ، وتولاه الشيطان بواسطة ذلك . قال تعالى : « ومن يتخذ الشيطان ولياً من
 دون الله فقد خسر خسراً مبيناً » . قال : « ومن يكن الشيطان له قريناً فساء
 قريناً » . وقال : « كتب عليه أنه من تولاه فانه يضل ويهديه إلى عذاب
 السعير » . وقال صلى الله عليه وسلم : « جليس القوم منهم » . وقال : « من أحب
 قوماً حشر معهم » . وعدم السلام على من تخلق بهذه الأخلاق ردع وزجر له
 ولأمثاله ، ومن قدر على ذلك ولم يفعله أو يقله فقد أعان على هدم الإسلام وظلم
 نفسه . قال تعالى : « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » . وقال : « إلى الله
 مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون » ، اه من الرسالة الميمونية ، في توحيد الجرومية ،
 للشيخ العارف بالله تعالى على بن ميمون الإدريسي الحسنى المغربي نفعا الله تعالى به .
 قال سيدى الشيخ عبد الغنى النابلسي ، في شرح الطريقة المحمدية على الحديقة

الندبة ، بعد كلام على العلم النافع : وذكر أنه هو علم الشريعة الحمديدية قولاً وفعلًا .
مع الإخلاص والمراقبة لله تعالى ، بحيث تقع في القلب الخشية من الله تعالى وتترى
فيه ، والخشوع والخضوع ، وهو قوله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .
فيستغنى به صاحبه عن جميع الدنيا وأهلها ، والآخرة وأهلها ، ولا يصير له احتياج
إلا إلى الله تعالى ولا افتتار إلا إليه في جميع أمورهِ . لا العلم المضر الذي صاحبه كلما
ازداد منه ازداد احتياجاً إلى الدنيا وإلى أهلها ، وإلى الآخرة وإلى أهلها ، ونسي
الله تعالى ، وترى في قلبه الكبر والعجب ، والحسد والجور ، والبغض والأمل ،
فإنه العلم الذي تعوذ منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « اللهم إني أعوذ بك من
علم لا ينفع » ، وإن كان ظاهره بحثاً وتكلماً في أحكام الله تعالى وفي تقرير شعائر
الإسلام وعقائد الإيمان . فإن الباعث على بيان ذلك كله ، أمر الدنيا من حب
الرئاسة ، وتحصيل شهوات النفوس وغير ذلك .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق .
العلم اللسان ، فقالوا : وكيف يكون منافقاً علماً ؟ قال : عليم اللسان ، جاهل
القلب والعمل اه . قلت : وحيث كان حاله على مثل هذا الوصف ، فإنه لا ينفع
جليساً ولا متعلماً ، بل يرى في قلوبهم كل ما يبغدهم عن الله تعالى ، مع ما يوقعه
في قلوبهم من الغرور بتسمية العلماء ، فيأخذون في الاستراحات والترفهات ،
ويستعظمون أنفسهم ويستحقرون الناس ، ويصيرون تبعاً للرجيم الخناس ،
فتسوء منهم الأخلاق ، وينشأ منهم سوء الظن بالخلق ، وكذا بكافة العباد
والعباد ، فيقعون في شبائك الغيبة ومهامه الفساد ، لإصغائهم إلى ما يلقيه إليهم
الشیطان الرجيم بقوله : افعلوا ما شئتم إن الله غفور رحيم ، وإنه حلیم . حاشا أن
يطالبني بحقه الكريم ، وأمثال ذلك ، حتى يدخلهم بحيلة دائرة الجحيم . فإذا شرع
أحدهم في عمل صالح ، أو صحبة عارف ، ثبطه عن ذلك ويعميه عن طريق الإحسان

والإقبال على الرحمن ، وينقله من مقام أحسن الأخلاق ، إلى البخل وضيق الصدر . وإذا ابتلى مثلاً بحب امرأة وأراد نكاحها من غير ولي ولا شهود ، تزوج بها واقض مرادك فإنه صحيح على مذهب داود ، وللشافعي بغير ولي على مذهب أبي حنيفة ، ومذهبهم مشيد بالكتاب والسنة المنيفة . فإذا طالبته بالنفقة والكسوة الشرعية ، قال له : احلف لها أنك ستعطيهما ، ويجوز الحلف للزوجة تسمى راضية فإذا دعت إلى قاض أنكر أنها زوجتك ، وفي الحقيقة على مذهبك لازواج . ولم يزل سائراً به في أسرار تلك القفار ، سالكا به نهج تلك الفجاج ، حتى يتحصل له على ذلك الاندماج ، فيكمل له تمام الاعوجاج ، ويتركه في المهوى معكوساً غاوياً . وهذا كله من ظلمة الباطن ورد العلم له ؛ حيث إنه لم يقم بشرائطه ، ولم يعمل بعمله ، وما ارتكبه من التأويلات والرخص ، والإفتاء بغير الحق . وبهذا قد التبس عليه الأمر في أموره ، كمنهويه إبليس لعنه الله ؛ فإن الحق تعالى قد قال له : لا تعبد غيري من شريف وخسيس ، ثم أمره بالسجود لآدم عليه السلام ، فالتبس الأمر عليه من أنه إذا سجد له كان عابداً لغير الله تعالى ، فامتنع من السجود لحكمة اقتضتها إرادة الله تعالى ، فطرد ولعن إلى يوم الدين . ذكر النجم القري في حسن التنبيه : إن من أخلاق اليهود والنصارى الأخذ بالرأى مع وجود النص والقياس الفاسد ، والافتاء بذلك .

روى البزار بإسناد حسنه ابن القطان ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلاً حتى بدا فيهم أبناء سبأيا الأمم فافتوا بالرأى فضلوا وأضلوا » . ورواه ابن ماجه : « لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلاً حتى نشأ فيهم المولدون وأبناء سبأيا الأمم التي كانت بنوا إسرائيل تسميها فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا » . وروى البزار ورجاله رجال الصحيح في الكبير ، عن عوف بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال : « تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال » . اه وكل من اقتدى الناس به وصرفهم عن صريح السنة والكتاب فهو ملحق بهؤلاء الملاحين . فينبغي للعالم أن لا يقطع طريق العلم فيقع في مهاوى التلف ، وكما أضل الله بذلك الجاهل نفسه يضل به قومه قوماً آخرين ، أعاذنا الله من ذلك . وأما المتصوف الجاهل ، أى بأوامر الله ونواهيه ، فإنه ضال مضل مهلك لنفسه ولغيره ، فإن حركاته وسكناته يأخذها من أهوية نفسه ودعاويه ولا يشعر بذلك ، فيجعل الحلال حراماً والحرام بالعكس ويبدل ويغير حسب واردات النفس والشيطان على قلبه ، فهو السم الناقع لكل من اعتقده أو جالسه وأخذ عنه شيئاً من أمور الدين ، فمن أين له أن يصدر نفسه لأخذ شيء من الدين مع جفائه له ، وعدم مجالسته لأهله والتسليم لهم في أمر العلم وغاية مايلذ له الركوض إلى ميدان الغفلة ، والتمسك هو ومن تبعه بالعوائد الشنيعة ونبذ الحق وأهله ، وتبديل السنن بالبدع ، ويتأدب بآداب الشيطان ويتخلق بأخلاقه فإذا فعل ذلك دعا له الشيطان الناس فأجابوه من كل حذب ، وتركه بينهم يقودهم إلى أودية الفجور ، ويبعث فيهم روح الغرور ، ويسمى لهم المعصية طاعة ، ويفعلها معهم جماعة ، ويعلمهم معالم الخطأ ، والناس أهدى إلى القبيح من القطا ، وربما اكتفى هو عن شيخ ولو أخذ عنه بالإسم فقط ، متسرلاً بجلباب الجهل والشطط ، نشوان بالكبر والعجب والرئاسة ، والحال أنه لم يفرق بين باب الطهارة والنجاسة ، أو يكتفى بالدوران في القرى والبلدان ، ناشراً علم التليس والطغيان ، سائراً معه أعوان النفس والشيطان ، ينهب أموال الخلق بسيف الحياء ، ممتلئاً بالشح والبخل وقلة الحياء ، لا يفرق بين السنة والقرض ، ولا يعرف الطول من العرض ، شاكاً في قسمة الله ، بائعاً دينه بدنياه . فإذا سمع شيئاً من العلم الشرعى تغير باطنه إن كان له منزلة عند الناس ، ويصعب عليه الجلوس مع

العلماء وإذا رأى ترنماً بالأشعار والذكر الملحون ، غرق في بحر الجهل والاغترار ،
لا سيما إن ضربت الدفوف والمزامير وغيرها من الأوتار . وقال الإمام المقدسي مبتدئاً
بمن تزيا بزى العارفين من المتصوفة المبتدعة الجهال :

ذهب الرجال وجال مثل مجالمهم	زمر من الأوباش والأنذال
زعموا بأنهم على آثارهم	ساروا ولكن سيرة البطل
لبسوا الدلوق مرقعاً وتقشفوا	كتشف الأبطال والأبدال
قطعوا طريق السالكين وأظلموا	سبل الهدى بجمالة وضلال
عمروا ظواهرهم بأثواب التقى	وحشوا بواطنهم من الأدغال
إن قلت قال الله قال رسوله	همزوك همز الذكر المتغالى
ويقول قلبي قال لي عن خاطري	عن سر سرى عن صفا أحوالى
عن حضرتي عن فكرتي عن خلوتي	عن جلوتي عن شاهدي عن حالى
عن صفو وقتي عن حقيقة حكمتي	عن ذات ذاتي عن صفات فعمالى
دعواه إن حقتها ألقيتها	ألقاب زور لفتت بمحالى
تركوا الشرائع والحقائق واقتدوا	بطرائق الجهال والضلال
جعلوا المرافتحاً وألفاظ الخطا	شطحاً وصالوا صولة الأدلال
وترصدوا كل الحرام تخادعاً	كتخادع المتلصص المحتال
فاحذرهم واحفظ مودة سادة	قاموا بذكر الله فى الأصال
القانتين المحبتين لربهم	الناطقين بأصدق الأقوال
التاركين حظوظهم ونفوسهم	المؤثرين بخالص الأموال
ما شأنهم فى شأنهم كذب ولا	عمل لقصد رياء ولا الجلال
عملوا بما علموا وجادوا بالذى	وجدوا وما بخلوا بفضل نوال
وإذا بدا ليل سمعت أنينهم	وحنينهم بتضرع وسؤال

وعيونهم تجري بفيض دموعهم مثل انهمال الوايل الهطال
متفاوتين بقربهم وبجبعهم كتفاوت العمال في الأعمال
في الليل رهبان لخدمة ربهم وتحالهم في الجود كالأبطال
تاهوا على كل الملوك وإنهم لهم الملوك بعزة الإقبال
وارب أشعث حقرته دلوقة ولدى الملك هو العزيز الغالى
خص البطون لمسا بهم من فاقة شعث الرعوس لروعة الأهوال
لم تخل أرض منهمو قد حكوا ذات اليمين بها وذات شمال

الفصل السادس

في محبة أولياء الله تعالى والنفع بصحبتهم وزيارة قبورهم

ذكر النجم في كتابه « حسن التنبيه في التشبيه » : إن الصالحين ينبغي للعبد محبتهم وصحبتهم ، وزيارتهم والتبرك بهم . وقد قال شاه الكرمانى رضى الله عنه : ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله تعالى ، فإذا أحب أولياء الله تعالى ، فقد أحب الله ، وإذا أحب الله تعالى فقد أحبه الله تعالى . وقال أبو عثمان الخيرى : من صحب أولياء الله تعالى ، وفق إلى الوصول إلى الطريق إلى الله تعالى . وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه : من صحب الأولياء بصدق ، ألهاه ذلك عن أهله وماله وجميع الأشغال ، فإذا صح ذلك معهم ترقى إلى مقام الاشتغال بالله فاشتغل به عما سواه ، وإن لم يصح له هذا المقام مع الأولياء ، لا يشم رائحة الاشتغال بالله أبداً . وذكر سيدى محمد بن عراقى رضى الله عنه في كتابه المسمى « بالسفينة العراقية » المشحونة بنفائس الآى القرآنية ، الجارية بالأنفاس النبوية ، عن الفقيه الأجل محمد بن الحسين البجلي . أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، قال : فقلت ياسيدى يا رسول الله ، أى الأعمال أفضل ؟ فقال : وقوفك بين يدى ولى من

أولياء الله تعالى : كلب شاة أو شئ بيضة خير لك من أن تعبد الله حتى تنقطع
إرباً إرباً . فقلت له ياسيدى : حياً كان أو ميتاً ، فقال : حياً كان أو ميتاً لعمرى
ما المذهب إلا مذهب الصوفية ، وما الناس إلا هم :

ما القوم سوى قوم عرفو ك وغيرهمو همج همج

والله در سيدى ذى النون المصرى حيث قال :

ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم تحن إلى التقوى وترتاح للذكر
سكون إلى روح اليقين وطيبة كما سكن الطفل الرضيع إلى الحبر
وقال سيدى أبو مدين رضى الله عنه :

مالذة العيش إلا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والأمرا
فأصحابهم وتأدب في مجالسهم وخيل حظك مهما قدموك ورا
واستغنم الوقت واحضر دائماً معهم واعلم بأن الرضا يختص من حضرا
إلى أن قال :

قوم كرام السجايا حينما جلسوا يبقى المكان على آثارهم عطرا
يهدى التصوف من أخلاقهم طرفاً حسن التألف منهم راقنى نظرا
هم أهل ودى وأحبابى الذين هموا ممن يجر ذبول العز مفتخرا
قلت :

ولولاهم ما كان روح إلى العلا يروح ويغدو في زهور حدائق
ويأخذ من علم الغيوب جواهرأ فيالها من سر وحسن حقائق
تمسك بهم ما دمت حياً وإن تمت فأوص بهم من فى الهدى خير صادق
وذكر الشيخ الأكبر محي الدين بن العربى رضى الله عنه : أن سبب فتحه
ومنة الله تعالى عايه ، كانت بمحاماته عن فقراء الصوفية ، ومدافعتهم عنهم ،
وانتصاره لهم . كما قال فى كتابه « روح القدس » : لم أزل أبداً الحمد لله أجاهد

الفقهاء في حق الفقراء السادة حق الجهاد ، وأذب عنهم وأحى ، وبهذا فتح لى .
ومن تعرض لدمهم والأخذ فيهم على التعيين ، وحمل من لم يعاشر على من عاشر ،
فإنه لا خفاء بجعله ولا يفلح أبداً . وأما زيارة قبورهم فقد عدها الغزالي في الإحياء
في المندوبات ، وأجاز الرحلة لها في آداب السفر ، واعتمده صاحب المدخل وغيره ،
وهو مذهب الجمهور . وقول ابن العزى : لا يزار قبر ينتفع به إلا قبره صلى الله عليه
وسلم ، ضعيف . وكذا قول غيره : قصد الانتفاع بالميت بدعة ، وفي سينية ابن باديس :

ولا تسمع من قاصر النفع فيهم على من يكن حياً فذلك من الطلح
فإن شهود النفع ينفي مقاله ولا سيما والقوم نصوا على العكس

على أن زيارتهم أحياء وأمواتاً ، من معنى زيارته صلى الله عليه وسلم كما أشار له
الشيخ أبو المحاسن في جواب له حيث قال : إذ كل خير وبركة ، قلت أو جلت
منه وصلت ، وبطلته ظهرت وحصلت ، وهم صور تفاصيله صلى الله عليه وسلم ،
ومظاهر تعيناته ، وهو الجامع لما افترق منها فيهم ، وكل ساجد في نوره ومستمد
من بحوره ، ولا مذكور في الحقيقة سواء اه . قال العلامة ابن زكريا في شرح
النصيحة : وباستحضار كون زيارتهم مواصلة للنبي صلى الله عليه وسلم حقيقة
تكمل أحوال الزائرين ، وتحصل آمال الطالبين ، فلازم زيارتهم ، وذكرم
ومحبتهم ، يفتح لك الباب ويرفع عن قلبك الحجاب . فإن من شيمهم الفاضلة ،
وأخلاقهم الكريمة ، أن يقبلوا من قصدهم ، ولا يخيبوا من التجأ إليهم وأحبهم اه .
وقال الشيخ زروق في شرح المباحث : وقد ظهرت بركاؤها على خلق كثير في أمور
شتى ، لو اشتغلنا بها لاستدعت أسفاراً عديدة ووقع لنا منها عزيز . وقد نظم فيها
الشيخ أبو إسحاق إبراهيم التازي نزيل وهران ، أحد المشاهير المسلم لهم العلم
والعمل في وقته ، قصيدة قال فيها :

زيارة أرباب التقى مرهم يبرى
 وتحادث في القلب الخلى إرادة
 وتنصر مظلوماً وترفع خاملاً
 وتبسط مقبوضاً وتضحك باكياً
 عليك بها فالقوم باحوا بسرها
 فكم خلصت من لجة الإثم فاتكاً
 وكم من بعيد قربته بجذبة
 وكم من مرید أظفرتة بمرشد
 فألقت عليه حلة يمنية
 فزر وتأدب بعد تصحيح نية
 ولا فرق في أحكامها بين سالك
 وذى الزهد والعباد فالكل منعم
 ومفتاح أبواب الهداية والخير
 وتشرح صدرأ ضاق من سعة الوزر
 وتكسب معدوماً وتجبر ذا كسر
 وترقد بالبلذل الجزيل وبالأنجر
 وأوصوا بها يا صاح فى السر والجهر
 فألقته فى بحر الإنابة والبر
 ففاجأه الفتح المبين من البر
 خبير بصير بالبللاء وما يبرى
 مطرزة بالفتح واليمن والنصر
 تأدب مملوك مع المالك الحر
 مرب ومجذوب وحى وذى قهر
 عاينهم ولكن ليست الشمس كالبلدر

الفصل السابع

فى بيان أوصافه وأخلاقه ووفاته

وفىما جرى بعدها فى أمر الخلافة

أما أوصافه : فقد كان رضى الله عنه ، جميل الصورة ، طويل القامة ، أصفر
 اللون ، أبلج الوجنتين ، باين العنق ، ضخم العظام ، مفاج الأسنان ، واسع الصدر ،
 أفتى الأنف ، مدور الوجه ، كأنه قنديل من نور ، كحيل الطرف ، لحيته ما بين الخفة
 والكثافة ؛ وكان رضى الله عنه يخضبها بالحناء ، طويل الزندين والقدمين والأصابع ،
 على هامته أثر أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم يراها كل من رآه .

فيا عجباً إني أحاول وصفه وقد فنيت فيه القراطيس والصحف

طيب الرائحة ، وكانت رائحته كما أخبرني بعض أولاده وتلامذته ، أنها تشم من نحو كذا كذا ميلاً . وأخبرني تلميذه العارف بالله تعالى سيدى الشيخ القرشى ابن الزين رضى الله عنه أنه كان يشم رائحته إذا قدم لزيارته من كررى ، وهى قرية من نحو ساعتين ونصف من موضعه وأزيد . أقول : وهذا لا يحكم به لأنه من طريق البصيرة . قلت : ولقد شمت نعله التى كان يلبسها رضى الله عنه قريباً من أربعين سنة من وفاته ، فإذا هى المسك الأذفر . وغايته أنه رضى الله عنه خلق من شيبين حسن وطيب :

يلوح على الأبصار كالبدر بهجة	وكل كال فى علاه رهين
كأن يحياه سماء محاسن	بها البدر يحلو والنجوم تزين
وما هو إلا مرتع الصفو نزهة	على دفع أحزات الغواء يعين
ولى تحلى بالطلاوة والبهاء	أمير على سر الإله أمين

وأما أخلاقه رضى الله عنه فهى كما ذكرنا عن الشيخ محمد المجدوب ولد قمر الدين رضى الله عنه فى فصل الثناء أنها كأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما وفاته رضى الله عنه وعنايه ، فقد كانت فى ليلة الإثنين لسمع وعشرين خلت من رجب عام تسع وثلاثين بعد المائتين والألف ، والحق تعالى متجل باسمه وكيل ، وله يومئذ من العمر أربع وثمانون سنة وارتجت لموته الأرض ، ورأى الحاضرون نوراً عظيماً بدا من سرته عند خروج السر الإلهي ، صاعداً إلى الجو ، وانتقل عند ذلك لونه رضى الله عنه من الصفرة إلى البياض ، حتى أنه صار كالبدر عند تمامه بياضاً وحسناً : ولما وضع على المغتسل دخل تحت مغسله رجل من تلامذته متعرضاً لنزول شئ عليه من ماء غسله ، فما خرج إلا وقد لاحت عليه الأنوار ، وامتلاً فؤاده من المحبة والأمرار . قلت : ولقد شاهدنا هذا الرجل ورأينا له من الخوارق والعجائب ، والتوفيق والهيام ، والاجتهاد فى الله ما يحير الأفهام .

وكفن رضى الله عنه فى خمسة أثواب بيض ، وأم الناس فى الصلاة عليه ولده العارف بالله تعالى سيدى الشيخ إبراهيم الدسوقي رضى الله عنه ، ودفن على ساحل بحر النيل بأم مرج ، فى قبره المعروف ، الذى هو باطنه روضة من رياض الجنة . وقد حزن الناس عليه حزناً شديداً ، وبكته الجهات أحراراً وعبيداً ، وغربت بوفاته شمس الطريقة بعد الإشراق ، وكسف قمر الحقيقة بالحقاق ، وبقيت الطريقة اسماً وحكايات ، بعدما كانت ذوقاً ووصلاً ونفحات . وقد رثاه العلماء والصالحون بقصائد جمّة ، ولم أعتز بواحدة منها لطول الزمان ، إلا بمرثية للعالم الفاضل الفقيه إبراهيم ابن الشيخ عبد الدافع المفتى الحميدانى فى تاريخ السودان ، وهى طويلة مطلعها :

عرج بركبك حادى الأظعان	واحطط رحالك مبتغى العرفان
عند الهضاب بسوح شمس معارف الـ	أسرار قطب معالم الأديان
شيخ السلوك مكمل السر الذى	قطع الزمان مراقب الديان
هو بحر غيب بالغيوب مكاشف	هو بدر أتم ضياء فى البلدان
هو بالتواضع والخشوع مميز	هو لا يرى نفساً على إنسان
هو زاهد الدنيا وحاسم حبهما	هو روح جسم عوالم الأزمان
هو آية كبرى وشيخ معارف	وعوارف فاقت بحسن معان
هو أحمد الفعل الإمام المرتضى	هو طيب أعطى رضى الرحمن
ما شام طرف فى الزمان كمثل	فى سائر الأقطار والسودان
هو وارث القطب الشهير محمد	كنز الهداية شيخه السمان
لولاه ما طاب الزمان لسالك	كلا ولا شربت شمول دنان

قال مؤلفه ، ولنا فيه من المراتى هذه الأبيات نفعا الله به :

إنى لأعلم والعليم نبيل	أن الحياة ولو حرصت تزول
ما كنت أحسب قبل موت إمامنا	قطب الزمان ومن هو المأمول

إن النهار يكون ليلاً أليلاً
كادت تميد الأرض عند مصابه
آه على فرد الزمان ومن له
الطيب الشيخ الذي وسع الورى
هيات لم يأت الزمان بمثله
في لحظة يسع الألوف إفاضة
فالكون كل تحت إخمص رجله
ياطيب الأحوال يا من ذكره
لا تنسى عند اللقاء لبارىء

والدمع من عين الزمان يسيل
والشمس تكسف والجبال تميل
قدر وباع في العلوم طويل
رشدًا وعلماً دونه التأويل
ومثاله في الصالحين قليل
في لمحظة منه يرى التكميل
والحكم وهوله كذا التبديل
فكانه بين الأنعام شمول
أعطاك مهما رمت يا مقبول

وبعد تسويدى لهذه المراثية ، وقمت على قصيدة رثاه بها بعض الفضلاء وهى :
تباً لطرف عليك اليوم ما حزنا
جرعنا كأس حزن طالما احترقت
أركان دين الهدى كادت بموتكم
من للسوى غيركم فى الله يرشدهم
قد قمت حقاً بأعباء الولاية إذ
قد كنت نزهة أسماع وبحر ندى
سلافكم قد سرت فى كل متصف
كأنك المسك خلقاً والسمك علا
قد كنت بالخير مصحوباً ومتزراً
فأنت قطب سقى من خمر خالقه
وكل فرد فريد فى معارفه
إرشاده منك يا فرد الجلالة يا

ومقولة دمعها ما سال مقترنا
به القلوب وأضنى الروح والبدنا
نهد حزناً ويفشى أمرها علنا
ويرتقون به فى الخير كل منى
أرشدت من يبتغى العرفان والسننا
وبدر تم له بين الأنعام سنا
بجكم أو مريد فارق الوسنا
والبحر علماً وأمطار السما مننا
بالجود والفخر من بين الورى زمنا
كأساً طهوراً به قد نلت كل هنا
وكل قطب لألواح السماء رنا
من قد أزلت من الأيام كل عنا

فكل وصف جميل أنت مالكة
لهفى عليك أيا شيخ الطريقة يا
لهفى عليك أيا نجل البشير أيا
يا طيباً طابت الدنيا بطيبيكمو
سقى المهيمن قبراً ضم أعظمكم

وكل ناء عزيز منك وهو دنا
من كنت للعالم الأرضى كنز غنى
صدر الأئمة يا من حزت خير ثنا
يا من بك الدهر من سوء الردى أمنا
من غيث رضوانه سقياً بغير ونى

ولمؤلفه حماء الله وأرضاه ، وأطار إلى النسر الطائر مجده وعلاه ، هذه المرثية :

دمعى على الخلد فياض وهتان
بفقد قطب شريف ماله مثل
قد خانتني الدهر فيه وهو بهجته
وصاح داعى النوى فى يوم فرقته
مصابه دهشت منه العقول ومن
يمسى ويصبح فى شجو وفى قلق
سلو الدجى هل لطرف السالكين منا
لهفى على من له فى كل جارحة
لهفى على موسم الأرباح خير فتى
لهفى على خير فياض لساحته
لهفى على العروة الوثقى الذى ابتهجته
لهفى على خير بحر قد حوى درراً
لهفى على جاذب الأقوام من بُعد
لهفى على شمس أنوار الولاية من
لهفى على بدر أسرار الشريعة من

وفى حشائى من الأحزان نيران
للدين حرز والإسلام أركان
والدهر وهو كما قد قيل خوان
وأحرقت بدموع الحزن أجفان
مصابه القطر أضفى وهو حيران
وفى كروب ودمع وهو غرقان
م فيه أو من له للحق إذعان
لله سعى وفى الأعضاء إيمان
فى سلكه انتظمت قوم وفتيان
تأوى الوفود وأيتام وضيغان
بنور طلعتهم سهل وأحزان
وجوهرأ ما له شبه وأثمان
بسر شوق به للخير وجدان
دون منصبه شمس وكيوان^(١)
أزال ظلمة جهل وهو عصيان^(٢)

(١) كيوان : هو نجم المشتري أو زحل

(٢) قوله وهو عصيان : تفسير للجهل

لهفى على فقد مصباح الزمان ومن
لهفى على فقد أستاذ علا مثلاً
لهفى على المقصد المقصود أكرم من
لهفى على كعبة الزوار طيننا
لهفى على واحد الأيام جوهرها
آه على شيخ أشياخ الطريقة من
آه على من له عز ومرتبة
آه على درة البحر المحيط ومن
من بعده من لعلم الغيب ينشره
من بعده من لتنوير القلوب ومن
من بعده من لطرق القوم نقصده
من بعده من به تحيا النفوس ومن
من بعده من يلوذ السالكون به
من بعده من لجمع الجمع يوضحه
من بعده من له لحظ تهيم به
أفديه من كامل عزت مداركه
أفديه من زاهد ما مال قط إلى
أفديه من فائض لولا إفاضة
أفديه من فاضل تنمو محاسنه
نور الولاية فى لآلاء عزته
حدث عن البحر أو عن غمر نائله
فابت تفاخر أبطال الولاية فى

مئاته لخراب الدهر عنوات
له على زحل فى العز ببيان
لله قد أمه عرب وعجمان
غوث الزمان إذا ما ضاق لهفان
من بحره هو بالأسرار ملآن
من كأس خمرته ذا الكون نشوان
عليها ومن بين أهل الله سلطان
أحاط علماً بعلم وهو عرفان
من بعده من له ذوق وإحسان
يسقى لمن هو فى الأصحاب عطشان
ومن له ينتقى عجم وعربان
على القلوب كغيث وهو هتان
ومن يزول به رجس وأدران
وللمعارف والأسرار ديوان
كل النفوس وعلم وهو إيقان
ومرشد ماله فى الرشـد إخوان
مال وفيه على الزهاد رجحان
لا الناس ناس ولا الأزمان أزمان
وقطب فيض له الأقطاب أعوان
يذيعه منه أخلاق وعرفان
وعن نداء إذا ما احتاج إنسان
مضمار سبق وللأبطال ميدان

فطيب القوم فرد لا نظير له
من ذا يماثله من ذا يفاخره
من ذا له مثله سرفسر به
ذاك الذى لم يزل فى الله مبتهلاً
ذاك الذى لم يمل يوماً إلى أحد
يرعى الذمام ويولى الفضل مبتدراً
له المفاخر عقد وهو لابس
له من المصطفى خير الورى مدد
له تلامذة الله درهم
له السمادات أضحت وهى عاكفة
له السيادات والتبجيل من قدم
له الكرامات بين الناس ظاهرة
له عجائب أوصاف سمت عجباً
ذا بهجة الوقت ذا للدهر وهو غنى
ذا روضة الفضل ذا عين العناية ذا
تبارك الله ما أحلاه من رجل
تبارك الله ما أعلاه من علم
وهو الأصيل النبيل الممتلى شرفاً
وهو الجدير بأن يعزى الكمال له
وهو المراد من الدنيا والذتها
وهو الذى فى علوم الشرع كان له

ما شئت فيه فقل والرشد برهان
من ذال له مثله فى الغيب إيمان
شام حجاز وريف ثم سودان
ودمعه هو فى الأسفار طوفان
سوى الإله ولا ما فيه خسران
ويمنح النصيح من أغواه شيطان
له المعارف والأسرار تيجان
فما القرات وسيحان وجيجان
بخدمة الله فى الأظلام رهبان
له من الله إجلال ورضوان
له فؤاد بسر السر ريان
له لأحوال أهل الحال ميزان
له من العلم ياقوت ومرجان
ذا للبريدى حرز أينما كانوا
من فى السماء وفى الغبرا له شان
فى النفس شهد وللأرواح ريحان
كأنه هو بين الناس شهان^(١)
وفى محبته كم هام إنسان
وهو الدنان وحر الكأس والحان
وهو الذى كله يمن وإيمان
باع طويل وتحقيق وإتقان

(١) اسم جبل .

شاف مفيد له الأنبياء شاهدة
فكم له بين أهل الأرض من من
وكم لأسلافه بين الورى شرف
وكم له من كشوفات مباركة
وكم له انقاد من فى الأرض من ملك
وكم به قد جفا قوم ديارهم
وكم تصرف فى قوم بمكرهم
ذا الكامل الفرد ذا قطب الولاية ذا
ذا الأملى الذى تاه الوجود به
ذا النور محضاً وذا الغوث الشهير وذا
ذا واحد الأمر هذا من له امتثلت
ذا أحمد الفعل وابن الطيبين وذا
كنز مطلسم لم تحصر عجائبه
فالصالحون له فى كل معرفة
أغر كالشمس لا تحفى مكائنه
بحر بسيط مديد وافر مدداً
ينبئك عن كل شىء قد مضى قدماً
روياه تذهب ما فى النفس من غم
حامى الحمى من له الجاه العريض ومن
أكرم به من إمام وهو ذو كرم
من نسل فاطمة الزهراء ذو شرف
أيضاً ومن نسل عباس فياله من

خرت لآياته فى الأرض أذقان
وكم به شفيت روح وأبدان
عن شأوهم قصرت فى المدح همدان
وكم روى منه فى الأسرار ظمان
وكم له داف أبطال وفرسان
وكم له يفتي إنس كذا جان
وكم به قد محى ظلم وعدوان
سر العناية من بالفيض منان
وفى هواه استوى سر وإعلان
من للضعيف والمنبوذ معوان
من أجل سطوته فى الناس شجعان
من فى حدائقه زهر وريحان
إلا لقوم صفوا والسر قد صانوا
من المعارف والإرشاد غلمان
إلا على من بداء المقت عميان
فى حافتيه لأهل الشرب كيزان
وعن رموزها الشبلى هيان
وكم بها جليت أسوا وأحزان
يسعى إليه مشاة ثم ركبان
ما قابل الوفد إلا وهو جذلان
وسادة ما لهم فى المجد أقران
قطب به شرفت ولد وخلان

قوت النفوس وياقوت المعارف من
صاد القلوب بلحظ منه أدهشها
فانكون قد صار فيه وهو ذوله
تهدى محبته تسقى مودته
روض تضمن أسراراً ومعرفة
غوث النهى حرزنا من كل داهية
قاف الإحاطة ميمون النقية من
وكم أغاث أناساً عند شدتهم
فكالحيا وهو قد أحى الإله به
جماله يدهش الأبصار إن نظرت
يا من يحاول بالإشعار غايته
إن طال نوحى عليه أو بكأى له
بشر محبيه فى الدنيا ويوم غد
لقد روى قولنا هذا أئمتنا
منى السلام على قبر يفوح شذى
منى السلام على قبر بمرّح قد
منى السلام على قبر لصاحبه
منى السلام على قبر به سمعت
منى السلام على قبر حوى عجبا
حوى إماماً عظيماً ما له مثل
حوى من القوم أستاذاً أخا ثقة
وهو الذى قبره بين القبور له

لعزه خضعت بيض وسودان
وكم بلحظته قد فاز أخدان
وكيف لا وهو بالرحمن ولهان
تسبى خلائقه من فيه إيمان
كم أثرت منه للطلاب أغصان
وعند ما الكرب للمكروب يقظان
به لقد عمرت بالخير أوطان
وكم به فاز أشياخ وشبان
قوماً فبالرشد بين الناس قد زانوا
إليه والقلب يضحى وهو سكران
أقصر فما لك فى هذا العلا شان
فمثله عنه ما للنفس سلوان
فكلهم فى جنات الخلد سكان
عنه وللأوليا بالصدق إمعان
قد حل فيه من الأقطاب سلطان
أمته بالشوق أخيار وأعيان
فى جنّة الخلد أحوار وولدان
أهل وصحب وأولاد وجيران
به لقد عمرت بالهدى أكوان
قد أيدته أحاديث وقرآن
فى القبر ذاك له عين وآذان
من جنّة الخلد والفردوس ريحان

وهو الذى دائماً فى الحضرتين ولم يحجبه ستر ولا قبر وأكفان
 ومن به شدة يوماً إليه دعا يأتى بسرع فما باز وعقبان
 الله در الذى قد أم زورته يعمه منه تهذيب وغفران
 الله در الألى فى سلكه انتظموا وفى سرائرهم وجد وأشجان
 منى السلام على المختار من مضر ومن به قد علا فى الفضل عدنان
 وآله وكذا الأصحاب ما تلئت دعى على الخد فياض وهتان
 أو ما حمام على غصن البشام شذا أو ما ترنح من ربح الصبا بان
 وأما ما جرى بعد وفاته فى أمر الخلافة ، فاعلم أن الشيخ رضى الله عنه
 وعنا به ، لم يشر إلى أحد من أولاده بالخلافة بعده ، وإنما اكتفى باختيار الله
 تعالى فى ذلك . إلا أن التلامذة والناس قد رغبوا بعد دفنه أن يكون من أولاده
 خليفة ، ثم إنهم افترقوا فى ذلك على طائفتين : فطائفة اختارت سيدى الشيخ
 إبراهيم الدسوقي رضى الله عنه ، وذلك لتقديم الشيخ له فى مدة حياته فى الأعياد
 وغيره ، ولتقدمه فى السن ، ولما له من العلم وغير ذلك . والطائفة الأخرى اختارت
 الوالد سيدى الشيخ نور الدائم رضى الله عنه ، وذلك لقول سيدى الشيخ رضى الله
 عنه لتلميذه الحاج عبد الوهاب البجيرابى : البركة فيه وفى ذريته ، كما تقدم ذلك .
 وأيضاً لما عليه من الورع والعفة والاستقامة ، ولشبه أخلاقه بأخلاق والده ، وصفته
 بصفته ولكون والدته من أجل نساء الشيخ رضى الله عنه . وحيث أنه توفى
 فى بيتها ولها القيام بأمره حياً وميتاً ، وبيتها مأوى الضيوف والتلامذة والمساكين
 والأرامل . فمن اختار خلافة سيدى إبراهيم الدسوقي رضى الله عنه الشيخ محمد
 ولد مكى ، والشيخ الأمين ولد أم حقين ، وكافة السروراب والضواب ، إلا القليل
 منهم . ومن اختار خلافة الوالد سيدى الشيخ نور الدائم رضى الله عنه الشريف
 أحمد ولد موسى السواكنى ، والشيخ محمد ولد فضل الله الصبحى وغيرهما من

التلامذة وكافة الجميعاب . واستمر ذلك الخلاف من وفاة سيدى الشيخ رضى الله عنه إلى أن حضر العارف بالله تعالى الشيخ أحمد البصير بن عبد الرزاق الحلاوى ، رضى الله عنه لبناء القبة ، عام خمس وأربعين بعد المائتين والألف ، فقدم سيدى الشيخ نور الدائم وصلى خلفه ، وذلك بحضور كثير من التلامذة ، كالشيخ القرشى ابن الزين ، والشيخ محمد الصليحاني ، والشيخ النعيم ولد مضوى الترابي ، والشيخ محمد ولد مكى والشيخ الأمين ولد أم حقين .

أخبرنى شيخنا رضى الله عنه قال : لما قدّم سيدى الشيخ أحمد البصير سيدى الشيخ نور الدائم وصلى خلفه ، كثر القيل والقال ، وهجر سيدى الشيخ إبراهيم الشيخ أحمد البصير ، سألت الشيخ أحمد البصير عن سبب تقديمه للشيخ نور الدائم على أخيه فقال لى : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخليفة من هو منهما فقال صلى الله عليه وسلم : نور الدائم ، وأما إبراهيم فلا تغضبوه . قال : فقلت له هذا هو عين الغضب . فقال : الذى فهمته من كلامه صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم أطول عمراً من نور الدائم . قلت : هذا من صريح الكشف منه والاطلاع على الغيب ، فإن سيدى الشيخ إبراهيم عاش بعد الوالد بنحو سنة . ثم إن الشيخ أحمد البصير استمر على الصلاة خلف الوالد إلى أن فرغ من بناء القبة ، وعلى تأييده والاعتناء به هو وأتباعه وقبيلته الحلاوين ، وكثير من تلامذة الشيخ رضى الله عنه . وأما الشيخ محمد التوم ولد بان النقار رضى الله عنه ، فإنه لما وصل بلاد الحلاوين قادماً لزيارة الشيخ رضى الله عنه والعزاء ، سمع الخلاف فرجع ولم يسمع منه شيء فى ذلك ، بل كان كل من اجتمع به من أولاد الشيخ رضى الله عنه فإنه ينزله منزلة والده ، ويكون معه بمنزلة المريدين ، وذلك إلى أن قضى نحبه . قلت : ومع ما ذكرنا فإن الوالد رضى الله عنه كان يكثر الأدب مع أخيه سيدى الشيخ إبراهيم الدسوقي والمراعاة له ، وكذلك الشيخ إبراهيم فإنه كان يراعيه ويعتنى به ، وربما

غضب بغضبه ورضى برضاه . وهكذا إلى أن توفيا طيبين طاهرين خاشعين لله تعالى ، « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »

الفصل الثامن

فيما قاله فيه رضى الله عنه بعض أهل بيته من المدائح

فمن ذلك قصيدة العبد الفقير ، مؤلف هذه المناقب وهى هذه :

فى ذكر لىلى مدى الأبكاء والأصل	قلبي وفى حبها كالوالمع التمل
قد همت وجداً بها من حيناً نظرت	عيني لها بفؤاد بالغرام ملى
عاهدتها بمهود غير كاذبة	بأن أهيمن بها فى السهل والجبل
وأن أدع قول عذال لنا عذلوا	فى حبها الأعذب الأحلى من العدل
يا عاذلين لنا فى حبها سفهاً	دعوا الملام فحى غير منتقل
أعذلون لصب كلما عذلن	يزداد شوقاً على أيامه الأول
ولم يزل كلما بين الورى ذكرت	ابلى يلاعب للغزلان بالغزل
والدمع صار دماً من بعد رفته	والجسم منه بسقم العاشقين بلى
لا زال يندب فى أحياه أنه أبدأ	على الحمى وعلى الأطلال والطلال
قد أقسم اليوم عن جزم ومعرفة	عن الحمى وهوى لىلى فلم يحل
أم كيف لا وهو من داء الغرام غدا	أصم أذن فلم يسمع ولم يقل
يزداد شوقاً مدى أنفاسه صعدت	كالأصفيا الأذكى فى طيب النزل
نجل البشير إمام القوم من وطئت	أقدام مفخره السامى على زحل
من أيد المنهج الأسمى به وبه	قد فاح نشر الهدى فى السهل والجبل
قرين كل كمال منه قد عجزت	أهل الكمال ومن فى الأرض من بدل
غوث مغيث وأستاذ علا رتباً	حبر فريد ملاذ للعالموم ولى

حكى الشمس ظهوراً عند طلعتها
أعطى من القرب والعرفان منزلة
هل في زمانه أو أيامه سمعت
أخبر به وله الفخر الذى وردت
واسلك به منهج الأقوام مجتهداً
ذا حضرة القدس ذا خمر الدنان وذا
لأجل ذا صار في أيامه ملكاً
يا عارفاً دهره يكفيك معرفة
له يد وردت بحر الغنى وروت
أفشت طريقته معنى حقيقته
أيامه كانت العشاق تحسبها
يورى كل امرئ في الأرض يقصده
له خوارق عادات عات وعلت
دان الزمان له حياً فالبسسه
دان الزمان له طراً فأسكره
كم من عزيز أناه خاضعاً شغفاً
قد استوى في هواه الناس كلهم
صفا صفا التبر بين الناس منهجه
فكم له من كرامات إذا ذكرت
له كئوس من الأسرار شاربها
الله أكبر ذا القطب الشهير وذا
الله أكبر ذا الطود المنيع ذرى

والروض خلقاً وجوداً ديمة المطل
من رام شأو مداها قط لم يصل
أذنك مثله قطباً فائق المثل
لنا أحاديثه من سادة أول
ودع سواه إذا ما رمت كل على
ساقى المدام وذا ذو المنزل الجلل
له التصرف بالأسرار في الدول
وإن جهلت الذى قد قتلته فسل
له طريق خلا عن وصمة الخلل
أفشى كشمس الضحى بالفضل وهو جلى
خلداً لما شاهدت من روضها الخضل
وكل حبر على علم على عمل
بين البرية من حاف ومنتعل
من التقى أزين الأثواب والخلل
من خمرة الحب سكرأ عز في المثل
وكم رئيس وكم شهيم وكم بطول
وكيف لا وهو قطب وارث الرسل
وقد بدا فضله كالصبح للعقل
تشفى العليل وتهدى كل ذى جدل
لا زال يمدى من الأسرار كل على
من من علوم البقا اكتال بالجل
ذا ابن الوصى وصنو السيد البجلي

من آل بيت شريف قال كتاب لقد
 شيخ أديب أريب عالم علم
 قد مائل الدر والياقوت منطقـة
 محطة الحق ديوان الحقائق مرآ
 فكالهلال له ترنو العيون هوى
 ما لجة البحر تشبها إذا التطمت
 عيد الفيوض وساطان المعارف من
 أنار أفق الدياجي نور طلعتـه
 كنز الغنى حاية الأيام أوحدها
 يمم لساحتـه إن كنت ذا ضجر
 واسأله ما شئت فالآيات ظاهرة
 وكيف لا وهو من نور ابن آمنة الـ
 صلى عليه إله العرش ما ظهرت
 وآله العر والأصحاب كلهم
 ما جفن صب بكى شوقاً بمدحتـه
 أو قال محمود في نادي الهوى بهوى

ولنا غير ذلك من المدائح العديدة البديعة الحميدة ، وهي مثبتة بدواوين الأمداح
 « العطير ، في مدح النذير البشير » ، و « نفح الروح ، في جسم الفتوح » ،
 و « الروض البهيج » ، و « ديوان التصوف » وغيرها . وإنما أردنا تطريز هذه
 المناقب بشيء من مدائحهم ، وانرجع إلى ما نحن فيه .

فمن مدائح أهل بيته فيه ، قصيدة العالم العامل ، الناسك الكامل ، العارف
 الراجح الشيخ قريب الله بن سيدى الشيخ أبى صالح وهي هذه هي :

تجلى مفيض الفيض وانتشع الوهم
عن الله وانهلكت عليه فيوضه
بغوث الورى المخطوب من حضرة العلا
هو الطيب المجذوب فى الأرض والسما
وأحمد من قد أم بالصديق ربه
ومن ترك الأكوان طراً لأجله
وطابت به الأيام شرقاً ومغرباً
ومن بعده الأستاذ قد قام داعياً
هو الوارث المحمود محموداً الذى
أبر حفيد قد قفى إثر جده
هو الكيس الداعى لحضرة ربه
أضاءت به الأكوان من بعد ظلمة
زكى حماته الله من كل ريبة
ولكن أهل البغى غلف قلوبهم
قلوه ولم يدروا بأن قلاله
وكان عليهم صابراً كل وقتفه
كفاه بأن الله ناصره كفى
أيا سيداً ساد الورى جدد بنظرة
وقل يا قريب الله أنت مقرب
عليكم من الله الرضا كل لحمة
وبعد صلاة الله ثم سلامه
وحداً لك اللهم فى كل طرفة

عن القلب إحساناً وفاجأه الفهم
فأصبح مسروراً ومغرمه غم
ونائب خير الخلق من غيئه يهمو
وساق الورى صافى السلافة لا الكرم
منيباً بأشواق ينابيعها تنمو
وليس له شغل سواه ولا هم
ودارت حمياه وهامت بها القوم
إلى الله فى جهد ويقدمه العلم
هدى أنفساً كان الطريق لها الجرم
على الحق والباقوت خطهم النوم
هو العارف المقدام والبطل الشهم
وصار له القدر المعظم والحكم
وما فيه من عيب يشين ولا وصم
وأعينهم عمى وأذانهم صم
غلو وخيم فى عواقبه السم
ومن شأنه الصبر الجميل كذا الحلم
ومن ينصرنه الله ماضره الظلم
على عبدهم كما يضىء له نجم
لدى الله والمختار فابشر بما تسمو
يعجم أولاداً وصحباء لهم رحم
على المصطفى والآل من ذكرهم غم
وختمى بالحمد الجميل هو الختم

ومن ذلك قصيدة ولدنا عبد القادر الجيلي وهي هذه :

حيثك غادية الحيا من معهد
وتضوعت حصبا ثراك وأشرقت
لله مغنى كم تحن لوصله
بزغت شمس الهدى فى عرصاته
ضربت عليه من الجلال سرادق
لا غروا إن زارته أملاك السما
فهو المقدس ساكنا بل تربة
كم لى إليه صباة ومدامع
ما أومض البرق الشمالى عشية
من لى بأن أصل السرى بغدادفر
وأحط رحلى عند نخبة هاشم
الطيب القطب الذى نارت به
الكامل الغوث الأجل المنتقى
الصائم الجاني المضاجع جنبه
إنسان عين الأولياء وتاجهم
فلكم أمد وكم أغاث وكم هدى
دعني أشنف مسمعك بلؤلؤ
فرع نمته ججاج قرشية
بكأله وجلاله قد بشرت
وحدث سؤدده وسامى فخره
ولمت بنشر بديع حسن صفاته
جوداً يروح به الغمام ويقتدى
بجواهر الأسرار لا بالعسجد
أهل الغرام بمدمع وتودد
فبدت محاسنه لكل موحد
ومن المهابة والعلا والودود
واشتاق رؤيته المنيب المهتدى
شرفت بآثار الكرام الشجدة
تجرى على مر الأصائل والغد
إلا وشوقنى لذك المشهد
يطوى المهامه فدفداً فى فدفد
شيخ المعارف والحقائق أحمد
كل البلاد مغيرها والمنجد
الزاهد الورع الإمام الأوحد
فى الله ذى الكرم العريض الأتد
ومد جمعهم وروضهم الندى
قوماً إلى نهج الصواب الأرشد
من مدح حضرته الشهى المورد
فما وطاب لطيب ذاك المحتد
أهل الهدى والكشف قبل المولد
يروى لنا من سيد عن سيد
أهل الولا نصحاء لمن به يقتدى

فالزمه إن رمت الوصول الحضرة الـ
 إن الذى يرجو الكمال بغيره
 أو كالذى يستبدل الكافور والـ
 لم لا وذا الحامى لهذا القطر من
 فله على السودان أكبر منة
 قد قال مجذوب الحضائر معلناً
 حكمت رجال الحضرة العليا على الـ
 من حلقة حكما عليه تضافروا
 فأبى وقام ينقض ما قد أبرموا
 الطيب القطب المقلد للورى
 فتنازعوا واشتد حتى أنهم
 فعليه من رب العباد صلاته
 ففضى ووافق قول أستاذ الورى
 فتحققت أهل الحضائر أنه
 فلتفخر السودان بالغوث الذى
 لولاه ما كانت وما عرفت وما
 أكرم بها من آية فى طيها
 قلدت يازين المآثر قـطـرنا
 أرشـدته وحـمـيته وهـديـته
 فلكم أتاك من البداوة جاهل
 فسـقـيـته القرآن منك بنـطـرة
 أدخلت أهل الصدق حضرات الرضا
 رحمن أو نزلا بأشرف مقعد
 كالمستضيء مع ذكا بالفرقد
 مسك الشذى جهالة بالخرمد
 نوب الزمان وخطبه المتشدد
 شملت كرامتها لأحر أسود
 بجديتها أعظم به من مسند
 سودان بالتقديم دون تردد
 يجرى إلى أقصى جبال الأعبـد
 نجل البشر فياله من منجد
 بقلائد الإلـعام لا بزبرجد
 ردوه للـروف الرحيم محمد
 وسلامه النامى الزكى السـرمـدى
 الطيب الفرد الهمام الأصيد
 أعلى وأكمل عارف ومؤيد
 لولاه عاجلها الردى بـتـمـمـد
 رفع الجميع من الخضيض الأوهـد
 نعم وأسرار علت لم تـعـدد
 مننا وفضلاً ظاهراً لم يـجـحد
 مذجاء طامعكم بسعد أسعد
 فى عمره ما خط حرفاً باليد
 ألحقته فيها بأكمل مرشـد
 وأزات عنهم كل وصف مبعـد

فجنوا ثمار الفتح ثم وأصبحوا
تيار فيضك زاهر متلاطم
يا سيداً أحرزت كل فضيلة
إرشادكم للمخلق دل على الذي
ما ضركم إنكار جاحد فضلكم
عمت فيوضكم الأنام جميعهم
فلك التلامذة الألى أسرارهم
دلوا على الله العباد وأيقظوا
كسبيهم وبصيرهم وأمينهم
وخلاصة الأجداد وارثك الذي
محمود قطب العصر بل وضيائه
فلكم هدى ودعا وأرشد للورى
حبر لأعلام الطريقة رافع
وسواهموا من سادة بكالمهم
خصصت يا قطب الهدى بخصائص
منها النجاة لكل عبد سالك
وحديث من قد قال أول ضربة
ذا قبر طيبك المعظم أحمد
إرشادكم لم ينقطع كسواكم
هذا وكم لك من خصائص جمّة
يا سيدى نقد القريض ومدحكم
فاعطف على الجليل منك برحمة

سكرى بكأس من قديم السرمدي
أنعم ببحر بالمعارف مزبد
وجعت أشتات العلا والأحد
أوتيتموه من التراث الأحدى
أترى لضوء الشمس عين الأرمد
وفشت بسهل فى البلاد وقرد
سحت كوسمى الغمام المرعد
من نوم غفلات الحجا للرقد
والتوم ذا العلم الرفيع محمد
أروى بكأس السر كل فتى صدى
وأمانه من كل خطب أنكد
وألأف قلباً قاسياً كالجمد
وإمام حق بالفضائل مرتدى
كم صادق بين الورى ومغرد
معشارها فى غيركم لم يوجد
لطريقك العالى بيوم الموعد
فى حفر أى ضريح ميت ملحد
إكرام صاحبه روى بتأكد
بالموت ياكبر الفقير المجتدى
كالقطر لا تحصى بنظر معدد
وكالكلم وفخاركم لم ينفد
وتوله دينا وأخرى وامدد

إن جعلتك يا إمامي عبدة بل جنة من جور دهر معتدى
فامنع حمای وجد على بشربة من سلسبيل النور وارشد واسعد
سحت على جدث حواك غمائم تهيم بموصول الرضا المتجدد
ما عطر الآفاق نشر ثنائكم أو غن طير فوق غصن أملد
أو أنشدت في محفل أو جحفل حيثك غادية الحيا من موهـد

الفصل التاسع

في بيان تلامذته الذين انتفعوا منه

ببلاد السودان خاصة دون غيرها من البلدان

مهم صاحب الكرامات العجيبة ، والمكاشفات الغريبة ، العارف بالله
سيدى الشيخ يعقوب بن أحمد الصليحاني الأنصارى . كان رضى الله عنه من العلماء
الحققين والمشايخ المرشدين ، وقد خدم الشيخ رضى الله عنه بعد أن أخذ عليه الطريقة
ست عشرة سنة بصدق واجتهاد ، فأفاض عليه من بركاته ، وكساه من حلل
كلماته ، وأمره بالتوجه إلى قدي من بلاد الحبشة والإقامة بها لإرشاد المريدين ،
ونفع الطالبين ، فأقام بها وأنته الناس من كل الجهات وأخذوا عنه وانتفعوا به نفعاً
تاماً . وكان رضى الله عنه كثير الاجتماع بالخضر عايه السلام ، وربما شوهده بالعين
الظاهرة جالساً معه .

ومن كراماته رضى الله عنه ما أخبرني به الفقيه العلامة محمد ولد التهامى
الباطاني ، وكذلك الرجل الصالح الشيخ محمد الصليحاني دفين جواده رحمه الله
قال : كان للشيخ يعقوب رضى الله عنه تلميذ وله ست بنات فشكى له يوماً عدم الولد
الذكر ، فأمره أن يحضر عنده بعد صلاة الصبح من يوم الجمعة واحدة من بناته ،
فأحضر من اختارها منهن في الوقت المذكور ، فريده عليها تالياً لقوله تعالى :

« يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » فقلبت ذكرًا كاملاً من حينها .
قال : وقد عاش نحواً من خمس وخمسين عاماً ، وخلف بعده ولداً يدعى ولد
أبي ورق ، وهذه الكرامة مشهورة في بلاده أوضح من نار على علم ، ولولا وقوفي
على صحتها لما سطرتها هنا ، وأمثال ذلك من مناقب العارفين كثير . قال العارف
بالله تعالى الشيخ عبد الكريم الجيلي قدس سره :

وأقلب أعيان الجبال وإن أقل لها ذهباً كوني فمن نواقع
وقلب الأعيان من جملة كرامات الأولياء المشهورة ، فلا يعترضها إلا غي
جاهل . وقد انتفع به رضى الله عنه طريقة وتربية جماعة كالشيخ نور المتن ابن
الشيخ ياقوت ، وولده الشيخ شعيب وغيرهما . وتربى منه الشيخ محمد الصليحي ،
وأخذ عنه سر سورة الكوثر ، الشريف بالله ولد رحمة الله الحسنى رحمه الله ، وجميع
ما حصل له من البركات والكرامات وخوارق العادات فهو من بركة الشيخ يعقوب
رضى الله عنه . توفي المترجم المذكور بقدي ودفن بها وقبره ظاهر يزار .

ومنهم قطب المعارف ، وإكسير العوارف ، سيدى الشيخ حبيب بن إمام
الكوباوى ، ثم المغربى . كان رضى الله عنه من جهابذة العلماء ، وأئمة الحكماء ،
فريداً في وقته ، وحيداً في نعته ، نظم مختصر الشيخ خليل رحمه الله نظماً بديعاً ،
وله تأليف في التصوف وغيره ، وهى تشهد بكمالها ، وقد شاهدت البعض منها .
وكان رضى الله عنه كثير العزلة والعبادة ، وكانت سبحة التى يذكر الله تعالى بها سبعين
ألفاً . وما سمع أن أحداً بلغ مبلغه في وقته في الزهد والعبادة والتصريف والخوارق ،
وقد دلت على الشيخ رضى الله عنه وصحبته مقالة الحية الجنية التى تقدم ذكرها
في فصل الكرامات . وعند ما رآه الشيخ رضى الله عنه ساعة قدومه ومقابلته له
ملكه ألفين وخمسمائة من الجن يخدمونه ، وصحب الشيخ رضى الله عنه بالملزمة
بعد أخذه عليه للطريقة تسعة أيام ، فبلغ فيها قصده ، وعلا بها مجده ، ثم استأذنه

بالحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فأذن له ، وسافر من عنده كأنه البحر الزاخر ،
والسحاب الماطر ، فأقام رضى الله عنه أولاً بالدامر ، ثم ارتحل إلى سواكن وأقام
فيها أياماً .

حدثني عمر كشة في عام حجبنا قال : كان الشيخ حسيب رضى الله عنه هنا
معنا بسواكن فصرع الجان أحد أولادنا فبادرت إليه به ، فوقع على ذلك الولد وخنقه
بيده ، ثم أمرنا بحمله إلى محلنا وزال عنه الصرع من حينه ، واستمر معافى إلى أن
مات . وأخبرني بعض أعيان سواكن فقال لي : ما رأيت أحداً لا يبالي بالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر من سلطان ولا ظالم ، كالشيخ حسيب رضى الله عنه ،
ثم من بعد إقامته بسواكن توجه إلى مكة المشرفة وأقام بها ، وانتفع به خلق
في الطريق لا يحصون عدداً . وكان أهل مكة شرفها الله يكثررون الميل إليه جداً
ويقدمونه على غيره من الصالحين الواردين عليهم ، ويرون أنه في السماوات فريدٌ
وحيدٌ .

ومن كراماته رضى الله عنه أنه كان له مريد غرق له صندوق بالبحر الملح ،
وكان فيه من الأموال عدد كبير ، فوقع على قدمه يريد صندوقه ، فأمره رضى الله
عنه بالدخول في محل خاص به فدخل فوجد فيه صندوقه وهو يقطر ماء . ومنها
أنه كان يخرج من مثلث أبي حامد الغزالي ما شاء من دراهم ودنانير وغيرها ، وربما
أخرج منه جرة النار عند الاحتياج إليها ، كما أخبرني بذلك تلميذه العارف بالله
تعالى السيد الحسن الميرغني قدس سره ، وربما فعل نحو ذلك من غير وفق بعمله .
ومنها ما أخبرني به العالم الصادق الفقيه الدسوقي بن الخليفة محمد ولد الفقيه إدريس
ولد دوليب القاطن بخرسى ، قال : سمعت والدى يقول كان عندنا سيدى الشيخ
حسيب بن إمام رضى الله عنه بخرسى فقال : ألا ترون أنى الآن جالس بينكم ،
قلت : نعم . فقال : ولكنى طائف بالسبع الأرضين . وكان رضى الله عنه إماماً
في كل علم ، لا سيما علم الحرف ، فإنه فيه ثالث لأبى حامد الغزالي ، وأحمد البوني

رضى الله عنهما . ومما كان يترنم به من الشعر في بعض الأحيان هذه الأبيات ،
وهي لغيره ويبدل منها منيباً بحسب :

حسب فرّ عن أهل ومال يسبح من المكان إلى المكان
ليخمل ذكره ويعيش فرداً ويظفر في القيامة بالأمان
تلذذه التلاوة حيث ولى وذكر باللسان وبالحنان

وممن وصل به إلى الله تعالى وانتفع به ونفع الغير سيدي العارف بالله الشيخ
أبو الحسن ابن الشيخ عبد الكريم ابن القطب سيدي الشيخ محمد السمان
قدس سره ، وانبجحت طريقته على يد المذكور ، وليس لأولاده بالمدينة المنورة
سند غيره في طريقته السمانية . وممن أخذ على أولاده ، وانتفع ، الشريف أحمد ولد
طه الحسني المقتول عند ثورة المهدي بحمله بالشرق ، وهو بين رفاة وأبي حراز ،
والعارف الرباني ، والقطب الفرداني ، سيدي السيد الحسن ابن الختم السيد محمد
عثمان الميرغني نفعنا الله به ، كما شاهدت ذلك عياناً في مناقبه التي ألفها خليفة
الخلفاء الخليفة ابن إدريس بن الخليفة النصيح ، فراجعهما إن شئت . وممن أخذ على
السيد الحسن رضي الله عنه الطريقة السمانية بسنده المذكور القاضي محمد ولد حثيك
والفقيه الحسن ولد الفقيه إبراهيم زهرا ، والحاج ضياب العبدلابي المجذوب . وكان
يصرح لكل أحد ويقول : أنا سماني . وقد رأيت عام سبع وسبعين بعد المائة
والآلاف بالحلّالين عند مجيئه للعارف الشيخ القرشي لمسجده وطلب منه أن يأمر
تلامذته بقراءة التوسل السماني ، فلما قرأوه أمرهم أن يكتبوه له فكتب ، فأخذه
ووضعه في جيبه حتى رجع بعد ذلك إلى منزلته . وممن أخذ على الشيخ حسيب
وانتفع به الفقيه الصديق الأمين ابن الفقيه حمد ولد المجذوب ، وولده العالم العلامة
الصالح العابد الشيخ حسيب ، والشيخ أحمد التكروري المدني ، والشيخ عبد السلام
الصعيدى نزيل القورة من أرض الريف ، والشيخ عبد الغفار القاطن بجدة

توفي الشيخ حبيب رضي الله عنه بمكة مسموماً ودفن بالمعلاة ، وقبره هناك معروف عند أحابيه .

ومنهم صاحب الأحوال والشطحات ، والتصريف والكمالات ، سيدي الشيخ محمد ولد علي ولد غلام الله الركابي رضي الله عنه ، كان رحمه الله من تلامذة الشيخ أحمد ولد عيسى الأنصاري في العلم ، ثم صحب الشيخ رضي الله عنه في الطريقة بإشارة من شيخه المذكور ، فكثرت عليه الشطوح والحال . وكثيراً ما كان يقول بين يدي الشيخ رضي الله عنه : أنا القطب ، ولم ينكر عليه أحد من أقرانه . وكان رضي الله عنه كثير العبادة ، وربما دخل الخلوة الأربعمائة بالقرظ دون غيره . وكان رضي الله عنه عطافاً ، فلا تجد أحداً من الظلمة في عصره إلا وهو خائف من سطوته ، وقد بطش بأقوام لا يحصون عدداً . وكان رضي الله عنه يخبر بالأمور قبل وقوعه . ومن كراماته ما أخبرني به تلميذه العلامة الفقيه محمد ولد التهامي قال : كثيراً ما كنت أراه إذا دخل بيتاً أو خرج منه لا يطلب بابه ، بل يدخل ويخرج من أي محل شاء .

ومنها ما أخبرني به أحمد ابن الشيخ الحسن وغيره قالوا : كان للشيخ رضي الله عنه تلميذ يقال له أحمد الصادق فرض ومات ، فلما أخبر به ذهب إليه وأمره بالقيام وهو على حالة استغراق في جلال الحق تعالى وعظمته ، فقام حالاً لوقته وعاش زمناً ، وهذه الكرامة في بلاده أشهر من نار على علم . ومن مكاشفاته رضي الله عنه ما أخبرني به أحمد ولد رملي الحامداني قال : كان في عهد سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه رجل رأى مناماً أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل عاتقه فجاء إلى سيدي الشيخ فقبل ذلك الموضع من غير أن يعلمه الرجل بذلك ، ثم ذهب إلى الشرق فالتقى بالشيخ محمد ولد علي رحمه الله ، فلما وقع بصره عليه عدل إليه وقبل ذلك الموضع كما كان من قبل الشيخ رضي الله عنه .

ومنها ما أخبرني به الحاج العباس ولد نصير السرورابي قال : حدثنا يوماً وهو ببلاد العطش بموت خاله أحمد ولد أبي يزيد حين مات وهو بواوسي فما أتت علينا أيام قلائل إلا وقد جاءنا الخبر بوفاته في ذلك اليوم الذي أخبرنا فيه . ومنها ما حدثني به الشيخ أحمد ولد الشيخ حسن ولد محمد ولد جبور قال : حدثني والدي أن الشيخ عید ولد الرضى وصاحب طاقيتهم ، قد تعدى على امرأة تلميذة للشيخ وأخذ جميع أموالها ، فشكته على الشيخ فأمره برد ما أخذه منها ، فخشى من الشيخ ورد جميع ما أخذه منها إلا عبداً واحداً فامتنع من رده ، فقال الشيخ : رده عليها وإلا أخذنا منك طاقة الملك وعزلناك من منصبك هذا فأبى ، فصاح الشيخ بأعلى صوته وقال : يا خورشيد باشا — وكان ذلك في أيام ولاية الباشا المذكور — إني قد عزلته وحولت منصبه إلى الشيخ أحمد ولد أبي جن فاعزله ، فما أتت عليه ثلاثة أيام، إلا وقد جاءت كتابة من الباشا المذكور بعزله وإقامة الشيخ أحمد ولد أبي جن ، وقد استمرت في أولاده إلى يومنا هذا . وله رضى الله عنه من الكرامات والمناقب ما يعجز الكتاب ، ويأخذ بمجامع الأبواب ، وهى شهيرة فلا نطيل بتعدادها . وقد أرشد رضى الله عنه في الطريقة رجالاً لا يحصون عدداً ، منهم الشريف بله ولد رحمة الله الحسنى رضى الله عنه وأولاده طه ، الشيخ محمد ، والفقير النيل ، والشيخ العربى ولد البكرى ، والشيخ بله الأُمى ، والشيخ أحمد الصادق ، والشيخ محمد ولد مسكين ، والشيخ عبد الوهاب ابن الشيخ إدريس الأبيضاوى ، والشيخ أحمد الجمل ، والشيخ الطيب ولده ، والشيخ دفع الله ولد الشيخ الضو الركابى أخو الشيخ الطيب راجل السوكى ، والشيخ حسن ولد محمد ولد جبورابى ، والفقير إدريس ولد أبي عثمان المشهور بتعليم القرآن ، والعالم العلامة الشيخ محمد التهامى الباسطابى ، والشيخ الصديق ولد قدورة ، والشيخ كرار والشيخ دفع الله ولد البكرى وغير هؤلاء مما لا يحصون عدداً . توفى رضى الله عنه بموضعه المسمى بعد الطين من القصارف ودفن به ، وقبره ظاهر يزار .

نبذة

تتعلق ببعض أحوال تلميذه العارف بالله تعالى
الشريف بله ولد رحمة الله الحسنى المتقدم ذكره آنفاً رضى الله عنه

كان من أجل وأعظم تلامذة الشيخ محمد ولد على ، وكان بعد ما أخذ الطريقة
على شيخه المذكور قد دخل الخلوة مدة سبعة أشهر بجزيرة أم سنط أيام الصيف
ولا زال في الخلوة إلى أن طلع عليه البحر ونزل، بسورة الكوثر ، وقد ملك فيها
ملوك الجان السبعة ، وقد تصرف بهم في كل ما أراد وظهر بالكرامات والخوارق
بين أهل تلك البلاد ، فما من خفي إلا وأظهره ، وما من جبار إلا وقهره ، قد ارتفعت
من بأسه ملوك تلك الجهة ، وكان مهاباً لا يعصى ولا ترد له كلمة . ثم انتقل من
موضعه بأم سنط إلى قلى من جبال إدريس ، وهناك قد فعل العجب من التصرفات
والتأثير الذى شاهدته العيون وقرت به الألباب .

حدثني ولده الشريف أحمد قال : كنت معه في مركب وكانت بيده سبعة
فوقعت في البحر ، فلما صلينا معه الصبح وجدناها أمامه . وقال تلميذه الشريف
جبارة : كنا مرة معه ونزل بواد فيه ثعبان عظيم مشهور بالضرر لا يهاب من نزل
بذلك الوادى ، فيأتيه سواء كان ذلك ليلاً أو نهاراً . فلما صلينا العصر مع الشريف
خرج الثعبان من جحره قاصداً جهته ، فلما رآه جمع أصابعه على كفه وأوماً إليه
بسبابته فقطعت رأسه من حينها . وأخبرنى العلامة الشيخ إبراهيم ولد زروق
النافعاني قال : رأيت الشيخ إدريس ولد عدلان مع جلالة قدره يجلس على باب
إلى أن ينتصف النهار ، فإذا دعاه يأتيه هرولة ويجلس جلوس المريد مع أستاذه على
الأرض من غير فراش ، ولا يعتنى به بتقديم طعام ولا شراب . قال : رأيت يأمُر
القلل بالذهاب إلى البحر فتذهب وحدها من غير أن يحملها أحد وتأتى ملائكة ماء ،

ورأيت الطير لا يعلو على زرعه ولا يأكله ، ورأيت مرة سبعة من القردة قد دخلت زرعه فماتت لوقتها ولم يبق منها ولا واحد .

حدثني الشريف محمد بن الشريف النور قال : رأيت لا يلتذ بذكر أحوال أو كرامات أحد من الأولياء ويقول جلسائه : ما عندنا أكثر مما عندهم ولكن إن أحببتم أن تذكروا الأحوال العلية ، والكرامات السنية ، والأخلاق الحمدية ، فعليكم بسيرة خاتمة الأقطاب المحمدين ، وعمد الأولياء الواصلين سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه ، فإنه الإمام الذي يقتدى بأدابه ، ويتبرك العارفون بثري . أعتابه ، فسيروا على منواله ، وتمسكوا بأذياله ؛ فإنه الإكسير الذي يقرب الأعيان ، والغوث الذي لديه كل الأكابر كالغلمان اه . وقد أرشد في الطريقة ما لا يحصون عدداً ، توفي رضي الله عنه بقل من جبال إدريس ، وقبره بها ظاهر يزار .

ومنهم علم الأسرار ، وكوكب الأنوار ، سمير الحضرة النبوية ، ورب البصيرة النورية ، الشيخ أحمد البصير عبد الرزاق الحلوى . كان رضي الله عنه ضريراً ، وقد لقبه سيدي الشيخ رضي الله عنه بعد الفتح بالبصير فاشتهر به دون غيره . سوكان من أجل تلامذته الشيخ رضي الله عنه ومحجوباً لديه ، وكان الشيخ قدس سره لا يفرش لأحد من تلامذته أمامه بساطاً يجلس عليه إلا له أو لولده سيدي الشيخ مطيع رضي الله عنه ، ويقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الحضرة يفرش لهما . وكان الشيخ أحمد البصير كثير الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم ويشاوره في جميع أموره ، ولم يحجب عنه في وقت من الأوقات ، وكان كثير الاجتهاد والعبادة ، لا يطيب له نوم ولا أكل . وكان ورده في كل ليلة سبعين ألفاً في الهيلة ، ما عدا ورده من القرآن والنفل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثني العلامة الفاضل الفقيه محمد ولد زروق رحمه الله قال : رأيت سبابة قد زال منها اللحم من كثرة إمرار السبحة عليها وبدا بياض عظامها . قلت : وقد

رأيت في إجازة القطب الجامع سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه التي كتبها
للمذكور أنه يقول فيها في حقه : إنه لا يبغضه إلا شقي ، ولا يحبه إلا سعيد
ومن كراماته . ما أخبرني به شيخنا رحمه الله تعالى قال : كنت جالسا يوماً بمجلس
الأستاذ الأكبر سيدى الشيخ أحمد الطيب قدس سره فسمعت يقول لرجل من
تلامذته : اذهب يا فلان إلى القلايين من الجميعاب ، وقل لهم يأتوا إلى الشيخ أحمد
البصير ليضمنهم ، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن له في ذلك ، قال :
ولم يكن البصير وقتئذ بالمجلس إلا أنه حاضر بالبلد .

ومن كراماته رضى الله عنه أنه رأى الحق جل وعلا تسعاً وتسعين مرة ، وقد
قيل زاد على ذلك . ورأيت له كلاماً وهو أنه قال : صليت مرة ركعتي الضحى
ثم أخذتني سنة من النوم فخرجت روحى من جسدى فوقفت بين يدي خالقها
وبارئها وتأدبت وخضعت وقالت : إلهى إن الناس قد أنكروا علينا في الكريه أى
ذكر الله بالصدر والخلق — ، قال : فقال لى الحق تعالى : من أنكرك فقد أنكرنى ،
أى من أنكروا ما أنت عليه فقد أنكرنى . وأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأنه يرشد من التلامذة على عدد بنى والمقربون منهم اثنا عشر . وممن أخذ عنه
وانتفع به شيخ الطريقة العارف بالله تعالى الشيخ الحسين ولد صباحى راجل شبونة^(١)
والشيخ محمد ولد ملك الدار العروابى ، والفقير أبو سبيب البريابى ، والشيخ محمد
ولد الجبارة ، والفقير أحمد البكاى ، والفقير أحمد ولد برى وغير ذلك . توفى
رضى الله عنه عام سبع وأربعين من بعد المائتين والألف^(٢) بالخللاوين ، وقبره عليه
قبة وهو ظاهر يزار .

(١) شبونة : اسم بلدة .

(٢) هذه هي السنة التي توفى فيها الشيخ المجنوب رضى الله عنهما .

نبذة

تتعلق بتلميذه المرشد العارف الشيخ الحسين ولد صباحي المحسى

المعروف براجل شبونة

كان رحمه الله تعالى قد أخذ الطريقة على الشيخ أحمد البصير بالتمد ، موضع الدحلاب عند قدومه للكواهلة لإيقاع الصلح بينهم وبين الحلاوين بترك الحرب بينهم ، وذلك عام أربع وأربعين بعد المائتين والألف ، فأعطاه الطريقة وأدخله الخلوة الأربعينية بالحل المذكور . ثم إن الشيخ أحمد البصير سافر في ذلك العام إلى بناء قبة أستاذه القطب الأعظم سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، ومن بعد مجيئه أجازته في الطريقة . ثم بعد وفاة الشيخ أحمد قد انتقل الشيخ الحسين إلى الصعيد ونزل بشبونة التي قبره الآن بها ، وصحب الشيخ محمد التوم ولد بان النقا صحبة محبة ووداد لا طريقة ، وكانا في المحبة والاتحاد كالرجل الواحد . وكان الشيخ محمد التوم يحله إجلالاً عظيماً ، ولم يؤثر عليه أحداً من تلامذته ولا من أهله . وقد سلك الشيخ الحسين مع الشيخ محمد التوم طريقاً في الصحبة ما سلكه غيره . قال شيخنا : سأله بعد وفاة الشيخ محمد التوم وقلت : هل تحب أن تصحب أحداً بعده ؟ قال ، فقال لى : لا أستطيع صحبة أحد بعده . وكان رحمه الله قد بلغ من مجاهدة النفس ، وسلامة الصدر ، وطهارة الباطن ، وتركية النفس الغاية القصوى ، وما يظن من رآه أنه ممن تكتب عليه خطيئة .

حدثنى تلميذه وملازمه سليمان ولد خالد وغيره من تلامذته : أنه كان يمكث الشهر لا يشرب الماء ، ولا يأكل الطعام إلا قليلاً . وكان لا يتأذى بكلام المؤذنين له ، وإذا ضاق صدره من أمر رفعه إلى سيدى الشيخ محمد التوم ويقول : لا طاقة لنا به . وكان الشيخ محمد التوم رضى الله عنه يزوره في محله ، وذلك بعد

زيارته لجده الشيخ بان النقا ، ولا زال على ذلك إلى أن توفي . وكان إذا عرض أمر منعه من زيارة جده المذكور أرسل نائباً بدله للزيارة ، ويؤكد عليه بعد زيارته للشيخ بان النقا بزيارة الشيخ الحسين ، وإذا رجع النائب ولم يزر المذكور فإنه يرده ثانياً لزيارته ولو وصل بعقبه . وله كرامات شتى ، وبركات عمت الآفاق . وقد أخذ عنه الجم الغفير من الفضلاء ، وخلف في الطريقة نحو مائة خليفة ، وكلهم كانوا على نور من ربهم ، وذكر وشكر وتوير حال . وما بايعه أحد في الطريق إلا وانتفع به لصفاء باطنه . وكان إرشاده عامّاً تامّاً ، وكانت له تلامذة كثيرون جداً . كادوا أن يقاربوا تلامذة الشيخ محمد التوم في الكثرة . ولما كان آخر عمره قدم إلى الخلاوين هو وتلامذته ، وبني على شيخه الشيخ أحمد البصير قبة جميلة ، وهي باقية إلى يومنا هذا ، وكان قد أعانه على بنائها شيخنا ، فأتمها على أحسن حال ، وأرخ بناءها بعض الناس بقوله :

فِي كَبِّ حِجَّتِهِمْ فِي عَامِ حِلْمٍ قَصَّتْ بَنِيَّةٌ وَبِهَا شَيْخُ الْوَرَى قَبْرًا^(١)
ومن بعد بنائها قد رجع إلى محله وتوفى به ، وذلك سنة ألف ومائتين وتسع وسبعين وقبره ظاهر بتلك الجهة يزار .

ومنهم واحد العصر والزمان ، وإمام وقته في السر والإعلان . أديب الأدباء ، وسلالة الصالحين النجباء ، أحد الأعلام المشار إليهم بالاطلاع في عالم الغيب ، والمتصرف في البعيد منه والقريب . شيخ الطريقة ، ولسان الحقيقة ، من بلغ صيته المشرق والمغرب ، وعلا على الشعري منه القدر والمنصب ، صاحب المكاشفات الملكوتية ، والمحاضرات القدسية ، والأسرار الدنية ، والهمة العرسية . البالغ من الكمالات غايتها ، ومن الفضائل نهايتها ، من لا يحاذى في وقته بإنسان ، ولم يجاره فارس من فرسان الطريقة في ميدان . أبو الفيض ، شيخنا العارف بالله تعالى

(١) أي في ٢٢ من ذي الحجة في عام ١٢٧٨ هـ بنيت قبة الشيخ البصير .

الشيخ محمد التوم ، بن الشيخ بان النقا ، بن الشيخ هجو الأحمر ، بن الشيخ عبد القادر ، بن الشيخ هجو ولد حماد ، الحسيب النسيب .

كان رضى الله عنه طوداً في العلوم ، وقد أخذ الطريقة البهارية القادرية في ابتداء أمره على أبيه ، ثم على خاله الشيخ مضوى ولد مرزوق ، واجتهد اجتهاداً كثيراً ، فلم يجد مطلبه على حسب علوهمة ، فحذبتة عنايته السابقة بتعلق قلبه بلسان الوقت وإمامه ، القطب الأعظم ، سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، فاشتاق إلى الوصول إليه ، والمنول بين يديه ، اشتياق الروض إلى الطل ، والمهجور إلى الوصل ، وأكثر من زيارة من في قربه من تلامذة سيدى الشيخ رضى الله عنه ، كالشيخ يعقوب ولد على الدوينى ، والشيخ محمد ولد على الركابى وغيرهما . واستغرق في محبة الشيخ استغراقاً ، بحيث أنه كاد أن يترك الطعام والشراب من تأثير محبته في باطنه . ثم سافر إليه لأخذ الطريقة ومعه جماعة ، فلما قرب أخبر الشيخ رضى الله عنه تلامذته بقدمه عليه بقوله : الآن سيقدم عليكم أديب الأدباء . فلما وصل وبايمه سيدى الشيخ رضى الله عنه في الطريق قال له ، كما أخبرنى بذلك الشريف عبد الله بن إمام عن خاله الشيخ مضوى ولد شابلى ، عن شيخه الشيخ محمد التوم المذكور : أنت تلميذى من وقت ما كنت في بطن أمك . ثم إنه من بعد أخذه الطريقة اشتغل بخدمة الشيخ رضى الله عنه ، تارة يسقى الماء ، وتارة يحتطب ، وأمره بخدمة جدتنا فاطمة بنت عبد الجبار ، فكانت خدمته جميعها في بيتها ، وكان يهدى لها الهدايا الفاخرة ، ولا زال على ذلك إلى أن توفى . وقد حزنت عليه حزناً شديداً ، وذلك لشدة نفعه لها ومحبتها له ، وكذلك أولادها ، وجعلوا له مأتماً جمع جميع أهل البلاد ، وذبحوا الذبائح الكثيرة صدقة له . وبكى عليه الناس كلهم وأتتهم القبائل من كل جهة يعزونه في رضى الله عنه . وكان عند مجيئه للشيخ رضى الله عنه مؤذى أذى شديداً من جهة إخوانه أولاد

بهاء الدين ، وذكر له ما كان منهم وأذيتهم له بالأحوال ، وإخراجهم له من موضع
أبيه ، وذكر له من أحوالهم ما يخالف الشرع . فقال : إن الطريقة واصلة لا يضرهم
ذلك ، وستجد منا راحة إن شاء الله تعالى ، وتكون بركتهم ومليحاً لهم الجميع .
وكان الشيخ محمد التوم رضى الله عنه ليس عنده أخ شقيق ، إنما عنده شقيقة ،
وكان في غاية الضعف بينهم ، وكان لا يسمى بين إخوانه وبنى عمه إلا شيخ بى إيدو
أى شيخ بيده ، يستهزئون به كلما جلسوا . وفي قصيدته التي مطلعها : مقام الوصل
بلغوه الرجال ، ما يفيد السامع من أذيتهم له ، وضيق صدره منهم علماً كبيراً بحالهم
معه . ولما أكثروا من أذيته انتقل من موضع أبيه المعروف بولد سعد واستجار
امراًة من القونج يقال لها عالية بنت الملك بادی الجحمان ، واستوطن المحل المذكور ،
فبرزت فيه شمس إرشاده ، وهطلت سحائب إمداده ، ولازال به إلى أن توفي
ودفن به . ولترجع إلى ما نحن فيه .

فلما أخذ الطريقة كما ذكرناه آنفاً ، لازم الخدمة بصدق القلب والإخلاص ،
وأمره الشيخ رضى الله عنه بترك الخدمة ، وذلك بعد سبعة من الأيام ، وقال له :
أنت لست محتاجاً إلى نفس الطريقة والتلقين ، إنما احتياجك إلى قطع عقبات
النفوس ، وقد طويت لك في هذه الأيام السبعة مسافة عقبات النفوس السبعة :
الأماره ، واللوامه ، والملمهه ، والمطمئنه ، والرضيه ، والمرضيه ، والكامله . ووهبت
لك مقام جدك الشيخ موسى ولد يعقوب . وكان رضى الله عنه من الأفراد ،
وملكتك أرض الصعيد ، وفتحت لك ما كان مغلقاً عنك .

حدثني الشيخ عبد القادر ولد باری النقاد رحمه الله تعالى ، عن حضر ذلك
الكلام من تلامذة سيدي الشيخ رضى الله عنه قال : فقال له إن الصعيد فيه
الشيخ محمد ولد على ، فسكت سيدي الشيخ ، فأعاد عليه الشيخ محمد التوم رحمه الله
تلك الكلمة ، فقال له : حتى على الشيخ محمد ولد على . قلت : وشاهد هذا

إنه لما أراد الله إشراق شمس سيدى الشيخ محمد التوم توفى الشيخ محمد ولد على ، فذهبت تلامذته إلى الشيخ محمد التوم وأخذوا عليه الطريق ، كالشريف عبد الحى ، والشيخ على ولد جريو وغيرهما . وصار الشيخ منفرداً بالإرشاد فى أرض الصعيد والتصرف ، فلنرجع إلى ما نحن بصدده . فمن بعد خدمته وإفاضة عليه بما ذكر ، كتب له الإجازة فى الطريقة السمانية ، وأمره بالرجوع إلى بلده . فاستأذنه أن يذكر فى الحلق كعادة ذكر آبائه ، فأذنه وقال له : كل ما كان لله أذنتك فيه ، فإن الطريق إلى الله واحد . فرجع واجتهد فى الطريقة اجتهداً كثيراً . واجتمع بعد رجوعه بالشيخ تاج الدين أبى كلوة ، وكان من أقاربه ، فلامه فى أخذه الطريقة على القطب الأعظم سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، وكان الشيخ محمد التوم قد جاء للمذكور متادباً كاشفاً رأسه خالفاً نعليه متحرزاً بثوبه . أخبرنى من أثق به من اليعقوب باب وغيرهم قالوا : فلما سمع الشيخ منه ذلك اللوم والعتاب لبس نعليه أمامه وتقمع وحل الحزامه منه وقال له : كنا نظن أن قصدكم من سلوك طريق أهل الله وجه الله تعالى ، وإن مقصودكم هو ، لا غيره من الحظوظ النفسية ، فلما علمنا منكم ذلك صرنا حبلكم ، وقطعنا فيه وصلكم . وأما من حيث القطب الذى لمتنى فى أخذ طريقه ، فإنك لو علمت ما عنده لما لمتنى ، ولكن من لم يذق العسل لا يعرف حلاوته :

دع عنك تعينى وذق طعم الهوى فإذا عشقت فبعد ذلك عنف
وأشد لسان حاله قائلاً :

أيها العاذلون عذلى دعوته فأنا من بحبهم سلبوه
لا تلوموا فليس يجدى ملائى إذ فؤادى من قبضتى أخذوه
كيف يسلو قلب المعانى معانى ومعانى من بالهوى فتنوه
لولب القلب ما لواه خلى مذ إليهم بهم لهم جذبوه

كل من نال بالملام فهذا من شراب الغرام ما ذاقوه
لم يحل سلوة وإن هم سلوه فسلوه عن حاله أنصفوه
كل مرمهم حلو وعذب ذاك عذب إن لم يكونوا قلوبه
أو بعد العيان والذوق سلوى لحب إليهم قد دعوه
لاو حق الهوى وطيب التدانى وزفير الفؤاد إذا قربوه
ما بلى ثوب من بلى بالغرام من بلى إذ جماله شهدوه
هكذا الحب فاقصد برجال صدقوا الله فى الذى عاهدوه

ومن كمال صدقه فى شيخه ، أن كل عدوله من أهله وغيرهم ما مات حتى وضعه تحت قدمه ، والجميع قد احتاجوا إليه من بعد نفورهم عنه ، وكرهاتهم له ، إلى أن صاروا لا ينسبون إلا إليه ، مع كثرة آبائهم وولائتهم ، وعظمتهم عند الله تعالى ، وذلك بسبب صدقه ، والتفات الشيخ إليه . قال الشيخ محمد النور ولد عربى رحمه الله تعالى : ما رأيت سيدى الشيخ رضى الله عنه ينسب لأحد منة عليه إلا لسيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، وكنت ملازماً للإجازات وكتابتها ، فما رأيت إجازة صدرت منه عليها ختمه إلا وهى بسند سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، قال : ونحن على ذلك ، ومن شذ عن ذلك فقد انقطع عنه المدد من حيث لا يدري ، وخان إمامه المذكور ، « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

حدثنى الشيخ عبد القادر ولد بان النقا رحمه الله تعالى ، وكان من الوارثين لحال الشيخ ، ومن المقر بين عنده ، والمبجلين لديه ، قال : جاء رجل من اليعقوباب فقال للشيخ : أعطنى طريقة جدى الشيخ بان النقا الضرير أبى يعقوب . فقال له : أبشئ لى من قبره حتى أباعه ، وأعطيك بعد ذلك طريقه ، ثم قال : ليس عندى طريقة أعطيها لأحد ، إلا طريقة القطب الأعظم ، سيدى الشيخ أحمد الطيب ، رضى الله عنه .

صادق ما خان عهداً أبداً ولذا للقصد كلا وجدا
ما لهته النفس حتى قال ما فيه حال موجب سوء الردى

فلنرجع إلى ما نحن فيه فنقول : ثم إنه بعد أن أذنه سيدى الشيخ رضى الله عنه بالرجوع إلى الصعيد رجع واجتهد في الطريق اجتهداً كثيراً ، فانهل عليه من سمائها فيض غزير ، وانقاد إليه الناس ملوكاً وأحراراً ، وعبيداً وأخياراً ، وسعداء وأبراراً ، وأشياخاً وشباناً ، وعرباناً وعجماناً . وكان رضى الله عنه محبوباً عند الكافة ، وجيهاً في الدنيا والآخرة ، وكان قد أثنى عليه الصالحون والأخيار كثيراً . فمن ذلك قول شيخنا في حقه : إنه وضع قدمه على قدم أبى القاسم الجنيد . حدثنى الفقيه المكي ولد مساعد ، صنو الخليفة الماحي ولد الجبارة ، قال : سمعت سيدى السيد الحسن الميرغنى رضى الله عنه يقول : ما بقى من الأولياء المرشدين في يومنا هذا إلا اثنان : والدنا السيد محمد عثمان بمكة ، والشيخ محمد التوم ببلاد السودان . ومن أدبه رضى الله عنه وتواضعه أنه لا يرى نفسه فوق أحد من الخلق ، بل يراها دون كل شخص ؛ ولذا أعطاه الله تعالى من الرفعة والمكانة والشرف ما لم يعطه لأحد في بلادنا . وقد جاء في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم : « من تواضع لله رفعه » الخ . وقد دفن المترجم نفسه في أرض المحول ، وما أحب الوصول حتى أحبه الوصول ، وما تكنى بكنية زور ، ولا تمشى في طريق الغرور .

فياليت أنى قد رأيتـه ساعة وشاهدته حتى ولو لمح ناظري
ثوى في فؤادى حبـه فأنا به ألوذ دواماً في العشا والبواكر
فما خان عهداً في الطريق ولا ولا يميل النفس أو حديث الخواطر
فمن كان من أهل الطريقة ماشياً على نهجـه فليشرن بالبشائر

ومن تواضعه وكمال محبته ، أنه كان إذا قدم عليه إنسان ، وأعلمه أنه من جهة سيدى الشيخ ، فإنه ينزل من فراشه ، ويتأدب معه أدباً ، كأنه بين يدى الشيخ رضى الله عنه .

حدثني تلميذه الشيخ علي ولد شرف الدين الحلاوي قال : جاءه رجل يقال له طلحة الفلاتي ، وأنا بين يديه ، فقال له : إني كنت سابقاً أخذت الطريقة على سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه واليوم أحب أن أجدها عليك ، فانقبض الشيخ من كلامه وقال له : لا طريقة لك عندنا ، بعد أن أخذتها على القطب الأعظم ، ولكن أخوة ووداد ، فأنت أخي وأنا أخوك . وكان عند نزول سيدي الشيخ إبراهيم الدسوقي بسنار وسماعه به ، أمر بطعام فصنع وحمله من محله على رأسه إلى أن وصل به سنار ، ولم يكن أحد يساعده فيه ، وقال لتلامذته : كل منا ومنكم أدبه مع شيخه .

حدثني سيدي الشيخ أبو صالح بن القطب سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه ، قال . كنت يومئذ مع الشيخ إبراهيم ، فلما وضع الشيخ محمد التوم الطعام بين يديه تعجب من ذلك جميع أكابر سنار ، وشهدوا بفضله وكاله ، وملكه لنفسه ، ، وصدق محبته قال : فلما رأيت حاله طلبت منه إعطاء الطريق ، فأعطاني إياه ثم قال لي : كذلك أنت اعطني الطريق ، فقلت له : لم ذلك ! فقال : ليخف عني وعنك أثقاله . فأعطيته إياه ، كما أخذته أولاً منه ، ثم طلب الشيخ إبراهيم غسل ثيابه في ذلك اليوم ، فأخذها الشيخ محمد التوم وأمرني أن أذهب معه إلى البحر : فصار هو يغسل ، وأنا أصب له الماء ، إلى أن فرغ منها ، وكان الوقت صيفاً فأثر الحر فيه تأثيراً شديداً ، ولم أره تأثر منه ولا تأذي ، بل في غاية الفرح والسرور اه . ومن شدة محبته ، وصدق نيته ، أنه لما توفي والدنا سيدي الأستاذ نور الدائم ، أرسلت إليه رسالة بوفاته ، فبكى عليه كثيراً وحزن حزناً شديداً ، ثم أمر بتلك الرسالة فخيّطت في وسادته التي ينام عليها ، ولا زال حافظاً لها إلى أن مات ، رحمه الله تعالى ، ثم رأيته عند خليفته من بعده ، وكان يجالها ويصونها ، ولا أدري هل هي الآن موجودة أم أخذتها يد الضياع .

ومن كراماته رضى الله عنه ما أخبرنى به أحمد ولد الشيخ الرازق قال : سافرت فى بعض السنين وضللت عن الطريق ، وكان الحبل مخوفاً فاستعنت ، بسيدى الشيخ رضى الله عنه ، فرأيتـه يمـشي أمامى وعليه قميص ، وما زال ماشياً أمامى إلى أن أوصلنى بيوتاً فيها بعض من الناس ، فانصرف عنى .

ومنها ما حدثنى به الفاضل الكامل الشيخ عبد القادر ولد بان النقا ، رحمه الله تعالى ، عند اجتماعه بنا فى الأبيض عهد المهديـة قال : كان رجل من تلامذة سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه مقبياً بموضع ، فمر الشيخ عوض الجيد الخالدى رحمه الله تعالى على ذلك الموضع ونزل بقرب الرجل المذكور ، فلما رأى جمال الرجل ونورانيته غبطه ونوى على مصادمته بالحال ، فهياً الله له كلبـيده ، وهى معروفة بين أهالى الصعيد ، فرمى بها ذلك الرجل فتلقاها سيدى الشيخ محمد التوم برجله وصرفها عن الرجل قبل أن تصل إليه ، فصار الشيخ عوض الجيد يتعجب من همة الشيخ وماصنعه ويقول : لله درك يا توم . وكان المجلس غاصاً بالناس ، فتعجب الجمع من كلامه الذى قاله من غير مناسبة ، ثم قال : من لم يترك له أبوه أخاً مثل الشيخ محمد التوم لعبت به الرجال . فصار أهل المجلس يسأل بعضهم بعضاً عن معنى هذا الكلام ، فلم يعرفوه حتى أخبرهم به تلميذه سيدى الشيخ أحمد الطيب المذكور . ومنها ما أخبرنى به العالم الفقيه إبراهيم ولد زروق رحمه الله ، وكان من تلامذته فى الطريق ، قال : توجهنا إلى الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم عام تسع وخسين من بعد المائتين والألف ، وكان الشيخ يومئذ على قيد الحياة قال : فرأيتـه يوم وقوفنا بعرفات ، وهو واقف معنا ، وعلى عاتقه قربة مملوءة ماء ، وهو يستقى الناس منها ، فلما دنوت منه أعطانى كوزاً فيه ماء فشربت منه ، وأردت أن أقبل يده فحجب عنى رضى الله عنه . ومنها ما هو أشهر من أن يذكر . وهو أن رجلاً اتهم ببلاد الغرب بقتل شخص فحبس فى سجن ملك تلك البلدة ، فاستغاث بسيدى

الشيخ محمد التوم رضى الله عنه ، وذلك فى ليلة عيد فلما تجمعت الناس . وارتفعت الشمس خطفه بقيوده ووضع فى حلقة والناس ينظرون ؛ والأصح فى هذه الرواية أن الشيخ خطفه ليلاً وأمر من معه من الفقراء بكتان أمره .

ومنها ما أخبرنى به الرجل الكامل الفقيه، أحمد ولد الفقيه عمر بن الفقيه أحمد ولد بقادى رحمه الله ، قال : إن رجلاً من بنى عمنا أولاد بقادى لغز الشيخ رضى الله عنه بكلمة علمية ، فمن ذلك اليوم مارئى أنه صلى وقتاً من الأوقات وسلب منه العلم والقرآن . ومنها أن الفقيه أحمد ولد سوميت أحد علماء سنار ، لما أنكر عليه جن لوقته حتى أخذه أهله وراحوا به إلى الشيخ فأقيم مدة مقيداً ثم شفى ، وأخذ عليه الطريق وصار فيه من الصادقين المحبين . ومنها ما حكاه الفقيه سليمان ولد أبى شمال قال : كنت مقياً ببعض السنين بشبونه ، مدرساً فيها للقرآن ، فرأيت درويشاً من دراويش الشيخ فأسمعته ما أغضبه من كلمات الإنكار ، فلما جن الليل ونمت رأيت الشيخ محمد التوم واقفاً أمامى ويده عكاز فضرب به الأرض وقال : ألك تصريح فى بلادنا ! فقلت : ليس لى فيها شىء . فقال : إذا طلعت النجمة — يعنى التى تخرج قرب الفجر — وأنت بمحلك هذا يكون طلوع روحك معها ، قال : فانتبهت مذعوراً خائفاً لا أشك فى وقوع ذلك ، لما تحققت من حال الشيخ رضى الله عنه ، فأسررت بهذا الكلام إلى بعض تلامذتى وقلت لهم الحقوا بى فإنه لا إقامة لى بعد هذا بهذا المكان . قال : فمشيت وحدى خوفاً من وعيده ، فلما طلعت النجمة خرجت إلى بلاد أخرى ، وما عدت إلى ذلك الموضع إلى يومنا هذا خوفاً من سطوة الشيخ وبطشه اهـ . قلت : والذي أقول به إن كرامات الشيخ لو كتبت لملاّت مجلدين ضخمين ، وفيما ذكر كفاية لأولى البصائر . وقد أثنى عليه رضى الله عنه نظماً ونثراً خلانق لا يحصون عدداً .

فمن ذلك قصيدة الفقيه عبد الله ولد الفقيه محمد على العباسى ، التى امتدحه بها على سور القرآن ، وهى قصيدة لطيفة المعنى منها :

قمر كساه الله نور جماله
وأسح ماء المزن في أسحاره
قرب الحديد حصونه وفتونه
وليوم حشر السالكين بسوچه
كم أم صف القوم عند وفودهم
ترك النفاق منافقون بوغظه
بت الطلاق لهذه الدنيا كما
فالذا حوى الملك المحصص فيهما
إلى أن قال :

لولاك قد عبس الزمان وكورت
إلى أن قال :

في الله ما ألهاكم الفير السوى
ويل لكل الباغضين لكم كما
إلى أن قال :

والدين دين الله أنت وليه
إلى أن قال :

قد جاء نصر الله والفتح الذى
تبت يدا أخصاسكم تباً لأن
ولكم مدا فلق الصباح مواهب
وقد أرسل إليه من رفاعة بعض محبيه ، وهو الفاضل الأديب الشيخ بابكر
بدرى قصيدة امتدحه بها وهى هذه :

نار الدجى وتباجت أغساقه

وخباله الرحمن خيبة مكرم
سح الغديق الناشئ نحو المشام
تزرى مجادلة الحديد الدخيم
يوم امتحان ويوم عيد المسلم
في جمعة أوداجها الليل العمى
إذ بان غبن في تغابنهم شم
آل عن الأخرى بتحريم حمى
وأنيّل سر النون والقلم السمى

شمس القلاح فلا فلاح لآدمى

والعصر عصرك فاعطنى أو أحرم
صبت على الفيل الحصاة وكم رمى

والكوثر الصافى سقاية من ظمى

عم البلاد فصيحها والاعجم
واليت بالإخلاص ذكر الدائم
يا واهباً للناس هب للناسم
وهو الفاضل الأديب الشيخ بابكر

وزهت تطول على الضحى أعناقها

والكون زان وأسفرت أرجاؤه
ربت الجزور وأينعت ثمراتها
من عهد ما برز الذي من أجله
وتدلت الأغصان تحمل أنعمًا
لم لا وبدر التوم منذ تمامه
كلا ولا عرض الخسوف بموته
أحمد فلا تهم باب التقي
كل الأنام ببركم متيمن
إن كان من كرم أتى وكرامة
فالجود بالمشهود والمكنون قد
ومن الكرامات الخوارق أنه
مستمك متمذهب متنسك
ولأرنب ذبحوا بمديّة صائد
وكذا ابن كنان بدت له السن
فالشيخ ابن الشيخ جده فاضل
كل بنو يعقوب شمس هداية
هل ضامر ومضمر من أجله
يادرة زان المهاد بضمها
كم كاسد في العاجلات وآجل
ومكبل بالمعضلات يؤمكم
هذا أبو بكر بيا بك عاكف
يشكو إليكم ضر دهر مسه

وتهطلت للمستقى أوداقه
والزهر راق وظلت أوراقه
حاز الولاية في الوري أسباقه
ودنت فيجنى ما يشا مشتاقه
ما كان من نقص عراه محاقه
بل لا يزال على المدى إشراقه
للداخلين بغيركم إغلاقه
وبذكركم يحلو الحديث سياقه
فالشيخ كم عمرت بذا أسواقه
شهدت به لأولى النهى آفاقه
لم يستفزه عن الهدى إحراقه
لم يخط عن نهج الهدى إنساقه
أحي ومن بعد الشرى إطلاقه
من فيه إذ يبدولها مصداقه
متسلسل في الكاملين لحاقه
لكنه خضعت إليـه رفاقه
متساويان إذا أريد سباقه
ومفـاخر بدر السماء نطاقه
بك صار من سجن الكسود نفاقه
متحلحل قبل الوصول وثاقه
يرجو إلى خير الأمور مساقه
متجرعاً ما لا يطاق مذاقه

قد الحسين وأخته في عامهم
 مع أنى في المتقدمين حبيبكم
 وخدمت تابوتاً تضمن قبركم
 ثم الصلاة مع السلام على الذى
 وعلى صحابته الكرام أولى النهى
 بصلاحه كل المريد مؤرخ
 ولنا فيه من قصيدة :

فالإسم توأم والحقيقة أنه
 خمر وخمار به قد أسكرت
 فرد بنص شهادة الألباب
 أم وفازت بعد نيل شراب
 وقد أرشد رضى الله عنه في الطريقة رجالا لا يحصون عدداً ، منهم الشيخ
 محمد النور ولد عمرى ، والشيخ طلحة بن حسين الفلاتى ، والشيخ عبد القادر ولد
 بان النقا ، المكنى بأبى الحسنى ، ومنهم الشيخ برير الجملى دفين شبشه ، والشيخ
 خوجلى ولد أحمد الكاهلى ، والشيخ الباقر بن النور الوالى ، والشيخ عبد الله ولد
 الشيخ يعقوب الدويمى ، والشيخ عبد الحى شيخ الشريف العبيد القاطن بأبى رخم
 وقد سأله رحمه الله وقت نزولى عنده ، حين أتينا من زيارة سيدى الشيخ محمد
 التوم ، سنة تسع وثمانين من بعد المائتين والألف وقلت له : هل اجتمعت بسيدى
 الشيخ محمد التوم رضى الله عنه ؟ فقال : ما اجتمعت به فى عمرى قط ، لأن شيخنا
 الشريف عبد الحى كان إذا سافر لزيارة سيدى الشيخ محمد التوم يخلفنى فى المسجد
 ولذلك ما أمكننى رؤيته رضى الله عنه . ومن تلامذته أيضاً الشيخ على ولد جربو
 والشيخ المصطفى ولد محمد الركابى ، والشيخ بان النقا ولد حجر ، والشيخ بساطى
 المشهور ، والشيخ زهودة الأسمى الرفاعى ، والشيخ عوض البرارى العقلى ، والشيخ
 محمد ولد سعد الجملى ، والشيخ منوفلى ولد الشيخ عبد الرحمن البريائى ، والشيخ

البسلة ولد أحمد نزيل الرهد ، والشيخ مضوى ولد شابلي ، والشيخ البخارى ولد عبد الله ، والشيخ المهدي ولد الطيب ولد عبد اللطيف ، صنو سيدى الشيخ أحمد الطيب ، وسيدى الشيخ أبو صالح بن القطب المذكور ، والشريف الحسين بن الشريف مصطفى ، والمقدم موسى ولد الحاج ، والمقدم محمد ولد الأب ، والفقيه على الشايقي المشهور بتعليم القرآن والفقيه موسى ولد نوه الحميداني القاطن بعبود ، والشيخ حامد ولد جلال الدين ، وخليفته الشيخ عبد القادر ولد الخضر ، وخليفته أيضاً الشيخ هجو ولد عبد القادر ، وأخوه الشيخ شرف الدين ولد بان النقا ، وغير ذلك من الخلفاء والمشايخ . وبالجملة إن خلفاءه في الطريقة هم مشايخ الإسلام ، وبدور الأنام ، وما من أحد منهم إلا وله كرامات كثيرة ، وأحوال شهيرة ، وهم يبلغون تقريباً ثلاثمائة خليفة وقد زرته رضى الله عنه بعد وفاته عام تسعين من بعد المائتين والألف ، في يوم عيد . فرأيت حلقة ذكره معطرة بالأسرار ، لاثمة على أهلها الأنوار ، وما ذلك إلا لكثرته مدده وفيوضاته ، وخيراته وبركاته .

وقل ما شئت فيه من مديح تجده فوق ما نطق المديح
توفي رضى الله عنه عند ظهر الأحد لستة أيام خلت من شهر ذى القعدة الحرام عام ثمانية وستين بعد المائتين والألف ، وله من العمر ثلاث وثمانون سنة ، ودفن بمحلّه من الفجر ، وبني على قبره خليفته الشيخ عبد القادر ولد الخضر قبة ، ولا زال الناس يترددون إلى زيارته كما في حياته رضى الله عنه . ثم إن تلك القبة قد جددتها بالبناء خليفته الثالث ، المبارك ظاهره ، المصلوح باطنه ، الشيخ هجو ولد عبد القادر الماصع ، بناء محكماً . بلغه الله في الدارين أمله ، وأحسن بالصالحات عمله ، وهو نعم الخليفة .

ورث الأكابر واعتنى بطريقهم لا شكر يبلغ في العلا ما رامه
ومنهم رب المزايا الظاهرة ، والآيات الباهرة ، والكرامات الخارقة ، والأنوار

الشارقة ، والفيوضات المتواترة ، والأسرار الباهرة ، قطب السالكين ، وبحر المسترشدين ، واحد العصر والأوان ، وفريد الدهر والزمان ، سيدى وأستاذى الشيخ القرشى بن الزين بن الفقيه على البزعى . كان رضى الله عنه رضاعه من سيدى الشيخ أحمد البصير ، وفطامه على يد القطب الأكبر سيدى الشيخ أحمد الطيب قدس سره . وفى إجازته عن الشيخ أحمد البصير رحمه الله ما صورته : هذه الإجازة من الحق تبارك وتعالى ، على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وكان رضى الله عنه قد اجتهد فى الطريقة اجتهداً ما سمع لغيره ، وكثيراً ما كان يدخل الخلوة الأربعينية ، وربما اكتفى فيها بثلاث لقيات فقط ، كما أخبرنى بذلك عن نفسه . وكان رضى الله عنه كثير الاجتماع بالخصر عليه السلام ، وربما غلب عليه الحال وقال له : خذ عنى الطريق . وكان ورده فى كل ليلة من الهيلة سبعين ألفاً ومن القرآن خمسة أجزاء ، وربما صلى بالثلث منه تهجداً ، وكثيراً ما كان يصلى بين المغرب والعشاء بالسبع من القرآن .

وله رضى الله عنه فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وغيرها من الأوراد ما يقارب ما ذكرناه مقداراً ، وأحواله فى العبادات والطاعات لا تحصرها الأقلام ، ولا تدركها الأفهام . وقد غلبت عليه فى آخر عمره المشاهدة والأفنية ، والتخلق بأخلاق شيخه سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه . وكان لا يجلس ولا يقوم إلا بذكر الشيخ رضى الله عنه . وأخبرنى رحمه الله أنه لم يرمطلقاً عيباً فى من ينسب إلى سيدى الشيخ رضى الله عنه . وإن أساء ، بل ولو أحد جاء من السافل فإنه لا يرى عليه اعوجاجاً أبداً . فقلت له قولك هذا شبيه بقول قيس ليلي حيث قال :

أحب لحبها السودان حتى حبيت لحبها سود الكلاب
قال : وهو لسان حالى اليوم ، وكان إذا نقل إليه كلام من أحد من أولاد

الشيخ رضى الله عنه ، يريد به الأذى وتفرقة القلوب ، فإنه يتغير على الناقل ويغضب ، وربما دعا عليه بشر فأهلكه ، وما رأيت أحداً يراعى أبناء مشايخه مثله : وكان رضى الله عنه نورانى الطلعة ، كأنه القمر عند تمامه ، طيب الرائحة ، كأنه الروض عند ابتسامه ، وله التصريف فيمن يشاء ، من عزل وتولية وغير ذلك . وكم رأينا له من عجائب وبركات وخوارق عادات ، وهو بلا شك أمين مشايخه على أسرارهم ، ووارث معارفهم وأنوارهم . وقد بلغ رضى الله عنه فى الولاية مبلغاً دونه الأفكار ، ووصل إلى محل لم تصل إليه ألسن الأشعار .

حدثنى الحاج عبد الله بن الحاج عبد الحفيظ الأحمدى الدفارى ، وكان من أهل المعرفة والذوق ، قال : سألت شيخنا الشيخ إبراهيم الرشيد ، وهو يومئذ بمكة عن مقام الشيخ القرشى رضى الله عنه فقال لى : هو قطب الشمال ، وكثيراً ما كنت أسمع منه كلاماً تفهم منه سلطنته على أهل زمانه ، وكان كثير الصمت ، متجنباً عن الدعوى وعبارات الوهم . وقد ظهرت على يده كرامات شتى : منها ما رأيته بعينى : وهو أنه أتى إليه بصبي من الحلاوين يقال له عبد الرحيم ولد خوجلى ، وكان مقعداً منذ أعوام ، فوضعت أمه بين يديه بعد صلاة المغرب ، فلما أراد الوقوف بعدها لصلاة النفل كعادته ، أقسمت عليه أم الولد بالله تعالى أن لا يصلى حتى يعافى ابنها ، ومسكت على قدميه فضايق عند ذلك صدره ، ثم أخذ سبخته بيده بها وضرب بها ذلك الصبي فوقف فى الحال ، كأنما نشط من عقال ، ثم هروا إلى أن دخل الجامع واستمر به الشفاء إلى أن توفى بعد مدة ، وهذه الواقعة شاهداً معى نحو ستين أو خمسين شخصاً .

ومنها ما أخبرنى به بعض تلامذته قال : كنت معه بالبحر الأبيض زمن زواجه بابنة الشيخ أحمد البصير هناك ، فتكلمت معه يوماً فى كرامات الأولياء ، وخوارق الأصفياء ، فسكت عن التكلم معى ، ثم قال لى : يا فلان ، قم على قدميك وانظر

إلى بيتنا الذى بالخلاوين هل تم بناؤه أم لا ؟ قال : وكان هذا البيت تركناه بينون فيه ، فلما وقفت قائماً كما أمرنى رأيت ذلك البيت بعينى وبه نقص لم يكمل بناؤه ، وأخبرته بذلك فقال نعم . وكانت المسافة التى بين الخلاوين والبحر الأبيض نحواً من يومين .

ومنها ما أخبرنى به تلميذه الشيخ أحمد إبراهيم رحمه الله تعالى قال : كنت معه بگردقان فلما قرب أوان العيد دخل الخلوة كهادته ، وكان يومئذ ليس عنده قميص يلبسه ، وكان يخرج من خلوته يوم العيد فعظم علينا ذلك ، فلما خرج من الخلوة فى يوم العيد رأينا عليه قميصاً جميلاً فتعجبنا منه ، ثم سألناه عنه فقال : بعته إلى سيدى أبو العباس المرسي رضى الله عنه .

ومنها ما حدثنى به بعض الأصدقاء من تلامذته ، ومن أثق به منهم قال : طلبنى الشيخ ليلاً حين كنت مقيماً معه ، فلما حضرت بين يديه وجدت عنده رجلاً مقيداً ، فأمرنى أن أذهب به إلى شجرة بقر به ، وأن أفك عنه القيد ، وكان هو رضى الله عنه معنا ، فسألته عن الرجل فقال لى : هذا أمر مكتوم . ثم سألت الرجل المذكور خفية فقال : الأولياء يفعلون ، فعلت أنه مخطوف من بلاد بعيدة بشاهد أن لسانه بخلاف الألسن المعلومة لدينا ، ثم إنه رضى الله عنه أمره بالذهاب فحجب عنا ولم ندر أين توجه .

ومنها حكاية الأرائيط المشهورة وتصرفه فيهم حتى أنهم هلكوا جميعاً . ومنها أنه مرض مرضاً أشرف فيه على الهلاك ، فوقع فى خاطرى أن أسأله أن يسأل الله التأخير والفسحة فى الأجل ، فدخلت عليه ومعى الشيخ الخضر ، وتكلمت معه فى ذلك وذكرت له صغر أولاده واحتياج المريدين إليه ، فقال : كم ترغبون ؟ فقلت : نرغب عشرين سنة . قال : لا أطيق ذلك ، فالآخرة خير وأبقى . قلنا : تكفينا عشرة من السنين . قال : أرضيتم بها ؟ قلنا : نعم . فأمرنا بأذكار كثيرة

وأعطانا لها أعداداً تكاد تستغرق النهار من أوله ، وكان ذلك بعد صلاة العصر ، وقال لنا : إن لم تفرغوا من هذه الأعداد قبل الغروب فلا حياة لنا ، فقمنا من عنده على شفقة وفرقنا تلك الأعداد على المريدين ، وكانوا كثيرين جداً ، إلا أن الغالب عليهم الحزن في تلك الساعة وذهول العقل ، فاشتغلت أنا ومعى منهم جماعة فلما دنا غروب الشمس ورأيت عجز الهمم عن إيفاء تلك الأعداد ، دخلت عليه وقلت له : قد تمت تلك الأعداد ، وذلك لما في حياته من النفع العام في الدين وإصلاح المسلمين : فسكت طويلاً ثم سمعته يقول : أبا يزيد أبا يزيد ثلاث مرات ، ثم ناداني باسمي وقال : قد حصلت الإجابة اذهب إلى محلك ، فذهبت من وقتي ، فأصبح رضى الله عنه بعد انتظار وفاته على أتم حاله من الصحة والعافية ، إلا أنه كان في تلك السنين التي طلبناها منه كثير الأمراض فقليل له في ذلك فقال : لعدم تمام الأوراد ، قلت لا يعترض على هذا معترض بأن الآيات القرآنية صريحة في عدم الزيادة في الأجل بالتأخير ، كقوله تعالى : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » فإن ذلك ما لم تكن ثم أسباب إن أتى بها يكون التأخير كهذه القصة ، وقد جاء في الحديث إن الصدقة تزيد في العمر . وبالجملة فإن من طالع الفتوحات المكينة ، والطبقات الشعرانية ، عرف صحة هذا . وكراماته رضى الله عنه لا تحصى ، ومناقبه لا تستقصى ، وقد أرشد رضى الله عنه في الطريقة والقرآن أمماً ، وجميع المساجد التي ببلاد الخلاوين بل وغيرها تنسب إليه .

وأما تلاميذه في الطريقة فكثيرون جداً ، وخلف فيها خلفاء كثيرين : منهم الشيخ أحمد الكوكلى ، والشيخ الخضر ولد أبى لسكريلك ، والفقير عبد المولى بن الطريف المغاويرى — إلا أن المشهور عند أولاده وأهل تلك الجهة انتسابه للطريقة الختمية ، والفقير بخيت ولد نعيم الصلحى ، والشيخ أحمد ولد الشيخ أبى صالح الطيبي ، والفقير محمد ولد المساح ، الشهير بالقلع الجموعى ، وأولاد الفقير

محمد ولد كوك، أحمد وإخوانه ، والشريف الأبيض الحسنى الحنفى نزيل رفاة ،
والعلامة مورى أحمد الشنجيطى ، مع شهرته بالطريقة القادرية والشاذلية ، وبعد
أخذه عن الشيخ زارنا فى موضعنا ومدحنا بقصيدة مطلعها :

سلام له ربا الكبا والقرنفل لوجه كبد التم أو كالسجنجل
وكالحمر ممزوجاً بماء سحابة يروح ويغدو مع جنوب وشمال
إلى عابد المحمود يوفى بحقه جميعاً ويعطى حق مقاداره العلى
ويخبر أنا زائروه ولو على حفا ركب الأيدى وأطراف أرجل
ومن أخذ عنه أيضاً : الشيخ أحمد ولد محمد ولد إبراهيم ، والشيخ إبراهيم ولد
أحمد ولد عالم ، والشيخ البشير بن الحاج عبد الله الكنانى — إلا أنه حدث بينه
وبين بعض أولاد الشيخ القرشى شىء ، فنسب نفسه لغيره ، لكن أصول الطريقة
لا تقبل ذلك — والرجل الصالح الفقيه أحمد ولد حماد، القاطن بالكبر ، كما أخبرنى
بذلك عن نفسه ، والفقيه عثمان ولد بلنّ الخلاوى ، وله قصائد شتى يمدح بها
شيخه المترجم ، والشيخ محمد ولد عمر صاحب المسجد الذى بأبى حلفة ، والحسن
المجذوب بن الحاج أحمد الخضر ، والعلامة الورع الشيخ محمد ولد الخير ، وأخوه
الفاضل الحاج محمد ولد العالم الألعى ، والفاضل اللوذعى ، الشيخ عبد الله ، والخليفة
مدر ابن الحاج أحمد ولد سنهورى ، والعالم سالم البرعى وولده ، وخليفته الشيخ
عبد الرحمن والفاضل الصالح الشيخ البشير بن سيدى الشيخ نور الدائم ، والشيخ محمد
شريف ، وأخوه الشيخ عبد المجيد — إلا أنها بعد أخذها وإجازته لها قد رجعا إلى
نسبتهم فى الطريق لأبيهم سيدى الأستاذ نور الدائم رضى الله عنه — والشيخ
عبد الجبار ، وبعض أولاد سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، والعبد الفقير
مؤلف هذا الكتاب ، وكذلك الفقيه محمد النور ، وعثمان أخوه ، وأولاد الفقيه أحمد ،
ولد الفقيه السيد ولد حماد ، وقد امتدحه الفقيه عثمان بقصيدة لطيفة مطلعها :

ألمع برق بدا في أجمل الحلل
أم ليلة القدر وافت في وقائهما
أم حضرة الذات جلت عن مشابهة
من ثوى في سنام المجد مرتقياً
طود منيف وغوث نستغيث به
له الكرامات والأحوال ظاهرة
إلى أن قال :

قطب الدوائر لا يعلمه ذو شرف
إلى أن قال :

يا صاح شمر ولازم قطبنا القرشي
واندب لساحته إن كنت في ضجر
من أمّ ساحته في نيل مأربه
إلى أن قال :

ما ذا أقول وفيه كل منقبة
يا سيد العلماء يا ملجأ الغربا
ارحم عبيدك عثماناً بجائزة
فأنت عزى وكنزى حيث كنت متى
وعم إخواننا بالفيض يا سندی
احيي البلاد إلهى دائماً أبدا
بجاء من ساد كل الرسل قاطبة
صلى عليه إلهى دائماً أبدا
وتابعيهم مدى ما قال منشدها

أم ضوه شمس أضأ في السهل والجبل
دجنة فأضاء النور المعقل
أفاضت النور والأسرار بالجمال
أعلى المقامات بالأذكار والعمل
دنيا وأخرى إذا ضاقت عرى الحيل
ينسيك ما قد مضى من سادة أول

فالصالحون له كالأرض من زحل

محي موت قلوب من عمي الجهل
كثيب قلب أتمد وأنت في جذل
يؤوب ذا ظفر في الخصب والحمل

خصوا بها من ثوا في رتبة الحمل
ويا ملاذ أولى التقصير والوجل
من سر سركمو يا واهب الجمل
أرى النوال بكم كالعارض الهطل
وارم العداة بسهم الهم والنكل
بقطبنا من ثوى في آخر النزل
وفاز بالقرب كالقوسين في المثل
والآل والصحب من سادوا لكل ولى
ألمع برق بدا في أجمل الحلل

ولنافيه من قصيدة في مدحه رضى الله عنه :

عتبت على من ليس تبصر عينه بحب لأستاذ عظيم على نور
غدا آية بين الأنام ورحمة فعمت بإحسان وخير سرور
وروضى بأزهارها الفضائل مشرق فطلعت الزهراء حكت لبدور
هو القرشي ياله من فتى به از جلت كرب شتى وكل شرور
فزره تجدد ما رمته من مقاصد وفيض وإرشاد وحسن حبور
توفى رضى الله عنه ظهر الجمعة ، لخمس وعشرين يوماً مضت من رجب الحرام
سنة ألف ومائتين وخمسة وتسعين ، وله من العمر ست وثمانون سنة ، ودفن نخوة
السبت ، وصلى عليه مؤلف هذه المناقب رحمه الله الرحمة الواسعة ، ومن تلامذته
رضى الله عنه خاتمة عصره فضلاً ونبلاً السيد محمد أحمد المهدي بن عبد الله .

وهذه نبذة تتعلق بأخباره :

ولد رحمه الله تعالى بابب ، إحدى جزائر الأشراف بدنقلة ، وهو ينسب إلى
الإمام الحسن بن علي رضى الله عنه وإلى الحسين ، وأمه من بني العباس ، وجده
الأعلى حاج شريف ، وهو شهير بالولاية ، وسمعت من أولاده أنهم يندبونه
في الطريق إلى سيدى عبد السلام بن مشيش . ومن بعد ولادته قد ارتحل به
والده وتوطن بكرري وله إخوان ، وتوفى والده ثمة ، وقد نشأ المذكور نشأة مباركة
على العبادة والصيانة والصدق والأمانة والتعفف عن كل ما يوجب قدحاً في المروءة
وقد قرأ القرآن العظيم والعلم على مشايخ الوقت ، وتنبل وتفوق وحاز قصب السبق
في مضمار المعارف والعارف ، ثم اقتفى أثر السادة الصوفية بمطالعة كتبهم والتخلق
بأخلاقيهم والتأدب بأدابهم ، واجتمع في ذلك الوقت بالأستاذ محمد شريف بن
سيدى الأستاذ نور الدائم ، فأخذ الطريقة عليه ، وبذل جهده في خدمته ومحبته ،
وصار علماً بين أقرانه في الزهد والعفاف ، والاستقامة على الشريعة ، والتنوير
بأنوار الحقيقة . وظهرت له كرامات :

حدثني شيخه قال : حدثني المقدم طلحة الحمدي ، وهو أحد تلامذته حاكياً عنه قال : كنت معه جالساً في موضع يتعبد فيه ، فلما حر النهار رأيت الطير وهو يظله ؛ وسار في الطريقة سيراً لم يسمع لغيره ، وقد ذبح نفسه بمديّة المخالفة لها ، وكان يحمل على رأسه العجين إذا قدم لشيخه نحو اليوم ، ويمشي حافياً ويهدي له الهدايا الواسعة الكثيرة التي لم تسهل من مريد غيره . وقد أخبرني هو عن نفسه قال : كنت إذا زرت سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه فأني أطرح نفسي على عتبة قبه ، أو كلم الناس أن يطئوا على ظهري عند مرورهم إلى زيارته وقاية للعتبة ، وذلك من ضحوة اليوم إلى الظهر ، وغير ذلك من عجائبه التواضعية والانكسارية ، وسلامة نفسه من النزغات الشيطانية ، ولم يزل مع شيخه على حالة الوفاء والصفاء ، إلى أن تم نحو أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة ، وكان شيخه قد أجازته في تلك السنين في الطريق واشتهر فيها ، وأخذ عليه الجمل الفقير وكانت تلامذته تبلغ العدد الكبير من الأعداد ، وله خلفاء كثيرون جداً . ثم إنه بعد تلك المدة المذكورة قد أحبت نفسه الانتقال إلى صحبة عارف وقته ليكمل له المقصود ، وهو العارف الرباني شيخنا الشيخ القرشي بن الزين رضي الله عنه ، فانتقل إليه هو وتلامذته وأخذ عليه الطريق لكن بإذن من سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه . هكذا حدثني شيخنا مشافهة ، وقد لازمه ملازمة الشبلي للجنيد ، ونال من بركاته وفيض بحره المديد ، فأجازته الشيخ في جميع ما أجازته به الأستاذ الأكبر . ثم رجع إلى محله بجزيرة أبا ، إلا أنه لم يزل يزاوره إلى أن مات شيخه المذكور ولم يحضر وفاته ، وقد حضرها مؤلف هذه المناقب ، وكانت لخمس وعشرين من شهر رجب الحرام ظهر الجمعة ، وصلى عليه ضحوة السبت مؤلف هذا الكتاب . وكان الزمن قحطاً لعدم الأمطار ، فتعلق الناس بأذيالنا وسألونا أن ندعو الله تعالى لهم أن يغيثهم بنزول الأمطار ، فتوسلت بالشيخ المذكور وهو على السرير قبل الدفن ، فما لبثنا قليلاً بعد الدفن إلا

وقد نزلت وعمت الأرض ، وبذل الجذب بالخصب ، وهى السنة المشهورة بين الناس بالبعوضة سنة ١٢٥٩ . ثم إن المهدي لما بلغتة وفاة أستاذه حضر إلى العزاء ورجع إلى موضعه ، ثم أتى واشتغل ببناء قبة على قبر شيخه المذكور فبناها فى أيسر مدة ، ثم رجع إلى موضعه بأبا ، ودخل الخلوة بها ، وذلك فى عام ثمان وتسعين من بعد المائتين والألف ، ومن بعد خروجه منها قد ادعى المهديّة ونشر المناشير فى الأرض بدعواه ولم يبال فى ذلك . وما حدث منه بعد ذلك فلا نطيل بذكره ، فنحن والناس فيه سيان ، وإنه مع ملكه ، ورفيع درجته ، وفوقيته ، لم ينجح عما كان عليه من التواضع والانكسار ، ومراعاة أهل الفضل ، وتعظيم أهل الشرف ، والكرم الواسع ، والقلب الخاشع ، والأدب ؛ لا سيما مع أبناء مشايخه . وقد كان حين دعا مؤلف هذه المناقب للقدوم عليه ، والإقامة معه ، يحمل له الطعام على رأسه المرة بعد المرة على رؤوس الأشهاد، وتارة يقول له : إن جميع حسناى التى كتبها الله لى أهديتها لك وغير ذلك . واعلم أن ثنائى عليه بما ذكر من باب النصيحة ليس إلا لا لدينا أصبتها منه أو جاء ، وإنما كنت فى زمنه مضاعاً لا أملك شيئاً ، ولا دابة أركب عليها ، مع أنى قد كنت قبل قدومى عليه غنياً ببلادى ، وما ذاك إلا من خواصه لأن نفوسهم فيها شىء من جهتنا ، فلم يسمعه فىنا ما يوجب هدية أو تعظيماً ، ولا زالوا معاكسين له فيما يريد من الكرامة والذى يفعله معنا من هذا القبيل إنما كان يأتيه بحكم طبعه بغير رضى منهم ، وذلك بسبب ما أوصله إليهم الحسدة إلا إننا نشكره على حمايتنا منهم . وقد كتب فىنا المناشير العديدة بالأوصاف الحميدة إلا أن حالهم لا يقول إلا كما قال إخوانهم من قبل : « وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه » الخ وسيحكم الله بيننا وبينهم فى يوم الجمع المشهود وترد مظالمنا منهم ومن كل حسود ، وما كان فى عهد الخليفة عبد الله من أذية لنا فهو غنى عن التفصيل ، وما زال المهدي رحمه الله تعالى معنا على حالة الصفاء إلى

أن توفي عند اشتداد ضحى يوم الإثنين ، لثمان خلت من رمضان ، عام اثنين من بعد الألف والثلاثمائة من الهجرة النبوية ، وصلى عليه خليفته الخليفة عبد الله ظهر ذلك اليوم ، ثم من بعد مواراته بالدفن قد بويع خليفته المذكور بالخلافة ، ولحسن ظن المهدي فيه قد أحبه الناس وابعوه على السمع والطاعة وانقادوا له كاتقيادهم للمهدي .

ومنهم العارف بالله الشيخ على ولد العطا ، كان رضي الله عنه من الذاكرين الله كثيراً ، وقد دخل مرة في حمة للعبادة سبع سنين صائماً قائماً . ومن كراماته أن رجلاً يقال له أحمد المادح قد ذبح طائراً ودخل به عليه وقال له : يا سيدي إن مثل هذا كيف يحويه الأولياء ! فلأخذه منه ثم وضعه في كفه فصار حياً . ومن فيوضاته ما أخبرني به عبد الحمود بن أحمد الشبلي القلنجاي . قال : حدثني ونيته شاعر الشيخ على ولد العطا وتلميذه . قال : طالب واحد من إخواننا تلامذة الشيخ منه أن يمدّه بسر من عنده ، فأمره الشيخ أن يرتاض لذلك فأبى ، وألح على الشيخ في ذلك فصاح الشيخ رحمه الله صيحة قائلاً : هو ، ثم صاح بعده ذلك المريد قائلاً : قيوم ، فمات في تلك الساعة . قال الشيخ : فببركة سيدي الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه وجاهه عند ربه ، ما مات حتى دخل القطبانية . وله من التلامذة الشيخ موسى ولد على العقلي ، وكان سرّاً من أسرار الله ، وقد شوهد منه إحياء الأموات . توفي الشيخ ولد العطا بميراو ودفن بها ، وقبره ظاهر يزار .

ومنهم العارف بالله الشريف النور ولد الطاهر ، كان رضي الله عنه ممن جاهد في الله حق جهاده ، وعلا قدره بين أهل الطريق لحسن استعداده ، حدثني الشيخ حمد النيل بن الشيخ أحمد الريح رحمه الله تعالى قال : قد رأيت كثيراً الاجتهاد والعبادة ، وما رأيت في زمني أكثر منه في ذلك . وله معرفة بالإسم الأعظم وتصريف عجيب وكشف ، وكان إخوانه من تلامذة الشيخ رضي الله عنه كثيراً

ما يزورونه في محله ، كالشيخ محمد ولد علي ، والشيخ يعقوب الحفيظي وغيرها .
وكان الشريف بله ولد رحمة الله إذا حصل به داء فإنه يأمره أن يرقى عليه ، ومن
كراماته رضي الله عنه أنه كان يوماً جالساً قريباً من البحر فانشق ما تحته من
من الأرض ووقع بثوبه فخرج منه ولم يبتل من ثوبه شيء ، وقد انتفع به في الطريقة
جماعة منهم ولده الكامل الفاضل الشريف محمد ، والشيخ حبيب الله ولد أحمد
الباسطاني وغيرها . توفي رضي الله عنه بمحله من كركود ، ودفن بأم سنط ، وقبره
بها يزار قال مؤلفه وقد زرته .

ومنهم الشريف محمد ولد نورين خال الشريف النور ولد الطاهر هذا وكان
عند مجيئه من بلده الفجيجة للطريقة مع ابن أخته هذا ، قد أدخله رضي الله عنه
الخلوة فاجتمع فيها في أول ليلة بالخضر عليه السلام ، فسقاه كأساً من أسرار الله
تعالى وكثر صياحه حتى ظن الناس أنه لا يعيش . ثم إن الشيخ أخرجه من الخلوة
فأفاق على علم وكشف واطلاع غيب عجيب ، ثم أجازته الشيخ رضي الله عنه
في الطريقة وتوجه إلى الصعيد ، ثم إلى بلاد الحمران فسكن بها ، وظهرت منه
خوارق لا تحصى ، ثم توفي رضي الله عنه بها ، ودفن بمحله منها ، وقبره ظاهر يزار .
ومنهم الشيخ محمد بن الحاج النور البرياني ، كان رحمه الله من خواص تلامذة
الشيخ رضي الله عنه ، وكان له معرفة بالإسم الأعظم ، وله مع الله حال غريب .
حدثني الشريف محمد ولد الشريف النور رحمه الله قال : كان بين والدي والشيخ
محمد بن الحاج النور مؤاخاة واتحاد في عصر الشيخ رضي الله عنه ، وكثيراً ما أراه
في بعض الأحيان يبكي فأسأله عن ذلك فيقول لي : ذكرت أخى الشيخ محمد ولد
الحاج النور وما كان عليه من الأسرار . حدثني شيخنا رحمه الله تعالى قال : جاءنا
هنا بالحلّالين فرأيتهم ينام إلى أن يطلع الفجر ، ثم إذا قام أرى كأن الشمس تطلع
من جبينه .

ومن كراماته ما أخبرني به الفقيه فضل السيد ولد حسين تلميذ الشيخ قال :
قد أدخله سيدى الشيخ رضى الله عنه الخلوة سبعة أيام ، فلما تمت السبعة الأيام
أمرنى أن أحدثه أن يخرج منها ، ونهاني أن لا أمشى أمامه ، فلما خرج تأخرت
عنه ماشياً خلفه ، فرأيت ثوبه قد مس شجرة خضراء كانت من سلم فإذا بمحل
مسه صار ناراً فأحرقت الشجرة في الحال :

ومنها ما حدثني به أخى الشيخ البشير بن سيدى الأستاذ نور الدائم قال :
حدثني سقنا بنت الشيخ زوجة الشيخ محمد النور ولد الحاج المذكور قالت : كان
إذا حصل له توقف في آية من القرآن ليلاً يطلب المصحف فيخرج من أصبعه نور
كالسراج إلى أن يقرأ الآية ثم يعود لحالته ، ومن دعائه رضى الله عنه ، اللهم لا تجعل
خوفي من نارك ، ولا طمعى في جنتك ، واجعلنى من عبادك المخلصين لوجهك
المتثلين لأمرك ، الغائبين في حبك ، المتأذنين بنظرك اللهم اجعل حبك في وحي
فيك واجعل اشتغالى بك حتى ألقىك ، إنك على كل شىء قدير . توفى رضى الله
بالبرياب ودفن مع آبائه ، وقبره من بينهم ظاهر يزار .

ومنهم البهارى ولد الشيخ الفاضل العامرى وجدته لأمه هدية بنت الشيخ
أحمد ولد الطريفي ، أوصله الشيخ رضى الله عنه إلى الله عند المبايعة ، فبلغ من
الكلمات قاصيها ، وجنى من ثمر العرفان دانيها ، وكان بينه وبين جده الشيخ
يوسف رضى الله عنه مصادمة شهيرة بطول شرحها . توفى رحمه الله بأبى دون من
تقلى ، وقبره به يزار .

ومنهم الأستاذ الكبير والعلم الشهير مربي المريدين ومرشد السالكين سيدى
الشيخ بشرى بضم الباء الموحدة بن بشير ، وهو من الرحمان ، كان رحمه الله شافعى
المذهب ، وله فيه مؤلفات شتى ، أخذ الطريقة على الشيخ رضى الله عنه بإشارة
من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأوصله إلى الله تعالى في ثالث يوم أخذه للطريقة

وأمره بعد أن كتب له الإجازة في الطريقة بالذهاب إلى بلده لإرشاد المريدين ،
وزار في حال ذهابه وتوجهه الشيخ أحمد البصير رضى الله عنه ، فأقام عنده أياماً
ثم توجه إلى بلاده ، فلما دخلها أخبر أن من صلى خلفه لم تأكله النار فهرع إليه
الناس من جميع جهاتهم ، وكانوا إذا صلوا خلفه يحملون في ثيابهم البن واللحم ،
فإذا فرغوا من صلاتهم رجعوا إلى أوطانهم ووضعوا ذلك البن واللحم اختباراً ،
فلم تؤثر فيه بشيء ، فلما علموا صدق مقالته وكرامته كثرت انقيادهم إليه جداً من
جميع الجهات ، وأخذوا عليه الطريقة ، وأقبلوا عليه بكليتهم ظاهراً وباطناً ، وقد
خلف رضى الله عنه في الطريقة السمانية اثني عشر ألف خليفة ببلاده ، وقد اجتمعت
بكثير منهم وغيرهم من تلامذته ، والكل على نور من ربه . توفي رضى الله عنه
ببلده ، ودفن بقى منها ، وقبره ظاهر يزار .

ومنهم الشريف عبد الوهاب بن عبد الرحمن الحسنى ، كان رضى الله عنه
كثير السياحة والاشتغال بمحبة الشيخ رضى الله عنه وذكره وقد عمر في الدنيا
طويلاً ، ثم توفي رحمه الله تعالى .

ومنهم الفقيه على ولد قرشى الخلاوى ، كان رحمه الله من الصالحين ، وقد
أجازته الشيخ رضى الله عنه بعد كمال التربية في غالب ما كان عليه وفي طريقته ،
وكتب الإجازة بخطه الشريف ، وكان رحمه الله وجيهاً مقبولاً بين الناس وحكام
زمانه لا ترد له كلمة ، ولا تحتال عليه همة ، مواظباً على الأذكار وتعليم القرآن ،
إلى أن مات ومسجده بالخلاوين معمور بالبركات والخيرات ، وقد تقدم لك في
هذا الكتاب ذكره وإرشاد الشيخ له بالقرآن في سبعة أيام . توفي رضى الله عنه
بالخلاوين ودفن بها ، وقبره يزار .

ومنهم الشريف عبد الكريم المدفون بالجبل المسمى ببيلة كان رحمه الله
زاهداً ، صائماً ، قائماً ، كثير الزهد ، معروفاً بين أهل زمانه بالصدق والعفة ، وكان

أكثر أكله التمر الهندي والنبق ونحوه ، مما لا يقتاتة الناس ، وكان أخذه على الشيخ رضى الله عنه للطريقة الخلوتية ، كما أخبرنى بذلك بعض تلامذته .

ومنهم الشيخ يعقوب الحفيظى ، كان رضى الله عنه من رجال الغيب وله فى التصوف حكم عجيبة تشهد بفتحها وغزارة علمه وفضله ، ومن كراماته ما حدثنى به الشريف محمد بن الشريف النور رحمه الله تعالى ، قال : أخبرنى تلميذه له يقال له محمد ولد حسين الرفاعى قال : زرت بهجوة مرة فرأيت لما قام ليله وطلعت عليه الشمس تطور على شخصين ، وكان له رحمه الله مع الشريف بله ولد رحمه الله مصادمات بالأحوال ، وكل منهما تصرف فى الآخر ، توفى رحمه الله بهجوة ودفن بها وكان سبب موته حر أنوار المشاهدة .

ومنهم الفقيه الصالح ، والولى الناصح ، والطود الواضح ، المصرى ولد قنديل كان رضى الله عنه من الأولياء السكبار . والصوفية الأخيار ، جميل الطلعة ، رفيع الهمة ، وكان الناس يشتاقون لرؤيته اشتياق الظمان إلى الماء البارد ، والحجيم إلى الحجيم الراشد ، وكان أوحد أهل زمانه ورعاً وعفة ، وزهادة وهمة ، وذكرأ ومجداً ، وصيانة ورشداً . وكان ظاهره فى تعليم القرآن وباطنه فى مشاهدة الملك الديان وقد أرشد رضى الله عنه فى القرآن أمماً لا يحصون عدداً منهم الفقيه أحمد ولد كنان والشيخ إبراهيم الدسوقي بن سيدى الأستاذ الشيخ أحمد الطيب قدس سره وكان إذا حصل به الحال يجلس على نار القرآن حال لهاها ووقودها ، أخبرنى السعيد ولد الصديق أحد تلامذة الفقيه سالم ولد رابع . قال : أرسل شيخنا الفقيه سالم يوماً بعض تلامذته إلى تلميذه المصرى المذكور ، ليعطيه شيئاً يستعين به على نفقة الطلاب والضيوف ، فاعتذر إليه عند ما أخبره بذلك ثم رأى أن رد رسول شيخه بلا شئ صعب عليه فأخذ طينة من الأرض ، ووضعها فى ثوب ذلك الرسول ، وربطها بحيط وأمره أن لا يحمله إلا بين يدي الشيخ ، فلما وصل فعل ما أمره به ، فإذا تلك الطينة

صارت ذهباً خالصاً ، ووزنت فوجدت سبعين أوقية . وله غير ذلك من الكرامات
رضى الله عنه ، وقد تقدم لك ذكره ، والسبب الذى أوصله إلى سيدى الشيخ
للأخذ عليه هو أخوه فى الله تعالى الشيخ يعقوب بن على الدويحى . توفى رضى الله
عنه بولد نقود ودفن به وقبره عليه قبة ظاهر يزار .

ومنهم الشيخ يعقوب ولد على الدويحى ، كان رضى الله عنه من أهل التصرف
الكامل ، والقدم الفاضل ، وقد انتقلت له المملكة الفونجية انقياداً ما سمع لغيره ،
وقد أحبه الناس حباً شديداً ، وكان الرجل من أهل سنار وغيرها لا يحب أن
يهدى له إلا أطيب أمواله . وكان القرشى الوزير الصاردى أهدى له حفيرة عظيمة
وهى من علامات تصرفه ، وهى باقية إلى اليوم ، وقد شوهدت منه كرامات
كثيرة . منها ما أخبرنى به الشيخ أحمد ولد الكوكل رحمة الله تعالى قال :
حدثنى الفقيه أحمد ولد كنان رحمة الله قال : كنت فى بدايتى إذا أشكل على
شئ من مسائل الفقه أسافر من بلدى إلى مدينة سنار للفقيه أحمد ولد عيسى
الأنصارى حلماً لى ، فذات ليلة قدمت من سنار متوجهاً إلى بلدى ، فإذا بنور
لاح لعينى من خلوة الشيخ يعقوب الدويحى التى هو بها ، فقصدتها وظننت أنه
سراج . فلما استأذنت ودخلت على الشيخ فإذا هو نور يبدو من جبينه ، وله غير
ذلك من الكرامات . توفى رحمه الله براشد ودفن بها ، وقبره ظاهر يزار .

ومنهم الشريف ولد الكابى الأبيضانى ، كان رحمه الله من أهل الهيمام
والغرام ، وله مع الله حال عجيب وكرامات ظاهرة بين أهل بلاده . منها أن أولاد
البقر كانت تشكو إليه إذا حصل لها من أهلها ضياع ، فيرسل للواحد منهم ويتمعه
من ذلك . توفى رحمه الله بالقلعة بعيس من العطيش ودفن بها .

ومنهم الولى الكامل ، والعارف الواصل ، التقى النقى ، الزاهد السخي ،
الفقيه عبد الله ولد أبى الحسن العرقابى ، كان رضى الله عنه زاهداً عابداً ، ومشهوداً

راشداً ، ذكراً حامداً ، راعياً ساجداً ، مشهوراً بين أهل زمانه بكل خصلة جميلة وحالة جليلة . وقد أمدّه الشيخ رضي الله عنه بمدد لا ينكر ، وبرشده الألسنة تشييراً وتشكراً ، وكان يحبه حباً كثيراً ، وأرسل معه بعض أولاده ليعلمه القرآن ، وكان له رضي الله عنه الإجابة أسرع من البرق ، وخوارق وكرامات شهيرة بين أهل زمانه . منها أن زوجته فاطمة بنت الفقيه محمد الأغشب قد قتل الأسد لها بقرة ، فضايق صدرها لذلك وأوعده أن لا تقيم معه إلا أن يحضر لها ذلك الأسد ، فأرسل له بعض تلامذته فجاءوا به إليها ، فلما رأت تلك الكرامة طاب خاطرها وأخذت عصاً وضربت به فولى هارباً ، وكان ذلك مشهوراً . ومنها أن الحسانية كانوا إذا شنوا الغارة على بلده فإنهم يسمعون عند قريتهم منه حركة الرجال والخيول فينهزمون لذلك ، وهكذا كان دأبه معهم . توفي رحمه الله بالقويز من البحر الأبيض ، ودفن به ، وقبره ظاهر يزار .

ومنهم ولي الله المشهور ، زاهد أهل زمانه في دار الغرور ، الذي أسس بنيانه على تقوى من الله في أول يوم ، واجتهد في الطريقة حتى لحق بأكابر القوم ، الولي المشهور ، والكنز المذخور ، علم الهداية ، المسر بل بجلباب الولاية ، الورع الزاهد ، التقى العابد ، الشبيه بالسلف الصالح قولاً وفعلاً ، الراجح ميزانه على أهل زمانه إخلاصاً وعملاً ، شيخنا الشيخ الأمين ، الفقيه المبين ، ابن محمد بن الأمين ابن محمد فرح باسكيل الرباطي ، ووالدته تسمي أم حقين ، وقد حصلت شهرته بها . وهي من ذرية الملك سامكيه أحد ملوك الجموعية ، وهو عزيز النسبتين أمّاً وأباً ، وهو ممن أجمع الناس على جلاله قدره وصدق سيره ، وسعة خيره وولايته واعتناء الحق به ، وكان لا يعرف في عمره إلا مولاه ، ولا يعول في جميع أموره على سواه ، قد بلغ في الزهد النهاية ، وفي التوكل الكفاية ، ظاهره في تعليم القرآن ، وباطنه في مشاهدة الملك الديان ، ليس للدنيا عنده مكانة ولا لأهلها . وقد رآه الشيخ

رضى الله عنه عند دخوله الحلفاية مع خاله الفقيه سليمان ولد حماد وهو صبي ، فقال له الشيخ : إذهب إلى اسلانج واسكن بها ، فإنه سيكون لك فيها شأن عظيم ، فارتحل إليها وأقام بها إلى أن كان له فيها ما كان من شهرة الخير والإرشاد في القرآن ، ورفعة قدره بين عوالم البلدان ، ثم من بعد بلوغه قد ذهب إلى الشيخ وأخذ عليه الطريق ، ونظر إليه بعين الرضا فصار من رجال التحقيق .

حدثني تلميذه الحاج ولد دفع الله البجيراني قال : قد سمع مرة ثناء أحد عليه في شعر فقال : والله كل مدح حرام ، إلا ما كان لسيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه قال : وسمعتة يقول لمن بالشرق من أهله وتلامذته : لا تدفنوا موتاكم هنا ، ولكن اذهبوا بهم إلى الغرب ، فإن ذلك الموضع ممن أكرم الله تعالى به سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، فلا يعذب مدفون فيه ولو استحق العذاب . وقد شاهدنا ذلك مراراً وتكراراً في تلامذتنا المقبورين فيه وغيرهم ، قال : ومن ذلك أن عندي تلميذاً من أهل حلة النوبة رأيت له لما مات في أحسن حال ، وتعظيم وإجلال ، فقلت له : بما نلت هذه الحالة ؟ ! فقال : بدفني في الموضع الذى أكرم الله به سيدى الشيخ أحمد الطيب قدس سره إكراماً له . والموضع المذكور هو ما بين الشيخ رضى الله عنه والشيخ عبد الحمود أبى شيبة العركى ، وقيل من العقبة إلى كبرى ، وقيل إلى بلاد الجموعية . وقد تقدم ذلك في الروض النضير ، وكان رضى الله عنه صواماً قواماً ، لا يلد له في عمره إلا هما قليل الأكل والشر جداً .

لقد طلق الدنيا وفاز بقصده من القرب لله العظيم بلا ميث
ولى كسى من نور مولاه خلعة فأضحى بها للنفس يحلو وللعين
أمين على الأسرار بل هو معدن لتقوى الإله والفضائل والزين
وكان رضى الله عنه خالياً عن الإنكار ، سليماً من الدعوى ووهم الأفكار ،

وقد اعتقده الناس اعتقاداً زائداً ، ورأوا منه كرامات وخوارق وحالاً راشداً .
ومن كراماته رحمه الله ما أخبرني به الشريف أحمد المشيشي رحمه الله قال :
إنه قدم إلينا ذات يوم طعاماً ، فلما كمل أدامه أخذ بيده كوزاً وغرف به ماء وصبه
على طعامه فصار عسلاً خالصاً . ومنها ما أخبر به الحاج حسن ولد بلول تلميذ
السيد أحمد بن إدريس القاطن بعقبة قرى قال : كان الفقيه الأمين رضى الله عنه
كثير الذهاب إلى البيت الحرام بالليل ، وكان يغشاني في ذهابه ، فقلت له يوماً :
أخبرني ما الذى أقدرك على هذا ، وبأى شئ تكون هذه السرعة العجيبة الشأن
في الذهاب إلى البيت الحرام والإتيان ، فقال : فرغ بالك لترى ذلك عياناً ، فنزلت
سحابة خفيفة في الحال مكتوب عليها : « يس والقرآن الحكيم » فركب عليها
وأخذته كالبرق الخاطف ، فعملت بذلك أمره . ومنها كثرة بركة أبنائه ، فكان ابنه
الحسن حسناً كاسمه ، والصافي صاف كاسمه ، والمصطفى مصطفى كاسمه ، وعبد الله
عبداً لله تعالى وتحقق بالعبودية ، ومد بأسرار الربوبية ، « الذين آمنوا ولم يلبسوا
إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » . توفي الفقيه الأمين رحمه الله عام
إحدى وسبعين من بعد المائتين والألف بالجزيرة إسلامج ودفن بالغرب ، وبنيت
على قبره قبة عظيمة ، وقبره هناك ظاهر يزار .

ومنهم الفقيه سليمان ولد حماد الجموعى خال الفقيه الأمين المذكور . كان
رحمه الله على قدم الصدق وله نية صالحة ، وكلمة نافذة ، وهو السبب في اتصال
ابن اخته المتقدم ذكره بالشيخ رضى الله عنه . توفي رحمه الله بالخلفاية ودفن بها ،
وقبره يزار .

ومنهم صاحب الآيات الشهيرة ، والخوارق الكثيرة الشيخ محمد أبو قرن
الجامعى . كان رضى الله عنه فريداً بين أقرانه ، رفيعاً في شأنه ، وله كرامات
لا تحصى . منها أنه كثيراً ما يرى وهو طائر في الهواء . ومنها ما حدثني به الفقيه

عبد القادر ولد سعد قال : رأيته يتكلم عن الجنين في بطن أمه بالدكورة أو الأثونة ويقع الأمر على قوله . ومنها ما حدثني به الفقيه يس ولد عبد الله الدويحي قال : سمعت الحاج حمد الغبشاوي يوماً يتكلم في كرامات الشيخ محمد أبي قرن فذكر أنه كان يتكلم مرة في كرامات الأولياء ، ومناقب الأصفياء ، ثم قال : إن الولي الكامل لو أشار إلى هذه الطييار ، وكانت على شجرة بقرب مجلسه فإنها تنزل بين يديه من غير استيحاش ، فما استتم كلامه إلا وقد نزلت بين يديه . وقال : قد زرت يوماً بعد موته وقلت عند وقوفي عند قبره : السلام عليك يا شيخ محمد أبا قرن فلم يجبني ، فقلت له . خلف الوعد ليس من شيم الأولياء . وكان وعدني في مدة حياته بأنه إذا مات وجئت إلى قبره وسأمت عليه فإنه يرد عليّ السلام ، ثم قلت ثانياً مثل ذلك ، فقال : وعليكم السلام يا حاج حمد أخي . توفي رضي الله عنه بالهويج ودفن به ، وقبره يزار .

ومنهم صاحب النور الباهر ، والسر الظاهر ، والفيض الواسع ، والمدد الشائع ، سيدى الشيخ محمد ولد مكى ، كان رضي الله عنه من ذرية العارف بالله تعالى سيدى الشيخ إدريس بن الأرباب ، وكان نوراني الطلعة ، حتى أنه كان يقال له النوراني لشدة أنواره . حدثني الرجل الصالح الفقيه أحمد المصطفى بن الفقيه الأمين ولد أم حقين قال : ما رأيت عيني في عمري رجلاً مثله بهجة وأنواراً . وقد حكى الشيخ محمد ولد بدر الشهير بالعبيد في حقه مثل ذلك . وقد وصل رضي الله عنه في الولاية مقام جده الشيخ إدريس ولد الأرباب رضي الله عنه ، كما تقدم لك في هذا الكتاب . وقد ظهرت على يده رضي الله عنه كرامات شتى ، منها ما حكاها لي ولده الشيخ إدريس رحمه الله قال : كان رجل من الجموعية يقال له محمد ولد نايل ، له في الشيخ اعتقاد كبير ، وكان لا يتوقى شرب الخمر والدخان ، فجاء ليلاً بهدية إلى الشيخ ، وكان الفقراء في غاية الاحتياج ، فأنشرح صدر الشيخ لها وقال له :

يا محمد الآن ألبسناك خلعة فلان ، يعنى رجلا من الصالحين الذين بقر به ، وألبسناه خلعتك ، فأصبح محمد ولد نائل مجذوباً مفتوحاً عليه ، والرجل المذكور مسلوباً ممقوتاً لا يلذ له إلا شرب الخمر والدخان . ومنها ما أخبرني به غير واحد ممن اجتمع به عن الحاج محمد ولد حسن القاطن بقرى تلميذ سيدى السيد أحمد بن إدريس رحمه الله قال : سألت سيدى الشيخ محمد ولد مكى رضى الله عنه أن يوضح لى ما حصل له من سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه قال : فقال لى لا أقدر أن أحصى ما حصل لى منه ولكن أخبرك ببعضه ، إننى فى كل ليلة أجتمع بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، من آدم إلى نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام . حدثنى الفقيه الشفيع الصاردى تلميذ الفقيه الأمين ولد أم حقين قال : زرتة مرة فوجدته به الحال ، ثم إنه بصق على الجهة التى أنا بها فوقع شئ . يسير من بصاقه على ظاهر يدى فلعقته بلسانى تبركا ، فما أشعر إلا وأنا على الأرض مغشياً على غائباً عن إحساسى ، ثم حصل لى الصحو بعد مدة . وقد أرشد رضى الله عنه فى الطريقة رجالاً كثيرين : منهم العارف بالله تعالى الشيخ إدريس بن الأمين المسلمابى المرشد المشهور . وقد أخبرني بعض العارفين بالله أنه كان بواب الحضرة الحمديدية ، والشيخ عمر بن مصطفى الرباطي ، والرجل الصالح الشيخ محمد بن عبد الرحمن الشهير بالمقابلى ، والشيخ محمد ولد بركات المشهور بالعوج الدرب ، والخليفة بركات خليفة سيدى الشيخ إدريس ولد الأرباب ، والفاضل الكامل الشيخ الصديق بن سيدى الأستاذ نور الدائم ، والشريف جبارة ، ومحمد ولد نائل ، والفقيه رضوان ولد الماحى العرمانى وغير ذلك . توفى رضى الله عنه بالسروراب ودفن بها ، وقبره ظاهر يزار .

ومنهم الولى الراق على أوج الكمال ، العارف الذى شهدت بعرفانه أهل القدم من الرجال سيدى الشيخ المصطفى بن الشيخ الإمام بن الشيخ المجذوب بن الشيخ

قسم الله بن الشيخ أبي عاقلة أبي مسك بن الشيخ حمد بن الشيخ دفع الله ولد
أبي إدريس العركي القطب المشهور رضى الله عن الجميع وأمدنا ببركاتهم . كان
رضى الله عنه ممن قدم على الشيخ بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرشده
الشيخ رضى الله عنه في أيام قلائل وأنزله ما هو أهله واعتنى به اعتناء زاهداً ،
ووهب له مقام جده الشيخ دفع الله رضى الله عنه ، وعلمه أيضاً الإسم الأعظم .

ومن كراماته رضى الله عنه ما أخبر به الشيخ أحمد الريح قال : إن العزل
الذى صدر للشيخ محمد ولد عدلان ليس حقيقة صدوزه منى ، وإنما هو من الشيخ
مصطفى قدس سره ، وذلك أنه حدثني أن النبي صلى الله عليه وسلم صرفه في ملك
الفونج ، يعزل ويولى من يشاء ، وأنه قد صرفني بإشارة منه فيه . ومن كراماته
رضى الله عنه أنه إذا أراد الذهاب إلى الشرق أو الغرب ولم يجد السفينة فإنه يمشى
على البحر ، أو يفرش فروته ويجلس عليها فتجرى كالسفينة إلى أن يصل إلى البر ،
وله غير ذلك من الكرامات . توفي رضى الله عنه بأبي حراز عام اثنين وخمسين
بعد المائتين والألف ، ودفن أمام قبة جده الشيخ دفع الله رضى الله عنه مع آبائه ،
وقبره ظاهر يزار ، قال مؤلفه : وقد زرته .

ومنهم الشيخ الغزالي القاطن بعقذر ، كان رضى الله عنه من المعمرين وأهل
ال جذب والأحوال ، وربما أخبر عما كان في عهد الأنبياء مما لا يسطر في كتاب .
— ومنهم الحاج سوار المجذوب ، كان رحمه الله يقول لسيدى الشيخ رضى الله
عنه : قد أدخلت اليوم الجنة والنار في فمي فما ملأته ، فيبتسم الشيخ عند ذلك ويقول
له : كلامك من الحال .

ومنهم الشيخ محمد ولد الفقيه يعقوب العبطى ، كان أول أخذه على يد العارف
بالله تعالى سيدى الشيخ يوسف رضى الله عنه ، ثم بعد وفاته حصل له الإذن
بالتوجه إلى سيدى الشيخ رضى الله عنه والأخذ عليه ، فلما وصل قدم بين يديه

من الهدية خمس أواق ذهباً وناقاة وعبداً كان ملازماً له ، فرد الشيخ عليه العبد والناقاة وفرق تلك الأواق على الحاضرين ، ثم إنه بايعه وأمره بأحد أعداد الكلمة المشهورة في طريقه ، وذلك في أول ليلة من أخذه للطريقة ، فما طلع فجر تلك الليلة إلا وقد فتح عليه . أخبرني الحاج العباس ولد أحمد ولد نصير السروراني ، وكان ممن صحبه زمناً قال : كان رضى الله عنه عارفاً بلغات الطيور والأشجار وغير ذلك ، ور بما بينها وشرحها المریدین . توفي رضى الله عنه بالقلابات ودفن بها .

ومنهم الشيخ إدريس بن محمد المسلماني ، كان رضى الله عنه يخبر بالأشياء قبل وقوعها كشفاً . توفي رضى الله عنه بيلك من بعض جبال الصعيد ، وقبره ظاهر يزار . ومنهم شيخ المریدین ، وبهجة العارفين ، الشيخ محمد بن موسى الشكيتابي ، كان رضى الله عنه رضائه من سيدى الشيخ مطيح رضى الله عنه ، وفطامه على يد الأستاذ الشيخ أحمد الطيب قدس سره . وكان رحمه الله تعالى من أهل العلم الظاهري والباطني ، وله تصريف وحال عجيب مع الله تعالى . حدثني تلميذه الشيخ مكين الحمري قال : رأيته رضى الله عنه إذا حصل به الحال فإنه يسرى إلى جميع التلامذة ، قال وكانت بقعة ذكره في الإضاءة والأنوار ، ليلاً كنهارها . ومن كراماته رضي الله عنه أنه لما توفي تبع نعشه جميع الطير الذي كان على الشجر الذي بقربه جهاراً وما تفرق حتى دفن الشيخ رضى الله عنه . وقد أرشد في الطريقة أمما وخلف فيها نحواً من أربعائة خليفة ، منهم الشيخ ساقه أبوام حيران ، والشيخ مكين الحمري ، والشيخ عبد الرسول ، والشيخ محمد ولد على كرار التليشي . توفي رحمه الله تعالى بالسواني كرو من دارفور ودفن بها ، وقبره ظاهر يزار . ومنهم الشيخ ابن أحمد الجليلي ، كان من أهل المعرفة والصدق ، والقيام والصيام . وله كرامات شهيرة ببلده ، وقد أرشد جماعة في الطريقة واتقاه غالب

أهل بلده وانتفعوا به . وقد تقدم في فضل الكرامات سبب أخذه على الشيخ وطلبه قبله للمشايخ المرشدين . توفي رحمه الله تعالى ببلده من الصبح ودفن به ، وقبره يزار . — ومنهم الحاج أبو عاقلة المسلمي ، كان رضى الله موسى القدم ، وكان أميًا ، فلما صحب الشيخ رضى الله عنه صار يقرأ القرآن بالقراءات السبع . أخبرني شيخنا رحمه الله تعالى قال : كان أبو عاقلة كثير الإخبار بالغيب والمكاشفات ، وكان الشيخ ينهيه عن ذلك ، فاجتمع في بعض الأحيان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فقال له عليه السلام : كل ولي على قدم نبي وأنت على قدمي . فكما أن الكلام مع الله تعالى لم يضرني فكذلك أنت . فقدم على الشيخ ليخبره بذلك فقال له رضى الله عنه مكاشفًا لما في ضميره : قد فهمنا ما عندك وأذنك في الكلام كما أذنك فيه سيدنا موسى عليه السلام . وله كرامات شهيرة شائعة بين أهل بلده . توفي رحمه الله بولد أبي فروع ودفن به .

ومنهم صاحب الكرامات الواضحة والهمة الراسخة الفقيه محمد ولد عبد العليم ابن الفقيه محمد ولد عبود كان رحمه الله محبوباً عند الشيخ رضى الله عنه وكان ممن جمع بين الشريعة والحقيقة ، وقد أمدّه الشيخ رضى الله عنه بمدد عظيم وحال فخيم ، وكان عند اجتماعه به قد وضع الشيخ فيه شيئاً من اكسير حقيقته على محاسن طبيعته فصيره ذهباً خالصاً ، ومن كراماته ما أخبرني به الرجل الصالح الشيخ شاع الدين بن محمد ولد شاع الدين الخضر رحمه الله تعالى . قال كان إذا أتاه طالب مثلاً لقراءة القرآن فإنه يقبضه بحيث لا تميل نفسه إلى شهوة فساد حتى يرجع إلى أهله ، وكان عطاباً للظامة ، وقد حصلت من تأثيرات شتى في جنود المملكة السنارية وحكامها وهي شائعة بين أهل بلده قتله رحمه الله عساكر محمد سعيد الكدخد المصحوبين بشمعدان أغا ومصطفى كاشف عند لحوقهم للأرباب دفع الله عبود ودفن بها مع آبائه وقبره ظاهر يزار .

ومنهم الشيخ الصالح الجراري هذه شهرته كان رحمه الله في ابتداء أمره أمياً فلما فتح عليه ألف تأليفاً حسناً ونظم نظماً بديعاً في الحكمة وقد شاهدت له منظومة بديعة في علم الحرف سماها شمسية الأشراف في علم الحروف والأوقاف وهي أحسن ما رأيته مؤلفاً في هذا الفن . قتل رحمه الله شهيداً ببلاد الغرب .

ومنهم الفقيه فضل السيد ولد حسين الكباشي ، كان رحمه الله من الصالحين والأصفياء الذاكرين ، وحكى أنه كان من أهل الاختفاء والطمى وكان تالياً لصلاة سيدي الشيخ المسماة بسر الأسرار ، وأيضاً غيرها من صلواته على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قليل المنام في ليله ، كثير المحبة والهدايا لأولاد الشيخ ، وكان الشريف محمد الأمين ولد الهندي كثير الخشية منه إذا نزل في خلأويه ويذكر أنه شاهد فيه من الخوارق كذا وكذا ، وقد رأيت في صغري كثير الحال واضح القدم في طريق الرجال ، توفي رحمه الله بحيرة من بلاد الكباشي ودفن بها وقبره ظاهر يزار .

ومنهم الشريف إسماعيل بن الشريف تقاديم الجعفري النقشبندی ، كان مولده ببجر الغزال ، ومنه سافر إلى دراو وسكن بها زمناً . كان رحمه الله من العلماء العاملين ، والصوفية الراشدين ، وكان في ابتداء أمره أخذ الطريقة النقشبندية على الشيخ محمد جان الخراساني المدفون بالمعلاة ، ثم أخذ القادرية على يد الشيخ رضى الله عنه وغيرها من طرائقه . وقد رأيت له رسالة عظيمة ألفها في طرائق الشيخ الخمسة المشار إليها بقوله : نقط جم ، ونظم نظماً بديعاً يشهد برسوخ قدمه فيه .

عرج يا سـعد لأحـبابـي	في باب غـزير وابتـهـج
واشرب بالقلب مدامتـه	واقطف آثارى بالسـرج
حتى تدعوك هواتفـه	بشـائر جذب منـعرج
وارقص في البيـد به طرباً	واصبوا لصبـاه وابتـهـج

رغم للعيس إذا سجت ورق البانات بصوت شجي
وقد انقاد إليه كثير من أهل الصعيد وأخذوا عليه الطريق . وكان أهل بلاد
من الريف لا يبعثون به بدلاً ، وقد شاهدوا منه كرامات وخوارق وتولية وعزلاً
في حكمهم . وقد جلس عند دخوله مصر على فراش محمد على باشا فتغير خاطره
لذلك ، وأحضر بعضاً من علماء الأزهر يمتحنونه فما استطاعوا . وكان كثير التطور
والعبادة وتلاوة القرآن ، وكثيراً ما كان يختمه بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ،
وكان لا يقبل من الهدايا إلا الأسلحة فقط ، كالبنادق والسيوف وغيرها . وتوجه
في آخر عمره إلى مكة ، ثم جمع كثيراً من الدراويش وغيرهم وتوجه بهم لمحاربة
الإنجليز باليمن ، ففقد عند ملاقاته لهم ولم يقف أحده على خبر إلى يومنا هذا .
ومنهم الولي الصالح ، العلامة الشهير الفقيه ، محمد ولد الفقيه سالم العودي ،
الشهير بولد قطبي . كان رحمه الله من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ، وكان معمور السريرة بالتقوى والخوف من الله تعالى ، كثير العبادة ،
كامل الزهادة ، وكان ممن اعتنى به الشيخ رضى الله عنه فأرشده وأثنى عليه .
وحكى أنه يجتمع بالخضر عليه السلام . توفي رحمه الله بقوز العلم ودفن مع آبائه ،
وقبره ظاهر يزار .

ومنهم الفقيه إبراهيم ولد الفقيه سالم ، صنو الفقيه محمد المتقدم ذكره . كان
رحمه الله ممن شغلهم الله بحبه ، وأدناهم لقربه . وقد بلغنا أن أخاه الفقيه محمداً
كان يتعجب من علو همته ، وصدق سيره ونيتته ، وقد بالغ في الذكر والعبادة
حتى حصل به الحال وهجر النساء وجميع المشاهي والمستلذات ، وما زال في ازدياد
وفيض ، وكال حال مع الله تعالى ، إلى أن توفي بالقوز ودفن مع آبائه ، وقبره
ظاهر يزار .

ومنهم الفقيه أمين ولد مكى المسامى نزيل الكنجر ، كان رحمه الله من ذوى الهمة

والصدق والقرب من حضرة الشيخ رضى الله عنه ، وقد وازر الشيخ كثيراً في الشدائد وما زال مستغرقاً في محبته إلى أن توفى رحمه الله .

ومنهم الفقيه أحمد ولد الشيخ ، ولد الشيخ عبد الدافع الحميداني ، صنو الفقيه إبراهيم المفتي ، كان رحمه الله تقياً نقياً ، مباركاً مرضياً ، سليم الصدر ، قوى العزم في الإقبال على الله تعالى والسير ، وكان شيخنا كثيراً ما يذكره بمحبة الشيخ وصدق النية في الله تعالى . وما زال حاله مباركا ، وعمله مستمراً إلى أن توفى رحمه الله بالخفاية ودفن مع آبائه ، وقبره يزار .

ومنهم جليل القدر ، كامل الآثار الحاج ت القلاتي . كان رحمه جليلا في علم الأسرار . حدثني الشيخ حامد ولد جلال الدين رحمه الله تعالى عن نفسه قال : كنت في ابتداء أمرى قد أخذت الطريقة على السيد محمد عثمان الميرغني رضى الله عنه واجتهدت إلى أن خلقتني فيها ، فلما اجتمعت بسيدى الشيخ رضى الله عنه ورأيت منه من الكمالات ما لم أره في غيره أخذت عليه وانتسبت إليه وأفاض علي بما لم يقدر قدره من الأسرار الربانية ، والمعاني العرفانية والحمد على ذلك . ومن كراماته ما أخبر به عبد الحمود بن أحمد بن الشبلي القلنجاي عن أحمد ولد مدني الجعلى قال : كنت ممن صحب الشيخ ت زماناً ، فرأيت منه كرامات شتى : منها أن امرأة من نسائه طلبت منه يوماً أن يشتري لها خادماً تخدمها وألحت عليه في ذلك ، فأمرني أن أحمل فاساً وثوباً وأن أمشي معه إلى شجر هناك ، فوقفت تحت شجرة وأمرني أن أقطع منها عوداً على قدر قامة الإنسان ، فلما فعلت ذلك أمرني أن أضع الثوب المذكور على العود ساتراً له به وأن أتجى عنه قليلاً بحيث أكون قريباً منه ، ثم أخذ سبخته وصار يذكر الله تعالى بهمة عالية والعود أمامه ، ثم رفع صوته قائلاً : بخينة ثلاث مرات ، فرأيت ذلك العود تحرك ثم صار أمة ، فأمرني أن أمسكها بيدي فأخذتها إلى أن أوصلتها لزوجته فعاشت عندها

زمنًا طويلاً ثم توفيت . فإن قيل ما ذكرتموه من قلب العود أمة كرامة يخالف ما قاله الإمام القشيري ونصه : الكرامات تكون خارقة للعادة ولا تنتهي إلى حصول إنسان بلا أبوين ، أو قلب جواد بهيمة أو نحو ذلك . قلت : ما قاله الإمام القشيري ضعيف فقد اعترضه الزركشي في شرح جمع الجوامع بأنه ضعيف قائلًا : والجمهور على خلافه ، وقد أنكره عليه ، حتى ولده نصر في كتابه المرشد ، وإمام الحرمين في الإرشاد ، والنوى في شرح مسلم ، انظر الكمال لابن أبي شريف اهـ . إذا علمت هذا فلا مانع مما ذكرناه ، فإن القدرة سالحة والقادر لا يعجزه شيء . وقد أخذ عن الشيخ تميم المذکور السر جماعة منهم الكامل الفاضل الفقيه عبد الله ولد الفقيه محمد على العباسي وغيره . توفي رحمه الله بأم شراد من بلاد الحمدنة قريباً من بيضاء والسعيد ودفن هناك ، وقبره يزار .

ومنهم القاضي محمد ولد الحاج الضو السروراني ، كان له في الشيخ اعتقاد قوى واهتمام بذكر أحواله وأخلاقه وكراماته ، ولا زال على ذلك إلى أن توفي ببغداد . ومنهم هجو الصباحي ، كان رحمه الله من الذاكرين الله كثيراً ، وكان شغله السياحة ودوام المراقبة ، وقد أخبرني أنه ترك الأكل منذ عشرين سنة ما عدا اللبن وما شابهه في الخفة ، وكان له كشف بليغ ، ثم سأل الله تعالى فحجبه عنه . كان ليله ونهاره ، وظننه وقراره سواء عليه في حال الذكر إلى أن توفي رحمه الله . ومنهم محمد ولد أبي شامة ، كان رحمه الله من ذرية الشيخ شرف الدين راجل نقاوي ، وكان ذا كراماً صادقاً ، وقد قبله الشيخ رضي الله عنه قبولاً تاماً ، حتى وأنه قد زوجه ببعض بناته ، وما زال مقياً معه إلى أن توفي رحمه الله ودفن بأم مرج . ومنهم العطا العقلي ، أخبرني الحاج العباس ولد أحمد ولد نصير قال : اجتمعت معه بالصعيد فإذا وجهه كأنه القمر .

ومنهم أبو بكر ولد أبي القاسم الضواني ، كان رحمه الله من المريدين الصادقين ،

وقد أخبر الشيخ رضى الله عنه أنه قد أدخله القطبانية بعد موته ، وأن من زاره سبع جمع لم تأكله النار ، وقد تقدم لك ذكره في هذا الكتاب . توفي رحمه الله بالضواب ودفن بها ، وقبره ظاهر يزار .

ومنهم الفقيه عبد القادر ولد سعد رحمه الله ، كان ممن يضرب به المثل في محبة الشيخ رضى الله عنه ، وقد بشره الشيخ في مدة حياته ببشائر ، وكان كثير التستر بالمزح والضحك ، معمر السريرة بالله تعالى ، وكان له معرفة بسيرة الشيخ ومناقبه وأحواله . وكان لا يخرج ذكر الشيخ من فمه في رخاء ولا شدة ، ولا غضب ولا رضا ، وقد رأيت متى ذكر الشيخ أو ذكر عنده يبكي . وقد حكى عن الفقيه الريح ولد الحاج أحمد ولد سنهورى أنه رأى منه بعض كرامات . توفي رحمه الله بالجبل ودفن به .

ومنهم الشيخ محمد ولد فضل الله الصبحاوى ، كان ممن أمدد الشيخ رضى الله عنه بعظيم الأمداد وفتح له باب العلم اللدنى ودقائق علوم الإرشاد ، وكان في ابتداء أمره أمياً ، ثم صار بصحبة الشيخ يفتى في الظاهر والباطن ، وله معرفة بعلم السر قيل وبالإسم الأعظم . توفي رحمه الله بآتيرة ودفن بها ، وقبره يزار .

ومنهم الفقيه بدوى ولد أبى صفية العلامة المشهور ، الزاهد المشكور ، كان أخذه للطريقة على الشيخ رضى الله عنه بسنار في عهد قراءته عند الفقيه أحمد ولد عيسى الأنصارى ، وكان الشيخ رضى الله عنه يخاطبه بالكتابة فيما يرى فيه إرشاده ، وكان رحمه الله تعالى قد أخذ طريقة الموافقة الإسمية في عام حجه على العارف السمان بجدة ، وقد وقفت على إجازته له في ذلك . وكان رحمه الله زاهداً عالماً عاملاً لا يداهن في الدين ، ولا يرضى المخلوقين بسخط رب العالمين ، أنوار صدقه على ظاهره تكاد أن تفضح ما يضمه في سرائره . وكان ناصحاً للظلمة قاهراً لهم ، وما وقع منه لأحد باشا وإعراض فرسه عن العليف المنسوب للظلمة كفاية في صدق حاله مع الله تعالى . توفي رحمه الله بمحله من الأبيض ودفن به ، وقبره يزار .

ومنهم الولي الصالح ، العابد الزاهد ، التقى الورع ، الشاكر لربه الحامد ، الشيخ أحمد بن حامد بن أحمد الجيلاي ، كان رحمه الله قد اجتهد في الطريق في السر والنجوى وبلغ من الكمالات الغاية القصوى ، وكان محبوباً عند الشيخ رضى الله عنه ، وقد أمدّه وأشهده المعجائب الغيبية ، وفتح عليه عن خزائن الأسرار المملوكية ، وكان مشهوراً بالبركات والخيرات والكرامات بين أهله الجيلاب وغيرهم ، ولا زال على الاستقامة إلى أن توفى ، عليه رحمة الله وسائر أموات المسلمين .
ومنهم الفقيه مدني ولد الغبشاوي صنو الفقيه الحاج حمد ، كان رحمه الله عبداً صائماً صالحاً ، له بركات كثيرة . توفى رحمه الله بقوزبرة ميرف ودفن به ، وقبره يزار .

ومنهم الشيخ أحمد ولد عيسى ، كان رحمه الله على نهج السلف الصالح في جميع أحواله . توفى بالصلوعاب ودفن في مقبرة الدويحي ، وقبره يزار .
ومنهم الكامل الفاضل الحاج أحمد ولد سنهوري القاطن بالجميعاب ، كان رحمه الله من عباد الله الصالحين ، والصوفية المخلصين ، وقد أقام بالجميعاب بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم على لسان سيدى الشيخ رضى الله عنه ، وكان رحمه الله له همة صادقة ، وأحوال خارقة ، وإجابة سريعة ، ونفس مطيعة ، وكان كريماً حلماً ، وجيهاً مقبولاً عند كافة الناس ، سيما الجميعاب فإنهم لا يخلفون إلا ببركته ، ولا ينقادون إلا لكلمته ، وله معرفة وتصريف بالإسم اللطيف ، وكرامات ظاهرة بين أهل بلده . وقد خلف أولاداً مباركين صالحين ، من أجلهم وارثه في جميع أحواله الظاهرية والباطنية ولد الشيخ الريح . وكان الحاج أحمد المذكور يحبه الشيخ رضى الله عنه كثيراً ويؤثره على غيره ، ولا حجاب بينه وبينه في كل واقعة ، وهو من رجال الخصوصية الباطنية . توفى رحمه الله بالجميعاب سنة ١٢٢٠ ودفن بها ، وقبره ظاهر يزار .

ومنهم الفقيه أحمد صائم الدهر ، المدفون بالهويجي في مدفنة الشيخ محمد أبي قرن . كان صالحاً قائماً صائماً ، سعى بذلك لكثرة صومه . ومن كراماته حينما حضرته الوفاة ، وكان الوقت صيفاً ، فلما رأى شدة الحر ومضايقة الناس من العطش قال لهم : إني لا أموت حتى تمطر السماء ويشرب الناس بأيديهم من مائها ، فما لبثوا قليلاً إلا وقد نزل المطر وشربوا بأيديهم كما قال ، ثم توفي ودفن بالحل المذكور ، وقبره ظاهر يزار .

ومنهم الرجل الصالح الزاهد ، الورع العابد ، الفقيه محمد ولد أحمد أبي قرين الكاهلي الشتوي . كان رحمه الله على جانب عظيم من الكمال ، وكان مشهوراً بتعليم القرآن ، وقد أرشد فيه جماعة منهم الزبير رحمت باشا العباسي ، والشيخ الإمام ولد قادولي الحسي ، والشيخ تاي الله ولد الفقيه عبد الله التعيدي ، وكان له في سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه الاستغراق العظيم فأمدده بالممدد الفخيم ، وقد زوج بعض بناته لخليفة الأستاذ سيدي الشيخ أبي صالح ، فولدت له ولدين مباركين صالحين ، وهما الشيخ زين العابدين ، والشيخ قريب الله ، ومعهما بنات . توفي رحمه الله ببلده ودفن بالمسحورة مع أجداده ، وقبره يزار .

ومنهم محمد ولد الشيخ ولد الأمين ولد سنهوري . كان رحمه الله قد انفرد للعبادة ، ومكث بحبل سيدي الشيخ رضي الله عنه عاماً كاملاً ، وكان له كشف صادق وحال خارق . فمن كشفه أن امرأة من نساء الأكاير من السعداب بشندي قد سرق لها سوميت فالتجأت به في رده عليها ، فوصفه لها أنه عند المرأة الغلانية فأنكرت المرأة ذلك ، فقال أرجعي إليها وقولي لها إنه في فرجك ، فخافت المرأة وخجلت ، ثم إنها أخرجته من فرجها كما قال . توفي رحمه الله ببلده ودفن مع آبائه السناهير ، وقبره يزار .

ومنهم الفقيه الأمين ولد موسى المسيكتابي ، كان رحمه الله من الصالحين

وله اجتماع بالخضر عليه السلام ، ولا يعرف بين أهل بلده إلا بجلّيس الخضر . توفي رحمه الله بالمسيكتاب ودفن بها ، وقبره يزار .

ومنهم الشيخ إبراهيم بن الفقيه الوديع الخالدي رحمه الله تعالى ، كان ممن أرشده الشيخ رضى الله عنه بعد وفاته ، وكان شاباً مباركاً ، جميل السير ، كثير الخير ، نير البصيرة ، كامل السريرة ، . وانتفع به فى الطريقة جماعة ، وقد ألف تأليف تشهد بكماله : منها شرحه على الحكم العطائية ، وشرحه أيضاً على الحكم الطيية ، وشرح نظم ابن بنت الملقى المسمى بشراب القوم شرحاً مفيداً ، وله غير ذلك . توفي رحمه الله سنة ألف وثلاثمائة وعشرة من الهجرة بالتبيران من الخوالدة ودفن بها ، وقبره يزار .

ومنهم الرجل الصالح حامد الحيمادى التعيشى . حدثنى الشيخ الطاهر بن التلب الحيمادى التجانى ، قال : كان هذا الرجل من أعمامنا ، وله مع الله حال عجيب ، وكشف بين الناس غريب ، قال : وهو الذى أشاع بيلادنا وبلاد برقو ذكر سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه وطرائقه .

ومنهم الشيخ الأمين ولد عريفى خال الشيخ برير ولد الحسين ، كان ممن كتب له الشيخ الإجازة فى الطريقة بيده ، وقد اجتمعت ببعض تلامذته فرأيتهم على نور من ربهم . توفي رضى الله عنه بهجام من كردفان ودفن به ، وقبره يزار . ومنهم الحاج عبد الحمود ولد الطيب ولد الشيخ ، كان رحمه الله كثير التلاوة لدلائل الخيرات وله معرفة بسير الشيخ وأحواله ، وله مع الفقيه الأمين ولد أم حقين أخوة واتحاد ، وكثيراً ما كان الفقيه الأمين يروى عنه بعض أحوال الشيخ وكراماته . توفي رحمه الله ببلده ودفن قريباً من قبة سيدى الشيخ رضى الله عنه . ومنهم الفاضل الفقيه محمد ولد الحاج الطيب المذكور ، كان رحمه الله محبوباً عند الشيخ ، وقد زوجه إحدى بناته وبشره بأنه معه فى الدنيا والآخرة ، وقد

شاهد منه الفقيه إبراهيم المفتي ولد عبد الدافع كرامة عند رجوعه من مصر وزيارته للشيخ رضى الله عنه ، وقد ذكرنا هذا فى هذا الكتاب . توفى رحمه الله تعالى سنة اثنين وخمسين بعد المائتين والألف ودفن مع سيدى الشيخ رضى الله عنه فى قبته ، وقبره يزار .

ومنهم الفقيه محمد ولد عبد الدايم ، كان رحمه الله كثير الاجتماع بسيدى الشيخ رضى الله عنه فى حياته وبعد مماته . توفى رحمه الله تعالى بمحلّه من كركود ، ودفن به .

ومنهم محمد ولد عبد الواحد ، كان رحمه الله مقبياً بأبى حراز من كردفان ، مرشوداً ممدوداً وله معرفة بسير الشيخ وأحواله .

ومنهم محمد ولد سأتى على ولد عبد القادر ولد الحاج شريف ، الولى المشهور ، كان رحمه الله على قدم الصدق والإخلاص ، وله معرفة بالطب والحكمة ، وقد شاهد من الشيخ رضى الله عنه عجائب ذكرنا البعض منها فى هذا الكتاب . توفى رحمه الله ببلده من دنقلة ودفن به ، وقبره يزار .

ومنهم عبد الجبار الشايقى ، كان رحمه الله صادقاً مباركاً على نور من ربه . رحمه الله بأبى دوم من دنقلة ، وقبره هناك يزار .

ومنهم الحاج المهدي ولد الداكى من أهل وهيب صنو الفقيه موسى ولد الداكى المشهور بالعلم المدفون بدونتائى من بلاد الصعيد ، كان على الهمة فى الله تعالى ، صالح النية ، مستمراً على الأعمال الصالحة إلى أن توفى رحمه الله .

ومنهم الشيخ النعيم ولد مضوى الترابى ، كان رحمه الله من ذرية العارف بالله تعالى الشيخ أحمد النحلان ، وكان ورده فى الهيلة سبعين ألفاً فى كل ليلة ، وكان الغالب عليه التستر والاشتغال بتعليم القرآن . توفى رحمه الله بولد الترابى ، وقبره هناك يزار .

ومنهم عبد الوهاب الجبerty المدفون بسنار ، حدثني الشريف محمد بن الشريف النور قال : لقد رأيته وعلى وجهه ضياء عظيم ، وقد اندرس قبره بسنار ، وعند مرور العارف بالله الشيخ محمد ولد مكي أظهره للناس .

ومنهم الشيخ حمد ولد المعاني اليماني ، كان رحمه الله يجمع المرید بما يريد ويدخله في الحضرة عبد مبايعته له في الطريقة .

ومنهم العالم العلامة ، الورع الفهامة ، التقي النقي ، الشيخ محمد الأزرق بن أحمد ابن الفقيه حمد ولد المجذوب ، كان رحمه الله إماماً في العلم ، وطوداً في الحلم ، زاهداً عابداً ، وكان على قدم السلف الصالح ، وانعقد إجماع الفضلاء على علمه وفضله وصلاحه . وقد شوهدت منه بركات وكرامات لا تحصى . توفي رحمه الله بمحله من القضايف ودفن به ، وقبره يزار .

ومنهم الفقيه إبراهيم الدويحي عم الشيخ إبراهيم الرشيد ، كان رحمه الله على قدم الصدق والإخلاص ، وكان مهيباً موقراً مكرماً بين الناس ، معتقداً محبوباً عندهم ، وهو من « عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » . وكان الجن يخدمونه جهاراً . توفي رحمه الله بالبيدج من الصعيد ودفن به ، وقبره يزار .

ومنهم العارف بالله الشيخ محمد الصليحي كان رحمه الله مرشداً واصلًا كاملاً معتقداً عند الناس ، لا سيما رفاة وأهل الجبال والأحامدة ، وكان كثير الفناء في الله تعالى فلا تجده إلا وهو معه في حركاته وسكناته . وقد أرشد في الطريقة رجالاً كثيرين وخلف فيها خلفاء ، وله كرامات كثيرة : منها ما حدثني به بعض أصحابنا في الطريقة قال : كنت جالساً بين يديه فسألته عن نظر الأواباء للكعبة المشرفة كيف يكون مع بعد المسافة قال : يرونها من حيث البصيرة هكذا ، قال : فوالله ما استتم كلامه حتى رأيت الكعبة أمامي وقريباً مني . ومنها ما أخبرني به

نصر ولد عمر قال : كَانَ الشيخ رحمه الله بالجبال وكنت يومئذ بها ، فلما أراد السفر توجهننا معه وكان معي جماعة قاصدين بلدنا السافل فحصل بنا في الطريق عطش كاد يهلكنا جميعاً ، فونخ بعض في تلك الحالة الشيخ ولامه في تقصيره في النجدة والإغاثة قال : اصبروا ولا تخشوا ، فما مرت علينا ربع ساعة إلا وقد حصل الزى للجمع من غير شرب ماء بحيث لا يشك أحد منا في ذلك ، فشكرنا الله ومشيئنا ليلنا ونهارنا حتى وردنا الماء ، وكان رحمه الله يحبني ويعظمني كثيراً وربما قال لي : في بعض الأحيان أنت أبو بكر الصديق ، ولا أدري معنى إشارته هذه . توفي رحمه الله يوم الأربعاء ثلثاء خلت من شوال عام خمس وسبعين بعد المائتين والألف بخودة ودفن بها ، وقبره ظاهر يزار .

ومنهج حبيب الله ولد القرضي الشويحي المدفون بأبي عريش من كردفان ، كان رحمه الله أمياً في ابتداء أمره فحصل له الإذن بالتوجه إلى سيدي الشيخ رضي الله عنه للأخذ عليه والانتظام في سلكه ، فأرشدته رضي الله عنه إرشاداً عظيماً شهيراً ، وفتح فتحاً كبيراً ، ثم أذن له بالرجوع إلى بلده لإرشاد المريدين ونفع المسلمين ، فأقام هناك وانتفع به كثير من الناس . ومن كراماته ما حدثني به الشيخ أحمد ولد إبراهيم رحمه الله قال : حسده بعض الناس في زمانه ورماه بالرمايا العظام عند المقدم^(١) مسلم وأرسل إليه جماعة ، فلما بقي بينه وبين الأبيض محل قريب ظهرت تجاه رأسه سحابة تظله من الحر ، فلما رأى المقدم مسلم ذلك خشي منه وخضع وتأدب وأهدى له الهدايا الكثيرة واعتقده ولم يسأله عن شيء مما قاله الحسدة ، قال : ولم يزل قدره سامياً ، وحاله نامياً إلى أن توفي رحمه الله . ومنهم الشيخ علي موز الجبرتي ، كان رحمه الله على قدم الصدق والاجتهاد ، وقد نال مراده في إقباله ، وجنى ثمار الطريقة بأنامل الإخلاص وحسن أعماله ، توفي في بلاد الجبرية ، وقبره هناك يزار .

(١) المقدم لقب يدل على وظيفة خاصة بمعنى المقدم .

ومنهم المصري ولد منوفى ، كان رحمه الله من أهل كردفان ، وكان الفقراء وأهل القرآن يخشون منه إن مر بهم لغيرته ، وكان عطاباً للظلمة وأهل الأهوية والعجب ، وقد شوهدت منه كرامات شهيرة . توفى بكردفان رحمه الله .

ومنهم الفقيه الجبلى ولد فضل الله الذى سميت به القرية التى بالسافل المسماة بالجبلى ، كان رحمه الله من المستعدين للموت ، المستيقظين فى حالتى النطق والسكوت ، وكان يابهج بذكر الموت ليلاً ونهاراً ، حتى كانت العامة يسمونه الموت وكان سيدى الشيخ رضى الله عنه علمه أسرار الحروف الهجائية ، وله فيها تصريح عجيب ، كما أخبرنى بذلك عنه الشيخ محمد ولد الإمام رحمه الله . ومن كراماته رحمه الله أنه رأى مبتسماً بعد موته فى حالة تغسيله . توفى رحمه الله بالجبلى ودفن به ، وقبره يزار .

ومنهم الفقيه منير بن الفقيه محمد نور الضوايى ، ويلقب بالجمهر ، كان رحمه الله من أهل الخير والبركة ، وكان مقبولا بين أهله بحباب الدعوة . توفى رحمه الله بالضواب وقبره يزار .

ومنهم الفقيه خوجلى ولد حتيك والد قاضى قضاة الخرطوم ، كان رحمه الله على قدم الصدق والمحبة ، وقد رأيت له مؤلفاً جمع فيه بعض مناقب سيدى الشيخ رضى الله عنه وهو يشهد بمحبته وصدق نيته وذوقه لمقامات الطريق .

ومنهم القطب الرشيد ، والأستاذ المفيد الشيخ عبد الرحمن الفادنى رضى الله عنه كان أواحد تلامذة سيدى الشيخ فتوحاً ، وكان يتكلم مع الحق تعالى ، وقد تقدم لك فى هذا الكتاب بعض كلامه وكلماته .

ومنهم الشيخ محمد ولد بشير السرورابى ، كان رحمه الله له كشف ظاهر وحال باهر . أخبرنى الحاج العباس ولد أحمد ولد نصير قال : قال لى إبنى لا أدفن إلا باليقيع ، فكان الأمر كما قال .

ومنهم الحاج سارى الليل بن محمد السروراني ، كان قد قرأ القرآن على الحاج أحمد البقاري وأخذ الطريقة على سيدي الشيخ رضي الله عنه وانتفع به انتفاعاً تاماً وكان كثير المحبة في الجنب النبوي ، وكان سبب موته أنه سمع رجلاً يمدح النبي صلى الله عليه وسلم فوق مغشياً عليه ثم أفاق ، ومن يومه ذلك مرض إلى أن توفي رحمه الله بالسروراب ودفن بها ، وقبره يزار .

ومنهم الحاج عبد الوهاب بن محمد البجيراني ، كان رحمه كاملاً واصلاً محبوباً عند سيدي الشيخ ، وكثيراً ما يشير إليه بالسكال والبركة ويأمر أهل بلده بمحبته والاعتقاد فيه . ومن كراماته ما حدثني به ولده محمد أحمد رحمه الله قال : قد رأى كثير من الناس وأهل البلد عند وفاة سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه والدنا حاضراً مع الحاضرين ، مع تقدمه في الوفاة على سيدي الشيخ بسنين . توفي رحمه الله بالسروراب ودفن بها ، وقبره يزار .

ومنهم الفقيه محمد ولد الأزيق الجلابي ، كان رحمه الله على قدم الإخلاص وسير الخواص ، صوّماً قوَّاماً ، كثير الدخول في الخلاوى ، وكان له معرفة بالأسماء وخواصها وتصرف في الجن . ومن كراماته أن النور قد شوهد على قبره مراراً ، توفي رحمه الله بأم قحف من العليفون ودفن بها ، وقبره يزار .

ومنهم الحاج محمد ولد نعيم الزملي ، كان رحمه الله من المحبوبين عند سيدي الشيخ رضي الله عنه ومن الذين يحملون رايته في السفر ، وكان كثير السؤال له من الأمور التي لا يكاد يسأله عنها أحد غيره من خصوصيات سيدي الشيخ قدس سره ، وكان كثير الذكر والسهر . توفي بالشرق ودفن قريباً من قبة العارف بالله الشيخ يوسف ولد الطريفي رحمهما الله تعالى .

ومنهم القاضي أحمد ولد الكامل الخلاوي ، كان رحمه الله من تلامذة سيدي الشيخ يوسف ولد الطريفي ثم انتقل إلى صحبة سيدي الشيخ رضي الله عنه ، وبعد

أخذه للطريقة على الشيخ توجه إلى شندى لأمر له هناك فرأى سيدنا عزرائيل في المنام وهو يقول له : إن أجلك قد قرب ، أتحب أن أقبض روحك هنا أو ببلدك ؟ فقال له : ببلدى ، فرجع من يومه إلى بلده ، فلما وصل انتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى .

ومنهم محمد خير ولد بركان الشايقى ، كان رحمه الله على إثر القوم والتخنى بأخلاقهم ، وقد شوهدت منه بركات ، توفى قتيلاً بالخرطوم رحمه الله .

ومنهم الحاج محمد ولد قرشى الخلاوى ، كان رحمه الله تعالى على نور من ربه ، وقد حكى لى فيه محمد ولد عمر الخلاوى بعض كرامات وبركات ، توفى رحمه الله بالخلاوين ، ودفن بها .

ومنهم الطيب ولد رحمه الجعلى السكبوشابى ، كان رحمه الله على قدم الصدق وقد عمر زمناً طويلاً ، وكان ملازماً للذكر وقراءة دلائل الخيرات والبردة والخصائص وغيرها نحواً من سبعين سنة ، كثير الورع والعفة ، وله حال مع الله تعالى ، توفى رحمه الله بدماس من البحر الأبيض ودفن بها وقبره يزار .

ومنهم الشيخ سعيد المسامى ، كان رحمه الله من الذاكرين الله كثيراً ، وقد خدم الشيخ رضى الله عنه سنتين ، وله معرفة بسيرته وأحواله ومناقبه ، وقد أخبرنى رحمه الله أنه كان إذا أرسله سيدى الشيخ إلى موضع فإن الأرض تطوى له ، قال : وكثيراً ما كان يرسلنى إلى جبرة فأذهب إليها وأرجع قبل تمام نصف اليوم والحال أن بينها وبين محل سيدى الشيخ بالسير المعتاد مسافة كبيرة . توفى رحمه الله بالشرق ودفن به ، وقبره يزار .

ومنهم الفقيه محمد ولد المحبوب النفيعبابى ، كان رحمه الله تعالى ممن نفع الله به عباده ، وقد أرشد فى القرآن كثيراً من الناس ، وكان كثير الميل إلى التواضع والخمول وعدم الشهرة ، وقد شوهدت منه بركات كثيرة . توفى رحمه الله بالمتمة ودفن بها ، وقبره يزار .

ومنهـم الشيخ على أبو قراـدر يس من أهل الجذب بالأرض البيضاء ، حدثني من كان معه وشاهده من أهل الله قال : رأيته رضى الله عنه لا يأكل طعاماً ولا يبلذنه منام ، إلا أنه فى كل يوم جمعة يأتيه ثعبان عظيم فيأكله ، فإذا أكـله يخف عليه الحال والجذب ، قال : وهكذا حاله .

ومنهـم الولي العارف ، والكامل الغارف ، الشيخ ياقوت الصليحاني الأنصاري كان رضى الله عنه ياقوتاً كاسمه ، وكان فى جميع أنفاسه وحركاته مع الله تعالى ، وقد رقى فى الولاية معظمها ، وكان سبب موته رحمه الله من حر أنوار المشاهدة . وله كرامات لو كتبت لمأت مجلدا ضخماً . توفى رحمه الله بقدي من بلاد الحبشة ودفن بها وقبره يزار .

ومنهـم بخارى ولد بشير ، كان رحمه الله من الصالحين ، وهو الذى ابتدأ عليه والدنا قراءة القرآن ، وغيره من أولاد سيدى الشيخ رضى الله عنه ، وكان كثير الأحوال ، صادق الأقوال ، توفى رحمه الله بأم مرح ودفن بها .

ومنهـم ديدى بكسر الدالين المهملين بينهما ياء ساكنة ، كان رحمه الله تعالى من أهل الآيات والخوارق ، وقد سكن بإذن من سيدى الشيخ رضى الله عنه ببلاد باقرمة ، وانتفع به كثير من الخلائق ، ثم توفى وخلف بعده ابنه الطيب فكان طبيباً كاسمه ، ولكل من الوالد والولد كرامات شهيرة ببلدهما .

ومنهـم الشريف إبراهيم العايدى ، كان رحمه الله على حالة الاستقامة والسكرم والتواضع لله تعالى ، وكان وجيهاً مقبولاً مشهوراً عند الخلق بالفضل والكمال وإجابة الدعوة والكشف ، وكانت إقامته بسنار ثم انتقل إلى الخرطوم ، وتوفى رحمه الله به مقتولاً .

ومنهـم الشيخ حسن بن آدم المجدوب الكنجارى القاطن بالخرطوم ، بل وصاحب التصريف به . أخبرنى ابن أخيه ساقه قال : إن جدى آدم من تلامذة

سیدی الشیخ رضی اللہ عنہ ، ومن أرشده علی یدیه فأخذ فی بعض زیاراته حسناً
المذکور وتوجه به إلی الزیارة فلقنه الشیخ قدس سره الذکر بطاب من والده ،
فجذب من وقته ، فذهب به والده إلی بلده ، ثم حصل له الإذن الباطنی بسکنی
الخرطوم ، فأقام به مجذوباً إلی أن توفی رحمه الله ، وكان له التصریف النافذ فی
حکامه وغیرهم ، وله کرامات مشهورة بین أهل الخرطوم .

ومنهم الفقیه صغیرون ولد محمد وأخوه الفقیه الزین ، کانا رحمهما الله علی قدم
الاستقامة والتوفیق والذکر إلی توفیا ودفنا بأبی حلق من الخرطوم .
ومنهم الشریف أحمد بن موسی السواکنی ، کان قد تنباه سیدی الشیخ
رضی الله عنه ، وكان عنده بمنزلة أولاده ، وقد زوجه بإحدى بناته ، وكان غنياً
سخياً وله معرفة بعلم السر والکیمیا . توفی رحمه الله بعد وفاة سیدی الشیخ ودفن
معه فی قبته وقبره یزار .

ومنهم صاحب الفیوضات والعلوم الدنیات والکرامات والآیات ، والتلامذة
الذین کانوا یعرفون ما للشجر والطیر من اللغات ، العارف بالله تعالى الشیخ محمد
ولد الأزرق الرفاعی ، کان رضی الله ولیاً مرشداً داعياً إلی الله تعالى علی بصیرة .
وقد رأیت إجازته بخط الشیخ رضی الله عنه وذكر فیها أنه من عباد الله الصالحین
الذین لا خوف علیهم ولا هم یحزنون . ومن کراماته ما أخبر به تلمیذه الشیخ علی
ولد الکدک قال : أبقَ لی عیة فجلست فی موضع وجعلت أسأل الله تعالى أن
یرده إلی فرأیت الشیخ محمد ولد طه قد جاءنی ووضع فیه فی إذنی وأخبرنی بمحله
وذلك یقظة وكان بینی و بین محله مسافة یومین . ومن کراماته أيضاً ما أخبرنی به
بعض تلامذته قال : رأیناه رضی الله عنه یزید بزیادة البحر بحیث لا یستطیع أن
یحمله شیء ولو جملاً . ومن کراماته ما حدثنی أيضاً به من أثنى به من تلامذته قال :
رأی الشیخ فی بعض الأيام کلباً راقداً علی سریر کان یجلس هو علیه فاتهر

الكلب من ثم قال له : إن سيدى الشيخ أحمد الطيب يقول لك مت فمات
الكلب من ساعته ، وكان رضى الله عنه لا يماثل بأحد من أقرانه فى التربية
وإرشاد المريدين . وقد انتفع به فى الطريقة خلائق لا يحصون عدداً ، وخلف
فيها خلفاء كثيرون : منهم الشيخ عبد القادر بن الشيخ عبدالوهاب الأيضاوى ،
والشيخ على ولد الكدك ، والشيخ محمد ولد فلتوب ، والشيخ الزمزمى ، والشيخ
طه ولد الرضى ، والعالم الصالح الشريف الأمين ولد أبى خف ، وكان قد مدح
الشيخ المذكور بأبيات لطيفة تشهد بصدق نيته وكاله فيه ، مشيراً فيها لابن عمه
وصديقه الشيخ عبد القادر الأيضاوى المذكور ، وهى هذه :

شيخ الطريقة يابشرى بما أخذت	كفاى منه قبل الوصف بالحلم
محمد نجل طه أكرم بسيرته	من عارف قد رقى العلياء بالهم
بحر الحقائق ساقى الفيض رائده	من وزن أسرار الهطال كالديم
رقاه مولى المعالى القطب قدوتنا	الطيب المفرد القياض بالكرم
لما دنوت إلى ميقات حضرته	ناديت من فرحتى ابن العم ذا الهم
يا نجل أبيض عبد القادر القطن الـ	قوام لله بالأذكار فى الظلم
هيا بنا لمربى الروح من ربحت	منه المريدون من عرب ومن عجم
لنجتلى الكأس صفواً قبل كدرتها	من كف حبر نفيس مرشد علم
ما كل وقت ترى الأرياح ناسمة	وكل دهر ترى كالشيخ فى الأهم
فربما يحرم الإمكان طالبه	وربما لا تجود السحب فى الدم

توفى الشيخ طه المذكور رحمه الله بديركى ودفن بها ، وقبره يزار
ومنهم الكامل الصالح الحاج أحمد الغبشاوى ، كان رحمه الله من خواص
تلامذة الشيخ رضى الله عنه ، وكان من أهل الفتح والذوق والاجتهاد والشوق ،
كثير الاستغراق فى محبة سيدى الشيخ ، عارفاً بكراماته ومناقبه ، وكان كثير

التلاوة للقرآن ، فلا تكاد تجده ليلاً ولا نهاراً إلا وهو مشغول بذلك ، وما زال على ذلك إلى أن توفي ولسانه رطب به ، وقد شوهدت منه كرامات شهيرة وبركات عطيرة ، ومع ذلك قال عند موته إني ذهبت إلى الآخرة صندوقاً مقلولاً . توفي رحمه الله عام — ودفن مع آبائه ، وقبره يزار . ولتخلف بهؤلاء الذين انتفعوا منه بالإرشاد في حياته الذين أرشدهم بعد وفاته لصدق محبتهم فيه ، وكامل اعتقادهم ، فمنحهم لطائف أسرارهم وكساحم بخلة أنوارهم .

منهم الكامل المرشد العارف الشيخ محمد ولد بدر رحمه الله تعالى ، حدثني بعد أن سأله عن شيخه عام أربع وثمانين بعد الألف والمائتين فقال لي : هو الشيخ عوض الجيد ومحبتى في الشيخ حسن ولد حسونه ، وأما إرشادى فهو من جدك القطب الأعظم سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، ثم سرد لي القصة بتمامها ونصها قال : جاء سيدى إبراهيم الدسوقي بن سيدى الشيخ أحمد الطيب ماراً ببلدنا فزرناه وسألناه يحدثنا بحديث سمعه من سيدى الشيخ ، وكان معى وقتئذ أخى الشيخ محمد المقابلى ، فقال لنا : سمعته يقول من زارنى بعد وفاتى إلى ثلاثين سنة فإنى إرشده بعد مماتى كإرشادى غيره فى حياتى ، فمن ذلك المجلس توجهنا إليه نحن الإثنين وزرناه وبتنا عنده ، فلما جن الليل أمرت أخى الشيخ المقابلى أن يجلس عند رجلى سيدى الشيخ رضى الله عنه ، وجلست أنا فى محراب سيدى الفقيه محمد ولد سرور ، فلما أصبحنا وجد كل واحد منا مقصده من الإرشاد اه .

وكان الشيخ محمد ولد بدر ملازماً بعض أورايد سيدى الشيخ رضى الله عنه للوصلة به ومزيد المدد إلى أن توفي ، وذلك كصلاته سر الأسرار والحسيلة أربعائة وخمسين فى كل يوم ، وقد شهر هذه الصلاة بين جميع تلامذته وأمرهم بالاشتغال بها لما وجدته من النفع فيها ومزيد الإرشاد ، وهم عاكفون عليها إلى يومنا هذا ، ومنهم

من لم يشتغل بغيرها لترغيب شيخه له فيها واستغراقه فيها وفي محبة الشيخ رضي الله عنه ، وذلك مما لا يخفى ، فمن جالسه عرف ذلك منه رحمه الله تعالى .

ومنهم الصالح الكامل الفقيه المصطفى بن الفقيه الأمين ولد أم حقين ، وسبب إمداده ما حدثني به قال كان بين زوجتي أم أولادى بنت الملك وبين حاج المهدي شراكة في بعض أشياء فكتب إلى كتاباً بالغاً من الخشونة الغاية ، فقرأته فأنتهب صدرى غضباً فكظمت غيظي وذكرت مكانة حاج المهدي المذكور من سيدى الشيخ أحمد الطيب ووضعت ذلك الكتاب في صدرى فعلمتني عيناى فرأيت سيدى الشيخ رضي الله عنه يقول لى : هل رضيت بما قيل لك أم لا ؟ فقلت له : رضيت يا سيدى ، ففتح على فى تلك الحالة ما عسر علينا فتحه قبل ذلك مع شدة المكابدة والاجتهاد ، والحمد لله على ذلك .

ومنهم الشيخ إبراهيم ولد الوديع ، وقد تقدم ذكره . ومنهم الشيخ عمر الرباطى وسيرته مشهورة بين أهله .

ومنهم الأستاذ الكبير والولى الشهير الشهيد بداره من صبغ المحبين بهديه وأسراره صاحب الكرامات الظاهرة ، والأحوال الفاخرة ، والمقامات السنية ، والهمم العلية ، الشيخ عبد الله بن الفقيه محمد بن الشيخ عبد الله بن الفقيه على ابن الشيخ عبد الله أبى قرين بن الفقيه على بن الشيخ سليمان الصابونابى السمانى طريقة العامرى نسباً وكان رضى الله هو وسيدى الشيخ محمد توم ولد بان النقاأخوين فى الطريق لأنهما قد ذهبا إلى سيدى الشيخ أحمد الطيب وتلقنا منه الطريق ولاتحاد روحيهما انتقلا إلى البرزخ فى عام واحد وما بين وفاتهما إلا يومان فقط هذا توفى بالخمس وذاك بالأحد .

ولد سيدى الشيخ عبد الله الصابونابى فى سنة ١٢٠٣ وتوفى يوم الخميس الموافق ٢ من شهر القعدة سنة ١٢٦٨ وله من العمر خمس وستون سنة وله من الكرامات

وخوارق العادات شئ . كثير وسندكر منها ما رويناه عن بعض تلامذته أنه قال ما رأيته مضجماً على فراش قط . وقال آخر رأيته يجلس جلسة واحدة لا يحرك رجله منها نحو العشرة أيام . وقال غيره قد أتاه عشرون شخصاً وكل منهم أضمر ما يشتهيهِ فأمر لكل واحد منهم ما أرادهُ وهو جالس لم يتحرك عن مكانه . ومن كراماته رضى الله عنه أنه قد أتى إليه الشيخ محمد الفاضل وهو يحتاج إلى إغاثة فأعطاه ثمانية قروش فصار يتصرف منها مدة حياته . ومن كراماته رضى الله عنه أن مسجده وكان بعيداً من البحر مسيرة يوم وقد أتى إليه ستة وسبعون شخصاً وكانوا في أشد حاجة إلى الماء فسقاهم من أبريق كان معه وأطعمهم حتى شبعوا ومن كراماته أيضاً أنه أتاه رجل على بعيره كاد أن يهلك عطشاً وليس في هذا المكان ماء فأمر بإحضار إناء ومس عليه بيده فامتلاً الإناء حتى فاض فشرب الرجل وبعيره . ومن كراماته رضى الله عنه لما أتى إليه الدينكا سكان الجنوب يحبسهم يريدون قتله فرأوا المكان مرتفعاً بالهواء على بعد مسافة لم تدع لهم من الأمل شيئاً فرجعوا خائبين . وفي السنة الثانية حضروا على نية غدرهم بالشيخ فوجدوا القرية وأهلها ومواشيها مرتفعة أيضاً كما كان في المرة الأولى وبعد السنة الثالثة رأى أنه لا بد من نفاذ المقدور فامثل الشيخ أمر خالقه الذى لا مفر منه وقتل هناك شهيداً حميداً ومعه تلامذته وأولاده بداره التى تقع جنوب سنار المدينة وهذه الدار التى تأسست من عهد الجد الأكبر الشيخ سليمان الذى اشتهر به اسم الصابونابى وكان ساكناً بالخرطوم واستقر بها من بعد حضوره من بلدة أجداده التى تسمى دَراؤ ، وهى من أعمال مصر، وبها مشهد الأستاذين الجليلين السيد عامر والسيد عمران وبعد ذلك قد رأى الشيخ أن يسكن بجهة الصعيد بعد الاستخارة هو وأتباعه . وقام لمقابلة ملك سنار وذلك فى عهد السلطنة الزرقاء وطلب منه أرضاً يسكنها بمن معه وكان لهذا الملك رجل مُلاك قد اختاره من رجال دولته

للمصارعة ، فلما حضر الشيخ المذكور قال له الملك ليس لي مانع من إعطائك بقعة تسكنها ، ولكن بعد مصارعتك لهذا الملاك . فإذا صرعتك فلك ما شئت وإلا فلا حاجة لك عندي ، فاستعان الشيخ بالله تعالى وتصارعا فصرعه الشيخ وقام مرة أخرى فصرعه الشيخ أيضاً ، فعند ذلك عظم في عين الملك وعلم أن صرعه لذلك الرجل القوى كرامة له .

وقد أنجز وعده مع الشيخ بإعطائه الأرض التي هي جنوب سنار المذكورة آنفاً ، وهي التي وصل إليها سيدي الشيخ إبراهيم الدسوقي بن سيدي الشيخ الطيب لعزاء سيدي الشيخ المصطفى في والده الشيخ عبد الله الشهيد المترجم له ولم يكن قابله في ذلك الوقت وقد قابله مرة أخرى وقد خربت تلك الدار ولم تعمر حتى الآن ، وذلك على لسان ابنه الخليفة بعده الشيخ مصطفى رحمه الله تعالى ومن كراماته رضى الله عنه أن له من الأولاد ما ينوف عن العشرين ، وقد ذهب بعد أن أنجب هؤلاء الأولاد من امرأة من القواعد ، وأعلن خطبتها من أهلها فأبوا أن يزوجه بها لعلمهم أن عندهم من هي أجمل منها وأصغر سنًا وهذه لا تليق به ، فقال لهم إن أعطيتُمونيها ففيتها راحة لي ولسم ، فلم يسمعهم بعد مقالته تلك إلا تزويجهم لها منه ، وقد رزق منها ولدان وهما الشيخ المصطفى وأخوه المهدي . وقد تحققت إشارة الشيخ بأن خلفاءه وورثته بركته هم الموجودون الآن وإنهم من نسل تلك المرأة ولم يكن من نسل العشرين المذكورين سابقاً غير واحد وهو الآن بكر دقان ولم تكن له ذرية والله أعلم بما كان وما سيكون .

ومنهم العبد الفقير جامع هذه المناقب قال : لما من الله تعالى على رأيت روي قد دخلت في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم دخلت السهوة فجلست عند قبره عليه الصلاة والسلام وأنا أتلو لهذا البيت المنسوب لسيدي عبد الرحيم البرعي وهو هذا :

في روضة من رياض الجنة ابتهجت حسنا وطاب بها للنزول
فما لبثت قليلاً إلا وقد رأيت كأن الشمس قد طلعت في السهوة ، فنظرت
فإذا هو سيدى الشيخ رضى الله عنه ، فقلت له : يا سيدى إن إرشادك يعم جميع
الخلق إلا نحن ، فقال : ادخل خلوة الأربعين ترق مقام المخلصين أو كلاماً معناه
هذا ، فدخلتها بحمد الله تعالى ثم ناولنى حروفاً وقال لى : بعدها لا يشكل عليك
شئ من أمر دينك والله الحمد على هذا ، وجميع ما نحن فيه وعليه فهو من فيضه وبركاته
ليس لأحد سواه علينا منة في الإرشاد وسبوغ الإمداد ، ولا يتوهم متوهم أن رؤيتى
هذه وما حصل من الإمدادات كان بعد أخذى للطريق ، بل كان ذلك قبل
أخذى له ، وما أخذته من الأشياخ كتلقين الطريق الواقع بإذنه رضى الله عنه لى
به والإجازة منهم فيه ، فإنى ما برحت عن نسبة ذلك إلى من أخذته عنه ومازالت
حافظاً للأدب وناسباً كل شئ إلى صاحبه :

لكن ذلك لم يظفر به أحد إلا امرؤ فارق الدنيا وما فيها
قال مؤلفه : هذا ما يسره الله لى من ذكر تلامذة سيدى الشيخ رضى الله
عنه المشهورين ببلاد السودان خاصة دون غيرها ، وأقول كما قال بعضهم :
لا زال هذا الجمع جمع سلامة لا نقص يعرفه ولا تغيير
والجمع من أعدائه فى قلة ونقيض تلك العلة التكسير
ولولا ما بنا من شغل القلب وميلنا إلى الاختصار لأظهرنا من هؤلاء التلامذة
الذين ذكرناهم وغيرهم ما يطرب الأرواح ، ويرقص الأشباح من الآيات والمعارف
والخوارق واللطائف ، وفيما ذكرناه غنية لأولى الألباب ، ومن اقتفى أثرهم من
الأحباب ، نفعنا الله بهم وبمددهم ولنا فيهم :

قوم لقد عطر الأقطار ذكرهم مذ عطروا بغوالى الفيض والكاس
رقوا بطيونا السامى على زحل فى الله رتبة أبدال وأكياس

لله درهمو من عارفين هو أحيوا كثيراً من الأموات في الناس
ما كان شغلهم غير الهداية في كل الأحياء أو ورد وآساس
يا مبتغى في الورى آثارهم شغفاً طهر قوادك من هم وأدناس
عسى لقلبك يأتى الفيض منهمراً من حضرة المصطفى أعداد أنفاس

الفصل العاشر

في بيان أولاده الذكور ، وما لهم من المناقب والفضل المشهور
وأقول : منهم القطب الربانى ، والنور الرحمانى سيدى الشيخ كمال الدين ،
كان رضى الله عنه من الأولياء المقربين ، كما أخبر بذلك والده رضى الله عنه .
قرأ القرآن على الولى الصالح الحاج أحمد البقارى ، وسبب جذبه أنه كانت له بقرة
فولدت فذهب إلى الكلا ليأتى به إليها فلقيه والده على الطريق فسأله : من أنت ؟
قال : كمال الدين ، قال له : ألهذا خلقت ؟ ! فجذب من ساعته ، واستمر عليه
الجذب إلى أن حجب عن الأبصار بالسياحة في حياة والده ، وكان يمكث في
باطن البحر الأيام العديدة . وقد ظهرت على يده كرامات شتى : منها ما أخبرنى به
شيخنا رحمه الله تعالى قال : وجد مرة رجلاً به داء الطحال فضر به بيده على بطنه
فخرج جميع ما فيها من الأذى وشفى لوقته . ومنها أن ابن عمه منيراً ولد البكرى كان
في صباه مقعداً فضر به بحجر فقام على قدميه من ساعته . ومنها أن جماعة من فزارى
كانوا جيراناً لوالده ولهم إبل فأصابها الجرب فصنعوا لها قطراناً لأجل الطلاء
وجمعه في الأوانى فعثر به فشر به جميعه ، فأخبر المذكورون والده بذلك ، فقال
لهم : أين هو الآن ؟ قالوا غطس في البحر ! قال لهم أوقفوا إبلكم على ساحل البحر
في المحل الذى غطس فيه ، فإذا خرج فاشكوا له ما يابلكم من الجرب . فلما خرج
من البحر شكوا إليه ما حل يابلهم من الجرب ، فنظر إليها نظرة فزال جميع

ما بها في الحال ، وكان رضى الله عنه غيائاً للمستغيثين وما اجتمع به بعد سياحته
إلا أخوه سيدى الشيخ إبراهيم الدسوقي رضى الله عنه ، والرجل الصالح المجذوب
أحمد الجعلى بن الحاج عبد الواحد ، كما أخبرنى بذلك عن نفسه .

حدثنى الشيخ سعيد المسلمى تلميذ سيدى الشيخ قال : سألت سيدى الشيخ
رضى الله عنه عن ولده الشيخ كمال الدين المذكور وقلت له : هل يحىء أم لا ؟
فقال لى : اليوم هو أكبر أهل الدوائر من الأولياء وأمره قد صار بيده ، إن شاء
أتى وإلا فلا . قلت : كنت يوماً جالساً مع الفقيه عبيد الله الدرويش الركابى
القاطن بأبى فروع ، وهو من أهل الآيات الظاهرة ، والبركات المتكاثرة ، فسمعتة
يقول : أما يخشى الله الخضر ! قد أتعبنا فى هذا اليوم أنا وكمال الدين بن سيدى
الشيخ أحمد الطيب وحملنا أثقالاً عظيمة ، فعلمت بهذا وجوده على قيد الحياة ،
وبلغنى أن محمداً ولد الفقيه أحمد ولد عبد الدافع اليوم معه ، وهو من أكبر رجال
الماء ومسكنه تحت البحر ، وكان ممن أثنى عليه والده سيدى الشيخ رضى الله عنه
وقال فى حقّه : ما من من منزل أحل فيه من منازل العارفين إلا وأجده فيه ،
وذلك لأن تربته من الحق بغير واسطة وهو من الطلقاء الذين لا يقيدون .

غوث إذا نودى لكشف مله واسود وجهه من صروف زمانه

وفى الروض النضير فى مناقب سيدى الشيخ أحمد الطيب بن البشير قدس سره
للمؤلف المذكور :

لسيدنا كمال الدين فخر على كل الرجال الواصلين

يغيث لكل من يهواه فوراً ويحيى بالقيوض الطالبين

له بين الرجال عظيم شأن وسلطته حكاهما العارفون

وصفته رضى الله عنه أنه كان أخضر اللون صبيح الوجه وعلى خديه فصوص

كبار ، لاه بذكر الله فى جميع أحيانه وأغلب ذكره باسميه تعالى الحق والودود ،
وغاص فى ظلمات البحر بوجود والده على موافقة الحكم الإلهي فيما خص به
رضى الله عنه ونفعنا به .

ومنهم الجامع بين علمي الباطن والظاهر ، الراقى على ذروة الجهد باستغراقه
فى مشاهدة الله القديم الأول الآخر ، رب القدر الرفيع ، والمدد الواسع ، العارف
بالله تعالى سيدى الشيخ مطيع ، كان رضى الله عنه قد قرأ القرآن وتبحر فى العلم
ولازم خدمة والده عشرة سنين وكان يقوم بكسوة نساء والده ونفقتهم وما يحتاجن
إليه ويخدمهن خدمة التلامذة وذلك بعد أخذه للطريق ، ثم أجازته والده فيها
وسقاه كأس التحقيق ، وعلمه علم الحروف والكيمياء ، وأمره بالسفر إلى مدينة
سنار والإقامة بها ، وكان ذلك بعد أن أرسل إلى سيدى الشيخ عبد الكريم
ابن قطب الطريقة سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه يعرفه بأنه قد عزم
على إرسال نجله المذكور إلى مدينة سنار وإقامته بها فأذنه فى ذلك وأرسل له
ببرقين من عنده وأيده والده تأييداً لم يسمع لغيره ، وبعد وصوله إلى المدينة
المذكورة انتاد إليه جميع الناس والعلماء والأجلاء ، وأخذوا عنه الطريقة وانتفعوا
به انتفاعاً تاماً ونالوا به فيضاً عاماً ، ولو لم يكن من الآخذين عليه والمتفعين به
إلا الشيخ محمد بن موسى الشكيتابى ، والشيخ عبد الله الصابونابى العاسرى لكفى
فى شاهد كماله ، ورفعة شأنه ، وكان رضى الله عنه طوداً فى علم الأسرار وله
التصريف العجيب ، وكان كريماً حليماً ، وجيهاً عظيماً مقبولاً عند الملوك وغيرهم ،
وكان الملوك والصالحون يقفون على بابه وربما دخلوا عليه دخول التلامذة على
أستاذهم أدباً وتواضعاً ، وكان سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه لا يفرش
لأحد بين يديه فراشاً يجلس عليه إلا له أو للشيخ أحمد البصير ، ويقول رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرش لها ولا يتوهم أحد أن فراش رسول الله

صلى الله عليه وسلم لها كهذا الفراش المعلوم ، إنما ذاك من قبيل أنوار معروفة بين أهل الديوان ، وإنما هذا تمثيل لقرب الأفهام ، وحفظ للحرمة ، فافهم تفهم ، حدثني شيخنا قال سمعت سيدى الشيخ مطيع رضى الله عنه يقول : كنت إذا جئت إلى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه عليه الصلاة والسلام يفرش لى ، وأنا أراه يفرش لأخى إبراهيم الدسوقي وأظن أن عمرى أقصر من عمره وأنه الشأن من بعدى فكان الأمر كما قال : ومن كراماته رضى الله عنه أنه كان إذا أشار إلى أحد بإشارة خيرية أو شرية فإنها تحصل له فى الحال . توفى رضى الله عنه بمدينة سنار فى حياة أبيه عام خمس وثلاثين من بعد المائتين والألف . وقبره بها ظاهر يزار .

ومنهم صاحب الكرامات الجليلة والأنفاس القدسية سيدى الشيخ إبراهيم الدسوقي كان رضى الله عنه قرأ القرآن على الفقيه المصرى ولد قنديل ومختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي بالقوز وهو ممن جمع بين علمي الظاهر والباطن وكان شجاعاً مهاباً مطاعاً ، وله تصرف عجيب فى الظلمة ، فمن ذلك حكاية مشروم الشهيرة ، وأيضاً فإنه تصرف فى بعض الجن بالقتل ، وكان عطاباً غيوراً سريع الإغاثة على الهمة ، حدثني الفقيه أحمد المصطفى بن الفقيه الأمين رحمه الله تعالى قال : رأيت مرة الشيخ إبراهيم الكباشي أراد الجلوس على نار قرأنا بقصد إخمادها فمن قبل أن يتمكن من الجلوس رأيت سيدى الشيخ إبراهيم الدسوقي رضى الله عنه تعلق بأذياله ، فطار الشيخ الكباشي حينئذ متوجهاً إلى جهة الشرق والشيخ إبراهيم الدسوقي لا زال طائراً خلفه قريباً منه حتى يكاد أن يتناول رجله بيده وهكذا إلى أن غابا عن بصرى اه . قلت إنى اجتمعت بالشيخ إبراهيم الكباشي فى ثانى يوم هذه الحكاية فحكى لى من غير أن أسأله أنه رأى مناماً سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه وبيده سلسلة وهى فى عنق أسد عظيم كما أراد ذلك الأسد يثب على جذبه إلى خلف وهو يتنسم . قال فاجتمعت بعد ذلك

بالخضر عليه السلام ، وسأله عن ذلك . فقال لى : جاورت الشيخ أحمد الطيب وأراك لم تسترح من جهته ، قال لى رحمه الله : لقد جاورت وما وجدت راحة من ابنه الشيخ إبراهيم الدسوقي ، ومن كراماته رضى الله عنه ما حدثنى به الحاج العباس ولد أحمد ولد نصير ، قال : كنت قد أخذت الطريقة عليه من بعد أخذى للطريقة الختمية ، فوقع لى من بعض أهل قرابته شىء ، فامتنعت عن زيارته والاتصال به ، لحصل بى مرض شديد ، وأشرفت منه على الهلاك ، فرأيت أخذ الشهادات من قاي فبقيت متحيراً لا أستطيع النطق بهما ، فلما اشتد على الأمر وكثر خوفي من سوء الخاتمة رأيت رضى الله عنه فى النوم وهو بحال ربانى وطلبت منه السماح فسأحنى ، فى تلك الساعة شفيت ورد على ثوب إيمانى ، ومنها أن سليمان كاشف بن داود كان له فيه اعتقاد جميل ، فلما نما البحر وقرب أن يهدم بيتاً له أرسل إليه وشكاه ذلك فوقف رضى الله عنه ليلاً على ساحل البحر وهو يقول له ارجع ، فأصبح وقد نقص كذا كذا شبراً ومن مكاشفاته رضى الله عنه ما حكاه لى شيخنا قال : جاءنا هنا بالحلّالين مرة فشيعة فى سفره بعض الناس فلما رفع يده بالفاتحة ليوادعهم خطر ببال بعضهم أنه لو استقبل القبلة عند الفاتحة لكان أولى وكان الشيخ وقتئذ مستقبلاً جهة الصعيد فالتفت إلى ذلك الشخص وقال له أينما تولوا فثم وجه الله ومن أخذ عنه وانتفع به رضى الله عنه أولاد الفقيه الأمين ولد أم حقين الفقيه أحمد المصطفى وإخوانه وإبنائه ، الشيخ محمد والفقيه النبل ، وذلك بعد أخذها وتربيتهما على الشيخ محمد ولد على رضى الله عنه ، والحاج يوسف ولد دهاشة البطحاني المشهور بالورع والتقوى والزهد . والفقيه حسونة المسامى المجذوب ، والحاج العباس ولد أحمد ولد نصير ، والفقيه مدنى أخو الحاج حمد الغبشاوى ، والشيخ مصطفى بن الشيخ عبدالله الصابونابى ، وسيدى الشيخ عبدالرحمن ابن سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه ، والفقيه إدريس المشهور بولد تمساح الجواد ، والفقيه عبد الحمود ولد الطيب ، والفقيه محمد حاج ، والفقيه عثمان ولد

الطالب ، والفقيه محمد ولد الشيخ ولد عبد الصادق الهوارى ، والشيخ محمد ولد حسن الحلاوى ، وغير ذلك توفى رضى الله عنه عام تسع وستين بعد المائتين والألف ، وله من العمر ثلاث وثمانون سنة ودفن قريبا من قبة الشيخ وقبره ظاهر يزار .

ومنهم العارف بالله سيدى أحمد البدوى ، كان رضى الله عنه كاملا فاضلا ، مومن كراماته ما أخبرنى به شيخنا قال : حلف رجل منهم على قبره كاذبا فقطعت يده لوقتها . توفى رضى الله عنه بالمعشيش ودفن به .

ومنهم الأستاذ المفيد ، والشيخ الرشيد ، الورع الزاهد ، المراقب المشاهد ، الذى ما اختلف فى فضله وكاله اثنان ، وما ذكر بين أهل القدم إلا برفع الشأن ، سيدى وأستاذى وملاذى والدى العارف بالله الشيخ نور الدائم ، كان رضى الله عنه نورانيا تقيا ورعا زكيا ، جميل الصورة ، كثير المروءة . قرأ القرآن على الفقيه زين العابدين تلميذ الفقيه أحمد ولد مضوى الشنباتى بالدبة ، وقرأ من الفقه ما لا بد منه وكان داودى الصوت فى تلاوة القرآن ، كثير الصمت بين الأقران ، أنوار صدقه على ظاهره ، تكاد أن تفضح ما يضر فى سرائره . وكان رضى الله عنه أشبه أولاد سيدى الشيخ رضى الله عنه به خلقا وخالقا وطريقة .

حدثنى شيخنا رحمه الله قال : كنت إذا زرت سيدى الشيخ رضى الله عنه يدعولى ويقول فى دعائه : أسأله تعالى أن يعينك على دينك ، وإذا زرته هو يقول لى مثل ذلك ولا يزيد حرفا واحدا . وكان رضى الله عنه محبوبا عند الكافة وجيها مقبولا ، برا وصولا ، بريئا عن عيب العائين ، وقدح القادحين ، صواما قواما . أخبرنى محمد ولد البشير الحلاوى قال : صحبتته زمانا فما رأيته إلا راكعا أو ساجدا أو تاليا أو ذا كرا ، وكان لا ينام من الليل إلا القليل . أخبرنى غير واحد أنه كان إذا نام فإن أسانه لا هج بذكر الله تعالى . وكانت سبحته تتحرك بالذكر من غير يد تمسكها ، وكان الأولياء الأموات يزورونه ، سىا الولى العارف بالله تعالى الشيخ عيسى ولد أبى سكيكين كما أخبرنى بذلك رضى الله عنه . وقد رأيته فى حال صفرى لا يفتر عن ذكر الله ، وأكثر ما كنت أسمعه منه ذكر الهوىة وهو شاهد

مجاوزته للنفوس في الطريقة القادرية ، ووصله إلى مقام النفس المطمئنة التي هي انتهاء النفوس فيها .

ومن كراماته رضي الله عنه ما أخبر به ولده الشيخ الصديق رحمه الله قال نزل عند والدي ضيوف فأمرني أن أشتري كبشاً ليذبحه لهم ، فما وجدت شيئاً فأمرني أغلق باب الخلوة بحيث لا أَدْع أحداً يدخل عليه ، فلما فُلت ذلك جلست أمام الخلوة قليلاً ثم أمرني بفتحها فإذا بكبش عظيم واقف وتحتة مثلث أبي حامد الغزالي رضي الله عنه ، فأمرني بأخذه وذبحه .

ومنها ما حدثني به الشيخ محمد ولد الإمام قال : حدثني سيدي عبد الرحمن ابن سيدي الشيخ أحمد الطيب قدس سره قال : كنت مرة جالساً مع أخي الشيخ نور الدائم رضي الله عنه وذلك ليلاً ، فرأيت من جهة الشمال منه واليمين نوراً أضوا من القانوس .

ومنها ما أخبر به بعض أحبائه قال : زرتة رضي الله عنه في بعض الأحيان ليلاً في محله الذي كان يبيت فيه فما وجدته فيه فجلست ظاناً أنه ذهب إلى بعض بيوت نسائه فما أشعر إلا وأنه قد نزل من الجوب بحال تكاد أن تزهق منها الأرواح . ومنها ما أظهر أحد عداوته أو أبطنها إلا وتبدد شمله ، ولو كان أدنى الناس إليه قرابة . ومنها أنه حصل بي كرب عظيم فرأيت بين اليقظة والنوم فأشار إلى بإشارة فأصبحت وقد زال الكرب . وكان رضي الله عنه مشهوراً بين الناس بإجابة الدعاء ، فما دعا الله تعالى إلا وقد أجيب لوقته . وكان ممن لا يتصرف فيه الأولياء مع تصرفه .

أخبرني الشيخ إبراهيم الكباشي رحمه الله قال : اجتمعت مع والدكم بولد أبي حليلة فتحركت مني النفس على مصادمته بحال أهل الله فما استطعت ، قلت : وأخبرني بكلامه هذا شيخنا فقال لي : ما حملك على هذا إلا الدروشة . وقد كتب إلى المذكور كتاباً وأرسله إلى بالصعيد مع تلميذ له يقال له علي ولد أبي دليق يقول

فيه إن بركة سيدى الشيخ أحمد المطيب رضى الله عنه في والدكم وبركة والدكم
في أولاده ، وأنت أخصهم . إن لم ترشد العباد لأشكونك على الله تعالى اه .

واعلم يا أخى أنى لا أعلم من نفسى ذلك ، ولكن الولي لا يكذب ، ولا يخفك
ما تقدم عن الشيخ أحمد البصير رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في أمر
خلافته وهو أعظم كرامة للوالد قدس سره وشاهد قوى على أنه الوارث لوالده .
ومن المتفق عليه ولاية الشيخ أحمد البصير وأنه من أهل حضرة الرسول صلى الله
عليه وسلم ، ومن كان هذا حاله فلا ينطق عن هوى ، وقد انتفع بالوالد سيدى
الشيخ نور الدائم رضى الله عنه جماعة منهم الشيخ محمد ولد فضل الله الصباحوى
لكن تربية لا طريقة . وقد تقدم لك أخذه للطريقة على يد الشيخ الأكبر
رضى الله عنه . وأما من انتفع به طريقة وتربية فكالشيخ أحمد ولد الشيخ محمود
ولد مكى رحمه الله ، والفقير سليمان الجذوب القطاطن بالمسلمية والشيخ محمد النور
الجبرقى العالم المشهور وبعض من أولاده ، وأكثر إرشاده قدس سره في أولاده
مباشرة ، وهو شاهد كلام سيدى الشيخ رضى الله عنه الذى تقدم فى هذا
الكتاب ، وهو قوله البركة فيه وفى ذريته من بعده . توفى رضى الله عنه بمحله
من الشرق ، خعوة الأربعاء لتسع وعشرين من شوال عام ثمان وستين بعد المائتين
والألف ، وله من العمر خمس وخمسون سنة ، وكان بين وفاته ووفاة سيدى الشيخ
محمد التوم خمسة أيام ، ودفن رضى الله عنه بإشارة منه فى حال حياته بمقبرة الولي
الصالح الشيخ عيسى ولد أبى سكيكين ، ثم نقله أولاده إلى أبيه بأم مرج بعد سبعة
أشهر ، فوجد بعد خروجه من قبره كيوم دخوله فيه ، بل وأعجب . وذلك لما
اشتمل عليه من الروائح العطرية ، والخوارق الغيبية ، وذلك مما يشهد بمزيتته
وإكرام الحق تعالى له .

حدثني من أثق به من أولاده قال : لما أردنا إخراج رضى الله عنه من القبر
وضعت عند ذلك يدي فى باطن رجلي فإذا هى أبرد من الثلج حتى سرى بردها

في جميع جسمي ، ولما حمل رضى الله عنه على النعش وتبعه الناس مروا بجنازته على أشجار كانت على الطريق فأصابته بعض أصابع رجله شوكة فصار محلها يقطر دماً . أخبرني الفقيه محمد ولد بشير السروراني قال : كنت ممن تلقى جنازته رضى الله عنه بالثمانيات وحملتها ، فإذا هي أثقل ما يكون . ودفن رضى الله عنه في قبة والده ملتصقاً قبره بقبره كأنهما قبر واحد وعلى كل من الأنوار والبركات ما لا يوصف به . وقال بعض أصحابنا قصيدة في مدح الوالد قدس سره منها :

نجل الكرام ومعدن البركات من	قد أشرقت غايته وبدايته
شيخ ترقى في العلاء وتقاعدت	أنداده عنه وتلك إصاليته
مرسرى من طيب القوم الذى	فاقت جميع الأولياء كرامته
أحيى النفوس بنفحة قدسية	صلح الوجود وكان منه سماحته
إن أنت وافيت الخليفة جالسا	قرأ تراه عليه دارت هالته
ورث الولاية والكرامة وارتقى	رتب الكمال وساعدته عنايته
فالذات منه تميزت بجلالة	وبعلم ذوق أبرزته ولايته

قال مؤلف هذا الكتاب ولنا فيه رضى الله عنه هذه القصيدة :

برقت بروق الرقتين لناظرى	سحراً فأشجبت مهجتي وخواظرى
بوميضها قد ذكرتني فتية	كانوا بذياك الحمى ومسامرى
يحكى الحيا طرفى إذا ما ذكرهم	قد مر في زمن بساحة خاطرى
أواه ما حالى وشدة لوعتى	وغرام شوقى قد سرى فى سائرى
لا زلت أرعى الفرقدين تملأ	وأبيت بين قفا الهوى وبواتر
فإذا تغنت فى الغداة بلابل	أوفى الأصائل فوق روض زاهر
أو ساجعات فى شواطئ أنهر	سحراً لحكت أشجانها بأشائر
أرملت من فرط الغرام مدامعاً	تجرى على خدى كسحب ماطر

والعقل منى بعد رشد بين
ملك الهوى العذرى كلى مذحشى ال
تباً لأيام النسوى كم أنخت
قد بالغ العذال فى عذلى إلى
من كان فيه ثلاث كيف يلومه
خفقان قلب فى الزمان وآنة
ونحول جسم لم يزل ينمو إلى
آها لأيام مضت مع فتية
فكانها 'وكانها' شيئاً تكاد
مولاي نور الدائم الفرد الذى
هو واحد الأيام قطب زمانه
ذوهمة فى الحال وهى تزيل ما
أخلاقه كنسيم روض فأنح
نظقت حروف الاسم منه بأنه
لم تنكر الأبصار ما اشتملت عليه
إن لاح قلت الشمس عند ظهورها
فكانه فى الرشدمثل جنيدهم
وكانه السماء فى لحظاته
سل عن حقيقته الأكابر كلهم
فلكل منهم يشهدون بأنه
هو ترجمان الفضل والسر الذى
رب المناقب والكرامات التى

بين العقول أراه مثل الحائر
أحشاء منى عنوة وضمائرى
بيد الهوى والحب جرح خواطرى
أن فندوني بعد بث معاذرى
أحد على فكر وقلب حاضر
نيرانها ملكت فؤاد وظاهرى
أن كاد يخفى عن عيون الناظر
ما خولطت بمشقة ومرائر
بأن تكون ليالى أكمل ذاكر
ورث المزايا كبراً عن كابر
فى رأى حال كامل ومفاخر
يخشى سريعاً مثل لمحة ناظر
ألفاظه كنفس عقد جواهر
نور أضيف إلى العظيم القادر
ه ذاته من أى وصف عاطر
أو بدرتم ذو ضياء باهر
وكانه فى الفيض عبد القادر
والشبل فى إسكاره المتواتر
والأوليا من غائب من حاضر
خدن العلا والاهتداء لسائر
مخزون فى جوف النها وسرائر
جلت عن الإحصه وحصر دفاتر

من خير عنصر أكثر في مدحه
فيه تعشقت النفوس وفيه قد
نفع جميعه ليس فيه وحقه
قد غاب قلبه في شهود الله مع
حلاً البواطن بالمعارف والتقى
الله أكبر ما ألد حديثه
بدر مضى وهو ليس بغارب
بلغت به نفس المرید مرادها
سلطان أهل العصر من آياته
المفرد العلم المنادى من حوى
فإذا ظفرت بلم كفه مرة
قل ما تشا فيه فخاله قابل
فاختر به أبداً بدون تخوف
حصن حصين من سهام أولى التقى
فيه استغث عند الكروب وشدة
واقبل عليه تجد مرادك عنده
وهو الجدير بكل ما أملت
وهو الحمى لنا إذا ما مسنا الـ
مولاي لا تنس نجيلك واسقه
وعليه من بخلة قدسية
مالى سواك إذا الخطوب تراحت
فتوانى أنت الولي لثنا

أهل الحجا من أول من آخر
صدقت مبالغة الأديب الماهر
ضرر يقال ولا خلانق فاجر
وفق الصواب بدون ترك أوامر
وبسر أسرار الجمال الزاهر
في أى قلب نير أو طاهر
بحر ولكن خير بحر وآخر
من بعد ما اختصت بفيض غامر
في الأرض أضحى كالذكاء الظاهر
قصب الفخار وحاز كل مفاخر
أغنتك عن ملأ بخير ظافر
لبديع نظم أو ملاحق ناشر
وأدر كئوس سلافه للحاضر
أوبطش جبار عنيد ما كر
مستك أو كادت تمس الزائر
والطول من بعد المقام القاصر
فيه من القصد اللذيذ الثامر
دهر الخئون بأيدي ضر ضائر
في الحان كاسات السلاف الطاهر
يزهو بها من بين جمع أكابر
والوقت سل سيف هم باتر
في أى أمر قل فيه مناصرى

منى عليك تحية تفشاك فى
وعلى الذى أومى لحضرة ذاتكم
منى صلاة عدّ من فى حبه
خير البرية أفضل الرسل الذى
وعلى جميع الآل والأصحاب من
ما غردت قمرية سحراً على
أو سار ركب أو تنسمت الصبا
أو قال محمود لدى هيمانه
ولنا فيه رضى الله عنه :

جدث منير بالهداية عاظر
بخلافة من بين أهل حضائر
أحيوا لياليهم بطرف ساهر
جاءوا بروحى فى الزمان الغابر
فازوا برضوان وخير بشائر
فمن قفاضت أدمع بمحاجر
أو أطربت للصب نسمة حاجر
برقت بروق الأبرقين لناظر

نسيم الصبا هبت على خيت
وما زلت مجروح الفؤاد بلوعة
قياليت أنى لم أكن فيها ذا هوى
خليلى عوجاً خيراها فإتنى
لقد طال صبرى واصطلاى بحبها
سبت عقل من يهواها حقاً كما سبها
إمام هم من ذوى العزم فى الدجا
كريم من الغر الكرام وسيد
وكالشهد فى قلب المحبين حبه
هو النور نور الدائم الوارث الذى
تلا فضله فوه الزمان وفضله
ولى من الأبدال كم شوهدت له
نذكرنى أخلاقه نسمة الصبا

وما بى لسعدى هيجته وولت
وما زال شوقى فى ازدياد وشدة
ويا ليت أنى لم أكن ذا صباية
أموت بها أم كيف أحيى بنظرة
وما حيلتى فى أن تفرج كربتى
أبو الطيب الأستاذ شيخ الطريقة
على الذكر والطاعات ثم التلاوة
به اخضرت الدنيا لدينا وطابت
وللعين كالأقمار إذ ما تبسدت
لساحته الأرواح بالشوق حفت
لدى كل ذى فضل كشمس الظهيرة
غرائب آيات وأسرار حكمة
وأنفاسه ريح الرياض العطرية

قلله ما أحلله من عارف جلى
 تقى وقوام إذا الليل قد دجى
 فذاك الذى أحيا الإله به النبا
 حوى الفضل طفلاً والسيادة يافعاً
 تزيد برؤياه النفوس هداية
 لقد سلك النهج القويم على تقى
 عن البحر حدث إن تطلبت دره
 غفيف شريف قد رقى ذروة العلا
 ظهور شكور حامد ومهذب
 جواد كريم كالسحاب كفه
 له قد فشت بين الأنام عجائب
 فديتك من ذى هيبة متواضع
 فما زال غوثاً فى المهمات ملجأ
 من الله أرجو أن أفوز بحبه
 وأشياخه لا سيما واحد الورى
 عليهم رضا الرحمن فى كل لحظة
 ولنا أيضاً فيه :

أخا الأشواق عرج نحو قطب
 إمام زمانه علماً وحلماً
 ولى من ولى من ولى
 عظيم ماجد غوث منيخ
 لقد ورث الملا وعلا سمواً
 بنور الدائم الفيض يدعى
 وآداباً وأخلاقاً وورعاً
 زكى بين الورى أصلاً وفرعاً
 لساحته وفود الخير تسعى
 على أوج الملا فرقاً وجمعاً

ولى كم به كشت كروب ونال به الزمان علا ونفعا
ولى فى محاسنه فريد وحيد لم يزل للشرع يرعى
تكامل فيه كل الفضل حتى لقد أثنى عليه الدهر جمعا
عفيف سيد بر شريف حنيف حلا سيرا وطبعا
أمير مهابة وخير سير من القوم الألى ما كان بدعا
بقوة عزمه كم ذل قوم وكم بدعائه الأعداء صرعى
هز بر عند ما يدنو إليه وحرز مانع للسوء منعنا
تبارك من به أحياء فؤادى ومن نى فاقته شوقاً ودعنا

ومنهم سيدى الحاج عبد الواحد ، كان رحمه الله أشبه أولاد الشيخ بجده
البشير ولد مالك ، وكان قوَّاماً ذا كراً مجاب الدعوة ، كثير التلاوة لسورة يس ،
وكان رضى الله عنه عطاءياً . ومن كراماته أنى شممت رائحة المسك من قبره أيام الدفن .
توفى رحمه الله بالحللاوين فى رجب عام ثلاث وثمانين بعد الألف والمائتين ودفن فى
قبة الشيخ أحمد البصير وقبره يزار .

ومنهم سيدى عبد الجبار ، وكان رضى الله عنه كريماً سخياً شجاعاً مطاعاً ،
عفيفاً فطناً ، قاهراً لأعدائه ، مرضياً لأصدقائه ، مليح الطلعة ، كثير المروءة .
سمعت شيخنا رحمه الله كثيراً ما يثنى عليه بالخير ، ويبالغ فيه بالذكور الحسن وعلو
الهمة فى الله . قال : حدثنى الشيخ إبراهيم الدسوقي رحمه الله وقال لى : اليوم جعلت
بركة سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه جميعها فى ابنه عبد الجبار . توفى
رحمه الله عام ثلاث وخمسين بعد المائتين والألف ، وله من العمر ثلاث أو أربع
وثلاثون سنة ودفن فى قبة والده ، وقبره يزار .

ومنهم سيدى أحمد العباس ، كان رضى الله عنه ولياً عظيماً ، وكان والده كثيراً
ما يترجمه بالولاية والكمال . ومن كراماته أنه كان إذا حلق شعر رأسه يأخذه

الناس وينبشرون به فيزول ما بهم في الحال . توفي رضى الله عنه صبياً ودفن مع جداته بمقبرة الضواب ، وقبره يزار .

ومنهم سيدى محمد ، كان رضى الله عنه يوسفى زمانه حسناً وجالاً . قرأ القرآن على الحاج أحمد البقارى رحمه الله ، وكان كثير الميل إلى حالة الملوك من حسن الملبس والمركب وغير ذلك ، فطناً وجيهاً مقبولاً عند الناس . توفي رضى الله عنه بعد ما تزوج وولد ، ودفن مع شيخه البقارى رحمه الله ، وقبره يزار .

ومنهم سيدى يسين ، كان رضى الله عنه حلو الشائل ، كثير الفضائل صبيحاً مليحاً ، فلما أراد الله تعالى انتقاله إليه ذهب إلى البحر فغرق ، وكان ذلك بحياة والده ، فلما بكى الناس عليه أمرهم سيدى الشيخ رضى الله عنه بترك البكاء ، وقال للناس : لم يغرق كما تظنون ، وإنما أخذه عبد الفتاح وراح به إلى شرق المصباح ، فلم يتيسر لأحد من الناس أن يسأله عن ذلك .

ومنهم سيدى الشيخ أحمد الرفاعى ، كان رضى الله عنه كثير الصمت والتفويض إلى الله تعالى في أموره ، فلا ينازع ولا ينازع ، وكان قوى العزم كثير الشجاعة ، لا يتكلم فيما لا يعنيه ، وهو ممن يخشى الله ويتقيه . توفي رضى الله عنه بمحلة ودفن في قبة أبيه ، وقبره يزار .

ومنهم سيدى نور الله ، كان رضى الله عنه من أكابر الأولياء ، وخواص الأصفياء ، محبوباً عند والده ، وقد ترجمه رضى الله عنه بالولاية والكمال ، وشهد بأنه من خول الرجال إلا أنه أخبر بقصر عمره . وكان كثير الاجتهاد والرياضة والتكشف ، ومن كشفه رضى الله عنه ما أخبرتنى به زوجته آمنة ابنة فضل الله ولد المدنى قالت : كنت معه بكردفان فأخبرنى يوماً بوفاة حامد ولد عمر الجميعابى زوج أخته رقيقة وأنها كانت في هذا الوقت ، وسيأتىكم الخبر بذلك عن قريب . قالت : فما أنت علينا أيام قلائل إلا وقد جاء الخبر بوفاته في اليوم الذى أخبر به . توفي رضى الله

عنه بأمر عراش من كردقان عام ثلاث أو أربع وأربعين بعد المائتين والألف من الهجرة .

ومنهم سيدى وهب الله ، كان رضى الله عنه جميلاً جليلاً فصيحاً مليحاً ، تالياً لكتاب الله عز وجل ، وقد رأيت له جماعة أخذوا الطريق عليه وانتفعوا به وذلك كالفقيه راجع الجمر وغيره ، ومن كراماته رضى الله عنه أنه ذهب مرة إلى جهة بلدة خالية من الماء لغرض له ، فأصابه هناك عطش شديد حتى كاد أن يهلك بسببه ، فلما علم من نفسه أنه لا يعيش بعد ذلك رقد في ظل شجرة موقفاً بالموت فجاءته وهو على تلك الحالة سيدتنا رابعة العدوية رضى الله عنها وفي يدها قرية مملوءة ماء فسقته منها ثم أعطتها إياه بما فيها من الماء ، فلما خف عليه ألم العطش أخذ القرية وتوجه بها إلى أهله فرحاً مسروراً بذلك فلما رآه الناس على تلك الحالة وكانوا قد يئسوا من حياته لبعد المدة رفعوا أصواتهم بالفرح ، وكان ذلك يوماً مشهوداً ، ثم أنه أخبرهم بخبره فأخذوا القرية وتبركوا بها ، ثم أخذها البعض منهم للتبرك بها . توفي رضى الله عنه بمحلة من الشرق ودفن في قبة والده وقبره يزار .

ومنهم الكامل الصالح سيدى الشيخ أبو صالح كان رضى الله عنه من الأولياء الأبرار الصالحين الأخيار ، وكان على قدم السلف الصالح من الفقه والصمت والزهد وصدق النية وحسن العمل ، وكان رضى الله عنه قواماً صواماً شاكراً لله على السراء والضراء ، قارئاً لكتاب الله تعالى وما لا بد منه من الفقه ، وكان يقوم من الليل الثلث دائماً ، كثير الكرم والبشاشة والتواضع والانكسار ، وربما خدم ضيفه وزائره بيده ، ولو من أقاربه وأولاده وإخوانه ، طاهر القلب واللسان من الفحش والذنوب ، وقد صحب رضى الله عنه في أول عمره في الطريقة سيدى الشيخ محمد التوم ولد بان النقا رضى الله عنه ، وتخلق بأخلاقه ، وكان كثير الأحوال على الأهمية في الأذكار ، ومن كراماته رضى الله عنه ما شاهدته في نفسي

وهو أنى أخبرته بوفاة أخى عبد النور بيلاد العبيد مقتولاً فشق على مصابه واشتد
البكاء إلى نحو جمعة ، فرأيتة رضى الله عنه مناماً وهو يقول لى : ما وصلكم من الخبر
بوفاة عبد النور كذب لا أصل له ، فما أتت علينا أيام قلائل إلا وقد تحقق الخبر
بحياته ، ومن انتفع به رضى الله عنه فى طريق القوم الشيخ يوسف ولد الجزولى
المشهور بتعظيم القرآن بيلاد الصعيد والشيخ أحمد بن الفقيه محمد ولد الأزيرق
الجلالوى وغير ذلك . توفى رضى الله عنه عام خمس وثمانين بعد المائتين والألف
ودفن بأم مرح خلف قبة والده وقبره ظاهر يزار .

ومنهم سيدى الشيخ عبد الرحمن كان رضى الله عنه لأنحاً عليه أثر الولاية
ظاهراً عليه نور العناية نورانى الطلعة حسن الصورة كثيف اللحية ذا كراً كاملاً
مؤيداً فاضلاً وكان قد أخذ الطريقة على أخيه سيدى الشيخ إبراهيم الدسوقي
رضى الله عنه وغيره من رجال الطريقة السمانية ، وكان له القبول التام بين الخاص
والعام معتقداً عند الناس سيما أرباب الدولة فإنهم كانوا لا يبعثون به بديلاً ، بحاج
الدعوة على الأهمية وكان يقوم الليل كله وكان من شدة أنوار وجهه يكاد الإنسان
أن يغض بصره عند رؤيته ، ومن كراماته رضى الله عنه ما حكى عن عبد اللطيف
ابن الشيخ إبراهيم الدسوقي أنه رآه قد طار من الغرب إلى الشرق عندما عدم
السفينة ، ومن مكاشفاته فى حال صغره ما حكاه الشريف محمد بن الشريف
النور ، قال حدثنى أبى ، قال لما جئت من بلادى قاصداً للطريقة عند سيدى
الشيخ رضى الله عنه ، وجدت ابنه عبد الرحمن صبياً يلعب مع الصبيان ، فلما
رأنى قال لى مكاشفاً أنت النور بن الطاهر ولم يعرفنى أحد من الناس فضلاً عن
اسم أبى توفى رضى الله عنه بسوا كن بعد رجوعه من الحج عام تسع وثمانين بعد
المائتين والألف ، ودفن بهار حمة الله تعالى وأموات المسلمين ، واسيدى الشيخ
رضى الله عنه أولاد سوى المذكورين إلا أنهم ماتوا صبياناً وهم عبد الله والبشير

وعبد القادر . نفعنا الله بهم وبإخوانهم ومدنا ببركة أيهم ، وقد قلت نظماً
لجميعهم في هذه الأبيات :

فمالك يا ذا الوجد والأشواق	نظماً رقيقاً كامل الأذواق
في عد أبناء الولي الطيب	قطب الزمان الأوحـد المقرب
أبدأ بنجـله كمال الدين	قدوة أهل الحال والتمكين
كذا مطيع المرتقى المعالي	غيث الرشاد حسن الأحوال
دسوقهم فيـاله من عارف	مؤيد مبارك وغارف
كذلك نور الدائم النور العلي	بدرُ سما العرفان والمجد الجلي
محمد كذاك عبد الواحد	والبـدوى طيب المقاصد
كذلك العباس نور الله	ثم الرفاعي ثم وهب الله
ياسينهم وعابد الجبار	كذاك أبو صالح ذو الوقار
وعابد الرحمن عبد القادر	كذاك البشير صاحب المفـاخر
واختم بعبـد الله هؤلاء	أبناء مولى الفيض والثناء
عليهم رضاء رب الناس	ما مال بالرياح غصن الآس

إعلم أن أبويه كانا صالحين عفيفين مكرمين ، وقد بلغنا أن والدته رقية بنت
رحمة ابن ولي الله تعالى الفقيه محمد ولد سرور رضى الله عنهما كانت يضرب بها المثل في
الفضل وطهارة الظاهر والباطن والصمت والعفة ، وكانت إذا لبس أحد أولادها
ثوبها فإنها لا تلبسه حتى تغسله صيانة للطهارة ، وكانت لا تشرب من ماء البحر
ما كان بقرب شاطئه ، ولا تأكل الطعام ولا تشرب الماء إلا إذا كان مستوراً
مغطى ، سليمة عن عيب العائنين غير مدنسة للسانها بالغيبة وقذف الغافلين ، وهى
جديرة بأن يقال فيها :

حصان رزان مائـزن بريـمة وتصـبح غرثي من لحوم الغوافل

وأما أوصافها رضى الله عنها ، فقد كان لونها كلون والدها الأستاذ الأعظم ، وهو شبيه بها دون أولادها في الحسن والوصف ولم تزل على استقامة في دينها إلى أن توفيت بأم مرح ودفنت بها .

وأما والده مولانا البشير بن مالك فقد قرأ القرآن هو وأخوه صغيرون على الفقيه مصطفى الأنصارى الفاضل الشهير نزيل كُترانج^(١) ، كما أخبرني بذلك العلامة الفقيه أحمد ولد الفقيه أحمد ولد عيسى عند اجتماعي به بسنار عام تسعين بعد المائتين والألف ، وكان رضى الله عنه وجيهاً مقبولاً ، وكانت الدولة الفونجية كثيرة الاعتناء به . وقد رأيت ورقة كتبها له ملك سنار متضمنة لمساكنته عنده وهدايا وجزائر شتى أهداها له وعليها خاتم الملك المذكور ، وقد شهد سيدى الشيخ رضى الله عنه له بأنه كان من الأولياء الصديقين ، ولا تحقك مزية الصديقين من الأولياء على غيرهم من أهل الولاية .

ومن كراماته رضى الله عنه أن الله أطاعه برؤية سالحة على مكانة ولده هذا وشرفه عند الله تعالى ، كما تقدم بيان ذلك في أول الكتاب ، وما زال رحمه الله تعالى جليلاً مكرماً إلى أن توفى بأم مرح ودفن بها ، وقبره يزار .

وأما جده مالك فقد كان عابداً تالياً لكتاب الله عز وجل كثير السهر به ، وقد قرأ علم الكلام على الفقيه محمد بن الفقيه أرباب الحشن ، وكان مقبولاً عند ملوك سنار وجيهاً بين الناس ، وكان ملك سنار لا يسافر إلى حرب أو غيره إلا وبصحبه معه تبركا به واحتياجاً لتدبيره ورأيه ، وما زال كذلك إلى أن قتل معه بقوز رجب . وأما الفقيه محمد ولد سرور والد مالك المذكور فهو الولي المشهور ، والبحر المسجور ، رحمة الله لعباده ، وأعمته بين عباده ، رب الكرامات الجليلة ، والمقامات العلية ، والمفاخر السنية ، والأخلاق الرحمانية ، والأنفاس الربانية . كان رضى الله عنه

(١) كُترانج : قرية من المسيد وهي بلدة الفقيه عبد الرحمن بن البهوى

أوحد أهل زمانه عبادة وزهادة ، وغناء وسخاء . وهو وارث العارف بالله تعالى
سیدی الشیخ حسن ولد حسونة رضى الله عنه ، ومنه انتقلت البركة إلى وئده مالك
وإلى البشير ، ثم إلى القطب الأكبر أستاذی الشیخ أحمد الطیب رضى الله عنه
كما تقدم ما يدل على هذا في أول الكتاب . وقد أحببت أن أذكر هنا سبب
اتصال أجدادنا المذكورين بسیدی الشیخ حسن ولد حسونة رضى الله عنه .

روى عن سیدی الشیخ إبراهيم الدسوقي بن سیدی الشیخ أحمد الطیب
رضى الله عنه أنه كان جدنا سرور بن الحاج غناوة من الفضلاء ، وكانت له ولاية
على هذا البلد أم مرح وما والها بإشارة من ملك سنار ، فأخبره بعض الناس
بحدثنا عائشة بنت مالك الشايقاية وجمالها وفضلها ، فطلبها من أهلها وتزوج بها ،
وأقام معها مدة فما ولدت له ولداً فضاقت صدره لذلك ، فاستضافه يوماً رجلاً
من تلامذة الشیخ حسن ولد حسونه رضى الله عنه وحدثه بولاية الشیخ وكأله
وكرامته وأنه لا يقصد شيء إلا ويكون . فحكي للتلميذ عدم الذرية واهتمامه بها
فأمره بالتوجه بأهله إلى الشیخ وأن يحمل معه أوقية من ذهب يهديها للشیخ ،
فسافر سرور بأهله من وقته إلى الشیخ حسن وأخذ معه حصاناً وغلاماً وسيفاً
وأربع أواق ذهباً ، فلما حضر بين يدي الشیخ رضى الله عنه حكى له أمره فقال له
الشیخ : أين أوقيتي وكان مشهوراً بذلك عند من يطالب منه الذرية ، فقال له :
قد جئتك يا سیدی بأربع أواق ذهباً بدلاً من الأوقية الواحدة ، وحصان وسيف
وغلام ، فقال اتنى بها ، فأتاه بها فدعا له بالبركة والذرية الصالحة ، ثم استأذن
الشیخ في الذهاب إلى بلده فأذن له ووادعه فساfer هو ومن معه ، وكانت عائشة
بنت مالك يومئذ بها محيض فظهرت في أثناء السفر واغتسلت ببعض حفاثر الشیخ
وأناها زوجها فملقت منه بمحمد ولد سرور ، ولما ولدت أرسل سرور إلى سیدی
الشیخ حسن رضى الله عنه يخبره بذلك ، فأمره أن يسميه محمداً ، وظهرت لأهله

من جهته كرامات وخوارق ، فمما ترعرع أرسل إليه سيدى الشيخ حسن رضى الله عنه وأقامه عنده إلى أن حفظ القرآن وأرشده في طريقه ، ثم توجه به إلى أم مرح وممره بالسكنى بها ، وبنى له المسجد القائم بها إلى يومنا هذا بيده الشريفة ، وقال مبشراً له أسست لك هذا المسجد دنيماً على دين لا ينقطع أثره إلى يوم الدين .
وتميز سيدى الفقيه محمد يزور سيدى الشيخ حسن رضى الله عنه ، وهو كذلك يزوره إلى أن توفي سيدى الشيخ حسن رضى الله عنه وعنا به . وقد بلغنا أنه لما حضرته الوفاة أحضر بين يديه الفقيه محمد ولد سرور ، وابن أخيه بلال الشيب بن عبد الفتاح ولد حسونة ، فجعل بلال الشيب خليفة من بعده ، وأودع الفقيه محمد ولد سرور أسرارهم ، وكتب بينهما كتاباً على أن الهدايا الشرقية والنذر لبلال الشيب والغريبة للفقيه محمد ولد سرور ، وجعل تلك الورقة أمانة عند ابن خاله وتلميذه الفقيه حبه ولد لقمانى اه .

واعلم أن ما ذكرته لك هنا في هذه القصة هو الصحيح ، فعض عليه بالنواجذ واترك ما سواه فإنه خزعبات العامة وأباطيلهم التي لا يطابقها نقل ، ولا يعصدها عقل ، فرب البيت أدري بما فيه ، كما أن العلم لا يؤخذ إلا من أهليه . وقد تعين أن أذكر لك هنا ترجمة العالم العلامة ، المؤرخ الفقيه محمد نور ولد ضيف الله في حقيقته لسيدى الفقيه محمد ولد سرور ليتضح لك ما في هذا المقام ، فإنه جدير بأن يقال فيه :

إذا قالت حزام فصصدقوها فإن القول ما قالت حزام
ونص الطبقات المذكورة في حرف الميم منها : محمد ولد سرور بن الحاج غناوة تبناه الشيخ حسن ولد حسونة ، وقرأ القرآن في مسجده وأرشده ، وخط له مسجده الذى بأم مرح بيده ، وكان صائماً النهار ، قائماً الليل ، وكانت عنده دنيا عريضة وأولاد ذكور وإناث كثيرون طيبون ، مباركون صالحون اه . فافهم تغنى وترشد وتسلم .

وكانت لسيدى الفقيه محمد ولد سرور رضى الله عنه كرامات كثيرة شهيرة منها :
أنه كان رضى الله عنه لا يستوحش منه الطير إذا مر ، وكان يحمل الطعام من أم مرح
فيوصله إلى الشيخ حسن رضى الله عنه في الكربة قبل أن يبرد من حره ،
والمسافة تقريباً ثلاثة أيام . وكانت عنده دنيا عريضة كدنيا شيخه الشيخ حسن ،
ومع هذا فلم يكن ملتفتاً إليها في وقت ما . وقد عاش من العمر نحواً من مائة وعشرين
سنة مجاهداً لنفسه مستغرقاً في ربه . وله من الأولاد الذكور مالاك ، وهو الذى
ورثه ، وحمد . وقد حكي سيدى الشيخ أحمد الطيب رضى الله عنه أنه رآه في ديوان
الحضرة النبوية ، وحسن ، وهو المشهور بإبراء القروح إلى يومنا هذا ، وعبد القادر ،
وإبراهيم ، وكانا كاملين صالحين ، وأبكر ، وهو الذى سماه على شيخ أستاذ
الشيخ حسن ولد حسونة ، ومدنى ، وعثمان ، والعجمى ، وكان سماه على الولى
الصالح العجمى أخى الشيخ حسن رضى الله عنه ، ورحمه ، وغير ذلك من الأولاد .
توفى رضى الله عنه بأم مرح ودفن بها ، وقبره عليه هيبة وجلالة وهو ظاهر يزار .
ويمكن هذا آخر الكتاب ، جعلنا الله وإخواننا ببركة الأولياء من المحبين
فيهم ، السالكين لأثرهم ، ومن المتمسكين بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم ، والمداومين على عمل آخرتهم ، مع مراقبته تعالى في جميع الأحوال .
ونسأله تعالى أن لا يفضحنا في الدنيا بظنوننا ودعوانا ، ولا في الآخرة بهتك أستارنا
وما بطوت عليه ظواهرنا وبواطننا ، وأن يجعلنا مستسلمين لقضائه ، راضين بحكمه
شاكرين لنعمائه ، صابرين على بلائه ، خائفين من مكره ، مستغفرين أوقاتنا في حمد
وشكره ، راجين منه أن يفتحنا عند مماتنا الختم بلا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع التحقق بها ، إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير ، وهو حسبنا ونعم
الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل
سيدنا محمد صلاة دأمة مستمرة بدوام ملك الله العظيم ، وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين اه .

الفهرس

الجزء الأول

صفحة	الباب الأول — وفيه خمسة فصول
١٤	الفصل الأول : فيما وقع من اخبار العارفين به كسفا قبل بروزه في عالم الدنيا .
١٦	الفصل الثاني : في بيان مولده ونسبه الشريف .
٢٢	الفصل الثالث : في ذكر المواضع التي قرأ فيها القرآن وماله من المجاهدة والمكابدة الخ .
٢٤	الفصل الرابع : في طلبه للشيخ المرشد .
٢٨	الفصل الخامس : في رجوعه من أم طلحة رضى الله عنه الى وطنه وما حصل له فيه .

الباب الثاني — وفيه سبعة فصول

٣٠	الفصل الأول : في بيان تقلة النبي صلى الله عليه وسلم في فيه .
٣١	الفصل الثاني : في ما حصل بينه وبين بعض العلماء من الجمعيات من المنازعة الخ .
٣٥	الفصل الثالث : في بيان عمره في عام حجه وزيارته النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ العلم الخ .
٣٦	الفصل الرابع : في ما حصل له في طريقه من قبل وصوله الى مكة المشرقة الخ .
٣٩	الفصل الخامس : في رحلته من مكة الى المدينة المنورة .
٤٣	الفصل السادس : في ما حصل له من الكرامات بالمدينة المنورة .
٤٥	الفصل السابع : في اذن شيخه له بالرجوع الى وطنه لاطهار شعائر الدين الخ .

الباب الثالث — وفيه أربعة فصول

٥٠	الفصل الاول : في بيان رجوعه الى الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم .
٥٤	الفصل الثاني : في سفره الى مصر المحروسة .
٦١	الفصل الثالث : في بيان رجوعه الثاني من المدينة المنورة .
٦٥	الفصل الرابع : في ثناء العارفين عليه والصالحين والعلماء العاملين الخ .

صفحة	الباب الرابع — وفيه عشرة فصول
٧٧	الفصل الأول : فى مبنى طرائقه اللاتى ذكرها ، وغيرها من طرائق السادة الصوفية الخ . . .
٧٨	الفصل الثانى : فى بيان طريقته النقشبندية .
٨٣	الفصل الثالث : فى بيان طريقته القادرية .
٩٧	الفصل الرابع : فى الكلام عن الخرقه .
١٠١	الفصل الخامس : فى طريقته الخلوتية الجنيديّة .
١٠٧	الفصل السادس : فى طريقته الانفاسية .
١١٤	الفصل السابع : فى بيان طرق له مجمله .
١١٥	الفصل الثامن : فى بيان طريقته الاسمية وهى طريقة الموافقة .
١١٧	الفصل التاسع : فى طريقته رضى الله عنه فى المسبغات الحضريّة .
١١٩	الفصل العاشر : فى فضائل طرائقه التى تقدم ذكرها .
	الباب الخامس — وفيه سبعة فصول
١٢٤	الفصل الأول : فى اثبات كرامات الاولياء كتابا وسنة واجماعا .
١٢٦	الفصل الثانى : فى عقوبة من آذى اولياء الله تعالى وأنكر لكرامتهم .
١٣٢	الفصل الثالث : فى بيان الانفع للمريد بعد معرفته الواجب عليه شرعا .
١٣٤	الفصل الرابع : فى بيان عدد الاولياء .
١٤٠	الفصل الخامس : فى بيان تحقق قطبانية الاستاذ المترجم قدس الله سره .
١٤٣	الفصل السادس : فى بيان ما تحدث به مما أنعم الله تعالى به عليه .
١٤٧	الفصل السابع : فى بيان ما أكرمه الله به من فسحة أجل من حضرت لقبض روحه ملائكة القبض .
	الباب السادس — وفيه عشرة فصول
١٥٠	الفصل الأول : فى بيان كراماته فى حياته .
١٦٨	الفصل الثانى : فى احيائه للأموات .
١٧٠	الفصل الثالث : فى بيان مكاشفاته رضى الله عنه وعنايه .
١٧٤	الفصل الرابع : فى بيان اخباره رضى الله عنه بالمغيبات .
١٧٧	الفصل الخامس : فى شرح ما أورده علينا أخونا الشيخ عبد النور من كلام الشيخ رضى الله عنه .
١٨٢	الفصل السادس : فى بيان أخلاقه رضى الله عنه .
١٨٤	الفصل السابع : فى أقواله وأفعاله وأحواله مجمله .
١٨٧	الفصل الثامن : فى فنائه فى الله وبقائه به .
١٨٨	الفصل التاسع : فى عجائب ارشاداته وغرائب قيوضاته .
١٩٦	الفصل العاشر : فى بيان ما أكرمه به الحق تعالى .

صفحة	الباب السابع — وفيه ستة فصول
١٩٩	الفصل الأول : فى بعض كلامه رضى الله عنه •
٢٠٩	الفصل الثانى : فى بيان مؤلفاته فى الطريق رضى الله عنه •
٢١٢	الفصل الثالث : فى ذكر ما كان مداوما عليه من سور القرآن فى صلواته •
٢١٨	الفصل الرابع : فى بيان أذكار كان يحث عليها الخ ••
٢٢٢	الفصل الخامس : فى بعض مناجاته السحرية وأشعار كان يترنم بها
٢٢٦	الفصل السادس : فى بشائره لمحبيه ومريديه وأهل قرابته وناديه •
الجزء الثانى	
الباب الثامن — وفيه عشرة فصول	
٢٣١	الفصل الأول : فى بيان رحلته لسنار والسبب الذى دعاه لذلك •
٢٣٥	الفصل الثانى : فى إقامته بالمحل المذكور وما جرى له فى مدتها •
٢٤٢	الفصل الثالث : فى رحلته من أم مرج الجديدة الى أم مرج القديمة •
٢٤٤	الفصل الرابع : فى مسائل نافعة ان شاء الله تعالى •
٢٤٨	الفصل الخامس : فى بيان الاضرين للناس فى دينهم الخ •••
٢٥٤	الفصل السادس : فى محبة أولياء الله تعالى والنفع بصحبته وزيارة قبورهم •
٢٥٧	الفصل السابع : فى بيان أوصافه وأخلاقه ووفاته الخ •••
٢٦٨	الفصل الثامن : فى ما قاله فيه رضى الله عنه بعض أهل بيته من المدائح •
٢٧٥	الفصل التاسع : فى بيان تلامذته الذين انتفعوا منه ببلاد السودان •
٣٤٣	الفصل العاشر : فى بيان أولاده الذكور وما لهم من المناقب والفضل المشهور •

إستدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦	١	لمحقق	المحقق	١٧٥	١	عبد الرهاب	عبد الوهاب
٣٤	١٠	ذويته	ذريته	١٦٩	٨	ونحا	ونحى
٣٤	١٤	الجميعات	الجميعاب	٢٢٨	٤	الحمس	الحمس
٣٥	١٣	الذ لله	الله	٢٤١	٦	التغصب	التغصب
٤٥	١٢	في إذن له شيخه	في إذن شيخه له	٢٥٢	١٤	الفجور	الفجور
٦٤	١٢	واحتله	وأحلقه	٢٧١	٢٠	يعجم	يععم
٧٤	٩	الفاضلى	الفاضل	٢٧٣	٩	ينقض	بنقض
٨٤	٢٠	سته	سُنة	٢٧٣	٢١	بنطرة	بنطرة
٩٢	٥	أمير	أميرا	٣٠٥	٧	أو كلم	وأ كلم
٩٢	٨	حبور	حبورا	٣٠٩	٧	حدثنى	حدثنى
٩٢	٢٠	كأس	كأسا	٣١٤	١٣	بما نلت	بم نلت
٩٢	٢١	منزعا	متزعا	٣١٤	١٨	الأكل والشرب	الأكل والشرب
٩٣	١١	جاف	جافى	٣٢٠	١٩	حصلت من	حصلت منه
١٠٧	١٥	لاشتمالها	لاشتمالها	٣٢٩	١٤	في آخر السطر سقطت كلمة (توفى)	
١٢٩	٢	عبد العزيز	عبد العزيز				
١٣٩	١١	الأقذاب	الأقطاب	٣٣٣	٦	كان رحمه كاملا	كان رحمه الله كاملا
١٤٨	٢٠	رضى الله وهو	رضى الله عنه وهو	٣٣٧	١	من	تحذف
١٥٥	١٩	فرجت	فرجعت	٣٥٠	١١	القطاطن	القاطن
١٦٦	١٣	الإولياء	الأولياء	٣٥٠	١٧	رضى	رضى